تاريخ المصريين ١٩٨

العلاقات السياسية

بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية

د. عادل عبدالحافظ حمزه



الهيئة المصرية العامة للكتاب

• تاريخ المصريين

رئيس مجلس الإدارة:

د. سمير سرحان

رئيس التحرير:

د. عبد العظيم رمضان

مدير التحرير:

محمود الجزار

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



949.5
H232iA
c-1

العلاقات السياسية

بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة

زمن الحروب الصليبية

د. عادل عبد الحافظ حمزه



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠١

الاشراف الفنى

محمـود الجـزار

تقـديـم

يسرنى أن أقدم للقارىء العزيز هذه الدراسة عن « العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الاسلامى » من ١١٥٢ ـ ١٢٥٠ م . وهى فى الأصل رسالة علمية حصل بها صاحبها الدكتور عادل عبد الحافظ حمزة على درجة الماجستير فى تاريخ العصور الوسطى من جامعة المنيا تحت اشراف الدكتـورة زبيدة عطـا .

والدراسة تنقسم الى خمسة فصول ، تحدث الفصل الأول عن الوحدة الاسلامية فى الشرق وأثرها على الامبراطورية الرومانيـة المقدسة . فتعرض لدور الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الحملة الصليبية الثانية ، وموقف الشرق الاسلامى منها . وتناول دور نور الدين محمود فى الوحدة الاسلامية ، ودور صـلاح الدين ، وصدى وحدة الشرق الاسلامى فى الامبراطورية الرومانية المقدسة . ثم تناول الوضع السياسى فى بلاد الشـام قبيل الحملة الصليبية الألمانيـة .

أما الفصل الثانى ، فقد تناول سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الشرق الاسلامى فتحدث أولا عن استغاثة صليبيى الشرق بأوروبا ، واتصالات الامبراطور فردريك الدبلوماسية ، والترتيبات العسكرية للحملة ، « حتى تحرك الحملة الألمانية بقيادة فردريك الأول » كمـا تحـدث عن علاقة الامبراطور البيزنطى بالمسلمين ، ووفاة الامبراطور فردريك وتوليـة ابنـه فردريك السوابى قيادة الحملة ، وموقف المسلمين من الحملة الألمانية .

أما الفصل الثالث ، فقد تناول تأثر الأوضاع السياسية فى الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وفى الشرق الاسلامى على العلاقات بينهما . فتحدث عن العادل الأيوبى والوحـدة الاسـلامية بعد صلاح الدين ، ومحاولات الامبراطور هنرى السادس ضم الشرق

الى امبراطورية ، ودور الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الحملة الصليبية الرابعة سنة ١٢٠٤ م ، والوضع السياسى فيها حتى سنة ١٢٠٨ •

أما الفصل الرابع ، فقد تحدث عن سياسة الامبراطور فردريك تجاه الشرق الاسلامى (٦٠٦ – ٦٢٥ م) فتناول أولا الوضع السياسى فى المانيا بعد وفاة الملك فيليب السوابى ، وتعهد فردريك الثانى بالقيام بحملة على الشرق ، كما تناول الوضع السياسى فى الشرق الاسلامى ، وأثره على علاقات السلطان الكامل بفردريك الثانى •

أما الفصل الخامس ، فقد تحدث عن الحملة الصليبية السادسة ، وأثرها على العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الاسلامى (٦٢٥ – ٦٤٨) فتناول محاولات البابوية الضغط على الامبراطور فردريك الثانى للقيام بحملة على الشرق ، ونجاحها فى محاولاتها بتجهيز الامبراطور حملة زحفت على الشرق •

كما تعرض للمفاوضات التى دارت بين الامبراطور فردريك الثانى والملك الكامل محمد وانتهت باتفاقية يافا التى سلمت القدس للامبراطور فردريك بعد أن استردها صلاح الدين • وتحدث عن ظروف ابرام هذه الاتفاقية التى أغضبت المسلمين ، كما أنها أغضبت الصليبيين أيضا لأنها أبقت المسجد الأقصى وقبة الصخرة بيد المسلمين أمام قبر المسيح • وموقف الامبراطور فردريك من الحملة الصليبية السابعة •

وقد استندت الدراسة على المصادر الأساسية والرسائل المتبادلة ، والوثائق المهمة • والدراسة على هذا النحو تستحق القراءة •

والله الموفق •••

رئيس التحرير

د • عبد العظيم رمضان

المقدمة

من المعروف لدى الدارسين أن اللقب الأساسى لهذه الامبراطورية هو « الرومانية » فقط ، أما صفة « المقدسة » فقد ظهرت لأول مرة على عهد الامبراطور فردريك الأول حوالى سنة ١١٥٧ م ، وبعد ذلك أكثر الامبراطور هنرى السادس ثم الامبراطور فردريك الثانى من استعمال لقب « المقدسة » فى وصف الامبراطورية حتى غدا شائعا • على أن استعمال هذا اللقب فى وصف الامبراطورية لا يعنى أى تغيير فى وضعها السياسى ، لأن هذه الامبراطورية بمعناها العالمى الواسع وضع أساسها شارلمان ، وبمعناها الضيق – أى فى حدود المانيا وايطاليا – يرجع تأسيسها الى « أوتو العظيم » (١) •

وقد حكمت أسرة « الهوهنشتاوفن » الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الفترة التى بين عامى ١١٣٨ م و ١٢٦٨ م ، وقد عرفت هذه الأسرة بهذا الاسم نسبة الى قلعة « شتاوفن » فى سوابيا •

أما الدولة الأيوبية هى التى سيطرت على ما يعرف « بالشرق الاسلامى » الذى ضم مصر وبلاد الشام وفلسطين وآسيا الصغرى ،

---

(١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، الطبعة السابعة القاهرة ١٩٧٨ م هامش ص ٢٨٦ •

هذا ويعتبر موضـــوع « العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدســة) (١١٥٢ ــ ١٢٥٠ / ٥٤٧ ــ ٦٤٨ هـ) من الموضوعات الهامة التى تجذب انتباه الدارسين فى مجال العصور الوسطى .

وترجع أهمية هذه الدراسة الى أنها تدرس جانبا هاما من العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، وخاصة بين احدى امبراطوريات أوربا وبين الشرق الاسلامى . اذ أن هـذه الامبراطورية قامت بدور هام فى الصراع الصليبى الاسـلامى ، يجدر ابرازه فى تاريخ العلاقات ، لأن هذه العلاقة قامت على أساس رغبة الغرب الأوربى فى انتزاع بيت المقدس من المسلمين الذى كان محور هذه العلاقة الحربية والسلمية .

كذلك تبرز أهمية هذا الموضوع فى أنه يتناول فترة لم تدرس الدراسة التى تغنى الباحث عن الخوض فيها ، وهذا يضفى حيوية على موضوع البحث .

ومما يلفت النظر أن العلاقة الســياسية فى الفترة المعنية بالدراسة اتسمت بالتناقض ، اذ كانت فى بدايتها حربية ثم تحولت فى نهايتها الى علاقات سلم وصداقة ، ولعل هذا التناقض فى تلك العلاقة من الدوافع الأساسية لدراسة هذا الموضـوع ابان هذه الفترة ، لمعرفة حقيقة الظروف فى الشرق الاسلامى ، التى كانت دائما وأبدا تتحكم فى سياسة ملوك وأمراء المسلمين تجاه الغرب الأوربى سواء كانت عدائية أو سلمية .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون من خمسة فصول يسبقها تمهيد ويتلوها خاتمة ، على النحو التالى : ــ

أما الفصل الأول فقد تناول بالشرح والتوضيح ما يلى :

أولا : أثر سقوط الرها على الامبراطورية الرومانية المقدسة ، اذ استجابت للمشاركة فى الحملة الصليبية الثانية تحت قيـادة امبراطورها « كنراد الثالث » كما يعرض أهم أعمال الحملة بالشرق ، وكذلك موقف المسلمين منها ، وختمت هذه النقطة بعودة الامبراطور كنراد الثـالث الى الامبراطورية وبصـــحبته ابن أخيــه فردريك السوابى .

ثانيا : جهود نور الدين محمود من أجل الوحدة الاسلامية ، ونظرته السياسية تجاه مصر ، وخاصة عندما تسابق معه الصليبيون عليها من أجل الفوز بها .

ثالثا : جهود صلاح الدين الأيوبى فى مصر والشام ، الى حد أن تركت آثارا على الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية .

رابعا : الآثار الفعلية للوحدة فى الشرق ، على الامبراطورية والبابوية اذ كان لتحسن العلاقة بين الأخيرتين ، عامل أساسى فى المشاركة بجهودهما الدبلوماسية لحل مشاكل الصليبيين بالشرق . وذلك من خلال الرسائل المتبادلة بين الشرق الاسلامى والبابوية .

خامسا : أهم أعمال صــلاح الدين بعد أن فشلت الوسائل الدبلوماسية مع البابوية والامبراطورية ، من أجل اتمام الوحدة السياسية بالشرق حتى يدخل مع الصليبيين فى فصل ختامى ، لكى يحد من الوجود الصليبى بالشرق . ومما تجدر الاشارة اليه أن صلاح الدين لما وجد نفسه قد أصبح قاب قوسين أو أدنى من تبعية المسلمين بالشرق له ، دخل مع الصليبيين معركة حطين التى استرد بعدها بيت المقدس .

اما الفصل الثانى : فقد عرضت فيه موقف الامبراطورية الرومانية المقدسة من استرداد المسلمين لبيت المقدس فى الفترة من (١١٨٨ الى ١١٩٠ م/٥٨٤ الى ٥٨٦ هـ) ، موضحا ما يلى :

أولا : استغاثة صليبى الشرق بأوربا وخاصة الامبراطورية الرومانية ، تلك الاستغاثة التى كانت قبل حطين وبعدها ، والتى أثرت بشكل مباشر على الامبراطور فردريك الأول الذى أعلن استعداده للقيام بحملة على الشرق ·

ثانيا : التمهيدات التى قام بها الامبراطور فردريك الأول من أجل حملته التى سيترأسها · فأرسل الى السلطان صلاح الدين بالشرق يطلب منه ترك الأراضى التى استردها · ولكن صلاح الدين رد عليه بخطاب شديد اللهجة · مما ترتب عليه أن سعى الامبراطور لعقد اتفاقيات لتسهيل المرور فى الأراضى التى سيعبر خلالها بحملته الى الشرق مثل المجر والدولة البيزنطية والسلاجقة بآسيا الصغرى ·

ثالثا : الاستعداد العسكرى للحملة التى قام بها الامبراطور حيث وضع لوائح وقوانين تمنع من ليست لديه القدرة الحربية على القتال أو التدريب الكافى للاشتراك فى الحملة ، كما أنه دعا كثيرا من أمراء وكونتات المانيا للمشاركة فى الحملة ·

رابعا : تحرك الحملة الألمانية ومرورها فى أراضى المجر والصعوبات التى قابلتها ، فضلا عن موقف الدولة البيزنطية من الحملة ، وقد لزم لدراسة هذا الموقف معالجة علاقة الدولة البيزنطية بالمسلمين بالشرق وموقف السلاجقة من الحملة الألمانية وكذلك موقف أرمينية ·

خامسا : ايضاح ما آل اليه وضع الحملة الألمانية ، بعد نكبتها ، اذ توفى الامبراطور فردريك الأول وولى الحملة ابنه فردريك السوابى الذى قاد الحملة من سيء الى أسوأ حتى وصلت عكا ، فحاولت القيام بعمل عسكرى ضد المسلمين ، الا أنه قوبل بهجوم مضاد ·

اما الفصل الثالث : فقد عالج سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الدولة الأيوبية فى الفترة من (١١٩٠ - ١٢٠٨ م / ٥٨٦ - ٦٠٥ هـ) على النحو التالى :

أولا : ابراز دور العادل فى اعادة الوئام بين أولاد صلاح الدين ، حتى لا تتفتت الوحدة التى قضى أخوه حياته فى بنائها ، حيث وجد العادل صعوبة الحفاظ على الوحدة طالما أن أولاد أخيه يسيطرون على الدولة الأيوبية ، لذا اعتبر نفسه الناصح الأمين لهم جميعا حتى صار هو العمدة فيها ·

ثانيا : محاولة الامبراطور هنرى السادس امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة (١١٩٠ - ١١٩٧ م) لضم الشرق الى امبراوطريته وذلك من خلال ثلاثة محاور سياسية ، توجها بمشروع حملة صليبية ألمانية على الشرق ·

ثالثا : ايضاح دور الامبراطورية فى الحملة الصليبية الرابعة ، اذ أن الملك فيليب شارك فى هذه الحملة بمجهوداته وقد دفعه الى ذلك ، رغبته فى اعادة صهره البيزنطى الى عرشه فقط ، ومن ثم توجهت الحملة الى الدولة البيزنطية ·

رابعا : ذكر الأوضاع السياسية فى المانيا حتى وفاة فيليب ، حيث كان هناك صراع مرير داخل المانيا بسبب العرش

الامبراطورى ، الذى ترك أثرا مباشرا على صقلية أيضا · وعلى أية حال فان الفترة التى تلت وفاة الامبراطور هنرى السادس ، اتسمت بالخمول السياسى نظرا للأوضاع التى كانت تمر بها الامبراطورية ·

أما الفصل الرابع : فقد تناول بالدراسة سياسة الامبراطور فردريك الثانى تجاه الدولة الأيوبية ، (١٢٠٩ – ١٢٢٧ م / ٦٠٦ – ٦٢٥ هـ) : وقد تناول

أولا : تبيان الوضع السياسى فى المانيا بعد وفاة الملك فيليب السوابى حيث استطاع فردريك ابن الامبراطور هنرى السادس أن يتغلب على خصمه « أوتو الرابع » ويصبح امبراطورا ، وفى ضوء هذه الظروف لم تساهم الامبراطورية بما يحفظ ماء الوجه ، ناحية القضية ، ومن ثم فقد قام أطفال المانيا بحملة متجهين الى الشرق · لكنهم فشلوا فى ذلك ·

ثانيا : تفصيل القول فى تعهد فردريك الثانى للقيام بحملة على الشرق ، كما ذكرت علاقته بالبابوية التى كانت على ما يرام فى هذه الآونة ، وكانت النتيجة أن طلبت منه البابوية أن يتزعم الحملة الخامسة على مصر الا أن الظروف لم تساعده ، واكتفى بارسال الامدادات الى الحملة بدمياط ·

ثالثا : دراسة الأوضاع السياسية فى الشرق بعد وفاة الملك العادل · ذلك أن الاخوة تنازعوا فيما بينهم ، ولم يكن هناك من يستمع الى نصائحه كما حدث مع العادل وأولاد صلاح الدين · فكانت النتيجة أن وصل النزاع الى حد الصدام المباشر بين الطرفين ، فاستعان المعظم عيسى بجلال الدين الخوارزمى ضد أخيه

الملك الكامل محمد ، ولم يكن أمام الأخير الا أن يستعين بقوة لا يستهان بها حينئذ ، وهى قوة الامبراطورية الرومانية المقدسة التى كان على رأسها الامبراطور فردريك الثانى ·

أما الفصل الخامس والأخير : فكان عن استجابة الامبراطور فردريك الثانى لنداء الملك الكامل ونتائج ذلك على العلاقات بين الامبراطورية والشرق الاسلامى وذلك فى الفترة من (١٢٢٧ – ١٢٥٠ م/٦٢٥ – ٦٤٨ هـ) على النحو التالى :

أولا : محاولات البابوية للضغط على الامبراطور للقيام بحملة على الشرق وقد كثفت جهودها من أجل ذلك العمل ، وشجعت الامبراطور كثيرا من أجل أن ينضوى تحت سلطتها ويخرج على رأس حملة ، ودعمت هذا التشجيع بأن أيدت زواج الامبراطور من « يولاند » وريثة بيت المقدس ·

ثانيا : تجهز الامبراطور للحملة المزمع قيامها : فقد أغرى – كما أغرت البابوية – الكثير من الألمان للمشاركة فى هذه الحملة ، الا أنه حدث صدام بين البابوية والامبراطور انتهى بحرمان الامبراطور من رحمة الكنيسة . وبالرغم من ذلك فقد خرج الامبراطور لعدة أسباب فصلت فى حينها من هذا الفصل ·

ثالثا : وصول الامبراطور الى الشرق ، وأثر ذلك على موقف الصليبيين منه · وأيضا موقف المسلمين وخاصة الملك الكامل الذى دعاه للحضور الى الشرق ، كما ذكرت موقف البابوية من الامبراطور عندما وصل الى الشرق وهو محروم من الكنيسة ·

رابعا : المفاوضات التي جرت بين مندوبى الملك الكامل والامبراطور من أجل التوصل الى حل للوضع الذى أضحى فيه الامبراطور فى بلاد الشام . لدرجة أنه استعد للقيام بعمل عسكرى ضد مناطق نفوذ صديقه السلطان الكامل . الا أن الظروف لدى الطرفين دفعتهما الى عقد اتفاقية يافا ١٢٢٩ م/٦٢٦ هـ .

خامسا : موقف المسلمين والصليبيين والبابوية من تلك الاتفاقية ، وصدى زيارة الامبراطور للقدس على تلك الفئات ، وعودة الامبراطور الى عكا ، ليتمكن من الرحيل الى الغرب الأوربى .

سادسا : صلات الامبراطور بعد عودته بالمملكة الصليبية حتى ١٢٤٣ م واهتمامه بتدعيم نوابه بالشرق .

سابعا : العلاقات بين الامبراطور وملوك الشرق الاسلامى بعد عودته أيضا حتى سنة ١٢٤٣ م/٦٤١ هـ ، كعلاقته بالصالح نجم الدين أيوب وعلاقة البابوية بملوك الشرق الاسلامى ، وعلاقة الامبراطور بعلماء المسلمين فى الشرق .

ثامنا : موقف الامبراطور من الحملة الصليبية السابعة ، اذ استطاع أن يخبر صديقه الصالح نجم الدين عن هذه الحملة وخط سيرها أولا بأول ، حتى انتهت بالفشل ، وأسر قادتها ، الذين توسط لهم الامبراطور لدى ملوك الشرق فى فك أسرهم .

وبعد فقد كانت تلك اشارة مجملة لما تضمنته فصول هذه الدراسة ، وقد اتبعتها بخاتمة أوضحت فيها أهم النتائج .

وحيث أن طبيعة هذه الدراسة تستوجب على الباحث الرجوع الى المصادر والمراجع ، التى عرضت لهذا الموضوع من قريب أو من بعيد فقد استعنت بمجموعة منها تيسر لى الاطلاع عليها ، لعل أهمها ما يلى :

« الريكى دى هيستورين دى جول » Recueil des Historiens des Gaules et la France وقد قام باخراجها وتقديمها « ميشيل جان » و « جوزيف بريل » Michel Jean et Joseph Brial وهى تقع فى أربعة وعشرين جزءا ، وقد تيسر الحصول منها على مجموعة من الخطابات المتبادلة بين البابا « لوكيوس الثالث » Lucio III وملوك الشرق وهذه الرسائل تلقى الضوء على المراسلات بين البابوية والعادل فى بعض الأمور التى تخص الصليبيين بالشرق . كما توجد بها رسالة من السلطان صلاح الدين الى البابا لوكيوس وهى أيضا بشأن التفاوض فى بعض الأمور الخاصة بالصليبيين فى الشرق .

ومن بين مجموعة هذه الرسائل رسالة القدس الى الغرب الأوربى سنة ١١٨٤ م/٥٧٩ هـ ، وهى تلقى الضوء على أعمال صلاح الدين ضد الصليبيين بالشرق اذ أن الصليبيين فى هذه الرسالة . يشكون من هذه الأعمال ويطلبون الاستغاثة من الغرب .

وكذلك رسالة البابا « جريجورى الثامن Gregorius VIII الى المسيحيين فى أوربا يشرح لهم الوضع الذى آلت اليه المملكة الصليبية من جراء أعمال صلاح الدين بعد معركة حطين ، كما يطلب البابا فيها ضرورة المسارعة لاغاثة الصليبيين بالشرق .

ومن المصادر لحملة الامبراطور فردريك الأول ، ما كتبه « جيفرى فينزوف » Geoffrey de Vinsovs ، وقد نشر كتاباته مترجمة الى الانجليزية فى لندن سنة ١٨٤٨ م ، « ريتشارد ديفز » Richard of Devizes ضمن المصادر الموجودة فى المتحف البريطانى وقد نشرت هذه الترجمات أيضا باللغة الانجليزية فى نيويورك سنة ١٩٦٩ م ٠

ولعل أهمية كتابات « جيفرى فينزوف » ترجع الى أن صاحبها قد عاصر أحداث الحملة وعاش معها خطوة بخطوة منذ بداية استعدادات فردريك الأول ، حتى وفاة فردريك السوابى فى عكا يناير ١١٩٠ م ، وكذلك حملة ريتشارد قلب الأسد ٠

علاوة على ذلك فقد أورد هذا المصدر خطاب الامبراطور فردريك الأول الى السلطان صلاح الدين بتاريخ فبراير ١١٨٨ م/٥٨٤ هـ ، وهذا يلقى الضوء على نوع التقارب بين الطرفين ٠ من خلال عبارات الرسالة ٠ وقد أورد أيضا رد السلطان صلاح الدين على الامبراطور فردريك الأول ٠

وقد ذكر هذا المصدر بالتفصيل ، مساعى الامبراطور فردريك الأول لعقد اتفاقيات تسهيل مرور وخاصة مع الامبراطورية البيزنطية ، وقد أوضح العداء الصريح بين الامبراطوريتين ٠

وذكر أيضا الاتفاقيات التى تم عقدها مع بقية الأمراء والملوك الذين ستمر الحملة بأراضيهم ، وقد أورد بالتفصيل العناصر التى شاركت فى الحملة ، وكذلك النظام الذى اتبعه الامبراطور والضوابط التى وضعها ليتحكم فى قيادتها ٠

ويلاحظ على « جيفرى » أنه كثيرا ما كان ينتقد الامبراطور فردريك الأول فى بعض تصرفاته ، وخاصة عندما استقبل الامبراطور

سفارة من قلج ارسلان سلطان قونيه فى نوفمبر ١١٨٩ م لتجدد معها اتفاقية المرور ٠ اذ أن « جوفرى » كان يرى أنه لا فائدة من صداقة سلطان قونيه ٠ كما عرض أيضا رأى بعض المعارضين لفردريك وخاصة عندما فضل الأخير السلام ـ مع الامبراطور البيزنطى ـ عن الحرب ٠

ومجمل القول أن كتابات « جوفرى فينزوف » تعتبر من المصادر الأساسية لدراسة هذا الموضوع لتفصيلاته الدقيقة ولذكره الهزائم التى كانت تحل بالجيش الألمانى كما حدث فى أراضى السلاجقة ، وكذلك الوضع السىء الذى أضحت فيه الحملة ابان مرورهم فى هذه الأراضى ، وكذلك ما حل بالحملة بعد وفاة الامبراطور فردريك الأول ٠

ومن المصادر الأساسية التى استعنت بها فى دراسة هذا الموضوع أيضا ريجستا ريجنى هيرو سوليميتانى » Regesta Regni Hierosolymitani والتى قام بنشرها » رينولد روهريت Reinhold Rohricht فى برلين Berelini نوفمبر ١٨٩٢ وهى عبارة عن خطابات متبادلة بين البابا والامبراطور من جانب وبينهما وبين ملوك الدولة الأيوبية من جانب آخر ، بالاضافة الى القرارات المالية التى قررها الامبراطور فردريك الثانى ، وعلى سبيل المثال رسالة السلطان صلاح الدين الى الامبراطور فردريك الأول فى سنة ١١٨٢ م/٥٧٧ هـ ، وكذلك رسائل العادل وصلاح الدين الى البابوية ، فى سنة ١١٨٣ م /٥٧٨ هـ ، والتى سبق ذكرها فى مجموعة الـ Recueil ٠

كما تضمنت رسائل بطريرك القدس الى فردريك الأول فى سنة ١١٨٥ م ، بخصوص استغاثة الأول بالثانى قبل حطين وبعدها ، كما ورد فى هذه الوثائق المراسلات بين صلاح الدين والامبراطور فردريك الأول بعد حطين بشأن مطالب الأخير بتسليم القدس الى الصليبيين ، وكذلك المراسـلات بين الامبراطور فردريك الأول وسلطان قونيه بشأن اتفاقيات تسهيل العبور خلال الأراضى السلجوقية • وأيضا ألقت الضوء على الرسائل التى بعثها صليبيوا الشرق ، الى الامبراطور فردريك الأول بشأن ابلاغ الأخير عن الاتفاقية التى عقدها الامبراطور البيزنطى مع صلاح الدين ، وكذلك المراسلات بين ملك أرمينية وصلاح الدين فيما يخص الامبراطور فردريك الأول •

كما أوردت هذه المجموعة من المراسـلات ، خطابات لملك جورجيا التى أرسلها الى البابوية لعرض مساعدته للامبراطور فردريك الثانى بشأن حملته الصليبية • وأيضا ألقت الضوء بالتفصيل على الاقرارات والامتيازات التى أقرها فردريك الثانى لفرقة « التيوتون » Theutonicorum

وقد تضمنت الـ Regesta Regni ، خطابات من البابوية الى الصليبيين بالشرق والى الملك الكامل الأيوبى بعدم التعامل مع الامبراطور فردريك الثانى المحروم من الكنيسة ، كما ذكرت هذه الوثائق أيضا ، بعض بنود اتفاقية يافا والتى غالبا ما اتفقت مع ما ورد فى المصادر الأخرى •

ولم تغفل هذه المجموعة ، خطابات صليبيى الشرق الى البابوية بشأن أعمال الامبراطور فردريك الثانى فى الشرق ، مثل زيارته للقدس • كما أوردت خطابات البابوية الى الملك الكامل فى سنة

١٢٣١ م ، بشأن اطلاق سراح أسرى « تجار انكونا » وكذلك خطاباتها الى الملك الناصر داود • كما أشارت هذه الوثائق بصراحة عن سفارة الامبراطور فردريك الثانى الى الملك الصالح نجم الدين أيوب لتخبره عن حملة الملك لويس التاسع على مصر •

وصفوة القول ، ان هذه المجموعة من الوثائق قد ألقت الضوء على كثير من جوانب الدراسة والتى أغفلتها بعض المصادر الأخرى •

وبالاضافة الى هذه المجموعات السابقة الذكر ، فان هناك بعض الاتفاقيات والمراسلات بين الأباطرة والبابوات والمعاهدات التى عقدت قد جمعت تحت عنوان « مصدر التاريخ الوسيط » A Source Book for Medieval History

وقد قام باعداده « أوليفرتاتشر » و « ايدجار هولن مكنيل » Oliver Thatcher & Edgar Ho nes McNeal ، ونشر فى أمريكا سنة ١٩٠٥ م • وأهم ما فيه بالنسبة لموضوع الدراسة :

١ ـ مجموعة الوثائق التى عالجت العلاقة بين الامبراطور فردريك الأول والبابا اسكندر الثالث ، ويتضح هذا فى المفاوضات التمهيدية سنة ١١٧٧ م •

٢ ـ المعاهدة التى عقدت بين فيليب السوابى ملك المانيا و « فيليب الثانى أغسطس » ملك فرنسا فى سنة ١١٩٨ م حتى يساعد الأخير الأول ضد مناوئيه فى الحكم •

٣ ـ التعهد الذى أخذه الامبراطور فردريك الثانى على نفسه أمام البابوية سنة ١٢١٣ م ، بشأن قيامه بحملة الى الشرق والحفاظ على ممتلكات البابوية •

٤ ـ وثيقة تجديد العهد سنة ١٢١٦ م ٠

٥ ـ وثيقة صلح سان جرمانو San Germano ١٢٣٠ م بين البابوية والامبراطور فردريك الثانى والذى اعترفت فيه البابوية بنجاح الامبراطور فى الشرق٠ كما أنه تم وضع السياسة العامة للعلاقات بين الطرفين ٠

٦ ـ الوثيقة التى تشمل قرار الحرمان ضد الامبراطور والتى ترجع لسنة ١٢٣٩ م ٠

وفضلا عن هذه المجموعات فان هناك الـ « كوربس سكر بيتوريم هتستوريا بيزنطين Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae لـ « نيكتاس خونتيا » Nicetas Choniata، طبعة « برلين Berelini ١٨٣٤ م ويهم موضوع الدراسة الجزء الخامس والثلاثون، اذ القت بعض صفحاته الضوء على مشروعات الامبراطور هنرى السادس الشرقية ٠

هذا وهناك أيضا مجموعة من الوثائق تحت عنوان « خمسين وثيقة فى التاريخ الوسيط » Fifty Documents in Medieval History ألفها سعيد عاشور وحسنين ربيع صدرت فى القاهرة ١٩٧١ م ٠ منها وثيقة خاصة بتولية الامبراطور فردريك الأول ٠

ومما يتناول علاقات الامبراطور فردريك الأول بالبابوية ، مجموعة الوثائق الخاصة بتاريخ العصور الوسطى تحت عنوان
Select Historical Documents of the Middle Ages
وقد قام بترجمتها « ارنست هندرسون » Ernest F. Henderson ونشرها فى سنة ١٨٩٢ بلندن ٠ وكذلك خطاب من هادريان الرابع

الى الامبراطور فردريك الأول بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١١٥٧ م يحثه فيها على القيام بحملة على الشرق وخاصة ضد مصر ٠

كما تيسر لى الحصول على الوثيقة الخاصة ببنود اتفاقية يافا ١٢٢٩ م ضمن مجموعة Select Documents The Crusades والتى أخذها المؤلف من كتاب تاريخ فردريك الثانى الدبلوماسى Historia diplomatic Frederice Secundi لـ « هيرلد برهول Huillard Breholles اذ لم يتيسر لى الحصول على هذا الكتاب ٠

ومن المصادر الهامة التى تلقى الضوء على علاقات الامبراطور فردريك الثانى بعلماء المسلمين عندما أتى الى الشرق وبعد عودته، مجموعة الأسئلة الفلسفية التى وجهها هذا الامبراطور الى علماء المسلمين ، وقد قدم هذه المجموعة « آمارى » Amarri فى الجزء الأول من « جورنال آستيك » طبعة باريس ١٨٥٣ م

Journal Asiatique. Receil aw Memoires
Questions Philosophiques Adresses aux savents, Par l'Empereur Frederic II.

ومن المصادر المعاصرة التى غطت بعض الجوانب فى البحث كتاب « وليم الصورى » :

William Archbishop of tyre A history of Deeds Done Beyond The Sea

فى جزءين ، وقد ترجمه الى الانجليزية « ايملى والتر بابكوك » Emily Al water Babcock ، طبعة نيويورك ١٩٤٣ ، وهو يتناول أحداث الحملة الثانية كما يرويها شهود العيان ، وبذلك يعتبر مصدرا أصليا للفترة من ١١٤٤ ـ ١١٨٤ م ، وقد أظهر هذا المصدر معاملة الامبراطور « مانويل كومنين » لـ « كونراد الثالث » ملك الامبراطورية الرومانية المقدسة ابان

الحملة الصليبيـــة الثانية . كما تنـاول النزاع بين الامبراطور فردريك والبابا اسكندر الثالث .

ومن المصـــــادر التى تنـاولت عهـد الامبـراطور فردريك الثانى : كتاب « بـــول ويجلر » الذى كتبــه تحت عنــوان « الامبراطـور الكافر » The Infidel Emperor طبـــعة لنـــدن ١٩٣٠ م ، وواضح من عنوانه أنه كتب خصيصا ضد الامبراطور ، ومؤلفه كان معاصرا للامبراطور ، وربما يكون من أتباع البابوية أيضا ، أو من الناقمين على الامبراطور . وقد ألقى هذا المصـدر بعض الضـوء على مشروع الامبراطور « هنرى الســـادس » فى الشرق . وكذلك على امدادات الامبراطـور فـردريك الثـــانى للصليبيين بدمياط زمن الحملة الخامسة .

ومما يجدر ذكره أن هذا المصـدر تناول السـفارات التى تبودلت بين الامبراطور فردريك الثانى والملك الكامل محمد . كذا مماطلات الامبراطور للبابوية فى مسألة الخروج الى الشرق . واستعدادات الامبراطور العسكرية وصراعه مع البـابوية كذلك تناول موقف البابوية من الامبراطور بعد خروجه الى الشرق . كما أوضـح تصرفات الامبراطور فى الشرق ، وفصـل مراحـل المفاوضات مع المسلمين وكذلك زيارته للقدس ، ومغادرته الشرق الى أوربا ، والمح بعض الشىء على صلح « سان جرمانو » .

وبالرغم من أن المؤلف كان متجنيا على الامبراطور ، الا أن المعلومات التى أوردها يتفق ومعظمها مع المصادر النظيرة لها .

ومن المصـــادر المهمة أيضـا كتاب « امبروا » Ambroise الذى يتحدث عن حملة ريتشارد قلب الأسد The Crusade of Richard Lion-heart وقـد ترجمه من الفرنســـية القديمـــة

الى الانجليزية «ميرتون جيرومهيبرت» P. Merton Jerome Hubert طبعة نيويورك ١٩٤١ وقد ألقى الضـــوء على بعض جوانب حملة الامبراطور فردريك الأول .

ومن المصادر المترجمة الى العربيـــة ، مذكرات « فلهاردوان Villehardouin حيث قام بترجمتها حسن حبشى ، ونشرها فى جده ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م . ويعتبر صاحب هذه المذكرات من كبار زعماء الحملة الصليبية الرابعة ، وهو مارشال شمبانيا ثم عين مارشالا رومانيا على الامبراطورية البيزنطية القديمة بعد سقوطها . وأهمية مذكراته أنها تلقى الضوء على دور ألمانيا فى تحويل مسار الحملة الصليبية الرابعة عن مصر الى الامبراطورية البيزنطية ، كما تعتبر مذكرات « روبرت كلارى » Robert Calri لفتـح القسطنطينية ــ القاهرة ١٩٦٤ م ــ من المصـــادر المكملة لفكرة تغيير مسار الحملة من مصر الى بيزنطة ، وهذه المذكرات من ترجمة حسن حبشى أيضا .

ومن ترجمات حسن حبشى أيضا والتى ألقت الضوء على دور الامبراطور فردريك فى فك أسرى الصليبيين فى الحملة السابعة بدمياط ، ترجمته لمذكرات « جوانفيل » Joinville الذى كان من أسرى الحملة السابعة ، وهذه المذكرات طبعت فى القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

أما عن مفاوضـات الصـلح بين الصليبيين والملك الكامل بدمياط فى الحملة الخامسة ، وخاصة مهمة « فرنسيس الاسيزى » فأوردها مصدر نشرة « لوكاوادنج هيبرنو Luca wadding Hibeno تحت عنـــوان : Annales Minorum Seutrium Ordinum وفى الجزء الأول منه الذى يتنـاول الفترة من (١٢٠٨ م ــ الى

١٢٢٠ م) بدير الآباء الفرنسيسكان ، نشر فى Quaracchi ١٩٣١ م
وهو باللغة اللاتينية ٠

بالاضافة الى هذه المجموعة من المصادر ، فان هناك مجموعة أيضا من المراجع الأوربية الحديثة ، وترجع أهميتها الى أنها اعتمدت فى دراستها على المصادر العربية والأوروبية وأفردت لها تحليلات طريفة ٠ ومن أمثلتها :

كتاب « ميشو » Michoud وهو باللغة الفرنسية ويقع فى ثلاثة أجزاء تحت عنوان Historia des croisades ، طبعة باريس ، وكذلك مجموعة المقالات التى جمعها « سيتون » Kenneth M. Setton فى عدة أجزاء ، ونشرت فى نيويورك سنة ١٩٥٥ م تحت عنوان History of The Crusades وارنست كنتروفتش Ernest Kantorowicz باللغة الألمانية تحت عنوان فردريك الثانى Frederick The Second وترجمه الى الانجليزية « لوريمر » E. O. Lorimer ونشرت الطبعة الأولى منه فى لندن ١٩٣١ م وتختلف الترجمة الانجليزية عن النسخة الألمانية بأن المترجم زودها بخرائط ،وفهرس المحتويات والهامش وكذلك ملخص للمصادر ، وهذا الكتاب يعتبر من الكتبالقيمة عن الامبراطور فردريك الثانى ، اذ انفرد بتحليلات طريفة وموضوعية فى كثير من المواقف الخاصة بالامبراطور ، وخاصة مع البابا ومع المسلمين ٠

ومن الكتب ذات المعلومات الواسعة التى تلقى الضوء على كثير من جوانب الدراسة ، كتاب بيورى « J. B. Bury وهو فى ثمانية أجزاء بتسع مجلدات طبعه كمبردج ١٩٤٨ تحت عنوان :
Cambridge Medieval History

وهناك كتاب ، « جرتير دسلوتر » Gertrude Slaughter ، تحت عنوان The Amazing Frederic ، وقد أورد هذا المؤلف فصلا خاصا عن حملة الامبراطور فردريك الثانى على الشرق ، وقد نشر فى نيويورك سنة ١٩٣١ ٠

كما انه هناك كتاب E.J. King تحت عنوان ٠ The Knights Hospitallers in the Holy land ، ونشر فى لندن سنة ١٩٣١ م ، وكذلك كتاب جيمس برايس James Bryce ٠ بعنوان الامبراطورية الرومانية المقدسة The Holy Roman Empire ونشر فى لندن سنة ١٩٠٧ م ، وبالاضافة الى كتاب W. B. Stevenson بعنوان The Crusaders in the East من كتاب « كوندر » Conder عن المملكة اللاتينية فى القدس The Latin Kingdom of Jerusalem ونشر فى لندن ١٨٩٧ م وكذلك كتاب « توت » Tout ٠ الذى درس العلاقة بين الامبراطورية والبابوية فى الفترة من (٩١٨ ـ الى ـ ١٢٧٣ م) ، لندن ١٩٢٤ م The Empire and the Papacy وأيضا كتاب خاص بدراسة مدن آسيا وتطورها التاريخى W.H. Ramsay بعنوان The Historical and Geography of the Asia Minor

بالاضافة الى هذه المراجع هناك مجموعة من المقالات المتخصصة ، ألقت الضوء على نقاط كثيرة من موضوع الدراسة ، وهذه نشرت ضمن المجلات العلمية الدورية مثل Speculum أعداد رقم ٢٧ ، ٢٩ ، ٧٣ ، ٤٤ ، ٥١ ٠ وكذلك Journal Asiatique

الجزء الخامس لسنة ١٨٢٤ م ، وكذلك الجزء الأول لسنة ١٨٥٣ م ، وأيضا الجزء الثانى عشر لسنة ١٩٣٧ م من الـ Byzantion

بالاضافة الى هذه المراجع هناك مجموعة أخرى سوف تثبت فى قائمة المراجع وهى تلقى الضوء على كثير من الجوانب كما أفادت فى توضيح وتدعيم بعض الآراء ٠

أما مجموعة المصادر العربية ، التى اعتمدت عليها فى دراسة هذا الموضوع لعل أهمها : « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسى المتوفى فى ١٧ ربيع الأول سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م ، وكان قد تولى رئاسة دمشق مرتين ، وصنف تاريخا للحوادث من بعد سنة أربعين وأربعمائة الى وفاته وقد ذكر هذا المصدر أعمال كونراد الثالث بالشرق ، كما تناول اتجاهات الصليبيين حتى انتهى رأيهم الى مهاجمة دمشق ٠ كما ألقى هذا المصدر الضوء على موقف المسلمين ببلاد الشام من مهاجمة الصليبيين لدمشق ، ودور حاكم دمشق « مجير الدين » ضدهم ٠

ومن المصادر المهمة أيضا التى ألقت الضوء على سياسة صلاح الدين تجاه الأمراء الأيوبيين وخاصة تشاوره فى بعض الأمور العسكرية مخطوط تحت عنوان « مضمار الحقائق وسر الخلائق » وهو بجامعة الدول العربية ومن تأليف « الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب » الذى توفى سنة ٦١٧ هـ/١٢٢٠ م ، وقد حقق هذا المخطوط الأستاذ الدكتور حسن حبشى ٠

وصاحب هذا المصدر شارك فى الحوادث وشاهدها ، والجزء الذى بين أيدينا من سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م الى سنة ٥٨٢ هـ /

١١٨٦ م وجميعه فى تاريخ عصر السلطان « صلاح الدين يوسف ابن أيوب » فى مصر والشام ، وفتوحاته وحروبه ضد الصليبيين٠ وهو فى مائة ورقة ومسطر بخط نسخ قديم طبع فى الأحمدية بتونس (١) ٠

ويعتبر كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير وبخاصة جزءيه الحادى عشر والثانى عشر من المصادر الأساسية فى هذه الدراسة، وذلك لأن ابن الأثير الجزرى هذا (٥٥٥ هـ ـ ٦٣٠هـ / ١١٦٠م ـ ١٢٣٢ م قد نشأ نشأة علمية فى كنف البيت الزنكى زمن محاولات الوحدة الاسلامية ضد الصليبيين كما انه تنقل بين المدن الاسلامية كالموصل وبغداد ودمشق والقدس ، طالبا وسفيرا ، وقد استعان بالمصادر التاريخية فى تدوين تاريخه عاما بعد عام ، ويعيب البعض على ابن الأثير تطرقه فى كتاباته للزنكيين (٢) ٠

وتعتبر كتابات ابن الأثير عن السلطان صلاح الدين من المصادر المهمة وخاصة فى الحوادث التى حدثت ابان عهده ٠

وبالرغم من أن ابن الأثير توفى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م الا أنه لم يتعرض من قريب أو من بعيد للمراسلات التى تمت بين البابوية والامبراطورية من جهة وبين حكام الشرق الاسلامى من جهة أخرى ٠ وكان من بين المصادر العربية التى التزمت الصمت حيال هذا الموضوع ٠

---

(١) فؤاد السيد : فهرس المخطوطات المصورة بجامعة الدول العربية ، جـ ٢ ، القسم ٢ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ ٠

(٢) نظير حسان سعداوى : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين الأيوبى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٧ ـ ١٣ ٠

ومن المصادر التى اعتبرت لسان حال صلاح الدين ، كتاب بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم شـهر بابن شداد ، لأن شداد جده لأمه ، وقد توفى أبوه وهو طفل صغير فربى فى كنف أخواله بنى شداد ، ولهذا نسب اليهم ٠

وقد ولد فى الموصل سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٥ ، وتوفى بحلب سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ ، هذا وقد وصل لدى صلاح الدين بدمشق سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٤ م وولاه قضاء العسـكر والحكم بالقدس الشريف ، هذا وقد لزم ابن شداد السلطان صلاح الدين (١) ، حتى ألف كتابا باسم « السيرة الصلاحية » أو « النوادر السلطانية، والمحاسن اليوسـيفية » الذى حققه جمال الدين الشيال سـنة ١٩٦٤ م ٠ وعلى أية حال فقد أوضح هذا المصدر كثيرا من جوانب الدراسة هذه وخاصة فيما حدث من وصول صلاح الدين لأول مرة مصر ، وأيضا صلاته بنور الدين بعد اقامته فى مصر على تخت الوزارة ، وقد تناول بشىء من التفصيل غزوات وخطط السلطان العسكرية واتفاقه مع المواصلة حتى يستعد لمهاجمة الصليبيين ، كذا موقف السلطان والمسلمين من أخبار حملة الامبراطور فردريك الأول ، وخطط صلاح الدين لذلك كما ألقى الضـوء على موقف السلاجقة من حملة الامبراطور فردريك الأول ومراسـلات ملك أرمينيه الى السـلطان صلاح الدين وأخبار الحملة بعـد وفاة الامبراطور فردريك ، حتى وفاة فردريك السوابى بعكا ٠

ومما يجدر ذكره أنه بالرغم من أن هذا المصدر يعتبر من المصادر التى ذكرت سيرة صلاح الدين ، الا انه لم يذكر شيئا عن مراسلات الامبراطور فردريك الأول للسلطان صلاح الدين ٠

---

(١) نظير حسان : المرجع السابق ، ص ١٤ ـ ١٩ ٠

ويعتبر تاريخ الأمم والملوك من المصـادر المهمة لموضـوع البحث ذلك لانه يتناول تاريخ الخلفاء والملوك الى سنة ٦٥٥ هـ / ١٢٧٥ م وربما هى سنة وفاة مؤلفه اذ انه مجهول المؤلف وهو مخطوط بدار الكتب وقد أورد بعض وسائل الملك الكامل محمد فى القضاء على الصعوبات التى واجهته ٠

أما عن « مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان » لـ « شمس الدين ابن المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى ، سبط الشيخ جمال الدين الجوزى ، والمعروف « بسبط بن الجوزى » المتوفى سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م يعد من المصادر الأساسية لدراسـة الموضوع فقد تعرض للمؤامرات التى دبرت ضد صلاح الدين فى مصر ، زمن تبعيته لنور الدين كما ذكر حملات صلاح الدين فى بلاد الشام ، واتفاقه مع المواصلة سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م كما تعرض لنفور أولاد الملك العادل من بعضهما ، وكذلك سفارات المعظم عيسى الى جلال الدين الخوارزمى ، وسفارة الامبراطور فردريك الثانى الى المعظم ببلاد الشام ، كما تنـاول موقف المسلمين من اتفاقيـة يافا ، وزيارة الامبراطور فردريك الثانى الى القدس ، وربما يكون «بول ويجلر» المؤرخ الانجليزى المعـاصر لابن الجوزى ، قد نقـل مشـاهد الامبراطور فى الشرق من ابن الجوزى ، لأنهما يتفقان فى روايتهما عن تصرفات الامبراطور فى القدس ، هذا وقد تنـاولا بعثـة الامبراطور الى الشرق سنة ١٢٣٣ م / ٦٣١ هـ ٠

ولا شك ان « الروضتين فى أخبار الدولتين » طبعة بيروت ١٨٧١ م الجزء الأول ، والثـانى وكذلك تراجم رجـال القرنين السادس والسابع ، « الذيل على الروضتين » الطبعة الثانية بلبنان ١٩٧٤ م ٠ ل ٠ شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المشهور بأبى شامه المتوفى سنة ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م من المصادر

التى ألقت الضوء على كثير من جوانب فصول الدراسة ، وخاصة دور كنراد الثالث فى الشرق ابان الحملة الصليبية الثانية ٠ وموقف المسلمين منها ، وأيضا دور صلاح الدين فى الاستقرار بمصر ، وقد تناول استعدادات الأخير لمواجهة حملة الامبراطور فردريك الأول ، والنزاع بين أولاد السلطان صلاح الدين ، ودور الملك العادل فى الصلح بينهم ، كما تناول جانبا من نشاط حملة هنرى السادس الألمانية فى بلاد الشام ، وكذلك النزاع بين أولاد الملك العادل ، وخاصة محاولات الأشرف موسى فى ابعاد المعظم عيسى عن جلال الدين الخوارزمى ٠

أما مخطوط « الروض المهضوب فى حلى دولة بنى أيوب » الجزء الثانى منه ، لابن سعيد أبو الحسن على بن موسى المغربى المتوفى سنة ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م ، فقد أورد محاولات المسلمين لصد هجمات الألمان للاستيلاء على عكا سنة ١١٩٠ م ، الذين اخترعوا أساليب جديدة لضرب الحصار حولها ٠

وكذلك كتاب « محمد بن على بن يوسف بن جلب » المعروف بابن الميسر ، المتوفى سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م ، والذى تحت عنوان « أخبار مصر » الجزء الثانى ، طبعة المعهد الفرنسى ١٩١٩م، وقد ألقى الضوء على صلات الامبراطورية البيزنطية بمصر قبل عهد صلاح الدين ٠

أما « الفتح القسى فى الفتح القدسى » لأبى عبد الله محمد ابن حامد الشهير بـ « عماد الدين الكاتب الأصفهانى » أو العماد الكاتب ، ٥١٩ ـ ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ ـ ١٢٠٠ م فقد ولد مؤلفه بأصفهان ، وقابل صلاح الدين فى حمص (مارس ١١٧٥ م) وفى

كتابه يتكلم باسم صلاح الدين ، وقد حضر معركة حطين ، ويؤرخ هذا الكتاب للفترة من ٥٨٩/٥٨٣ هـ حتى وفاة صلاح الدين (١) ٠

وقد حصلت منه على مادة علمية أفادتنى عن موقف السلاجقة من حملة الامبراطور فردريك الأول أثناء عبوره أراضيهم، وما حل بالحملة فى الطريق من جبله الى اللاذقية ٠

وهناك مخطوط آخر للعماد يضيف مادة علمية من خلال الفترة التى تناولها وهو « البرق الشامى » ٥٦٢ ـ ٥٨٣ هـ / ١١٦٦ ـ ١١٨٧ م ، وقد اختصر « الفتح بن على البندارى » الجزء الأول منه تحت عنوان « سنا البرق الشامى » الذى حققته ونشرته فتحية النبراوى ، فى القاهرة ١٩٧٩ م ٠

وقد أضاف كتاب « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » لجمال الدين محمد بن سالم بن واصل المتوفى (٦٧٩ هـ/١٢٩٧ م) ، وخاصة الجزء الثالث الذى حققه جمال الدين الشيال والجزء الرابع الذى حققه حسنين ربيع وراجعه سعيد عاشور ، الكثير من المادة العلمية ، اذ تعرض للنزاع بين أولاد صلاح الدين وتطرق الى المؤامرات التى حيكت ضد الملك الكامل ، ودور المعظم عيسى فى القضاء عليها ، وتعاونه مع اخوته لصد الحملة الصليبية الخامسة ، وقد ألقى الضوء أيضا على أسباب النزاع بين أولاد الملك العادل واستعانة كل منهما بحليف خارجى ، كما أوضح الوضع السياسى بعد وفاة المعظم عيسى ، وعن نشاط الامبراطور

(١) الباز العرينى : مؤرخى الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٢٤١ ٠ وانظر نظير حسان : المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين ، ص ١٩ ـ ٢٥ ٠

فردريك الثانى فى بلاد الشام الى أن تم عقد اتفاقية يافا ، وقد ذكر موقف المسلمين من الاتفاقية ونظرا لمعاصرة ابن واصل لهذه الأحداث فقد أسهب زيارة الامبراطور الى بيت المقدس ، ولم ينس مراسلات الامبراطور الى المسلمين بالشرق بعد عودته فأورد رسالة الامبراطور الى الملك الصالح نجم الدين بشأن الحملة الصليبية السابعة ·

ومن المصادر الأساسية أيضا « المختصر فى أخبار البشر » لـ « عماد الدين اسماعيل أبى الفدا صاحب حماه » المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م ، وقد ألقى الضوء وبخاصة الجزء الثالث منه على جوانب عدة من موضوع البحث ، منها جهود صلاح الدين فى الوحدة والنزاع بين أولاد السلطان صلاح الدين وتدخل الملك العادل فيه والخلاف بين أولاد الملك العادل ·

كما أن « تتمة المختصر فى أخبار البشر » المعروف « بتاريخ ابن الوردى » لـ « زين الدين عمر بن الوردى » والذى حققه أحمد رفعت البدراوى ، بيروت سنة ١٩٧٠ م ، وبخاصة الجزء الثانى منه ، ألقى الضوء على جوانب عدة منها مفاوضات الملك الكامل محمد مع الصليبيين أثناء الحملة الصليبية الخامسة واتفاقية يافا ، وقد نقل كثيرا من مادته عن المصادر السابقة له ·

ويعتبر كتاب « أبو الفدا الحافظ بن كثير الدمشقى » المتوفى سنة ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م تحت عنوان « البداية والنهاية » من الكتابات المساعدة فى الموضوع، اذ ألقى جزآه الثالث عشر والرابع عشر الضوء على جوانب كثيرة منه ، ولكن يؤخذ على ابن كثير انه لم يتحر الدقة فى ذكر بعض الحوادث التى نقلها من المصادر السابقة له كابن الأثير وأبى شامه وغيرهما ·

أما كتاب « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان » المتوفى سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ، والذى حققه محمد محى الدين عبد الحميد ، فقد أفصح عن بعض الشخصيات التى تعرض لها موضوع الدراسة ·

وكتاب « دول السلام » للحافظ شمس الدين الذهبى » المتوفى سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م والذى حققه فهم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم سنة ١٩٧٤ ، من المصادر الهامة اذ ذكر محاولات السلطان جلال الدين منكبرتى لمحاربة الخليفة العباسى ·

ولا جدال فى أن « كنز الدرر وجامع الغرر » وبخاصة الجزء السابع منه الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب « لأبى بكر ابن عبد الله أيبك الدوادارى والذى حققه سعيد عاشور سنة ١٩٧٢م/ ١٣٩١ هـ ، قد أضاف مادة علمية وفيرة ، وبالذات عن الوضع فى مصر قبل صلاح الدين والوضع فى الشرق بعد وفاة صلاح الدين، ومحاولات العادل فى اعادة الوئام فى الدولة كما تعرض للوضع السياسى بعد وفاة العادل من اتحاد وتفرقه ·

ولقاضى القضاه أبو اليمن القاضى مجير الدين الحنبلى ، كتابان يعدان من المصادر الأساسية لدراسة هذا الموضوع ، أولهما : مخطوط بعنوان « شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب » ، وقد عالج بعض جوانب البحث وكذلك أعمال فردريك الثانى العسكرية بالشرق وأشار الى بعض بنود اتفاقية يافا ، وسياسة الامبراطور فردريك فى الشرق ، بعد الاتفاقية وثانيهما : بعنوان « الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل » الجزء الأول ، فقد زود البحث بمادة علمية وخاصة فى الفصلين الثانى والثالث ·

وكذلك يعتبر كتاب « صبح الاعشى فى صناعة الانشاء » للقلقشندى من مصادر البحث اذ ذكر بعض الرسائل مثل رسالة السلطان صلاح الدين الى ملك بيت المقدس ، وكذلك رسالة فردريك الثانى الى الملك الجواد .

ومن مصادر البحث أيضا « عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان » ل « بدر الدين محمود العينى » المتوفى سنة ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م اذ أورد فى الجزء الثانى عشر القسم الأول ، الحوادث فى سنة ٦٢١ ـ ٦٣٥ هـ / ١٢٢٤ ـ ١٢٣٧ م ، وفيها تعرض لمحاولات المعظم عيسى لجذب أخيه الأشرف اليه ضد الكامل ، كما أشار الى بعض بنود اتفاقية يافا ، وأظهر كذلك موقف أهل عكا من الامبراطور فردريك الثانى ، وأيضا العلاقات بين الأخير والشرق بعد عودته .

ويعتبر مخطوط « الاعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين » لأحمد بن على الحريرى ، من مصادر الرسالة ، اذ تعرض لدخول صلاح الدين القدس بعد حطين ، وهذا المخطوط بجامعة الدول العربية ، ومصور بالفوتوغراف عن نسخة باريس فى سنة ١٩٤٨ م / ١٣٦٨ هـ .

وهناك بعض المصادر التى أضفت مزيدا من المادة العلمية على موضوع الدراسة ، ومن أمثلة هذه المصادر « خطط المقريزى » ج ٢ ، ٣ ط بيروت ١٢٧٠ هـ وكذلك « السلوك لمعرفة دول الملوك » الجزء الأول القسم الأول ، وقد نشره محمد مصطفى زياده ، وأيضا « النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » جـ ٥، جـ ٦ لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى .

وأيضا « المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى » ، تأليف بدر الدين العينى ، تحقيق فهيم شلتوت ، ومحمد مصطفى زيادة ونشر فى القاهرة ٦٦ ـ ١٩٦٧ م .

« وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب » الجزء الخامس لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ ، وابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ فى « العبر وديوان المبتدأ والخبر » الجزء الخامس ، وكذلك الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، لابن دقماق : برهان الدين ابراهيم المتوفى سنة ٨٠٩ هـ ، وهو مخطوط ، وكذلك « تاريخ مختصر الدول » ، لغريغوريوس الملطى المعروف بابن العبرى المتوفى سنة ١٢٨٦ م / ٦٨٥ هـ .

ويعتبر « سيرة جلال الدين منكبرتى » ل « محمد بن أحمد النسوى » الذى حققه حافظ أحمد حمدى ، القاهرة ١٩٥٣ من المصادر التى أضافت معلومات للموقف السياسى بالشرق بعد وفاة العادل خاصة النزاع بين المعظم عيسى والكامل محمد .

ولا شك أن المكتبة العربية الصقلية ، التى جمعها وحققها المستشرق الايطالى ميخائيل أمارى بغداد ١٨٥٧ م ، قد أضافت كثيرا الى الدراسة ، اذ أنها عبارة عن نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع .

بالاضافة الى هذه المجموعة من المصادر فان هناك مجموعة من المراجع العربية والمعربة لا غنى عنها لدارس تاريخ العصور الوسطى ، ذلك لأنها تشكل مكتبة فى تاريخ العصور الوسطى ، باللغة العربية مثل كتاب « ستيفن رنسيمان » عن الحروب الصليبية الذى ترجمه السيد الباز العرينى وكذلك « الحروب

الصليبية » لارنست باركر وأيضا « الحركة الصليبية » لسعيد عاشور وغيرها من المراجع ، بالاضافة الى ذلك فان هناك مجموعة من المقالات صادرة فى دوريات ومجلات عربية ، تهم موضوع البحث ٠

علاوة على هذا أو ذاك فان هناك مجموعة من الأبحاث قريبة الصله بموضوع الدراسة ويأتى فى مقدمة هذه الأبحاث مقال للأستاذ الدكتور / سعيد عبد الفتاح عاشور فى المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الحادى عشر لسنة ١٩٦٣ م ، بعنوان « الامبراطور فردريك الثانى والشرق العربى » وقد كشف هذا المقال النقاب عن جوانب عدة من هذه الدراسة ، فضلا عن ارشاده للمصادر الأساسية للموضوع ٠

وأيضا كتاب الأستاذ الدكتور : حامد زيان غانم بعنوان « الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة ، القاهرة ١٩٧٧ ، وكذلك رسالة ماجستير بعنوان « حملة فردريك الثانى الصليبية على بلاد الشام » اعداد / محمد عبد العزيز عزيز، بيروت ١٩٨٤ م ٠

وأخيرا ، اذا كنت قد وفقت فى معالجة هذا البحث ، فانما يرجع الفضل فى ذلك الى الله ثم الى أستاذتى الدكتورة / زبيدة محمد عطا ، التى وجهتنى الى دراسة هذا الموضوع وتبنت البحث وصاحبه منذ أن قمت بتسجيل الموضوع ، وحتى لحظة اخراجه على هذا النحو ، فأدين لها بالكثير ، لما بذلته معى من جهد متواصل طوال فترة الدراسة فكنت دائما خلالها استفيد من فيض علمها وتشجيعها فاشكرها جزيل الشكر ، على ما قدمته لى من ملاحظات قيمة وتوجيهات سديدة كان لها أكبر الأثر فى الاقالة من عثرات القلم ، واخراج هذا البحث المتواضع على هذا النحو الذى اعتبره ثمرة من غرس يدها ٠

كذلك لا يسعنى الا أن أشكر الدكتور / مصطفى محمد الحناوى على ما قدمه لى من مساعدات قيمة اذ انه قدم لى بعض الوثائق التى أحضرها معه من ايطاليا وقد أفدت منها كثيرا فى هذا البحث ٠

كما أتقدم بالشكر والعرفان الى كل من قدم لى العون وسهل لى الحصول على المصادر والمراجع الخاصة بهذا البحث ٠٠٠ وأخص بالذكر العاملين فى مكتبة جامعة القاهرة ، المخزن الأفرنجى والعربى ومكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ومكتبة آداب المنيا ومكتبة جامعة الاسكندرية ومكتبة المعهد الفرنسى بالقاهرة ومكتبة دير الآباء الفرنسيسكان وخاصة نيافة الأب منصور مستريح ومكتبة دير الآباء الدومنيكان ومكتبة جامعة عين شمس ، ودار الكتب المصرية والجمعية التاريخية المصرية ومكتبة دار العلوم فلهم منى جميعا جزيل الشكر والتقدير على ما أجزلوه لى من عطاء ٠

ولعلى أكون قد وفقت فى ذلك ٠٠

وما التوفيق الا بالله ٠٠

عادل عبد الحافظ حمزه

التمهيد

كان للعلاقات الدولية بين الشرق والغرب أهمية خاصة فى تاريخ العصور الوسطى ، فهى تتعرض لدراسة متباينة ولفكر وحضارة عالمين مختلفين ، وفى دراستنا نتعرض للعلاقات السياسية بين واحدة من أشهر امبراطوريات العصور الوسطى وهى الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الأيوبية ٠

وقد تم احياء الامبراطورية الرومانية بعد سقوطها سنة ٤٧٦ م على يد شارلمان فى بداية القرن التاسع الميلادى ، وكانت تشمل آنذاك فرنسا وألمانيا وماركة أسبانيا وبرشلونه (١) ٠

وفى القرن العاشر الميلادى تم احياء الامبراطورية من جديد على يد « أوتو الأول » أو « أوتو العظيم » (٩٣٦ ـ ٩٧٣ م) الذى اختير بعد وفاة والده هنرى الأول سنة ٩٣٦ م ٠ اذ سيطر على أيطاليا وألمانيا ومن ثم فيعتبره بعض المؤرخين خليفة شارلمان (٢) ٠

وقد لجأ أوتو الأول ، الى الاعتماد على الكنيسة ورجالها ، ومنحهم الاقطاعات الكبيرة ، ونصب نفسه حاميا للكنيسة وأملاكها (٣) ، وتدخل فى تعيين الأساقفة وعزلهم ، كخطوة

للتدخل فى شئون البابوية فى روما ، وقد ساعدت الظروف « أوتو » على ذلك ، اذ توفى « لوثر ملك ايطاليا » وفرت أرملته تستغيث ب أوتو ضد « برنجار الثانى » ملك ايطاليا الجديد ، لذلك أسرع أوتو الى غزو لمبارديا سنة ٩٥١ م ٠ وأجبر برنجار على الاعتراف به (٤) ، وبالاضافة الى ذلك فانه تعاقب على كرسى البابوية فى روما سلسلة من البابوات الضعاف كالبابا « حنا الثانى عشر » ٩٥٥ ــ ٩٦٤ م الذى استغاث ب « أوتو الأول » ضد برنجار الثانى ملك ايطاليا ، ودخل روما سنة ٩٦٢ م ، حيث توجه البابا « حنا الثانى عشر » امبراطورا فى فبراير من العام نفسه (٥) ٠

وقد رغب أوتو الأول فى أن يقسم البابا يمين الولاء للامبراطور قبل ترسيمه لكن هذا ضايق البابا ، فترتب على ذلك ان عقد الامبراطور ، مجمعا وقرر عزل البابا سنة ٩٦٣ م ، وعين أحد القساوسة فى المنصب البابوى تحت اسم البابا « ليو الثامن » (٩٦٣ ــ ٩٦٥ م) مما أثار غضب شعب روما (٦) ٠

وهكذا استغل أوتو الأول الكنيسة والبابوية واللقب الامبراطورى الى أبعد مدى فى تنفيذ مشروعاته الألمانية ، لأنه أدرك جيدا أن ألمانيا هى منبع قوته الحقيقية ، وأخيرا توفى أوتو الأول فجأة فى سنة ٩٧٣ م ، بعد أن وضع أساس تطور جديد فى تاريخ الغرب ما يقرب من ثلاثة قرون (٧) ٠

وفى عهد أوتو الثانى (٧٩٣ ــ ٩٨٣ م) زادت الصلات بين ألمانيا وايطاليا ذلك لأنه تزوج من الأميرة « ثيوفانو » Theophano ابنة الامبراطور البيزنطى « روماتوس الثانى » على أن تقدم له الأميرة ممتلكات بيزنطة فى ايطاليا (٨) ٠

توفى « أوتو الثانى » فتولى عرش الامبراطورية « أوتو الثالث » (٩٨٣ ــ ١٠٠٢ م) الذى عين جريجورى الخامس فى

كرسى البابوية سنة ٩٩٥ م ، فتوجه الأخير امبراطورا وبذا حدث وئام بين الامبراطورية والبابوية (٩) ٠

ثم تولى هنرى الثانى (١٠٠٢ ــ ١٠٢٤ م) وتوج فى فبراير عام ١٠١٤ م ، بروما وزار البابا ألمانيا سنة ١٠٢٠ م (١٠) ٠ توفى هنرى الثانى وتولى كنراد الثانى (١٠٢٤ ــ ١٠٣٩) وقد توج فى نفس عام توليته ، كما توج فى روما سنة ١٠٢٧ م واستطاع أن يضم برجنديا الى ممتلكاته (١١) ٠ أما الامبراطور « هنرى الثالث » (١٠٣٩ ــ ١٠٥٦ م) فقد شهدت الامبراطورية فى عهده أزهى عصورها ، وقد ذهب الامبراطور الى روما سنة ١٠٤٦ م ، بسبب النزاع بين البابوات ، فعزلهم وعين بابا جديد باسم « كلمنت الثانى » (١٢) وتوجه البابا فى اليوم التالى (١٣) ٠

وصفوة القول أن سيطرة الامبراطورية على البابوية ، ومحاولة الأخيرة التخلص من هذه السيطرة أدى الى النزاع الذى وضح بعد هنرى الثالث سنة ١٠٥٦ م ٠

بعد وفاة هنرى الثالث تولت زوجته الوصاية على ابنها « هنرى الرابع » ونظرا لحدوث بعض الاضطرابات ، بدأت ايطاليا تفلت تدريجيا من قبضة الامبراطورية (١٤) وبعد أن ماتت الأم أخذ هنرى يباشر سلطاته ، فحدث نزاع بينه وبين البابا « هلدبراند » ٠ جريجورى السابع ١٠٧٣ ــ ١٠٨٥ م وأصدر الأخير قرارات بالحرمان والعزل ضد الامبراطور ، مما ترتب عليه أن ذهب هنرى الرابع الى البابا فى سنة ١٠٧٧ م للمثول بين يديه قائلا له « اغفر لى أيها الأب المقدس » وذلك فى قلعة كانوسا (١٥) ٠ لكن حدث صدام آخر جعل الامبراطور يصدر قرارا بعدم صلاحية البابا جريجورى السابع ، وعين بابا باسم « كلمنت الثالث » ١٠٨٠ ــ

١١٠٠ م وذلك لأن البابا أيد « ردولف » دوق سوابيا فى نزاعه ضد الامبراطور (١٦) ٠

ولما تنازل هنرى الرابع عن العرش الامبراطورى لابنه هنرى الخامس ١١٠٥ ـ ١١٢٥ م فى سنة ١١٠٥ م ، عمل على توحيد جبهة ضد البابا سنة ١١١٠ م ٠ وخضع الأخير لمطالب الامبراطور (١٧) ٠

وقدأصدر البابا « كالستين الثانى » (١١١٩ م ـ ١١٢٤ م) قرار الحرمان ضد هنرى الخامس فى سنة ١١٢٠ م ، الا أن روح الاعتدال بدأت تظهر بين الطرفين من جديد (١٨) فزار « لوثير الثانى » ١١٢٥ ـ ١١٣٨ م ايطاليا بناءا على رغبة البابوية ، وتوج امبراطورا سنة ١١٣٣ م ـ وبعد وفاة لوثير الثانى سنة ١١٣٨ م ، كان أقوى رجلين فى ألمانيا هما هنرى المتكبر دوق بافاريا وسكسونيا ، وعميد البيت الولفى وكونراد « هوهنشتاوفن » دوق سوابيا ، وقد ركن الجميع الى الأخير (١١٣٨ ـ ١١٥٢ م) (١٩) فتولى العرش الامبراطورى (٢٠) ، لكنه لم يكن يمتلك قوة مادية حتى يستطيع أن يقف بها ضد أعدائه فى الداخل والخارج ، اذ أنه أول ملك من ملوك ألمانيا لم يتوج امبراطورا منذ عهد أوتو الأول أو العظيم (٩٣٦ ـ ٩٧٣ م) (٢١) مما ترتب عليه أن فقد كنراد الثالث هيبته فى ايطاليا ، ولم يكن مستعدا للقيام بحرب ضد البابوية ، وخاصة بعد أن أعلن البابا أنوسنت الثانى Innicent II ١١٣٠ ـ ١١٤٣ م فى مجمع سنة ١١٣٩ م ، أن البابا له السيادة العليا على جميع الحكام العلمانيين الذى لا يحق لهم التدخل فى شئون الكنيسة سواء منها ما يتعلق بأراضيها أو بتقليد رجالها ، لهذا فضل كنراد الثالث العمل على توطيد نفوذه فى ألمانيا عن طريق الحد من نفوذ البيت الولفى (٢٢) ، الذى وقف ضده بقيادة « هنرى المتكبر » دوق بافاريا وسكسونيا وعميل الولفيين Welf (٢٣) وفى النهاية اضطر كنراد الثالث

الى الاعتراف بأن عدوه أقوى من أن يقهر ، وأن السبيل الى انقاذ البلاد من بلايا الفتنة الداخلية هو الصلح مع الجولفيين ، فأعاد اليهم سكسونيا ، بدون بافاريا سنة ١١٤٢ م ، وان كانت الضغائن قد بقيت على حالها (٢٤) ٠

لكن حدث ما أخرج ألمانيا من الصراع الذى يعيشه أمرائها بسبب التنافس على العرش الامبراطورى ، ذلك هو مساهمتها فى الحرب الصليبية الثانية ، اذ أنه كما هو معروف أن القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين ، السادس والسابع الهجريين قد شهدا حركة قام بها الغرب الأوربى على الشرق الاسلامى وتمثلت فى حملات أرسلتها أوربا تحت ستار دينى ، الا أن المورخين أضافوا نتيجة لأبحاثهم الدوافع الأساسية لهذه الحملات ، فقد كانت هناك أسبابا اقتصادية وسياسية فضلا عن الأسباب الدينية ٠

وقد استغلت البابوية هذه الحملات فى محاولات منها لفرض سيطرتها على الأباطرة والأمراء بالغرب لتدعيم مركزها من ناحية ، والتخلص من الأباطرة الذين دخلوا معها فى الصراع من ناحية ثانية ولهذا أخذت تدعو لهذه الحملات وتزعمتها وحثت الشعوب الأوربية على المشاركة فيها ، ونتيجة لذلك أتت الحملة لصليبية الأولى الى الشرق الاسلامى ، وقد غلب عليها الطابع الفرنسى ، وكان قوادها من الأمراء ، ومما يجدر ذكره أن ألمانيا لم تساهم فى هذه الحملة اسهاما واضحا ، بسبب النزاع بينها وبين البابوية ابان عهدى الامبراطورين هنرى الرابع وهنرى الخامس (٢٥) ٠

وقد ترتب على وصول الحملة الصليبية الأولى الى الشرق تأسيس أربع امارات صليبية هى ، الرها (٢٦) وانطاكية (٢٧) وبيت المقدس (٢٨) وطرابلس (٢٩) ٠

ولا شك أن الأوضاع السياسية فى الشرق الاسلامى كانت من الأسباب التى ساعدت الصليبيين على نجاحهم فى إقامة امارات لهم بالشرق ، حيث أن الخلافة العباسية فى بغداد ، وقتئذ كانت فى أخريات عصرها ، وكانت الخلافة الفاطمية فى مصر تمر بأوضاع سياسية سيئة ، حتى أصبحت لا تحمى أملاكها فى بلاد الشام وفلسطين فاستولى السلاجقة على كثير منها (٣٠) كما أن قوة السلاجقة فى بلاد الشام بدأت تتدهور ولم تصمد غير قوة الموصل (٣١) بالاضافة الى سلاجقة آسيا الصغرى (٣٢) ٠

وقد استطاع عماد الدين زنكى بالموصل أن يصمد أمام هذه الأوضاع السياسية وأيقن أن توحيد قوة المسلمين فى بلاد الشام (٣٣) هى الخطوة الأولى التى يجب أن تسبق أية محاولة للقضاء على الامارات الصليبية بالشام ، فكانت محاولته ضم دمشق سنة ١١٣٨ م (٣٤) لكنه فشل فى ذلك الى حين ولذلك سعى عماد الدين زنكى الى الاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من الامارات الصليبية ٠ فوجه جهوده ناحية الرها ، اذ كان أميرها الصليبى « جوسلين الثانى » Joscelin II على نزاع مع أمير أنطاكية « ريموند دى بواتية » كما أن القوات الاسلامية كانت تحيط بالامارة ذاتها من كل ناحية ، بالاضافة الى أن نهر الفرات كان يفصلها عن بقية الممتلكات الصليبية (٣٥) ٠

بدأ زنكى يهاجم الرها بسبب تحالفها مع بنى أرتق فى ديار بكر ضده ، فاستولى عليها فى جمادى الآخرة ٥٣٩ هـ / ٢٣ ديسمبر عام ١١٤٤ م ، رغم حصانتها (٣٦) ولم يكن من الصعب على عماد الدين زنكى بعد سقوط الرها أن يستولى على بقية المعاقل الصليبية شرقى الفرات فاستولى على سروج فى يناير عام ١١٤٥ م بحيث لم يبق لجوسلين فى تلك المنطقة غير « البيرة » (٣٧) ٠

قتل عماد الدين زنكى فى منتصف سبتمبر عام ١١٤٦ م / ٥٤١ هـ ، وهو على حصار جعبر ، وبعد موته استمر ولديه نور الدين محمود فى حلب ، وسيف الدين غازى فى الموصل ، الا أن جوسلين الثانى استطاع أن يستغل هذه الظروف ، فأسترد الرها ثانية من المسلمين ، لكن نور الدين محمود ـ ابن عماد الدين زنكى ـ خف على رأس جيش كبير وحاصر المدينة وهكذا وجد جوسلين الثانى نفسه ومعه أعوانه من الصليبيين والأرمن ، قد وقعوا بين شقى الرحى ، فالسلاجقة داخل الرها محتمين بقلعتها ، ونور الدين محمود يحاصر المدينة من الخارج ، فهرب جوسلين وفرسانه وبذا استولى المسلمون عليها نهائيا من الصليبيين ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م (٣٨) ٠

وقد كان لهذا رد فعل شديد فى الغرب الأوربى ، ذلك لان حكومة القدس أرسلت رسالة الى البابا « يوجين الثالث » (١١٤٥ ـ ١١٥٣ م) Eugenius III فى سنة ١١٤٥ م تخبره عن سقوط الرها ، كما نقل حجاج أوربا الى البابا هذه الأنباء أيضا (٣٩) بعد السقوط الأول مباشرة ٠ وعمل القديس «برنارد» St. Bernard وبتكليف من البابا لدعوة ملوك أوربا هذه المرة لا أمرائها للقيام بحملة الى الشرق (٤٠) ٠ هذا وقد مكث القديس برنارد فى ألمانيا عام ١١٤٦ م ، كاملا ، ورأى ضرورة اشتراك ألمانيا فى هذه الحرب ، ومما يجدر ذكره انه حتى هذه اللحظة لم يكن لألمانيا دور يذكر فى الحرب الصليبية عدا بعض القوات التى اشتركت منها فى حملة جود فرى بوايون سنة ١٠٩٦ لذلك لم يقبل الألمان هذه الدعوة فى البداية (٤١) وحاول « كنراد الثالث » الاعتذار عن الاستجابة لهذه الدعوة ، نظرا لظروفه الاقتصادية السيئة ولانشغاله بحرب الأمراء المنشقين عليه ، ولكن القديس برنارد استطاع أن يقنعه ـ فى مجلس الأمراء الامبراطورى المنعقد آنذاك فى كتدرائية شبيرز Spires ، فى أسبوع عيد الميلاد

سنة ١١٤٦ م (٤٢) ـ بأن الحرب هى الوسـيلة الوحيدة التى يسـتطيع بها كنراد الثـالث ، توحيد الجلف والهوهنشـتاوفن Hohenstaufen (٤٣) ، والقضـاء على النزاع بينهما الذى حدث بسبب التنافس على حكم ألمانيا (٤٤) ٠

وايما كان الأمر فقد اقتنع كونراد الثالث بفكرة الحملة الى الشرق للتخلص من مشـاكله السـياسية الداخلية والوضـع الاقتصادى المنهار ٠

الهوامش

(١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسـطى ، ج ١ ، الطبعة السابعة القـاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٩١ ٠ وانظر) ديفز (هـ٠ و) : شارلمان ، ترجمة السيد البـاز العرينى ، القـاهرة ١٩٥٩ م ، ص ٢٠١ ، وأيضا : ابراهيم على طرخان : المسلمون فى أوربا العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ ٠

(٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ٠

(٣) نفس المرجع والصفحة ٠

Cf : Stephenson (C.) : Medieval History, New York, London 1935, 1934, p. 280.

(٤) سعيد عاشور : اوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٨ ٠

Cf. Ibid., p. 280.

Cf ; Thampson (J.W.) : History of the Middle Ages, Vol. 1, London, 1931, p. 169.

(٥) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ ٠

وانظر : رأفت عبد الحميد : المشكلة الايطالية فى السياسة الألمانية فى العصور الوسطى ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٣٠/٣١/١٩٨٤ ، ص ٢٦٥ ٠

Cf : Hayes (T.H.) : History of Europe, New York, 1959, p. 188.

Cf : Thampson (J.W.) : Op. Cit., Vol. 1., p. 169.

(٦) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٣ ٠

Cf : Ibid ..p. 170.

(٧) نفس المرجع : ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ٠

(٨) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ٠

(٩) نفس المرجع : ج ١ ، ص ٢٩٨ ٠

Cf : Stephenson (C.) : Op. Cit., p. 282.

(١٠) سعيد هاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ ٠

(١١) نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ٠

Cf : Thampson (J.B.) : Op. Cit., Vol. 1., p. 173.

(١٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣١٢ ٠

Cf : Ibid, p. 175.

(١٣) سعيد عاشور : نفس المرجع ، ص ٣١٢

Cf : Stephenson (C.) Op. Cit., pp. 286-287 F.

(١٤) نفس المرجع ج ١ ، ص ٣٣٨ ٠

(١٥) نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ ٠

(١٦) نفس المرجع ، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ٠ Cf : Ibid., pp. 290-291 F.

(١٧) نفس المرجع ، ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ٠

(١٨) نفس المرجع ، ص ٣٥٥ ٠

(١٩) نفس المرجع : جـ ١ ، ص ٣٥٨ ٠

Cf : Painter (S.) . A history of the Middle Ages, New York, 1954, p. 276.

(٢٠) Painter (S.) : A histiry of the Middle Ages, p. 276.
Cf : Archer (T.W.) : The Crusades, p. 207.

(٢١) Duggan (A.) : The Story of the Crusades, (1097 - 1291), London, 1963, p. 108.

(٢٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ٠

(٢٣) تعريف الجولفيين والجبلينين :
يملأ هذان الاسمان تاريخ ألمانيا وايطاليا فى العصور الوسطى ، وهما صفتان ايطاليتان Guelfs-Chilbellines لاسمين ألمانيين Welf-Gailbinyen وأولهما اسم دوق من دوقات شكسونيا بشمال ألمانيا ، أواسط القرن الثانى عشر الميلادى ، ثم أضحى علما على دوقات هذا الاقليم كأنه ما كانت أسماؤهم الشخصية ، وثانيهما اسم معقل من المعاقل الاقطاعية التابعة لأسرة الهوهنشتافن دوقات سوابيا بالجنوب الغربى من ألمانيا ، منذ أوائل القرن الثانى عشر الميلادى ، ثم أضحى كذلك علما على دوقات هذه الأسرة ، فضلا عن أسمهم العائلى ، أى الهوهنشتاوفن ، واقتصر استعمال اسمى الجولفيين والجبلينين وبصيغتهما الألمانية الكبرى حتى اذا كان عهد الامبراطورية فردريك الاول وهو الجبلينى الهوهنشتاوفن ومن الذى جرى فى عروقه دم الجولفيين ، واصطدمت سياسة فردريك الامبراطورية فى ايطاليا بمصالح البابوية وسياستها ، انتقل اسم الجبلينين الى ايطاليا حتى صار مرادفا للامبراطوريين أعداء البابوية كما صار اسم الجولفيين مرادفا للبابوية أعداء الامبراطورية ، ثم انتهى النزاع والتخاصم فيما بين البابوية والامبراطورية من ألمانيا ، باعدام آخر الهوهنشتاوفن سنة ١٢٦٨ م ٠ انظر :

هـ ـ أ ـ فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، القسم الأول ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، والسيد الباز العرينى ، ط ٦ ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ١٩٦ ٠

(٢٤) نفس المرجع والصفحة ٠

(٢٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ١٢٦ ٠

(٢٦) انظر سعيد عاشور : نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١٦٦ ـ ١٨١ ٠

(٢٧) انظر نفس المرجع ، ص ١٩٥ ـ ١٩٩ ٠

(٢٨) انظر نفس المرجع : ص ٢٢٠ ـ ٢٣٩ ٠

(٢٩) انظر نفس المرجع ، ص ٢٣٢ ـ ٢٤١ ٠

(٣٠) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ـ ترجمة السيد الباز العرينى ، بيروت ١٩٦٧ ـ جـ ١ ، ص ١١٦ ٠
وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٠٢ ٠

(٣١) نفس المرجع ، جـ ١ ، ص ١١٣ ٠
وانظر : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١١٧ ٠

(٣٢) عبد الحفيظ محمد على : المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط القاهرة ١٩٨٢ م ، ص ١٣٨ ، وما بعدها ٠

(٣٣) نفس المرجع ، ص ١٠٨ وما بعدها ٠

(٣٤) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٤ ٠

(٣٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٥٩٠ ـ ٥٩١ ٠

(٣٦) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨١ ٠
انظر : اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٨١ ٠

(٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٥٩٤ ٠
البيره : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية ، وهى قلعة حصينة ولها رستاق واسع ٠
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٥٢٦ ٠

(٣٨) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١٧ ، حوادث ٥٣٩ هـ ٠
وأيضا ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : جـ ١١ ، ص ٤٠ ، حوادث ٥٣٩ هـ ٥٤١ هـ ٠
وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٥٩٩ ٠
وانظر : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧ ٠

(٣٩) Setton (K.M.) : A history of the Crusades, Vol. 1, New York, 1955, p. 466.

وانظر عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١١٢ .

وأيضا حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٥٠ .

(٤٠) Cam-Med. Hist., Vol. 5., 1929, p. 353.
Cf : Archer (T.A.) : The Crusades, p. 207.

وانظر ج - م - هس : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق رأفت عبد الحميد القاهرة ١٩٧٧ ، تعليق المترجم ، ص ٥٠ .

وأيضا : أسم رستم : الروم ، ج ٢ ، بيروت ١٩٥٦ م ، ص ١٤٧

وانظر : اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٨٤ .

(٤١) ستيفين رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ترجمة السيد العرينى ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٤١٠ .

Cf : Archer (T.A.) : Op. Cit., pp. 210-211 F.

(٤٢) Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 353.

وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٧٦ ، ٦٠٦ .

وأيضا : ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العرينى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٩٢ وانظر اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٨٤ .

(٤٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، ج ٤ ، مجلد ٤ ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣١ .

(٤٤) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٣٥٨ .

الفصل الأول

الوحدة الاسلامية فى الشرق

وأثرها على الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية

(٥٤٧ - ٥٨٤ هـ/١١٥٢ - ١١٨٩ م)

- دور الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الحملة الصليبية الثانية وموقف الشرق الاسلامى منها .
- دور نور الدين محمود فى الوحدة الاسلامية
- صلاح الدين والوحدة الاسلامية .
- صدى وحدة الشرق الاسلامى على الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية .
- الوضع السياسى فى بلاد الشام قبيل الحملة الصليبية الالمانية .

فى هذا الفصـــل سوف نستعرض الدور الذى قامت به الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الحملة الصــليبية الثانية ، وكذلك موقف الشرق الاسلامى ، اذ استطاع نور الدين محمود أن يوحد الجبهة الاســلامية بالشرق ، الى أن قضى نحبه فحمل المسئولية من بعده صلاح الدين ، الذى استطاع أن يتم ما بدأه نور الدين ومن ثم ، أصبحت البــايوية تخشى قوة صــلاح الدين فحاولت بالمســاعدة مع الامبراطور فردريك الأول ، لايجاد حل لمشاكل الصليبيين بالشرق عن طريق المراسلات ، وقد فشلت هذه الوسيلة مما دفع صــلاح الدين أن يستعد لاسترداد ما سلبه الصليبيون . وقد حدث هذا فى حطين وفيما يلى تفصيل لذلك .

دور الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الحملة الصــليبية الثانية وموقف الشرق الاسلامى منها :

سبق القول بأن الامبراطورية الرومانية المقدسة استجابت ، للخروج فى الحملة الصليبية الثانية ، ويشير المؤرخ « برنهارد » Bernhardi الى أن الحماس قد عم المانيا ، وخاصة الفقراء بسبب المجاعة التى انتشرت فى تلك السنة (١) وانضوى كثير من النبلاء ، تحت قيادة فردريك السوابى Frederik of Swabia ، الذى تزعم النبلاء (٢) وكنراد الثالث وكذا اثنان من أتباعه هما : « فلاديسلاف » ملك بوهميا و « بوليسلاف الرابع » ملك بولنده ، كذلك استطاع القديس « برنارد » ان يضم « لويس السابع » Louis VII ملك فرنسا (٣) ومن ثم يمكن القول بأن اثنين من أكبر قادة أوربا أصبح لديهما الاستعداد بشعوبهما للتوجه الى الشرق ويصور برنارد فى

رسالة كتبها ـ ، مدى اســتجابة الغرب الأوربى لهذه الحملة ، اذ أقفرت المدن والقرى من ساكنيها حتى انه « كان من النادر أن يعثر كل سبع نساء على رجل واحد يتزوجن به » (٤) .

وصفوة القول أنه أعلن نهائيا فى سنة ١١٤٧ م القيام بالحملة الصليبية الثانية نتيجة لسقوط الرها مركز الدفاع الشمالى الشرقى للمملكة اللاتينية (٥) وقد أرسل البابا « يوجين الثالث » الى الامبراطور البيزنطى مانويل (١١٤٣ ـ ١١٨٠ م) لكى يساعد الحملة ويسهل لها الاجتياز ، وكان رد مانويل انه سوف يقوم بالاستعدادات اللازمة مثل المؤن والمراكب بالاضافة الى المعونة العسكرية ، ولكن اشترط ، أنه لن يقوم بهذا الا اذا سمحت له الظروف (٦)

ولما كان كنراد الثالث على صلة مصاهرة مع الامبراطور مانويل (٧) ، فقد أيد الرأى القائل باتخاذ الطريق البرى الى الشرق لكى يتمكن أكثر من الجنود ويتحكم فى الاشراف على الحملة الصليبية (٨) وفى نهاية شهر مايو عام ١١٤٧ (٩) ـ تحركت القوات من ألمانيا ـ وكان هناك جموع من « فلاندرز » Flanders وفريزيا Frisia « ونورماندیا » Nomandy « وكولون » Cologne (١٠) قبل الجيش الفرنسى حتى لا يحدث صعوبة فى التموين ، اذ كان عدد الفرنسيين كثيرا وأتوا بأموالهم وذخائرهم فيقال ان « عدتهم ألف ألف عنان من الرجالة والفرسان وقيل أكثر من ذلك » (١١) ومع ان هذا العدد مبالغ فيه الا انه يدل على مدى كثرته ولم يترك قرية ولا مدينة الا خربها ودمرها ، حتى كاد جيش الفرنسيين يموت جوعا لأنهم ساروا فى نفس الطريق الذى سار فيه الألمان (١٢) .

وثمة تساؤل يفرض نفسه على بساط البحث وهو : ان الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين Manuel I كان على صلة طيبة بالملك كنراد الثالث ، اذ أنه تزوج سنة ١١٤٦ م ، من أميرة ألمانية اسمها « برتا » Bertha يقال انها أخت زوجة كنراد الثالث ، بالاضافة الى أن والده كان قد وطد العلاقات مع الألمان (١٣) وقد توج مانويل هذه العلاقة بتعهده بالامدادات العسكرية للحملة ، ولكن اذا ساعدته الظروف ، فهل من السهولة بمكان أن يستقبل هذا الجيش ؟

لا شك أن هذا الجيش الكبير من الألمان بقيادة كنراد الثالث قد أزعج الامبراطور البيزنطى (١٤) ، وقد رأى بأنه يجب نقل هذا الجيش بسرعة قبل الجيش الفرنسى (١٥) ، فأرسل الى كنراد الثالث سفيرين هما : « ديمتريوس ماركمبولتيس » و « اسكندر من جرافينا » يطلبان منه الافصاح عن نيته ان كان قد قدم ورجاله أعداء أم أصدقاء (١٦) كما أنهما ذكرا له انه لن يسمح لهم بدخول القسطنطينية ، الا بعد أن يقسم للبيزنطيين بأنه لن يقوم بأى عمل من شأنه الاضرار بالامبراطورية البيزنطية أثناء مروره فى أراضيها (١٧) .

زحف الألمان الى بلغراد حتى وصلوا الى بلدة « برانشيفوا » ولم يحدث خلالها أى احتكاك بين البيزنطيين والألمان (١٨) .

ويمكن القول بأن نوايا البيزنطيين لم تكن خالصة تماما اذ أنهم لم يمدوهم بكثير من المرشدين (١٩) ذلك لأن البيزنطيين رفضوا مبدأ التعاون مع الصليبيين منذ أن حنث هؤلاء بوعودهم للامبراطور الكسيس الأول كومنين فى الحملة الأولى . وعلى أية حال شك الطرفان فى بعضهما (٢٠) مما دفع الألمان أن ينهبوا ويستولوا على

ما قابلهم أثناء مرورهم فى الامبراطورية البيزنطية ، وتقدموا الى القسطنطينية (٢١) • ومما زاد الطين بلة ما قام به الامبراطور البيزنطى من تقوية حصون القسطنطينية للتصدى لهذه الأخطار (٢٢) • واستعد بنفسه لقيادة حملة ضد الألمان (٢٣) •

وهكذا ساءت الأحوال بين البيزنطيين والألمان ، فتبادلا الهجمات ، وأصابت الأضرار الجيش الألمانى ، اذ حدثت فيضانات على خيام الألمان ، عدا سرية فردريك السوابى ، الذى كانت خيمته على ربوة عالية ، حتى وصلوا القسطنطينية فى العاشر من سبتمبر ١١٤٧ م (٢٤) •

ويذكر البعض ان البيزنطيين سلكوا طرقا ليقضوا بها على الألمان ، اذ أنهم خلطوا الدقيق بالكلس الأبيض ليبيعوه للصليبيين ، وضربوا نقوشا مغشوشة لهم (٢٥) •

ونتيجة لأعمال الألمان زادت الأضرار بالامبراطورية البيزنطية ، ومن ثم فقد سارع الامبراطور البيزنطى بالتخلص من تلك الجيوش ، فطلب من كنراد الثالث أن يعبر بجنوده الدردنيل والبسفور الى آسيا الصغرى ، حتى يتمكن من السير الى الأراضى المقدسة (٢٦) ، وهنا أخذ معه كنراد الثالث بعض المرشدين البيزنطيين ليرشدوه الى الطرق السليمة ، وقد أمدهم الامبراطور البيزنطى بأسلحة لتوزيعها على فقراء الحملة العزل (٢٧) •

وقد سبق القول بأن الشك قد ساور الجانب الألمانى والبيزنطى كل منهما فى الآخر ، وبالرغم من ذلك ، فقد نصح البيزنطيون ، الألمان بضرورة تنقية الجيش الألمانى من الجنود غير القادرين على القتال بالاضافة الى عدم السير فى طريق الحملة

الصليبية الأولى ، وأيضا عدم التوغل فى الأناضول ، وانه من الأفضل للجيش الألمانى السير بمحاذاة الساحل الغربى الى اطاليا ، والذى يخضع لسلطان بيزنطة ، ونظرا لشك الألمان فى نوايا البيزنطيين فانهم لم يأخذوا بتلك النصائح وأثروا الاتجاه فى خط سير الحملة الصليبية الأولى (٢٨) ، ومما يؤيد وجهة نظر الألمان ما حدث من الادلاء البيزنطيين ، اذ خانوا الألمان وأوقعوهم فى مأزق ، لأن الطرق التى دلوهم عليها ، جبلية ، وعرة ، وليس بها زاد ولا ماء ، كما أن المرشدين قد فروا وتركوا الألمان عند جبل طاووس ، وأصبح كنراد الثالث وجيشه فى وضع لا يحسدوا عليه (٢٩) فانهم لم يستطيعوا الرجوع ، كما ان خبرتهم قليلة فى هذه الطرق وأصبح من الصعب عليهم الاستمرار فى السير •

وبعد عناء وصل الألمان فى ٢٥ أكتوبر عام ١١٤٧ م ، عند نهر « باتيس » قرب دور يليوم Dorylaeum (٣٠) ، وقربها وفى أكتوبر أيضا من نفس العام انقض السلاجقة على الجيش الألمانى وحدثت له مذبحة ، ويذكر بعض المعاصرين أن السلاجقة قصدوا منافذهم وطرق معابرهم حتى لا يصلوا الى بلاد المسلمين ، مما أدى فى النهاية الى قتل معظمهم وموت كثير منهم جوعا ومرضا (٣١) • ولعل من الأسباب التى أدت الى خسارة الجيش الألمانى فى هذه المعركة ، عدم التنظيم ووجود الكثير بينهم ليس عندهم القدرة على الحرب كالحجاج المسنين •

والواقع أنها كانت هزيمة لجيش الألمان ، وبدأ كنراد الثالث يجمع شتات جيشه الذى فر معظمه الى نيقية ، ويقدر البعض ما فقده كنراد من الجيش بحوالى تسعة أعشاره وكذلك كثير من الامدادات ، وما وقع فى أيدى السلاجقة باعوه فى أسواق الشرق الاسلامى حتى فارس (٣٢) • هذا وقد التقى الملك لويس السابع

Louis VII بفلول الجيش الألمانى فى مدينة نيقية وخرج الجيشان منهـا ، الا ان كنراد ظهر عليـه المرض عندما وصـل مدينة « أفسوس » (٣٣) قرب مدينة أزمير الحالية « وأبحر منها عائدا الى القسطنطينية » ، وقد ظل بها حتى أول مارس ١١٤٨ (٣٤) ٠ وخلال مدة اقامته عاملة الامبراطور البيزنطى معاملة طيبة ، كأمير عظيم ، وعندما قرر كنراد الثالث مغادرة القسطنطينية ، منحـه الامبراطور البيزنطى هدايا كثيرة وفاخـرة ، ومعـه مجموعة من النبلاء ، وأرسـل معه أسـطولا امبراطوريا الى عكا فى منتصف أبريل سنة ١١٤٨ م ٠ ويذكر بعض المعاصرين أن كونراد الثالـث قد توجه من عكا الى بيت المقدس ، التى وصلها فى النصف الثانى من شـهر أبريل ١١٤٨ م ، وكان معه « بلدوين » و « فولشر » Fulcher البطريق ، ورجال الدين وقد اسـتقبل الناس كنراد خارج المدينة وهم يغنون ويترنمون بالتسابيح (٣٥) واسـتقبلته الملكة ميسليند وابنها بكل مظاهر المودة والتشريف فى بيت الملك ٠

ثم عاد الجميع الى عكا فى عام ١١٤٨ م/٥٤٤ هـ ، بعد أن أصبح عدد الجيش على حد تقدير البعض ثمانمائة ألف رجل ٠ وقد وجد هناك ، الفونس كونت طولوز Touluso ، الا انه استقبل القادة بفتور واضح (٣٦) ٠

وقد عقد فى يونية سنة ١١٤٨ م/٥٤٤ هـ ، مؤتمرا صليبيا فى عكا حضره ، لويس السـابع ملك فرنسـا وكونراد الثالث ملك المانيـا ، والملك القاصر بلدوين الثالـث ، ومعه أمراء مملكة بيت المقدس (٣٧) ، وقد اختلفت الأراء بين المجتمعين الى أى البلاد الاسلامية يوجهون جهودهم ، وفى النهاية استقرت الحال بينهم على مهاجمة دمشق (٣٨) ٠

ونتيجة لهذا المؤتمر فانه قد اتجهت سياسة كونراد الثالث ، وكذلك لويس السابع الى جانب آخر ، اذ أنهما أتيا الى الشرق من أجل الاستيلاء على الرها ثانية من المسلمين ٠ فى الوقت الذى أضحت فيه قوة نور الدين محمود عظيمة فى الرها ، بالاضافة الى حلب مركزه الأساسى ، ومن ثم فان الصليبيين الألمان والفرنسيين ، شعروا بقوة نور الدين محمود وخاصة بعد ان استولى على الرها ، وانه من الصعب تخليصها منه ، لذلك اتجهت أنظارهم الى دمشق وظنوا انه يسهل الاستيلاء عليها ، نظرا لما لها من اهمية ، ذلك لأنها نقطة تمويل كبيرة غنية ، للمسلمين فى مصر والشام ولأنها حلقة وصل بينهم (٣٩) ٠ وبالتالى ان أمكن الاستيلاء عليها فقد يتيسر لهم القضاء على المسلمين ببلاد الشام ٠

ومما يجدر ذكره أن دمشق فى هذه الفترة كانت تابعة لمجير الدين ابق بن محمد بن بورى بن طغتكين ، ويحكمها معين الدين أنر مملوك جده طغتكين وعندما علم الأخير بتأهب الصليبيين بدأ يستعد هو الآخر ، فأخذ يحصن الجهات الضيقة ، ويضع الرجال فى المغرات والمنافذ ، ويقطع قنوات المياه الى منازلهم وودم الآبار وعفى المناهل (٤٠) ٠

وتوجه الصـليبيون لمحاصرة دمشق فى السبت ٢٤ يوليو ١١٤٨ م/٦ ربيع الأول ٥٤٤ هـ ، ومعهـم كنراد الثالـث فى عدد كبير جدا ، ووجد الصليبيون بمنزل العساكر ـ الماء معدوما ، ثم اتجهوا الى « المزة » لقربها من الماء ، وخيموا عليها وتوجه اليهم المسلمون بأعداد كثيرة ، ذكر المؤرخون أنها نحو مائة وثلاثين ألفا ، وذلك فى يـوم السبت ٦ ربيـع الأول ٥٤٤ هـ / ٢٤ يوليـو

١١٤٨ م (٤١) ٠ واقتتلوا قتالا شديدا ، بعد أن توجه الألمان الى الميدان الأخضر ، وجاءت النجدة الاسلامية الى معين الدين والتى استغاث بها أرتق ، من سيف الدين غازى صاحب الموصل وكذلك نور الدين محمود ـ أبناء عماد الدين زنكى ، فى حوالى سبعين ألف ، ونزلوا على حمص ولعل ذلك أدى الى ضعف الفرنج (٤٢) ، وقد انتشر الفرنج فى مرج الزنبقة (٤٣) واشتد القتال بين أحداث البلد المطوعة والغزاة ٠ وانتشروا فى البساتين فى مكان استراتيجى ، وقتل من الطرفين الكثير ، اذ قتل من الصليبيين قسيس يدعى « الياسا » ويذكر انه هو الذى أغراهم بالهجوم على دمشق ، وقتل من أهل دمشق الكثير (٤٤) ، وقد أظهر « معين الدين أنر » فى حربهم قدرة على الوقوف ضدهم ٠

وقد كان للامدادات التى جاءت الى معين الدين انر ، أكبر الأثر فى توجيه هجوم مضاد على الصليبيين ٠ اذ أنه وصلت الامدادات من كافة النواحى ، فقد جاء الى دمشق الشريف الأمير شمس الدين ناصح الاسلام أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبيد الله الحسينى النقيب (٤٥) من ناحية سيف الدين غازى لأنه كان قد ندب رسولا من الخلافة الى سائر الولاة وطوائف التركمان لحثهم على نصرة المسلمين ، ذلك لأنهم خشوا أن يكثر عدد الصليبيين وعتادهم (٤٦) ٠ ويمكن القول أن سياسة أثر فى هذا الموقف ذات جانبين :

الجانب الأول : ان يستثير عطف العالم الاسلامى بجانبه ضد الصليبيين ، وهو بذلك يصبح تحت يده قوة اسلامية عسكرية يمكن لها ان تقف فى وجه الصليبيين وبذا يأمن جانبهم ٠

والجانب الثانى : أنه اتبع الاسلوب الدبلوماسى ، اذ انه أرسل الى الصليبيين بالشام يعرض عليهم قلعة بانياس مقابل

تخليهم عن مشاركة الألمان فى حصار دمشق (٤٧) ، وقد وافق فرنج الشام فعلا على هذا العرض ، واستطاع بارونات فلسطين ان يؤثرا على كنراد الثالث ولويس السابع ، وأفهموهما انه من الصعوبة بمكان الاستيلاء على دمشق ، لما اكتشف من خيانة الصليبيين واتصالاتهم بانر وفعلا خاف الألمان ورحلوا عن دمشق (٤٨) وسلم « انر » قلعة بانياس الى الفرنج طبقا للشرط الذى شرطه على نفسه ٠

ولكن الذى يدعو الى التساؤل هو ، ما قام به « انر » من اتصالاته بالصليبيين برغم وجود الجيوش الاسلامية ، أغلب الظن ، انه خشى من قوة نور الدين وسيف الدين بعد انصراف الفرنج (القوات الألمانية والفرنسية) فكان من السهولة ان يطالباه بنصيبيهما فى دمشق لأنهما أنقذاه من احتلال محقق ، ولذا فضل انر تسليم بانياس للصليبيين عن مقاسمة المسلمين معه لدمشق ٠

وقد قرر الملكان : كونراد الثالث ولويس السابع فك الحصار عن دمشق وفعلا بدأ الجميع يرتحل فى فجر الأربعاء ٢٨ يوليو ١١٤٨ م / ١٠ ربيع الأول ٥٤٤ هـ وتعقبهم رجال انر فى الطريق (٤٩) ، وقد كتب كنراد الثالث يصف الهجوم على المدينة بما يدل على مدى التخاذل والتفرقة والخيانة بين الأمراء الصليبيين وأنفسهم ، هذا وقد حاول البعض بالاشارة على الصليبيين بحصار عسقلان ، الا انهم لم ينجحوا لضعفهم (٥٠) ٠

وقرر كونراد الثالث العودة ، فخرج فى ٨ سبتمبر ١١٤٨ م ، من عكا حيث نزل فى ضيافة الامبراطور البيزنطى مانويل ، الذى زوج ابنة أخيه لـ « هنرى » أخ كنراد الثالث (٥١) ٠ وأخيرا

غادر كونراد الشرق على سفينة يونانية الى سالونيك ثم الى المانيا (٥٢) :

ويثور تساؤل : على من تقع مسئولية فشل الحملة الألمانية وبجانبها الفرنسية ، لقد كلفت الإمبراطورية الرومانية المقدسة نفسها الكثير من الأموال والعتاد والجنود وترك كنراد الثالث امبراطوريته لكى يقوم بحملة جرارة استغرقت ما يزيد عن عام كامل ، لتأتى الى الشرق ، وتحاصر دمشق أربعة أيام ثم ترفع الحصار وتعود أدراجها ، لعدم سلوك الحملة الطريق السليم وخاصة بعد مؤتمر عكا .

لقد تركت الحملة الألمانية أسرى بالشرق منهم ، « براتراند التولوزى » الذى فك أسره الامبراطور مانويل البيزنطى من يد نور الدين محمود ، كما أنها تركت الأحقاد فى قلب فردريك الشاب قائد النبلاء (٥٣) وخاصة من البيزنطيين بسبب الخسائر التى اصابت الألمان أثناء اجتيازهم الأناضول .

وفى النهاية يذكر بعض المؤرخين ان لويس السابع ملك فرنسا كنراد الثالث ملك ألمانيا ، من الصعب توجيه الاتهام أليهما بعدم الاخلاص لقد ارتكب كل من هذين الزعيمين أخطاء نكراء ، ولكنهما كانا من الاخلاص للقضية التى أقلعا من أجلها الى حد البراء من تقضيه (٥٤) .

وبعد فقد اتضح لأمراء الامارات الاسلامية بالشرق بعد مغادرة الألمان بلاد الشام سنة ١١٤٨ م / ٥٤٤ هـ أنه لابد من الوحدة لصد الأخطار الصليبية عن بلادهم وقد تزعم هذه الفكرة عماد الدين زنكى ، كما سبق القول . اذ انه كما رأينا ، كان لوجود القوات الاسلامية حول دمشق فتت من عضد الصليبيين وأتى بهزيمتهم .

دور نور الدين محمود زنكى فى الوحدة الاسلامية :

فى سنة ٥٤٢ هـ /١١٤٧ م ، فتح نور الدين محمود مدينة ارتاح (٥٥) ، وحاصر « مابلولة » و « بصروت » و « كفرلانا » (٥٦)، وفى العام التالى استولى على « حصن العزيمة » وفى سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م ، قتل البرنس صاحب انطاكية (٥٧) ، وبالاضافة الى هذا فقد كان يحاول الاستيلاء على الامارات الاسلامية التى يمكن أن تساعده فى مهاجمة الصليبيين فحاول الاستيلاء على «سنجار» (٥٨) . بعد موت أخيه سيف الدين غازى صاحب الموصل ، لكن أخاه قطب الدين مودود بن زنكى رده عنها (٥٩) .

كذلك استولى نور الدين محمود فى سنة ٥٤٥ هـ/١١٥٠ م على حصن « افاميه » (٦٠) . وفى العام التالى تمكن من أسر « جوسلين » Joselin ، صاحب الرها الأسبق كما استولى على قلاعة وهى «تل باشر» (٦١) و «عين تاب» (٦٢) و «تل خالد» (٦٣) و « قورس » (٦٤) و « الراوندان » و « برج الرصاص » (٦٥) و « حصن البار » و « كفر لاثا » (٦٦) و « دلوك » و « مرعش » (٦٧) و « نهر الجوز » ولم تنجح محاولات الصليبيين فى الوقوف فى وجه نور الدين (٦٨) ، لأنه كان يحصن المدن والقلاع التى كان يفتحها بالرجال والذخائر لمدة تكفيها عشر سنوات (٦٩) .

وبالرغم من نشاط نور الدين محمود المنقطع النظير فى بلاد الشام ، فان الصليبيين تمكنوا من الاستيلاء على عسقلان سنة ١١٥٣ م/٥٤٨ هـ (٧٠) . بهدف تخفيف نشاط نور الدين العسكرى ببلاد الشام من ناحية ومنع تقدم المصريين الى بيت المقدس من ناحية أخرى . وبذلك تحقق لهم نوع من النصر اذ أنهم بذلك فصلوا بين مصر والشام .

وكان على نور الدين محمود أن يرد على الصليبيين بعمل عسكرى ، حتى يضمن الوحدة السياسية لبلاد الشام ، فاتجه الى الاستيلاء على دمشق من حاكمها المسلم « مجير الدين أثر » خشية أن يستولى الصليبيون عليها بعد أن استولوا على عسقلان ، وقد اتبع نور الدين محمود فى ذلك الأسلوب السلمى لعدم اراقة الدماء فراسل حاكمها بالهدايا ، وشككه فيمن حوله ، وراسل نور الدين الأحداث بدمشق فسلموه اياها فى صفر ٥٤٩ هـ / ٨ ابريل ١١٥٤ م (٧١) .

وتذكر بعض المصادر أن أسد الدين شيركوه لعب دورا كبيرا فى فتح دمشق ، ومن ثم ولاه نور الدين محمود أمرها (٧٢) ، وقد توسط أسد الدين لدى نور الدين ، فى أمر أخيه نجم الدين أيوب ، فأقطعه نور الدين اقطاعا ورد النظر فى دمشق اليه سنة ٥٥٠ هـ ، وولى ابن نجم الدين شحنكية دمشق (٧٣) التى تولاها بعده أخوه الآخر صلاح الدين أيوب (٧٤) .

ويذكر بعض المؤرخين ، أن استيلاء المسلمين على دمشق فاق استيلاء الصليبيين على عسقلان ، اذ أصبحت أملاك نور الدين تمتد من الرها الى شرقى الأردن ازاء الطرف الشرقى لامارات الفرنج ، ولم يبق فى سوريا الاسلامية ، سوى بضعة امارات صغيرة حافظت على استقلالها مثل شيزر (٧٥) .

وفى سنة ٥٥١ هـ/١١٥٦ م توجه نور الدين محمود الى حارم التى تقع شرقى أنطاكية ، وصالح الصليبيين على أن يعطوه ضعف أعمالها (٧٦) ، وفى سنة ٥٥٢ هـ/١١٥٧ م استولى على حصن شيزر وبعلبك (٧٧) .

ولم تكن سياسة نور الدين محمود تتجه الى بلاد الشام فحسب ولكنه وضع فى خطته ضرورة الاتفاق مع السلاجقة ، ومن

هذا المنطلق ، صالح ابن السلطان مسعود صاحب قونيه فى سنة ٥٥١ هـ /١١٥٦/١١٥٧ م وكذلك عقد هدنة مع الصليبيين لمدة سنة ابتداء من شوال ٥٥١ هـ /١١٥٦ م (٧٨) ، وعقد معاهدة مع الامبراطور البيزنطى مانويل فى سنة ١١٥٩ م / ٥٥٤ هـ (٧٩) .

وهكذا أصبح تحت سلطة نور الدين معظم الامارات فى الشام ، فهو يصالح الصليبيين عاما ، ويقاتلهم آخر ، ويلاطف الامارات الاسلامية المجاورة كالسلاجقة ويعقد اتفاقيات صلح مع البيزنطيين حتى يكفيه شرهم ، ويذكر البعض بأن الصليبيين أنفسهم كانوا يمدحون سياسة نور الدين هذه ويعجبون بشجاعته ، اذ كان يوميا يزيد من ملكه (٨٠) .

لم يكن من السهل على نور الدين أن يترك مصر بمنأى عن نشاطه العسكرى ، ذلك لأنها مطمع الصليبيين بالاضافة الى مكانتها التى يمكن أن يستفيد بها فى الوحدة الشاملة .

فمصر كانت تمر فى هذه الآونة بظروف سياسية سيئة ، اذ لم يتول وزير كفء الوزارة بها ، منذ مصرع الأفضل ، فقد قتل الخليفة الآمر فى سنة ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م ، ومات الحافظ سنة ١١٤٩ م/٥٤٤ هـ ـ وتولى الظاهر ، وتولى ابن السلار (٨١) ـ الوزارة ، حتى لقى مصرعه هو الآخر بعد ثلاث سنوات (٨٢) ، وبرغم هذه الظروف السيئة فان مصر ساهمت فى صد الأخطار الصليبية عن أطرافها ، مثلما حدث سنة ٥٤٦ هـ /١١٥١ م عندما توجهت المراكب الحربية المصرية الى يافا ، ردا على اعتداء الفرنج على الفرما سنة ٥٤٥ هـ /١١٥٠ م ، وكذلك هاجم المصريون عكا بحرا وتوجهوا الى صيدا وبيروت وطرابلس ، وقتلوا بعض الصليبيين (٨٣) بالاضافة الى ذلك فان مصر كانت ترسل تجريدة

عسكرية الى عسقلان كل ستة شهور ، لمقاومة الصليبيين ، كما حدث سنة ٥٤٧ هـ /١١٥٢ م (٨٤) • ونتيجة لسوء الوضع السياسى فى مصر سنة ٥٤٨ هـ /١١٥٣ م ، فان مصر لم تتمكن من ارسال المساعدة الى عسقلان ، اذ تركها عباس الذى تولى الوزارة بعد قتل العادل بن السلار ، الذى كان يحكم فى دولة الظافر بأمر الله (٨٥) مما ترتب عليه أن سقطت فى ايدى الصليبيين ــ كما سبق القول •

وقد ازداد الوضع السياسى فى مصر سوءا ، فقتل الوزير عباس الخليفة الظافر سنة ٥٤٩ هـ /١١٥٤ م (٨٦) • فهاجم حاكم الصعيد « طلائع بن رزيك » (٨٧) الوزير عباس ، ففر الأخير الى الشام وأصبح طلائع وزيرا ، وولى الفائز بن الظافر الخلافة واستبد طلائع بالوزارة (٥٤٩ ــ ٥٥٧ هـ / ١١٥٤ ــ ١١٦١ م) • فلما مات الفائز ، عين طلائع ، العاضد فى الخلافة (٨٨) •

وبالرغم من هذه الاوضاع فان مصر لم تكف عن مهاجمة الصليبيين ، ففى سنة ٥٥٢ هـ /١١٥٧ م أرسلت سرية الى غزة ، وقامت المراكب الحربية المصرية بمهاجمة الصليبيين فى بيروت ، وكذلك الشوبك (٨٩) ، والطفيل وعادوا بغنائم ، كما أسروا بعض الصليبيين بعد هجومهم على عكا •

وفى سنة ٥٥٣ هـ/١١٥٨ م ، أرسل طلائع بن رزيك حملة عسكرية برية للاغارة على الصليبيين « بتل العجول » وعلى العريش ، فضلا عما ذكرته بعض المصادر ، عن تحركات الأسطول الحربى المصرى فى موانىء مصر متجها الى موانىء الصليبيين على بلاد الشام (٩٠) •

كما عمل طلائع بن رزيك على التعاون المشترك بين مصر والشام فكان يحث نور الدين على مهاجمة الصليبيين ببلاد الشام ، ويطلب منه أن يرسل اليه الأخبار العسكرية أولا بأول (٩١) ، وكان نور الدين يرد عليه ويرسل له السلاح والأموال ، لينفقها طلائع بن زريك من أجل الاستعداد ضد الصليبيين (٩٢) •

ويمكن القول بأن أسلوب طلائع بن رزيك فى الهجوم الخاطف على الصليبيين هو أنسب وضع بالنسبة لحالة مصر ، لأنها لا يمكنها الدخول فى صدام مباشر مع الصليبيين •

وأيا كان الأمراء فقد زاد نفوذ طلائع بن رزيك ومن ثم دبرت عمة الخليفة العاضد لقتله فى سنة ٥٥٦ هـ /١١٦١ م ، وتولى ابنه العادل الوزارة سنة ٥٥٨ هـ ، الذى كتب الى شاور السعدى (٩٣) ، والى قوص بالعزل ، فترتب على ذلك أن هاجم شاور ، العادل بن طلائع ، حتى قبض عليه فى أطفيح (٩٤) وقتله سنة ٥٥٨ هـ /١١٦٣ م ، فانقرضت دولة بنى رزيك (٩٥) • وما ان استقر شاور فى الوزارة ، حتى خرج عليه الضرغام اللخمى (٩٦) ، قائد فرقة البرقية (٩٧) وهزم شاور ، الذى فر الى نور الدين بدمشق فى ٦ من ربيع الأول سنة ٥٥٨ هـ /١١٦٣م ، يستغيث به ضد ضرغام (٩٨) وبذا خلا الجو لضرغام من المتاعب ولكن الى حين •

وعرض شاور قضيته على نور الدين (٩٩) الذى استجاب لطلب شاور ، ليس لاعادة تخت الوزارة الى شاور فحسب ، ولكن لاعادة الأمن الى مصر خشية أن يطمع فيها الصليبيون بسبب الفوضى ، التى نجمت عن الصراع على الوزارة • وعلى أية حال كلف

نور الدين أسد الدين شيركوه بالتوجه الى مصر فى سنة ٥٥٩ هـ / ١١٦٤ م وخرج نور الدين بنفسه يحمى أسد الدين من الصليبيين (١٠٠) . ووصل أسد الدين شيركوه فى ابريل عام ١١٦٤ م/٥٥٩ هـ ، ومعه جيشه وبصحبته شاور الى القاهرة ، فاستنجد الضرغام بالصليبيين ضد شاور ، الا أن الأول قتل (١٠١)، وعاد شاور وزيرا مرة أخرى (١٠٢) فى شهر مايو عام ١١٦٤ م/ ٥٥٩ هـ ، لكنه حنث بوعوده ، التى وعد بها نور الدين من قبل بالشام ، مقابل مساعدته ضد غريمه ضرغام (١٠٣) . كما طلب من أسد الدين شيركوه أن يرجع الى الشام ، وراسل الصليبيين (١٠٤) ، يطلب منهم مساعدته ضد أسد الدين ، ولم يكن لدى الصليبيين أدنى تردد للتقدم الى مصر ، لا من أجل مساعدة شاور لذاته ولكن من أجل محاربة جيش نور الدين فى مصر والاستيلاء على الأخيرة ان أمكن .

ومما يجدر ذكره ان بلدوين الثالث (١١٤٤ – ١١٦٢ م) ملك الصليبيين هدد بغزو مصر سنة ١١٦٠ م / ٥٥٥ هـ (١٠٥) كما قام عمورى الأول (١١٦٢ – ١١٧٤ م) ملك بيت المقدس بغزو مصر سنة ١١٦٣ م / ٥٥٨ هـ ، فوصل بلبيس وحاصرها الا ان ضرغام أرغمه على الانسحاب فى الوقت الذى لجأ فيه شاور لنور الدين بالشام (١٠٦) .

وعندما علم أسد الدين شيركوه ، بمراسلة شاور للصليبيين ، خرج الى بلبيس (١٠٧) فحاصره الصليبيون هناك ثلاثة شهور ١١٦٤ م /٥٥٩ هـ ، كتب خلالها أسد الدين رسالة الى « عمورى » ملك بيت المقدس ، يهدده تارة ويطلب منه رفع الحصار نظير مبلغ من المال ، تارة أخرى (١٠٨) ، الا أن ضغط نور الدين على الصليبيين ببلاد الشام فى سنة ٥٥٩ هـ /١١٦٤ م (١٠٩) ، دفعهم الى رفع الحصار عن أسد الدين ، بشرط خروج الجيش الصليبى والاسلامى

من مصر فى طريقين متوازيين ، عبر شبه جزيرة سيناء تاركين شاور مسيطرا على مقاليد الأمور فى مصر (١١٠) .

ولما رجع أسد الدين الى بلاد الشام وجد نور الدين قد فتح بانياس والمنيطرة (١١١) ، فساعده فى بعض الأعمال العسكرية ضد الداوية (١١٢) ، الا أن أسد الدين كان حانقا على شاور ، وصمم على الرجوع ثانية ليؤدبه (١١٣) ، كما رأى انه من الأهمية بمكان وجود قوات من جيش نور الدين بمصر ، حتى لا يطمع فيها الصليبيون ، ومن ثم فقد أنهى الترتيبات اللازمة مع نور الدين بشأن عودته الى مصر ، وخرج فعلا فى شهر ربيع الأول ٥٦٢ هـ/١١٦٦م ، وبصحبته ابن أخيه (صلاح الدين) (١١٤) حتى وصل أطفيح وعبر منها الى الجانب الغربى للنيل ، وتقابل مع شاور والصليبيين عند « البابين » بالمنيا ، فانتصر عليهم ، ثم توجه الى الاسكندرية . فترك بها صلاح الدين ، وتوجه الى الصعيد ، مما دفع شاور وحلفائه لمحاصرة صلاح الدين بالاسكندرية طيلة أربعة أشهر (١١٥) فاستعمل أسد الدين شيركون أسلوب المفاوضات فأرسل الى الصليبيين أسيرا منهم ، يعرض عليهم رفع الحصار مقابل ان يجلو الفريقان من مصر ، فوافق عمورى على ذلك (١١٦) . لما سمع عن أعمال نور الدين بالشام (١١٧) .

رجع أسد الدين الى الشام ، وقبل أن يخرج الصليبيون من مصر عقدوا مع شاور معاهدة ، قرر لهم فيها شاور مبلغا من المال سنويا وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة (١١٨) ، لكن الصليبيين نقضوا المعاهدة ، وتوجهوا من عسقلان الى مصر فى أكتوبر عام ١١٦٨ م /٥٦٤ هـ ، ورفضوا الخروج الا بعد أن يدفع شاور لهم مبلغا من المال (١١٩) مما ترتب عليه ان حرق شاور القاهرة ، وعلم عمورى ، بأن أسد الدين شيركوه فى طريقه الى مصر نتيجة لاستغاثة الخليفة الفاطمى العاضد بهم (١٢٠) ، وكذلك شاور (١٢١) .

توجه أسد الدين هذه المرة الى مصر ، ومعه أيضا صـــلاح الدين ، وهو مزود ، من قبل نور الدين بالجنود والسلاح والأموال والنصـــائح (١٢٢) ٠ لأنه سيستقر بمصر تلبية لطلب الخليفة الفاطمى من ناحية ، وربما رأى نور الدين ، أنه من الأهمية بمكان اقامة تجريدة من جيشه بمصر ، اقامة دائمة من ناحية أخرى ٠

وصـــل أسد الدين بجيشـــه القاهرة ، فى ربيـــع الآخر ٥٦٤ هـ/ (١٢٣) ١٧ ديسمبر ١١٦٨ م فانضم شاور اليه ، ومن ثم لم يبق للصليبيين مقام ، بعد أن اتحد الجيش المصرى والشامى ، فقرروا العودة الى فلسطين فى يناير ١١٦٩ م /٥٦٤ هـ (١٢٤) وبذا أصبح المصريون والسوريون يدا واحدة (١٢٥) ٠

وبعد ذلك قرر أسد الدين التخلص من شاور لأنه سبب فساد العباد والبلاد (١٢٦) وقد قام بمهمة التخلص منـــه ابن أخيه صلاح الدين وعز الدين جرديك (١٢٧) ، وكان ذلك فى ١٧ ربيع الآخر ٥٦٤ هـــ (١٢٨) ويـرى البعض ان قتـــله كان بأمر الخليفـــة العاضد ٠ (١٢٩) على أية حال تولى أسد الدين شيركوه الوزارة ، ولقب بالملك المنصور أمير الجيوش (١٣٠) ثم توفى فى ٢٢ جمادى الآخرة ٥٦٤ هـ/ ٢٣ مارس ١١٦٩ (١٣١) ، فعين الخليفة العاضد مكانه أقرب الأمراء النورية اليه ، وهو صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر ، وهو عندئذ ابن واحد وثلاثين عام (١٣٢) ، وكان نور الدين يكاتبه بالأمير الاسفهسلار ، اذ أنه يستعظم أن يذكر اسم صلاح الدين على الخطاب (١٣٣) ٠

وهكذا بدأ الوضع السياسى فى مصر يستقر الى حد ما ، فأرسل صلاح الدين الى نور الدين يطلب منه أن يرسل اليه والده سـنة ٥٦٥ هـ/١١٧٠ م ، فاســـتجاب نـور الدين له (١٣٤) ٠

وبدأ صلاح الدين يقوم بأعمال عسكرية ضد الصليبيين لا تقل أهمية عن أعمال نور الدين بالشام ، فحاول الملك عمورى كسب ود صلاح الدين ضد نور الدين ، الا أنه فشل (١٣٥) وهاجم صلاح الدين « أيله » برا وبحرا وفتحها فى سنة ٥٦٦ هـ /١١٧١ م ٠ كما هاجم الصليبيين فى عسقلان والرملة (١٣٦) ٠ وكذلك صد الحملة البيزنطيـــة الصـــليبية ، البحرية والبـرية على مصر ودمياط (١٣٧) ٠ فضلا عن أنه قضى على كثير من المؤامرات فى الداخل (١٣٨) ٠

وبالرغم من هذه الأعمال التى كان يقوم بها صلاح الدين فى مصر ، فان الخليفـة الفاطمى طلب من نور الدين أن يخفف من الجيش الشـامى بمصر ، الا أن نور الدين رد عليه بأن وجوده ربما يكون خطوة على طريق فتح القدس (١٣٩) ٠

هذا وقد كانت الجهود الحربية تقوم فى الشام ومصر على قدم وساق بالاضافة الى جهود صلاح الدين فى مصر كان نور الدين يتابع فتوحاته فى الشام (١٤٠) ٠

وقد رأى نور الدين ، أن وحدة الشرق الاسلامى سياسيا ، لابد أن يسبقه وحدة مذهبية ، ومن ثم أرسـل الى صلاح الدين بمصر ، ليقطع الخطبة للخليفة الفاطمى الشيعى ، ويقيمها للخليفة العباسى السنى ، لكن صلاح الدين ، طلب من نور الدين تأجيل هذه الخطوة (١٤١) ، وبدأ يمهد لها بحذف عبارات الشيعة من الأذان ، سنة ٥٦٦ هـ/١١٧١ م (١٤٢) ٠ ثم اتبع ذلك بالخطبة لبنى العباس فى الجمعة الأولى من المحرم لسنة ٥٦٧ هـ سبتمبر ١١٧١ م ، وتوفى الخليفة العاضد يوم عاشوراء ٥٦٧ هـ / ١١٧١ ، وبذا انتهت الدولة الفاطمية (١٤٣) ٠

وأرسل نور الدين الى الخليفة العباسى بذلك (١٤٤)، ورد الأخير بارساله الخلع والتقاليد لنور الدين وصلاح الدين (١٤٥) وكان لهذا العمل رد فعل على الصليبيين اذ أرسلوا الى المانيا وانجلترا وفرنسا وصقلية يستغيثون بهم (١٤٦) .

وبانتهاء الخلافة الفاطمية فى مصر أصبح صلاح الدين هو السيد فيها . الا أن نور الدين شك فى ولاء صلاح الدين ، فخشى أن يستقل بمصر ، لما ظهر من مواقف لصلاح الدين ، اعتبرها نور الدين مناوئة له (١٤٧) ، وعزم على دخول مصر ، وأخذها من صلاح الدين ، الا أن الأخير كتب اليه يطمئنه (١٤٨) وترتب على ذلك ان أرسل نور الدين « ابن القيسرانى » (١٤٩) الى صلاح الدين ، ليطالبه بحساب ما حصل عليه صلاح الدين من مصر عقب موت الخليفة الفاطمى ، وبالرغم من أن هذا أغضب صلاح الدين الا انه نفذها (١٥٠) ، واتجه الى تطهير الجبهة الداخلية من المناوئين له (١٥١) .

لكن الذى لا شك فيه ، أن الشكوك التى ساورت الجانبين (١٥٢) (نور الدين وصلاح الدين) كانت يمكن أن تكون عقبة كؤودا فى سبيل الوحدة ، ولكن وفاة نور الدين فى ١١ شوال ٥٦٩ هـ / ١٥ مايو ١١٧٤ م (١٥٣) جعلت صلاح الدين سيدا بلا منازع فى مصر والشام .

صلاح الدين والوحدة الاسلامية :

رأى صلاح الدين أن الجهاد يتطلب توحيد التركمان والأكراد والعرب ، وان وحدة القاهرة ، ودمشق وبغداد هامة فى اعادة القدس (١٥٤) .

وبدأ بنفسه فى ذلك ، اذ أظهر طاعته للصالح اسماعيل ابن نور الدين ، كما يتضح ذلك من كتاباته الى الأمراء بالشام (١٥٥) لكن بعض الأمراء فى دمشق كانوا يفضلوا مصالحة الصليبيين ، على حضور صلاح الدين اليهم (١٥٦) ، وفى كل الأحوال فان صلاح الدين عزم على دخول بلاد الشام ، لكن الذى منعه عن ذلك تلك المؤامرة التى اشترك فيها الصليبيون ، والحشيشية والاسماعيلية ، ووليم النورمانى ، وعناصر داخلية أخرى (١٥٧) .

لكن الظروف فى بلاد الشام دفعت أمراء دمشق الى الاستغاثة بصلاح الدين ليولوه عليهم ، فاستجاب لهم وجرد قوة قوامها سبعمائة فارس ، توجه بها الى دمشق فى آخر ربيع الأول ٥٧٠ هـ/٢٦ نوفمبر ١١٧٤ م ، ـ تاركا فى مصر أخاه العادل سيف الدين ـ حيث لاقاه أهلها بترحاب ، ونزل فى دار والده المعروفة بدار العقيقى (١٥٨) وخطب للصالح اسماعيل ، وضرب له السكة وأظهر طاعته (١٥٩) . ثم ترك فى دمشق أخاه طغتكين بن أيوب ، وتوجه الى حماه (١٦٠) فملكها وحاصر حلب واستولى على حمص وبعلبك فى عام ٥٧٠ هـ/١١٧٥ م (١٦١) .

لكن سيف الدين غازى صاحب الموصل ، وقف ضد صلاح الدين فى بلاد الشام وجهز جيشا لمهاجمته ، وقد عرض صلاح الدين عليه الصلح حقنا للدماء ، الا أن سيف الدين رفض ، وصمم على عودة صلاح الدين الى مصر (١٦٢) لكن صلاح الدين انتصر عليه عند قرون حماه سنة ٥٧٠ هـ/١١٧٥ م (١٦٣) ، واتبع ذلك بقطع الخطبة للصالح اسماعيل ورجع الى دمشق فى نهاية ٥٧٠ هـ / ١١٧٥ م (١٦٤) ، واعترف به الخليفة العباسى سلطانا على مصر والشام (١٦٥) وأرسل اليه الخلع (١٦٦) .

انتصر صلاح الدين مرة أخرى على سيف الدين غازى عند تل السلطان ، فى شوال ٥٧١ هـ /١١٧٦ م (١٦٧) • كما هاجم الصليبيين والباطنية ، فى يولية ١١٧٦ م/٥٧٢ هـ (١٦٨) ثم تحرك الى القاهرة ليدافع عنها فى نفس العام عندما علم بأن هناك حملة تتجه الى مصر (١٦٩) ، ثم تحرك من مصر سنة ٥٧٣ هـ/١١٧٧ م ، الى الشام ، وترك بعض جنوده لمحاصرة عسقلان ، وقصد هو القدس ، الا أن الجيش الصليبى انقض عليه جنوب شرق الرملة فهزم صلاح الدين بجيشه فى جمادى الآخرة ٥٧٣ هـ/ نوفمبر ١١٧٧ م (١٧٠)• ثم رجع الى مصر ليعيد تنظيم جيشه لمنازلة الصليبيين ، ويعود ثانية الى بلاد الشام فى شعبان ٥٧٣ هـ / ١١٧٨ م (١٧١) ، وأغار فى سنة ٥٧٤ هـ/١١٧٨ م على حصـن بيت الأحزان (١٧٢) وهزم الصليبيين فى مرج العيون ، وطلب منهم هدم حصن بيت الأحزان ، الا أنهم رفضوا الا اذا دفع تكاليفه ، فاستشار ابن أخيه المظفر عمر بحماه فى ذلك فاشار عليه بمحاربتهم (١٧٣) ، وفى ١٩ ربيع الأول ٥٧٥ هـ / يونيـة ١١٧٩ ، هاجم صـلاح الدين الحصن وخربه (١٧٤) •

أما فيما يخص موقف صلاح الدين من السلاجقة والأرمن ، فانه أقر الوضع السياسى مع السلطان قلج أرسلان بعد محاربته ، سـنة ٥٧٥ هـ /١١٧٩ م (١٧٥) وهاجم حصن « ابن ليون » الأرمنى ، ترتب على ذلك ان عقد « ابن ليون » صلحا مع الشرقيين بأسرهم فى جمـادى الأول سـنة ٥٧٦ هـ / ١١٨٠ م ، ودخل فى الصلح المواصلة والسلاجقة وأهل ديـار بكر (١٧٦) ، ثم توجه صلاح الدين الى مصر (١٧٧) فأخذ نصف جيشها (١٧٨) ورجع الى بلاد الشام ، ٥٧٧ هـ فاستولى على بلاد الجزيرة (١٧٩) ، وعقد مجلسا من أمراء الأراتقه ورسل السلطان قلج أرسلان وسيف الدين اتابك الموصل و « روبين » صاحب أرمينية ، وعقد صلحا مع الصليبيين

ابتدأ مع سنة ١١٨٠ م /٥٧٦ هـ ، وهدنة منفردة مع « ريموند » كونت طرابلس (١٨٠) •

ثم رجع صلاح الدين الى مصر سنة ٥٧٧ هـ (١٨١) ، وسمع عن اعتداءات رينـالد « أرناط » صاحـب الكرك على القوافل الاسلامية (١٨٢) ، فقرر الخروج من مصر ، وخاصة عندما علم بوفاة الصالح اسماعيل فى ديسمبر ١١٨١ م/رجب ٥٧٧ هـ (١٨٣) ففضل أن يكون فى دمشق بين الأمراء (١٨٤) ، فوصلها فى صفر ٥٧٨ هـ/ يونية ١١٨٢ م (١٨٥) •

وهكذا استمر صلاح الدين فى تحقيق سياسة نور الدين محمود (١٨٦) ومن قبله عماد الدين زنكى الرامية الى الوحدة ، وقد ساعدته ، الظروف على ذلك ـ كما رأينا ـ اذ لم يكن يجلس على تخت الوزارة فى مصر حتى مات الخليفة الفاطمى العاضد ، ولم يكد يفكر نور الدين فى نقله من مصر ، حتى توفى وما كادت غارات الصليبيين تشتد ويقوى عودهم • حتى مات ملكهم عمـورى الأول ، وبذا أصبح صلاح الدين سلطان مصر والشام (١٨٧) •

ومما يجدر ذكره أن السلطان صلاح الدين فى الفترة السابقة هذه لم يشـأ أن يدخل فى حرب شاملة مع الصليبيين ، ذلك لأن بنيان الوحدة لم يكتمل بعد ، فضلا عن أن هناك امارات اسلامية ، لم تكن قد خضعت بعد لسلطانه ، فى ذات الوقت الذى كانت فيه الامبراطورية الرومانية المقدسة فى دور من أدوار صراعهـا مع البابوية ولم تستقر العلاقة بينهما بعد • ومن ثم فقد سعى الشرق الاسلامى والبابوية والامبراطورية الى الوصول الى حل بالوسائل السلمية للصليبيين بالشرق وعليه فقد تبادل الطرفان الرسائل فى هذا الشأن •

صدى وحدت الشرق الاسلامى على الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية

لا شك أن الأعمال التى قام بها صلاح الدين الأيوبى فى مصر والشام قد أزعجت الصليبيين بالشرق ، كما أقلقت بال البابوية فى روما وأيضا الامبراطورية الرومانية المقدسة ، مما دفعهم الى الاستعانة بالطرق الدبلوماسية فى محاولات منهم لحل المشاكل التى تخص المملكة الصليبية ببيت المقدس .

ومما يجدر الاشارة اليه أن المصادر العربية المعاصرة وغير المعاصرة التى أمكن الاطلاع عليها ، لم تذكر شيئا من هذه المحاولات الدبلوماسية ، فى حين نجد المصادر اللاتينية ، تبرز هذه الاتصالات الدبلوماسية ، ومحاولات الامبراطورية الرومانية المقدسة والبابوية فى هذا الشأن .

وعلى أية حال عندما رجع الامبراطور كنراد الثالث من الحملة الصليبية الثانية الى ألمانيا فوجدها فى حالات من الفوضى ، فأيد حقوق ابن أخيه فردريك دوق سوابيا فى العرش الامبراطورى (١٨٨) وفى ١٥ فبراير ١١٥٢ م مات كنراد الثالث (١٨٩) .

الامبراطور فردريك الأول وعلاقته بالبابوية :

تغاضى الأمراء فى ألمانيا عمدا عن ابن الامبراطور كنراد الثالث وتحولوا الى اختيار ابن أخيه فردريك دوق سوابيا ، إذ أن الأمراء كانوا يدركون تماما أن البديل لذلك هو الوقوع تحت سطوة زعيم البيت الولفى ، الشخصية القومية الصارمة ، هنرى الأسد ، يضاف الى ذلك ان الأمراء رأوا فى فردريك شخصية قد توقف نزيف الحرب الأهلية ، والصراعات الداخلية ، فقد كان فردريك ودودا مع الولفيين . كما ان أمه « جوديث » Judith

كانت أخت « هنرى المتكبر » (١٩٠) ، ومن ثم فقد اختير فردريك امبراطورا فى ٤ مارس ١١٥٢م، اذ هو رأس بيت «هوهنشتاوفن» Hahenshtufen وابن عم البيت « الولفى » Wlf وهنرى الأسد دوق سكسونيا وبافاريا (١٩١) ومن هنا توج فردريك الأول امبراطورا (١٩٢) وفى اليوم التالى لتتويجه سافر بالسفينة من « ماين » و « الرين » بعيدا عن « سيزانج » Sinzing ثم الى أكس لاشابل ، وفى ٩ مارس ١١٥٢ م ، توج بواسطة ارنولد Arnold رئيس أساقفة فى « كولون » Cologne ، وكان فردريك فى العقد الرابع من عمره (١٩٣) . وأصبح بذلك فردريك الأول Frederick I امبراطورا على الامبراطورية الرومانية المقدسة (١٩٤) ، وبعد أن وضع يده على زمام الأمور فى الامبراطورية ، عقد معاهدة مع البابا « ايوجنيوس الثالث Eugenius III سنة ١١٥٣ م ، التى تعهد فيها بمساعدة البابوية ضد أعدائها (١٩٥) .

هذا وقد تلقى فردريك الأول التاج من البابا « هادريان الرابع Adrian IV » (١١٥٤ ـ ١١٥٩ م) فى ١٨ يونيه ١١٥٦ م واعلن نفسه امبراطورا ايطاليا بقوله « أنا خليفة شارلمان والفاتح، أنا ملك روما شرعا » (١٩٦) ثم طلبت منه البابوية فى هذه السنة مساعدتها ضد المدن اللمباردية ، الا أن الظروف فى ألمانيا كانت تستدعى وجوده بها ، لذلك رجع اليها وتخلى عن مساعدة البابوية ومن هنا بدأ الشقاق بين الامبراطورية والبابوية ، وبالتحديد فى نهاية سنة ١١٥٦ (١٩٧) مما دفع البابوية لعقد اتفاق مع بيزنطة . وبذا اشتد التوتر بين البابا هادريان الرابع والامبراطور فردريك الأول (١٩٨) وبالرغم من هذا فقد حثت البابوية الامبراطور فردريك الأول فى رسالتها اليه بتاريخ الثانى من سبتمبر عام ١١٥٧ م بضرورة توجيه الجهود ضد المصريين ، وتحرير الكنيسة الشرقية البيزنطية (١٩٩) .

وفى سنة ١١٥٨ م ، تدخل الامبراطور فردريك الأول فى ايطاليا ، بسبب النزاع بين المدن اللمباردية (٢٠٠) وعقد فى نوفمبر من نفس العام مؤتمرا فى « رونساجليا » Roncaglia وقد أعلن فيه فردريك الأول حقوقه بشأن تعيين الحكام الامبراطوريين فى المدن اللمباردية (٢٠١) ٠

وعلى كل فان البابا هادريان الرابع توفى فى أول سبتمبر عام ١١٥٩ م وتولى البابا اسكندر الثالث Alexander III (١١٥٩ ـ ١١٨١ م) والذى وقف ضد الامبراطور فردريك الأول (٢٠٢) فترتب على ذلك أن عين الأخير بابا جديدا ، تحت اسم « فيكتور الرابع » Victor IV ، ويرجع بعض المعاصرين سبب هذا الانشقاق الى ذنوبهم التى ارتكبوها « فناصر الامبراطور فردريك البابا فيكتور الرابع » (٢٠٣) الا أن البابا الامبراطورى عام ١١٥٩ م وتولى البابا اسكندر الثالث Paschal III وهاجم فردريك من جديد المدن اللمباردية ، حتى سقطت فى يده سنة ١١٦٧ م ، وفراسكندر الثالث (٢٠٤) ثم عاد الامبراطور مرة أخرى الى ألمانيا فى سنة ١١٦٨ م ، ورجع ثانية الى ايطاليا سنة ١١٧٤ م ، وهزم هذه المرة سنة ١١٧٦ م ، فى موقعة « ليجانو » Legnano ، وقد صرح الامبراطور قائلا « اسكندر المحظوظ ، لن يرى ايطاليا ، أنا سعيد ان اتقدم الى آسيا » (٢٠٥) وبعد أن أدرك فردريك الأول انه لابد من ضرورة تدارك الموقف ، وخاصة عندما لم يجد طائلا من عدائه للبابوية ، فقد عقد النية على مفاوضة البابا اسكندر الثالث ، ووقف الى جانب البابا ، وأعلن الوفاق معه (٢٠٦) وقد أرسل الامبراطور سفاره الى البابا فى « أناجنى » Anagni لمناقشة بنود اتفاقية سلام ، ثم اتفقوا بعد ذلك على بنود وأدخلت البندقية Venice فى معاهدة الصلح (٢٠٧) وتمت المقابلة فى٢٤ يوليه سنة ١١٧٧م٠ فىالمدينة الأخيرة(٢٠٨)٠

وعقدت معاهدة تمهيدية فى « أناجنى » بين اسكندر الثالث وفردريك الأول ، ودخل فيها الامبراطور وأولاده ، وتعهدوا بالمحافظة على السلام مع البابا اسكندر الثالث ، وحماية ممتلكاتهم، وان يعيد الامبراطور الى البابا التحكم فى الطقوس ، وتعهد البابا بصدور قرار الحرمان ضد من يخالف هذا الاتفاق ، وتعهد الطرفان باستمراره ، بعد وفاة أى منهما (٢٠٩) ويذكر بعض المؤرخين انه كان من نتيجة ذلك، أن فقدت الامبراطورية الرومانية المقدسة نفوذها فى ايطاليا ، مما مهد للانفصال بين ألمانيا وايطاليا (٢١٠) ٠ هذا وقد عقد المجلس اللايترانى فى سنة ١١٧٩ م ، واحتفل بعودة وحدة الكنيسة (٢١١) ، ولكن البابا اسكندر الثالث مات فى ٣٠ أغسطس ١١٨١ م ، وتم تعيين البابا « ليكوس الثالث » Lucius III (١١٨١ ـ ١١٨٥ م) الذى عقد معه الامبراطور فردريك الأول صلح كونستانس فى ٢٥ يناير عام ١١٨٣ م ، ودخل فى الصلح كل من الامبراطور والبابا والمدن اللمبارية ، كما اعترف البابا بالسيادة الامبراطورية على ايطاليا (٢١٢) ٠

ومما يجدر ذكره أن هذه الفترة ومنذ تولى البابا ليكيوس الثالث اعتبرت فترة وفاق ، اذ أن كلا من الامبراطور والبابا قد تعاونا سويا فى سياستهما تجاه الشرق الاسلامى ، وسعيا سويا الى اتخاذ الطرق الدبلوماسية مع صلاح الدين والعادل الأيوبى بشأن حل المشاكل الصليبية بالشرق ٠

كانت البابوية حريصة على سلامة الصليبيين المقيمين فى الشرق الاسلامى لذلك كانت ترسل الخطابات الى صلاح الدين بشأن الرأفة فى معاملة الصليبيين بالشرق ، كما أن صلاح الدين كان حريصا على أن يبلغ الامبراطور فردريك الأول (١١٥٢ ـ

١١٩٠ م) امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسه ، بمجريات الأمور السياسـية فى الشرق ، وأيضا ابلاغه بمراسـلات البابوية بخصوص الصليبيين ، فقد أرسل صلاح الدين رسالة الى فردريك الأول فى منتصف ابريل ١١٨٢ م / ذى الحجة ٥٧٧ هـ ، يقول له فيها انه أحسن استقبال المندوب البابوى «البيريكوس جانسيوم» Albericum Jonuensem كما يذكر انه أكرمه ، وهو يعيده الى البابوية (٢١٣) • بصحبة مندوبه أبو طاهر (٢١٤) •

هذا وفى نفس الوقت الذى كان فيه صلاح الدين يسعى من أجل الصلح ، كان يتجه الى ضم بقية الامارات الاسلامية اليه ، اذ أنه استطاع عام ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، أن يضم اليه حصن آمد وتل خالد ، كما سلمت اليه حلب ، وأرسل الى العادل طالبا منه أن يحضر من مصر ليملكه حلب نظرا لأهميتها (٢١٥) •

وقبل أن يغـادر العـادل مصر أستقبل رسـالة من البابا « لوكيوس الثالث » (١١٨١ ـ ١١٨٥ م) Lucio III من يـد المندوب البابوى « جان داندولوس ماتا » • Jani Danduli Mata وأهم ما فى هذه الرسالة أن البابا يعرض على العادل فك أسرى الصليبيين ، الا أن العادل ، كتب الى البابا ردا فى ٣١ مارس ١١٨٣ م / ٥٧٨ هـ استفتحه بعبارات الود والمجاملة اذ قال « الى أعز صديق فى المسيحية جمعاء ، الى لوكيوس Lucio » (٢١٦)، ثم ذكر العادل انه أكرم مندوبه وبعد ذلك تطرق الى مناقشـة الموضوع الرئيسى الذى جاء من أجله المنـدوب البـابوى ، وهو ما يخص الأسرى الصليبيين •

ويغلب على الظن أن البـابوية قد أرسلت الى الصليبيين ، بضرورة عقد معاهدة مع السلطان صلاح الدين ، كما حثتهم على

أهمية تبادل الأسرى من المسلمين والدليل على ذلك قول العادل فى الرد على الرسالة البابوية « وقد فهمنا من رسالتكم ان المسيحية جمعاء تطيعكم ولن يستطيع أحد أن يخالف لكم امرا وان ما تقرره ينفذ على جميعهم » (٢١٧) لكن العادل لم يكن يقطع امرا الا بعد عرضه ومناقشته مع أخيه السلطان صلاح الدين وخاصة ، فى مثل هذا الموضوع ـ موضوع الأسرى ـ ويذكر العادل له « واذ علمت برغبتكم فعلى ان أعرض الأمر على أخينا الملك المنتصر المظفر الحافظ لوعوده ومصدر العدالة صلاح الدين سيد الشريعة التى تحكم الشرقيين Sarracenorum المسلمين) ، وذلك لكى أدرس رغبتكم وأعمل على تنفيذها » (٢١٨) ومن المعروف ليس بوسع العادل أن يبت فى أمر الأسرى حال وصول الرسول البابوى دون الرجوع الى صلاح الدين ، الذى كان يهاجم الصليبيين فى الشام بالاضافة الى جهوده فى القضاء على الأمراء المنشقين بالجزيرة ، والموصل ، كما ان العادل لم ينس أن يذكر للبابا أن صلاح الدين تخضع له شعوب كثيرة وكان البابا قد ذكر له مثل هذا ـ ولم يكن لأحد مثل هذا السلطان قبل صلاح الدين « وفاق كل سلف فى هذا المضمار » (٢١٩) •

على أن العادل فى بقية الرسالة يذكر أنه عرض مطالب البابا بشأن تبادل الأسرى على صلاح الدين ، الا أن الأخير اشترط لذلك شرطين :

أولهما : أن يفك أسرى الصليبين بشرط أن يخضعوا لأوامر البابا الخاصة باقامة السـلام •

ثانيهما : اخلاء أسرى المسلمين الذين تحت أيديهم .

وقد أضاف العادل وعندئذ يمكن أن يحل السلام بين الجميع • وفى ختام الرسالة يذكر العادل أنه فى حالة عدم اطاعة الصليبيين لأوامر البابوية بخصوص السلام ، فان ما سيحدث بعد ذلك ، يكون

السلطان غير مسئول عنه ، أى اذا حدث هجوم على الصليبيين يكون ذلك هو الطريق الوحيد من أجل السلام ، اذ يذكر العادل « أما اذا خالفكم الصليبيون ولم يطيعوا اوامركم فنحن أبرياء من أى اجراء نقوم به معهم لاحلال العدل ، وليعط الله كل منا حسب أعماله » (٢٢٠) ٠

ومن الملاحظ على سياسة البابوية فى هذه الحقبة أنها لم تكن تكتفى بارسال خطابات الى العادل بشأن الأسرى فحسب ولكنها كانت ترسل أيضا الى صلاح الدين لتفاوضه فى مثل هذا الموضوع ، لذلك نجد رد صلاح الدين الى البابا والمؤرخ بعام ١١٨٣ م ، ومنه يفهم أن البابا أرسل الى صلاح الدين رسالة ، وهى أغلب الظن ـ بعد الرسالة التى أرسلها البابا الى العادل مع مندوبه « جان دانتولوماتا » والتى سبق ذكرها ، وفى بداية الرد يمجد صلاح الدين البابا ، ويستعمل معه الأسلوب الدبلوماسى فى كتابة الخطابات السياسية لحل المشاكل ، فهو يعظمه، ويعلمه أن كل الصليبيين بالشرق يخضعون له ويتبعونه ، ومن هذا المنطلق ، فهو اذا توصل الى شىء مع البابا فعلى البابا أن يبذل قصارى جهده لمساعدته فى تنفيذه وخاصة فيما يخص الوجود الصليبى بالشرق ، فيقول صلاح الدين « ونعلم أيضا أن جميع المسيحيين يخضعون لكم مطيعين وأنهم يتبعونكم » (٢٢١) ٠

ثم يؤكد صلاح الدين للبابا أنه إستلم رسالته التى أرسلها مع المندوب البابوى « اوليفريوس فيتاليس » Oliveris Vitalis وقد أكرمه ، على قدر شرف البابوية ، ووقارها الكبيرين ، كما استقبله ورحب به أيما ترحيب ، ومهما يكن من أمر فان البابوية ، كانت ترسل المندوب برسالتين ، رسالة خطية ، وأخرى شفوية ، وأغلب الظن ان الرسالة الشفوية يغلب عليها السرية ، اذ يخشى

البابا أن يكتبها ، وربما لا تصل الى المرسل اليه ، اذ يقول صلاح الدين « ولقد استمعنا بعناية الى كل ما قاله من قبلكم » (٢٢٢) ٠ ويذكر صلاح الدين أنه أعجب بكل ما جاء فى الرسالة البابوية التى تلقاها فى شغف وروح طيبة ، وهذا يدل على مدى اهتمام صلاح الدين بموضوع تبادل الأسرى ، كما يذكر له أن الصداقة وطيدة جدا مشيرا بذلك قوله « تأكدنا من عظم الصداقة التى تربط بيننا » (٢٢٣) كما أن صلاح الدين فى رده على البابا يذكر له انه قد انبهج جدا عندما حدثه المندوب البابوى عن السلام مع جميع الصليبيين ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فانه يبدى غبطته وسروره بالفكرة التى عرضها المندوب بشأن تبادل الأسرى بين الصليبيين والمسلمين ٠

وهنا تظهر عبقرية ودبلوماسية صلاح الدين فى مناقشاته موضوع تبادل الأسرى اذ أنه يعلم البابا أن الأسرى الموجودين طرفه من الصليبيين ، كلهم رجال من النبلاء وفى مستوى عال ورفيع ، أما الجنود المسلمين والذين فى الأسر تحت يد الصليبيين، فانهم من العامة ، ويهدف صلاح الدين من ذلك أن الأسير الصليبى يقابله الكثير من الأسرى المسلمين عند تبادل الأسرى ، كما يريد بهذه العبارة بأن يثير اهتمام البابا بأمر الأسرى ، لكى يسترد نبلاء الصليبيين المأسورين فى نفس الوقت الذى يعيد فيه صلاح الدين العدد الكثير من أسرى المسلمين ، ولا يمكن القول بأى حال من الأحوال أن صلاح الدين بهذا يقلل من قدر الجنود المسلمين المأسورين لدى الصليبيين ، ولكنه أسلوب دبلوماسى لكى يدفعهم الى تبادل الأسرى ، ويظهر لهم فى النهاية انه غير مهتم بموضوع الأسرى حتى تلح البابوية عليه ٠

كما أن صلاح الدين يترك أمر تبادل الأسرى باختيارهم وهذا أبلغ على أنه غير مهتم من ناحيته ، الأمر الذى يترتب عليه أن يتحرك البابا بنفسه ويتابع الموضوع ليصل الى حل ، فيذكر

صلاح الدين ». فان طاب لكم ليقدر كل طرف اسرى الطرف الآخر وان الطرف الذى لديه أسرى أقل قيمة يعوض الفرق للطرف الآخر » (٢٢٤) .

وأيا كان أمر رسالة صلاح الدين الخطية الى البابا ، فقد أرسل مع المندوب البابوى رسالة شفوية غير مكتوبة وسرية للغاية ، اذ أنه يخشى أن يكتب فى مثل هذه الأمور السرية خشية أن لا تصل الى البابا ، ولا شك أن الرسالة الشفوية هامة جدا — ربما تكون بشأن القدس أو غير ذلك من الأمور التى يجب أن تحوطها السرية التامة ، لذلك فهو يذكر للبابا أن كل ما يقوله المندوب أوليفريوس Oliveri Vitalis له فهو على لسان صلاح الدين وبمحض ارادته « ولقد أودعنا أوليفريوس مندوبكم الأمور الباقية الأكثر سرية ، اذ وثقنا فيه وتأكدنا فى حسن نواياه واستعداده بشأنها ولذا يمكنكم اعتبار أن ما يقوله لكم هو عن لساننا وملء ارادتنا » (٢٢٥) .

ومهما كان من أمر هذه الرسالة التى من صلاح الدين الى فردريك الأول أو من البابوية الى العادل أو من البابوية الى صلاح الدين أو من العادل وصلاح الدين الى البابوية ، فان هناك بعض التساؤلات التى تطرح نفسها وهى، لماذا أرسل صلاح الدين رسائل الى فردريك الأول بالذات دون غيره من أباطرة الغرب الأوربى ! أو لماذا أيضا أرسلت البابوية رسائل الى العادل الأيوبى ؟ وهى تعلم أن السلطان بالشرق هو صلاح الدين ، ثم لماذا ترسلها له فى مصر بالذات دون بلاد الشام ؟ بالاضافة الى أن البابوية لم تكتف بالرسائل الى العادل ولكنها أرسلت أيضا الى صلاح الدين ، ثم أخيرا لماذا تضمنت المصادر العربية المعاصرة وغير المعاصرة عن ذكر هذه المراسلات ؟ .

فى الحقيقة أن صلاح الدين ، قد لجأ الى المراسلات مع فردريك الأول امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة دون أباطرة الغرب الأوربى وذلك لهدفين :

الهدف الأول : لكى يحيط فردريك الأول علما بمجريات السياسة بالشرق، وبذلك يكسب ود فردريك له، لأن صلاح الدين يعلم أنه يعد أقوى أباطرة الغرب الأوربى بالاضافة الى أنه يخشى أن يقوم فردريك بالهجوم على صلاح الدين ، وخاصة وقد أرسل الصليبيون بالشرق ، منذ أصبح صلاح الدين سلطانا ، يستغيثون بالمانيا ، ومن ثم اتبع صلاح الدين هذا الأسلوب الدبلوماسى مع فردريك الأول لكى يأمن جانبه .

أما الهدف الثانى : فصلاح الدين يود أن يخبر فردريك بمجريات السياسة حتى لا يدس أنفه فى أمور الشرق ، وأراد أن يوضح له أن البابوية تحمل المشكلة على أعناقها وبذلك يأمن جانبه أيضا .

أما عن سبب ارسال البابوية خطاباتها الى العادل الأيوبى بمصر فلأنها تسعى الى حل مشكلة الأسرى التى تعتبرها فى مقدمة مشاكل الصليبيين بالشرق ، وتعرف أن العادل الرجل الثانى فى الدولة الأيوبية ، وأن بوسعه أن ينهى مثل هذه الأمور لكن ارسالها هذه الرسالة الى مصر بالذات دون بلاد الشام ، أغلب الظن ان البابوية تعتبر أن بلاد الشام ليست تابعة لمصر وأن مركز القيادة الرئيسى هو مصر اذ منها بدأ صلاح الدين الوحدة ، وقد أدرك الصليبيون ذلك ، لذلك تفضل ارسال خطاباتها على مصر . وبطبيعة الحال لم تكتف البابوية بقصر الرسائل على العادل الأيوبى وحده ولكنها أرسلت أيضا الى صلاح الدين ، خصوصا بعد أن عرفت ان العادل

ناقش موضوع الأسرى مع أخيه صلاح الدين ، لذلك أرسلت الى صلاح الدين ، الذى بيده الحل والعقد الذى استعمل الدبلوماسية الفائقة فى مناقشة هذا الموضوع ٠

ومما سبق يمكن القول بان هناك علاقات دبلوماسية بين صلاح الدين الأيوبى سلطان الدولة الأيوبية ، وبين فردريك الأول امبراطور الامبراطورية المقدسة ، بالاضافة الى أن هناك علاقات ودية قوية بين البابوية من جهة وصلاح الدين والعادل الأيوبى من جهة أخرى ٠ وواضح من ود العادل وصلاح الدين على البابوية أنه كان ردا دبلوماسيا وواحدا واسلوبا متفقا عليه مما يدل على أن السياسة فى الشرق الاسلامى ، واحده ولا خلاف عليها بين الأخوين ٠ علاوة على هذا وذاك ، فان هناك علاقات بين البابوات السابقين والسلطان صلاح الدين الأيوبى ٠ اذ أن البابا لوكيوس الثالث يصر على الاستمرار فى سياسة سلفه اسكندر الثالث (١١٥٩ ـ ١١٨١ م) والخاصة بالعلاقات السياسية مع المسلمين فى الشرق ، وقد لجأت البابوية الى هذا الأسلوب بعد أن أصبح واضحا لها أن الحملات الصليبية لاتجدى بالاضافة الى ازدياد قوة المسلمين بالشرق تحت زعامة صلاح الدين ٠ الذى أدرك أن المفاوضات مع الغرب لاطائل منها ، فقرر قتالهم ، وبدأ يعد لذلك ٠

ومما يجدر ذكره أن المصادر لم تذكر جنسية حملة الرسائل التى كانت متبادلة بين البابوية والامبراطورية من جهة وبين صلاح الدين من جهة ثانية والأغلب الظن أنهم من التجار الذين كانوا يقومون بالتجارة بين مصر والمدن الايطالية (جنوه ـ بيزه ـ البندقية) ٠ كما يلاحظ أن هناك مصادر غربية معاصرة لصلاح الدين لم تذكر شيئا عن هذه المراسلات ، فى حين تذكره المصادر اللاتينية ولهذا تفسيران :

أولا : ربما يكون قد امتنعت عن تسجيله بناء على رغبة صلاح الدين حتى لا يؤلب المسلمين ضده ، وخاصة بالعلاقات مع البابوية والامبراطورية اللذان وراء التحرك الصليبى ٠

ثانيا : ربما لم تعرف المصادر عن هذه المراسلات شيئا بالمرة ٠ وعلى أية حال فان عدم ذكر المصادر العربية هذه المراسلات لا ينفى وجودها أما عن ذكر المصادر اللاتينية لهذه المراسلات فهو فى صالح البابوية لأنها تريد أن تجعل العالم المسيحى يدرك اهتمامها بحل مشاكل الصليبيين وهى الذراع المحرك لكل ما يجرى بالشرق الصليبى بصفتها الأب الروحى لهم ، اذ أن السياسة لا تعرف الصداقة والود ، ولكنها تعرف المصالح ٠

ويمكن القول بأن السلطان صلاح الدين ، قد ادرك ، أن المفاوضات مع البابوية أو الامبراطورية لن تأت بطائل ، وأن استرداد الأراضى المقدسة لن يتم الا بقوة جيش الشرق الاسلامى، فى نفس الوقت الذى بدأ يكثف جهوده لاستكمال الوحدة الاسلامية ، والتى كادت أن تكلل بالنجاح بعد أن يستولى على حلب والموصل ٠

الوضع السياسى فى بلاد الشام قبيل الحملة الألمانية :

استطاع صلاح الدين أن يستولى على بعض الامارات التابعة للزنكيين ، مثل سنجار وحلب (٢٢٦) فى صفر ٥٧٩ هـ / يونيه ١١٨٣ م ، حتى لا تستعين أى منها بالصليبيين ضده ، ورجع الى دمشق فى أغسطس ١١٨٣ م (٢٢٧) ٠ غير أن تسليم حلب للمسلمين ، كان ضربة قوية للصليبيين ، لأنها أكدت الروابط الاستراتيجية العسكرية بين محور مصر وسوريا ، وأصبحت الممتلكات الصليبية بالشام محصورة داخل هذا المحور (٢٢٨) ٠

لقد سبق القول بأن رينالدى شاتيون « أرناط » قد قام بالهجوم على قوافل المسلمين ببلاد الشام فى سنة ١١٨٠ م / ٥٧٥ ـ ٥٧٦ هـ ، وفى سنة ١١٨٢ م / ٥٧٧ ـ ٥٧٨ هـ قام بأسطول فى البحر الأحمر واستولى على أيله ، مما دفع العادل الأيوبى نائب السلطان بمصر ، اذ كان السلطان صلاح الدين وقتها بالشام ، بالهجوم على أرناط بأسطول كان قد أعده لذلك ، ولا شك ان عمل أرناط هذا أغضب صلاح الدين (٢٢٩) مما جعله يفكر فى محاصرة الكرك ، ففى سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ٠ أرسل الى العادل بمصر يطلب منه أن يقابله بقوات على الكرك لفتحها ، وبذا تجمعت مع السلطان القوات الأيوبية (٢٣٠) الا أنه علم بأن القوات الصليبية فى طريقها الى الكرك لذلك ترك السلطان الكرك الى حين ليكمل استعداداته وتجهيزاته ، ومن ثم رفع الحصار عنها فى ديسمبر ١١٨٣ م / ٥٧٩ هـ (٢٣١) ٠

ولما كان الكرك يمثل قلقا بالنسبة لصلاح الدين ، فلقد عاود الحصار عليه بقوات حلب ومصر والشام ، والجزيرة فى صيف ١١٨٤ م / ربيع الآخر ٥٨٠ هـ ، الا أن الكرك استعصت عليه لتحصيناتها القوية ، لذلك فضل صلاح الدين الاقلاع عنها أيضا تاركا سرية صغيرة تهاجم الجليل ، كما هاجم نابلس ، ورجع الى دمشق (٢٣٢) ٠

ولما كان من الأهمية بمكان وجود العادل بجانب صلاح الدين وخاصة فى هذه المرحلة فقد عينه على حلب ، بعد أن استدعاه من مصر وأرسل الى الأخيرة ابن أخيه المظفر نائبا عنه فيها (٢٣٣) ٠

ومهما يكن من أمر هذه الترتيبات وكذلك الامارات الاسلامية بالشام فان هناك خطوة أمام صلاح الدين لابد أن يقدم عليها ، اذ ظلت الموصل خارجة عن نطاق الوحدة ، لذلك بدأ التحرك

للسيطرة عليها ، وخاصة بعد أن وصله رسول قليج ارسلان على سبيل التهديد فى ربيع الاول ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ـ وكان السلطان فى رأس العين ـ فأخبره « بأن ملوك الشرق بأسرهم اتفقت كلمتهم على قصد السلطان ان لم يرجع عن الموصل وماردين » (٢٣٤) ٠

اذ أن عز الدين صاحب الموصل (١١٧٦ ـ ١١٩٢ م / ٥٧٢ ـ ٥٨٩ هـ) أرسل الى سلطان سلاجقة قونيه والى شاه أرمن لمساندته ، لذلك توجه صلاح الدين الى حصار الموصل ، ورفض كل عروض للصلح (٢٣٥) ، ولما وجد صعوبة فى الاستيلاء عليها تركها واستولى على « ميافارقين » وهو فى طريقه من الموصل الى خلاط ، فى جمادى الأولى ٥٨١ هـ / ١١٨٥ (٢٣٦) ٠

ومما لا شك فيه أن خطوات صلاح الدين هذه فى سبيل الوحدة السياسية ، قد أزعجت الصليبيين ، والدليل على ذلك عقدهم هدنة مع صلاح الدين مدتها أربع سنوات تبدأ بسنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٥ م (٢٣٧) ٠ اذ أن وضعهم أصبح سيئا جدا ، لا سيما بعد وفاة ملكهم بلدوين الرابع فى مارس ١١٨٥ م ، فى الرابعة والعشرين من عمره (٢٣٨) كذلك مات بلدوين الخامس فى التاسعة من عمره ، وتوجت ايزابيلا أخت بلدوين الرابع كملكة على بيت المقدس (٢٣٩) ٠ هذا كله دفع بطريرك أورشليم أن يرسل رسالة الى فردريك الأول فى أول يونيه ١١٨٥ م يشرح له فيها الوضع السياسى بالشرق ، ويحثه على نجدة أورشليم بأسرع ما يمكن (٢٤٠) ، لادراكه أنه أقوى ملوك أوربا ، ويمكن أن يستجيب لهذه الدعوة ٠

ومما زاد من وضع صلاح الدين السياسى قوة ، توصيله الى صلح مع المواصلة فى سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م ، بشرط أن يساعد

عز الدين مسعود صاحب الموصل ، صلاح الدين اذ ندبه لقتال الصليبيين ، كما سيضرب السكة باسم صلاح الدين ، ويخطب له (٢٤١) .

هذا وقد جلس السلطان صلاح الدين فى دمشق مع أخيه العادل الذى استدعى من حلب سنة ٥٨٢ هـ /١١٨٦ / ١١٨٧ م ، لمناقشة الأمور السياسية الخاصة بالسلطنة ، وقد انتهى الاجتماع فى جمادى الآخرة ٥٨٢ هـ باعادة العادل الى مصر مع ابن صلاح الدين (العزيز عثمان) ، وأخرج من مصر ولده الأفضل وأقطعه دمشق (٢٤٢) ، على أن هذه الخطوة أراد بها صلاح الدين أن يوطد أولاده وأخوته فى الأماكن المناسبة ، ومن ثم وزعها توزيعا يتفق مع قدرة كل منهم على تحمل المسئولية حتى يتفرغ للمرحلة المقبلة .

وصفوة القول أن السلطنة الأيوبية الاسلامية بالشرق أصبحت من النيل الى الفرات وأصبح الخليفة فى بغداد يرسل له الخلع (٢٤٣)، أما البلاد الواقعة على نهر دجلة الى الجنوب من الموصل ، والتى تشمل أربل وشهر زور ، فأصبحت بحوزة أمرء من قبل صلاح الدين ، ويدنيون له مباشرة بالولاء (٢٤٤) .

ويمكن القول أن ما ساعد على تماسك الجبهة الاسلامية ، تماسكا ما حدث فى تصدع فى الجبهة الصليبية اذ استوى « جاى دى لوزيجنان » Gauy de Lesugnan على العرش مما جعل ريموند Reymond كونت طرابلس لا يعترف به (٢٤٥) ، ومما زاد من غضب الأخير أن جاى لوزجنان طالب ريموند بحساب الأموال مدة وصايته على الصبى بالمملكة الصليبية ، مما ترتب عليه فى النهاية ، أن لجأ ريموند الى صلاح الدين ليساعده ضد الصليبيين ،

كما أنه أدخل زوجته صاحبة طبرية فى الاتفاقية ، بالاضافة الى أن صلاح الدين أطلق أسرى ريموند ، وهذا ـ كما يذكر البعض من أسباب هزيمة صلاح الدين للصليبيين (٢٤٦) ، وعلاوة على هذا فان بوهيمند الثالث أمير أنطاكية قد جدد الصلح مع صلاح الدين (٢٤٧)، وهذا بلاشك قد قوى الجبهة الاسلامية .

لقد سبق القول بأن الصليبيين عقدوا معاهدة مع صلاح الدين سنة ١١٨٥ / ٥٨٠ هـ ، ولمدة أربع سنوات ، لكن سرعان ما نقض الصليبيون هذه الهدنة (٢٥٨) ، اذ زادت هجمات رينالد دى شاتيون (أرناط) على القوافل الاسلامية المتجهة من مصر الى الشام والعكس وخاصة ما قام به أرناط أخيرا فى أواخر سنة ١١٨٦ م / ٥٨٢ هـ ، من هجومه على قافلة مصرية فى طريقها من القاهرة الى دمشق (٢٤٩) الا أن صلاح الدين كان حريصا على عدم نقض الاتفاقية ، لذلك أرسل الى « أرناط » لكى يرد الأسرى ويدفع تعويضا عما سببه من خسائر بالقافلة المصرية ، الا أنه رفض ، مما جعل رسل صلاح الدين يطلب من الملك جاى ببيت المقدس ليتدخل ليردع أرناط ، ـ الا أن جاى لم يستطع أن ينفذ طلبات صلاح الدين على أرناط (٢٥٠) وهكذا أصبح الجو ملبدا بالغيوم ينتظر هبوب الرياح .

ومهما يكن من أمر الهجمات الخاطفة التى اتبعها أرناط على القوافل الاسلامية بالشرق ، فان صلاح الدين كان بامكانه ، أن يرد بالمثل على هذه الهجمات ، الا أنه كان يؤمن بحنكته السياسية بأمرين هامين : الأول : أنه لا جدوى من الاغارات الخاطفة بعد أن تأزم الموقف بهذه الصورة ، والثانى : كان يضع فى اعتباره ضرورة القيام بهجوم اسلامى شامل على الوجود الصليبى بالشرق وباسترداد بيت المقدس ، وخاصة بعد أن أكمل الوحدة .

ومن هذا المنطلق أرسل صلاح الدين في سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م ، الى جميع البلاد الاسلامية يحث الناس على الجهاد ، وخرج من دمشق أول المحرم وتوجه الى « رأس الماء » وترك ولده « الافضل على » يقود القوات الشامية ، وتوجه الى بصرى ، وهاجم الكرك وخاصة عندما علم بأن أرناط سيهاجم قافلة الحج (٢٥١) ، وقد قام بقطع أشجار الكرك والشوبك في نفس الوقت الذى خرج الأسطول المصرى بقيادة الحاجب حسـام الدين لؤلؤ ، ليتجه الى الاسكندرية خشية هجوم صليبي بحرى ، بالاضافة الى قيام العادل في أوائل المحرم من القاهرة الى الكرك لكى يشترك مع السلطان في التأمين على قافلة الحج والمشاركة في الهجوم الاسـلامى على الكرك (٢٥٢) ٠

وهكذا يمكن القول ـ بعـد وضـع كل هذه التحركات الاسلاميـة في الاعتبار ـ بأنه كانت هناك خطة سياسية شاملة وكبيرة بالشرق الاسلامى ، عمادها الهجوم الشامل على الصليبيين، ولاكمال هذه الخطة فقد أرسل صلاح الدين الى الملك المظفر في حلب بضرورة عقد صـلح مـع الصليبيين ، ليأمن جانبهـم ، وحتى لا يحارب في أكثر من جبهة ، وذلك في ربيع الأول سـنة ٥٨٣ هـ / يونيه ١١٨٧ م (٢٥٣) ٠ كذلك أرسل صلاح الدين ابنه الأفضل على بفرقة للاغارة على عكا (٢٥٤) ٠ ثم توجه صلاح الدين الى طبرية بعد مناقشة خطط السير مع الأمراء في نهاية ربيع الآخر ٥٨٣ هـ واستولى على طبرية ما عدا القلعة (٢٥٥) ٠

وفي الجانب الآخر اجتمع الصليبيون ، واستدعى جاى لوزجنان الموالين له وتوجه ناحية الشمال لاخضاع الجليل قبل الدخول في حرب مع المسلمين ، وناقشوا ضرورة فسخ ريموند عهده مع صـلاح الدين في الوقت الذى كانت فيـه رسـل صـلاح الدين تقوم بجولة استطلاعية في فلسطين عابرة أرض

ريموند ، الا أن ريموند اقتنع أخيرا بضرورة انضمامه الى الجبهة الصليبية وخاصة بعد أن أقنعه « باليان » رئيس الأساقفة عقب كارثة الصليبيين بهزيمتهم في « عيون كريسون » (٢٥٦) ، التى قتل فيها فرسان الداوية ، وقد نجا منها جندى ألمانى من جنود الداوية ويدعى « جاكلين دى ميلين » Jakeline de Maille (٢٥٧) ٠

على أية حال قرر الصليبيون نهائيـا التحرك لمواجهة جيش صلاح الدين (٢٥٨) ويذكر بعض المؤرخين ، أنه في نهـاية يونيه عام ١١٨٧ م كان جيش جاى لوزجنان يقدر بحوالى ١٢٠٠ ألف ومائتى فارس ، ١٥٫٠٠٠ خمسة عشر ألف جندى أمام عكا (٢٥٩) كما أن الجيش الاسلامى وتكتيكاته الحربية والأجناس التى اشتركت فيه لم تكن خافية على الصليبيين المعاصرين ، اذ يذكر بعضهم « الرجال باختلاف وتنوع أممهم ومللهم ٠٠ من البارثيين والبـدو والعـرب والميديين ، والمصريين وا Parthians, Bedouins, Arabs, Medes, Egyptians and Cardians وقد نهضـوا على هـدف واحد هو « الأرض المقدسة » (٢٦٠) ٠

على أن استيلاء صلاح الدين على طبرية (٢٦١) ، ومهاجمته اياها ، مناورة عسـكرية كان من ورائهـا أن يترك الصليبيون مكانهم ، ويقابلوه ، وقد عزم الصليبيون على التقدم من صفورية لملاقاة صلاح الدين بجيشه (٢٦٢) ويذكر بعض المؤرخين ان سير الصليبيين قد أرهقهم كما حرمهم المسلمون من المياه ، وأشعلوا النيران في المناطق المجاورة لجيشهم ، بالاضافة الى حرارة الجو في الصيف ، واذا وضع كل هذا في الاعتبار ، أمكن تكوين فكرة عامة عن الوضع السيىء الذى أضحى فيه الصليبيون في الوقت الذى كان الجيش الاسـلامى في أحسن حال ، وفي يـوم السبت ٤ يوليو ١١٨٧ م / ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ ، كان اللقاء الفصل في قرون

حطين ، الملك الصليبى جاى ومعه ١٥٠ من النبلاء (٢٦٣) ومعهم صليب الصلبوت (٢٦٤) . على أن المعركة بدأت بهجوم ريموند كونت طرابلس على المسلمين ففتحوا له الطريق ، وفر مهزوما ، وسقط صليب الصلبوت فى يد المسلمين ، وهذا يعتبر عندهم من أكبر الهزائم (٢٦٥) كما سقطت خيمة ملكهم .

وباجماع المؤرخين المسلمين والغربيين المعاصرين وغير المعاصرين ، ان النتيجة النهائية للقاء بين المسلمين بقيادة صلاح الدين وبين الصليبيين بقيادة جاى لوزجنان ، فى حطين كانت فى جانب المسلمين ، وقتل عدد كثير من الصليبيين وأسر اكثرهم وفر بعضهم ، وكان على رأس الأسرى الصليبيين ، الملك جاى نفسه ملك بيت المقدس (٢٦٦) واخوة بالاضافة الى البرنس أرناط صاحب الكرك ، كما أسر صاحب جبيل وابن هنفرى ومقدم الداوية وجماعة من الاسبتارية (٢٦٧) الذين سيقوا الى خدمه صلاح الدين .

ويذكر بعض المؤرخين أن الجيش المصرى هو الذى هزم الصليبيين فى حطين (٢٦٨) واذا كان هذا صحيحا فبماذا نفسر ارسال صلاح الدين رسلة الى الأمراء فى الشرق الاسلامى لحثهم على الجهاد ، وقد استجابوا الى هذه النداءات ، واشتركوا بالفعل فى حطين ، وساهموا فى النصر على الصليبيين (٢٦٩) .

ومهما يكن من أمر حطين ، وما أصاب الصليبيين فيها ، فان الذى لاشك فيه أن الصليبيين خسروا فى هذه المعركة الكثير ، وليس أدل على ذلك من قول البعض « فأنا نفسى فى اجتيازى فى حقل هذه الحرب بعد سنة واحدة من حدوثها شاهدت عظام موتاهم أكواما ، وفى جهات أخرى من الحقل رأيت الجثث اليابسة عن اللحام مبددة فى كل ناحية ، هذا ما عدا تلك الجثث والعظام التى سحبتها الوحوش والحيوانات » (٢٧٠) .

ويوضح ذلك أيضا بعض المعاصرين الصليبيين فيقول :

« لقد ذبح الكثير وجرح الكثير ، وزج بالكثير فى السجون ، وأن هزيمة شعبنا استحق الرحمة حتى من أعدائه ولم يحدث شيء يستحق الرثاء فى كل العصور القديمة حتى ولا أسر تابوت الرب ، ولا ملوك جودا ، لا يمكن أن يقارن ذلك بكارثة أزماننا التي أسر فيها الملك والصليب المقدس معا » (٢٧١) .

وبعد أن انتهت المعركة جلس صلاح الدين فى السرادق الذى أعد لاستقبال الأسرى ، فقتل أرناط الذى هدد مكة والمدينة ، وأعتدى على قوافل المسلمين كما أن ريموند صاحب طرابلس والذى فر من المعركة قد مات كمدا مما حدث للصليبيين فى حطين (٢٧٢) .

وبعد أن فرغ صلاح الدين من أمر المعركة ، بدأ يستغل الفرص من كل الاتجاهات وهذه لا تتوافر الا لكل قائد عظيم (٢٧٣) فأخذ يوجه جهوده ناحية فتح المملكة الصليبية ، ففتح طبرية ، ثم توجه الى عكا فى نهاية ربيع الآخر ٥٨٣ هـ / يوليه ١١٨٧ م (٢٧٤) اذ وصلتها قوات صليبية بقيادة « مارجريت Margaritus بمساعدة ملك صقلية « وليم » Willimus وكانت معه سفن مزودة بالعتاد والرجال الأشداء . وذلك لنجدة الصليبيين ، وحاصر المنافذ البحرية حول عكا حتى لا يستطيع المسلمون المقيمون فى عكا والقدس الخروج ، وقد تصدت قوات مرجريت ، بالفعل للامدادات التى حاول المسلمون توصيلها الى الأهالى داخل المدينة (٢٧٦) .

كما توجهت عساكر صلاح الدين الى بلاد الساحل فاستولت على نابلس وحيفا وقيسارية وصفورية والناصرة ، وخرج العادل من مصر فاستولى على حصن « مجدل يابا » ومدينة يافا (٢٧٧)

ومدن أخرى كبيرة وقلاع عظيمة تزيد عن خمسين قلعة ، وفي نهاية جمادى الأولى في نفس العام استولى على صيدا وبيروت ثم توجه صلاح الدين الى عسقلان ، فتسلمها مقابل اطلاق سراح ملك الصليبيين (٢٧٨) ومقدم الداوية ، في نهاية جمادى الآخرة ٥٨٣ هـ / سبتمبر ١١٨٧ (٢٧٩) ، كما تسلم أصحاب السلطان غزه وبيت جبريل ، وبيت الجليل والنطرون بغير قتال (٢٨٠) .

وخلال كل هذه الفتوحات ، وقع كثير من الصليبيين سواء قوات برية أو بحرية أسرى في يد المسلمين مثل رجال البحرية الصليبية في عكا بعد استيلاء صلاح الدين عليها ، اذ أنهم لم يكن قد عرفوا بعد هزيمة الصليبيين ، وقد جاء آنذاك الماركيز كونراد مونتفرات ، من القسطنطينية الى صور ، فسمع عما حدث للصليبيين ، لذا بدأ يهادن صلاح الدين ويتظاهر له بالطاعة حتى ينقذ من الأسر (٢٨١) .

وعلى أية حال فان اتجاه صلاح الدين الى المدن الساحلية بعد حطين هو في حد ذاته خطة سليمة لها هدفان : أولهما : انه أراد ان يحرم الصليبيين من المدد البحرى الذى يصلهم من غرب أوربا . وثانيهما : أنه باستيلائه على المدن الساحلية سيسهل عليه الاتصال البحرى — السريع بين شطرى دولته (٢٨٢) .

ومهما يكن من أمر الفتوحات الاسلامية بالساحل ، فقد رأى صلاح الدين أن الوقت قد حان للتوجه الى بيت المقدس ، وكان به الصليبيون الفارون من معركة حطين، وعندما اقترب صلاح الدين من المدينة في الأحد ١٥ رجب ٥٨٣ هـ ، أرسلوا اليه الرسل في التفاوض (٢٨٣) ، فأخبرهم صلاح الدين أن القدس هي بيت الله ،

وأظهر لهم أنه لا يريد اراقة الدماء ، وطلب منهم ترك أسوارها ، الا أن الرسل رفضوا ، وردوا عليه بقولهم بأنها مدينة « توفى فيها ابن الاهنا » الا أن صلاح الدين أقسم لهم بتحطيم أسوارها والثأر للمسلمين لما فعله بهم « جودفرى دى بوايون » في الحملة الأولى (٢٨٤) .

وهكذا رجع الرسل الى بيت المقدس ، وقام الصليبيون بتجهيز قوات للدفاع عن المدينة بقيادة باليان وقد تحرك صلاح الدين من شرق المدينة الى شمالها بعد أن حدثت مناوشات بينه وبين الصليبيين بها ، وفتح له مكان من الجانب الشمالي الشرقي من بوابة القديس ستيفن (٢٨٥) ، بعد تسعة أيام من الحصار ، فتحه له المهندسون المصريون (٢٨٦) . ولما رأى أهل مدينة القدس شدة القتال ، خرجوا الى صلاح الدين في ٢٠ رجب عام ٥٨٣ هـ / نهاية سبتمبر ١١٨٧ م ، طالبين التسليم الا أن صلاح الدين رفض ، وصمم على أن يتخذ اسلوب جودفرى (٢٨٧) في حملته الأولى ، لكن باليان القائد العسكرى بالمدينة أرسل الى صلاح الدين خطابا يتضمن السياسة التى سيتخذها باليان في المدينة ان لم يستجب صلاح الدين الى الصلح ، أما أهم ما تضمنه خطاب باليان فهو انه سيهدم مسجد عمرو والصخرة ، وسيقتل أسرى المسلمين الموجودين لديهم ، وفي النهاية سيتخلص من أهل الصليبيين ثم يخرج لقتاله (٢٨٨) ولكن صلاح الدين استشار أصحابه ، فوافقوا على الأمان بشرط أن يخرج أهل المدينة بدون أى شيء ، ويدفع الرجل عشرة دنانير غنيا كان أو فقيرا وتدفع المرأة خمسا وكل طفل دينارين (٢٨٩) ، وقد حرر العقد من نسختين ، ووقع عليها الطرفان ، وعلى هذه الصورة دخل صلاح الدين بيت المقدس في ٢ أكتوبر ١١٨٧ م / ٢٧ من رجب ٥٨٣ هـ ، وخرج المحاربون الصليبيون من القدس الى صور والى

طرابلس (٢٩٠) ، على ثـلاث مراحـــل ، على مدة أربعين يوما ، المرحلة الأولى بقيادة قائد المعبد والثانية بقيادة قائد الاسبتارية ، والثالثة بقيادة البطريرك وباليان أف ابلين (٢٩١) ٠

هذا وقد كان هنـاك بعض الصليبيين رفضوا الخروج من المدينة مثل « روبرت كودر » Robert of Coudre ، الذى كان مع جودفرى منـذ الفتـح وآخـر كان يســمى « فولك فيول » Fulk Fiole ، فقد ولد فى بيت المقدس منذ الحملة الأولى ، وهذان كانا من أقدم الناس ورفضا الخروج وطلبــا من صلاح الدين أن يتركهما يقيمان فى المدينة بقية حياتهما (٢٩٢) ٠

وهكذا استولى صلاح الدين على بيت المقدس ، بعد أن بقى فى يد الصليبيين ثمانى وثمانين سنة (٢٩٣) ، وأصبحت صور وطرابلس وأنطاكية خارجة عن سلطاته (٢٩٤) وتكشف المصــادر والمراجع الغربية عن معاملته الطيبة لأسرى الصليبيين (٢٩٥) اذ أنه أطلق سراح خمسة عشر ألف أسير وكانت هذه منه لمحة كرم (٢٩٦) ، وقد سمح للمسيحيين الشرقيين الأصليين بالاقامة فى المدينة (٢٩٧) كما أجـاز لليهـود أن يعودوا الى السكنى فى بيت المقدس بشرط أن لا يكون المسيحيون أو اليهود مسلحين (٢٩٨) ٠

وبهذا أوضح لنا أن هنـاك فرقا بين معاملة صـلاح الدين للصليبيين عند استرداده بيت المقدس ١١٧٨ م وبين معاملة الصليبيين للمسلمين عند سلبهم بيت المقدس فى سنة ١٠٩٩ م (٢٩٩) ٠

وكان أمام صـلاح الدين أن يكمل القضـاء على الوجـود الصليبى ببلاد الشام فاتجه بعد فتح القدس بشهر لحصار صور التى امتلأت بالصليبيين الذين يتزعمهم الماركيز مونتفرات ، كما

حاصرها الأسطول المصرى من ناحية البحر ، ولما استعصت عليه اتخذ طريقه الى عكا (٣٠٠) ، بعد هزيمة الأسطول المصرى أمام صور (٣٠١) ثم استطاع صلاح الدين أن يفتح هونين (٣٠٢) ٠

وكذلك تم لصلاح الدين الاستـيلاء على البـلاد الشمالية : جبله واللاذقية وصهيون ، وسرمانية ، وحصن برزيه ، ودربساك وبغراس وغيرهم (٣٠٣) ٠

وصـفوة القول أنه لم تنتـه سنة ١١٨٩ م ، حتى لم يبق للصليبيين فى مملكة بيت المقدس سوى مدينة طرابلس ، وفى شمال المملكة سوى أنطاكية ، ومدينة صور وبعض المراكز الأخرى الثانوية (٣٠٤) ، ومن الأهمية بمكان القول بأن الصراع الصليبى الاسلامى فى الشرق وخاصة بعد معركة حطين حتى ١١٨٩ ، كان قاصرا على الوجود الصليبى فى الشرق ، ان استثنينا الامدادات الصغيرة التى كانت تصل من أوربا الى شواطىء بلاد الشام (٣٠٥) ٠

وهكذا استطاع الشرق الاسلامى بسياسته الجديدة أن يغير وجهة نظر الغرب الأوربى تجاهه ، وكان واضحا أن هذه السياسة كانت تسعى دائمـا وأبدا الى ضرورة وجود وحده سياسـية واحدة متماسكة الأطراف موحدة الأهداف ، حتى تضع حدا للاتجاهات السياسية فى أوربا الغربية ، وليس أدل على ذلك من ان البابوية والامبراطورية الرومانية المقدسة ، بدأت بالفعـل – تبـدل من سياستها تجاه الشرق الاسلامى اذ أنهما اتخذا كما سبق تفصيله من الطرق الدبلوماسية ما يحل مشاكل الصليبيين بالشرق ٠ وبعد أن فشلت تلك المحاولات ، لم يجد السلطان صلاح الدين أمامه سوى طريق القتال لاسترداد بيت المقدس ٠ وهو ما حدث بالفعل٠

وقد نتج عن الوحدة الاسلامية هزيمة الصليبيين فى حطين ، هذه الهزيمة التى أدت الى اضعاف الوجود الصليبى بالشرق ، وبلا شك كان من الأسباب التى حركت البابوية والامبراطورية المقدسة لكى تنقذ وترمم ما بقى من البنيان الصليبى بالشرق فأخذت تدعو البابوية من جديد لشن حرب جديدة ضد المسلمين بالشرق ، ومن الذين استجابوا لهذه الدعوة الامبراطور فردريك الأول امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة فضلا عن غيره ملوك وأباطرة أوربا .

الهوامش

(١) عبد القادر اليوسف : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٢) ول ديورانت : المرجع السابق ، والجزء ، ص ٣١ .

وايضا حامد غانم زيان : الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٢٠ .

(٣) Cam. Med. Hist., Vol., 5, p. 353.

وانظر حسن حبشى : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٤) ج — م — هسى : المرجع السابق ، هامش ، ص ١٨٨ .

(٥) هـ ديفز : أوربا العصور الوسطى ، ترجمة : عبد الحميد حمدى محمود ، ط ١ ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ١٩٣ .

(٦) أسد رستم : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٧) اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص ١٨١ .

(٨) انظر : أرنست باركر : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

وايضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ .

(٩) Antheny (S.c.) : The Crusades, Exeter, 1966, p. 44.

وانظر سيد على الحريرى : الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ، ط ١ مصر ١٨٩٩ ، ص ٦٤ .

(١٠) Setton (K.M.) : Op. Cit., Vol. 1., p. 481.
Cf : Duggan (A.) : Op. Cit., p. 109.

(١١) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ ص ٥٩٧ ، حوادث ٥٤٢ هـ .

(١٢) ج — م — هسى : المرجع السابق ، حاشية المترجم ، ص ١١٨ .

(١٣) Ostrogorsky (G.) : History of Byzantine State, Trans from German by Jean Hussey Oxford, 1956, p. 338.

وانظر : اسد رستم : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

وايضا : عبد القادر اليوسف : المرجع السابق ص ١١٦ .

(١٤) عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، الاسكندرية ١٩٦٧ م ، ص ٤٧ .

(١٥) Octrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339.

(١٦) اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٨٨ .

(١٧) Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339.
Cf : Duggan (A.) Op. cit., p. 111.

وانظر : عبد القادر اليوسف : المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(١٨) اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٨٩ – ١٩٠ .

(١٩) زبيده محمد عطا : الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ، ماجستير غير منشوره ، القاهرة ، ١٩٦٨ م – ص ٦٣ .

(٢٠) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة فيليب صابر يوسف الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٢ م ، ص ٥٩ .

(٢١) Dugan (A.) : Op. Cit., p. 112.

وانظر : ابن القلانس : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .

(٢٢) ج. م. هسى : المرجع السابق ، حاشية المترجم ، ص ١٨٨ .

وانظر محمد كرد على : خطط الشام ، جـ ٢ ، ص ١٩ .

(٢٣) اسحق عبيد : روما وبيزنطه ، ص ١٩٠ – ١٩١ .

(٢٤) ستيفين ريسمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢١ .

وانظر : اسحق عبيد : المرجع السابق ، ص ١٩١
Cf : Anthony (S.C.) : Op. Cit., p. 441.

(٢٥) اسحق عبيد : نفس المرجع ، ص ١٩٣ ، وانظر : سيد الحريرى : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٢٦) Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339.

وانظر أسد رستم : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٢٧) اسحق عبيد : روما وبيزنطة ، ص ١٩٢ .

(٢٨) Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339.

وانظر زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

وايضا اسد رستم : المرجع السابق والصفحة .

(٢٩) اسحق عبيد : المرجع السابق ١٩٢ ، وانظر : سيد الحريرى : المرجع السابق ص ٦٦ .

(٣٠) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .
Cf : Duggan (A.) : Op. Cit., p. 113.

(٣١) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ، وانظر : اسحق عبيد . المرجع السابق ، ص ١٩٢ . Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 339

وايضا : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .
Cf : Hulme (E.M.) : The Middle Ages, New York, 1929, 1938, p. 486.

وانظر عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٣٢) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، وانظر اسحق عبيد : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٣٣) اقسوس : بلد بثغور طرسوس ، يقال انها بلد أصحاب الكهف . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٣١ .

(٣٤) Archer (T.A.) : Op. Cit., p. 215.

وايضا ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ .

وكذلك : عبد القادر اليوسف : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

وانظر : اسحق عبيد : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣٥) William of Tyre : A history of Deeds Dome Beyone The Sea Trans and Annalated by Eimily Atwatey Babcock, Vol. 2., New York, 1943, p. 181.

وايضا : ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ، وايضا أبو شامة ، الروضتين ، جـ ١ ، بيروت ١٨٧١ م ، ص ٥٢ .

(٣٦) William of Tyre : Op. Cit., p. 181.

(٣٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦١٥ .
Cf : Archer (T.A.) : Op. Cit., p. 217.

وانظر ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٤٥٤ .

(٣٨) Archer (T.A.) : Op. Cit., p. 217.
Cf : Duggan (A.) : Op. Cit., p. 118.

وانظر ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .

(٣٩) Duggan (A.) : Op. Cit., p. 118.

(٤٠) ابن القلانسى : نفس المصدر ، ص ٢٩٨ .

وانظر أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

وايضا أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ط أولى القاهرة ١٣٢٥هـ ، ص ٢٠ .

(٤١) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .
Cf : Duggan (A.) : Op. Cit., pp. 118-119.
وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٢٣ – ٢٢٤ .

(٤٢) Arcner (T.A.) : Op. Cit., p. 218.
وانظر أبو الفدا : المصدر السابق ، والجزء ، ص ٢٠ .

(٤٣) محمود ياسين الحموى : دمشق فى العصر الأيوبى ، دمشق ١٩٤٦ ص ١٢ .

(٤٤) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ، وابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٢٤ .
وأيضا أبو شامه : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٢ .

(٤٥) الأمير شمس الدين ناصح الاسلام هو من بيت له شأن فى الأدب والشرف والفضل ، أخوه ضياء نقيب العلويين ببغداد ، وابن عمه نقيب خراسان ، وأقام بدمتشق بعض الوقت ، وعاد الى بغداد بجواب وصل فيه يوم الأربعاء الحادى عشر من رجب سنة ٥٤٣ هـ ، انظر ابن القلانسى : نفس المصدر السابق ، ص ٣٠١ .

(٤٦) نفس المصدر والصفحة .

(٤٧) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٧٥ .

(٤٨) ستيفن رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ .

(٤٩) ستيفن رنسيمان : نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٤٥٧ .
Cf : Duggan (A.) : Op. cit., pp. 118-119 F.

(٥٠) ج – هسى : المرجع السابق ، ص ١١٨ ، انظر اسحق عبيد : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .

(٥١) Duggan (A.) : Op. Cit., p. 119.
وأيضا : ستيفن رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٨ – ٤٥٩ .
وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦١٩ .

(٥٢) حسنين ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢١ .

(٥٣) ستيفن رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٧٤ ، ص ٤٥٩ .
وانظر : حامد زيان : الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة ص ٢١ .

(٥٤) ديفز : أوربا فى العصور الوسطى ، ترجمه عبد الحميد حمدى ، ص ١٩٧ .

(٥٥) ارتاج : اسم حصن عظيم من أعمال حلب . انظر ياقوت الحموى . معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٤٠ – ١٤١ بيروت ١٩٨٤ م .

(٥٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١١ ، ص ٥٠ ، حوادث سنة سنة ٥٤٢ هـ .
وأيضا أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ١٩ ، حوادث ٥٤٢ هـ .
كفرلاثا : بلد فى سفح جبل عامله من نواحى حلب بينهما يوم واحد ، انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ .

(٥٧) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ٢٢٥ ، حوادث ٥٤٤ هـ .

(٥٨) سنجار : مدينة فى نواحى الجزيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وهى فى لحف جبال عال ، وسطها نهر جار ، انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٦٢ .

(٥٩) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٢٦ ، حوادث ٥٤٤ هـ .

(٦٠) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، حوادث ٥٤٥ هـ .
افاميه : مدينة حصينة من سواحل الشام ، وكوره من كور حمص ، انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢٢٧ .

(٦١) تل باشر : قلعة حصينة وكوره واسعة فى شمالى حلب ، بينها وبين حلب يومان .
انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

(٦٢) عين تاب : قلعة حصينة ورستاق بين حلب وانطاكيه وكانت تعرف بدلوك ، وهى الآن من أعمال حلب . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .

(٦٣) تل خالد : قلعة من نواحى حلب . انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(٦٤) قورس « قورش » مدينة اثرية بها آثار قديمة وكوره من نواحى حلب وهى الآن خراب وبها آثار باقية . انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤١٧ .

(٦٥) برج الرصاص : قلعة لها رساتيق من أعمال حلب ، قرب انطاكية ، انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٧٣ ·

(٦٦) دلوك : بلدة من نواحى حلب بالعواصم · انظر : ياقوت الحموى . معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٦١ ·

(٦٧) مرعش : مدينة فى الثغور بين الشـــام وبلاد الروم · انظر ياقوت الحموى ، نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١٠٧ ·

(٦٨) ابن الأثير : نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ ، حوادث ٥٤٦ هـ ·

وأيضا : أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، حوادث ٥٤٦ هـ ·

وانظر : عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١١٢ ·

(٦٩) أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ، ج ١ ، ص ٧٢ ·

ولمزيد من التفاصيل عن أعمال نور الدين : انظر حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ·

(٧٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ج ٨ ، القسم الأول ، الهند ١٩٥١ م ، ص ٢١٥ وأيضا : مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، ج ١ ، صفحات ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ·

(٧١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٨٠ ـ ٨١ حوادث ٥٤٩ هـ ·

وأيضا أبو شامة ، المصدر السابق ، ج ١ ، صفحات ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ·
وأيضا سبط بن الجوزى : المصدر السابق والجزء والقسم ، ص ٢٢١ ·
وكذلك سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ ·

(٧٢) أبو شامة : المصدر السابق والجزء ، ص ٢٣٢ ·
وأيضا ابن كثير : المصدر السابق ، والجزء ، ص ٢٣٢ ·
وأيضا سبط بن الجوزى : المصدر السابق والجزء والقسم ، ص ٢٢١ ·
وكذلك عبد القـادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٢٣ ـ ١٢٤ ·

(٧٣) قد استخدم لفظ الشحنة للدلالة على موظف فى الدولة الاسلامية فى العصور الوسطى ، والشحنة لفظة عربية من شحن بمعنى ملأ ، وقد استخدمت لفظة الشحنة فى أول الأمر للدلالة على الرابطة من الخيـل فى البـلد لضبـط

أهله ، ثم استخدمت للدلالة على وظيفة ، وربما قيل للشحنة صاحب الشحنة ، وربما سميت الوظيفة نفسها خطأ شحنكية ·

وكان الشحنة بمثابة مندوب للحـاكم الأعلى يعين فى المدن التابعـة أو التى يفتحها ، أى أنه كان بمثابة حاكم عسكرى يمثل صاحب الحكومة المركزية سواء كان خليفة أو غير ذلك · وكان مهمته بطبيعة الحال مواثبة القوى الأخرى المعارضة ، ومنعها عن المدينة ويحافظ على الأمن ، ويتدخل فى تحصيل الضرائب والمكوس والأموال ليحصل على نصيب الحكومة المركزية منها ، وكان يرأس شرطة المدينة ، كما كان تحت يده عدد من الجند يتبعون العسكر العـام لا الجند المحلى ، وربما صار الشحنة والى المدينة وأميرها · انظر : حسن الباشـا : الفنـون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ، ج ٢ ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٢٣ ·

(٧٤) ويعرف ابن خلكان صلاح الدين وأسرته فيذكر : ان أباه وأهله من « دوين » وهى بلدة فى آخر عمل اذربيجان من جهة « آران » وبلاد « الكرج » وانهم أكراد ، رواديه ، والبطن من التهذانية ، وهذه قبيلة كبيرة من الأكراد ويذكر أيضا أن مولد أيوب والد صلاح الدين بقرية « أجدا نقان » وهى قريـة على باب « دوين » وقد أخذ شادى ولديه منها : أسد الدين شيركوه ونجم الدين أيوب ، وخرج بهما الى بغداد ، ومن هناك نزلوا تكريت ·

ويتفق المؤرخون على أن مولد صلاح الدين سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بتكريت ، ولما كان أبوه وعمه بها ، ويبدو أنهم لم يمكثوا بها بعد ولادة صلاح الدين الا فترة قصيرة وأن نجم الدين وأسد الدين لما خرجا من تكريت وصلا الى عماد الدين زنكى ، ولم يزل صلاح الدين تحت كنف أبيـه حتى ترعرع وكبر · انظر :

ابن خلكان : وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، ج ٦ ، ط ١ ، ١٩٤٨ م ، صفحات ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ·

ولقد كان صلاح الدين اكبر ابناء شادى ، كما يذكر البعض ، انظر :

أبو شامة : الروضتين فى اخبار الدولتين ، ج ١ ، ص ١٢٩ ·

(٧٥) ستيفن رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٥١ ؛

وأيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٤٦ ·

شيزر : قلعة تشتمل على كوره بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماه يوم وفى وسطها نهر الأردن عليه قنطرة فى وسط المدينة أول من جبل لبنـان تعد فى كورة حمص وهى قديمة · انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٨٣ ·

(٧٦) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٨١ _ ٨٤ وايضا ابو شامه : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠١ وايضا ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر ، ج ٥ بيروت ١٦٧٦ ، ص ٢٤٢ .

(٧٧) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٨٨ ، ٦٢ ، وايضا ابو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، وكذلك ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٣٦ .

(٧٨) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٠٣ .
وايضا ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥٦ .

(٧٦) عن أسباب المعاهدة بين نور الدين والامبراطور البيزنطى مانويل انظر زبيدة عطا : الشرق الاسلامي والدولة البيزنطية ، ماجستير غير منشورة القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٦٨ _ ٧٠ .
وانظر : ستيفن رنسيمان : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٧٢ _ ٥٧٣ .

(٨٠) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في الشرق ، المجلد الأول ، ترجمة مكسيموس مظلوم ، طبعة أورشليم ، ١٨٦٥ م ، ص ٦٥ _ ٦٦ .

(٨١) العادل بن السلار : هو أبو الحسن علي بن السلار ، المنعوت بالملك العادل سيف الدين ، وعرف بابن السلار ، وزير الظافر العبيدى ، صاحب مصر ، وكان كرديا « زرزاريا » وكان تربية القصر بالقاهرة ، وقتل يوم الخميس سادس المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة .
انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، المجلد ٣ ، ص ٤١٦ _ ٤١٨ .

(٨٢) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٥٤٣ .

(٨٣) ابن الميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، صححه هنرى ماسيه ، المعهد الفرنسى ١٩١٩ م ، ص ٩١ .

(٨٤) نفس المصدر ، ص ٩٢ .

(٨٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٧٧ ، وأيضا ، أبو الفدا المختصر ج ٣ ، ص ٢٧ .
وانظر ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٨٤ ، والمقريزى : خطط المقريزى ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٨٦) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨ .

(٨٧) طلائع بن رزيك : أبو الغارات طلائع بن رزيك ، الملقب الملك الصالح وزير مصر كان واليا ، بمنية بنى خصيب من أعمال مصر ، انظر :

ابن خلكان : وفيات الأعيان ، المجلد الثانى ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٩ ، ٥٢٦ .

(٨٨) المقريزى : خطط المقريزى ، ج ٢ ، ص ٣٦ _ ٣٧ .
وكذلك : عبد القادر اليوسفى ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ ولمزيد من التفاصيل .
وأيضا : ابن الوردى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٧ ، وسعيد عاشور . الايوبيون والمماليك طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ١٠ _ ١١ .

(٨٩) السويك : قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وايله والقلزم قرب الكرك .
انظر : ياقوت الحموى ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٠ .

(٩٠) ابن الميسر : أخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ٩٨ ، حوادث ٥٥٢ . ٥٥٣ هـ .

(٩١) أبو شامة ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١١٥ .

(٩٢) ابن الميسر : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٩٧ .
وأيضا ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥٤٥ .

(٩٣) شاور : هو ابن مجير الدين بن نزار بن عشائر بن شاس بن مغيث بن ذؤيب هو الحارث بن عبد الله بن شحنة بن جابر بن ناصر (وهو والد حليمة مرضعة الرسول صلعم) انظر : ابن أيبك الدواداری : كنز الدرر وجامع الغرر ، الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، ج ٧ ، تحقيق : سعيد عاشور سنة ١٩٧٢ ، القاهرة ، ص ١٨ _ ١٩ .

(٩٤) أطفيح : قرية جنوب القاهرة ، على الشاطىء الشرقى للنيل ، وتبعد عن القاهرة حوالى ٨٠ كيلو متر ، وفى قبلته موسى بن عمران ، فيه موضع قدمه ، وينسب اليه بعض العلماء : انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٢١٨ ، وأيضا : على مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٨ ، ص ٧٩ _ ٨٠ .

(٩٥) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٣٨ _ ٤٠ ، حوادث ٥٥٦ _ ٥٥٨ هـ وأيضا أبو شامة : نفس المصدر ج ١ ، ص ١٢٤ . وكذلك المقريزى . الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٧ ، وكذلك : ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٤٣ .
وأيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٦٠ _ ٦٦١ .
وانظر : سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١١ .

(٩٦) ضرغام : ابن عامر بن سوار الملقب فارس المسلمين اللخمى المنذرى - انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٧ ، ص ١٤٥ ٠

(٩٧) عبد القادر اليوسف : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ٠

(٩٨) أبو الفدا : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٠ ٠

(٩٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١١٩ ، حوادث ٥٥٨ هـ ٠

(١٠٠) ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوط ، ورقة ٥ ، بجامعة القاهرة ٠ Cf : Samil (R.C.) : The Crusaders in Syria and the Holy Land, London, 1973, pp 20 FF.

(١٠١) سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك ، ص ١٣ ٠

(١٠٢) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٠ ، وانظر : المقريزى : خطط المقريزى ، جـ ٢ ، ص ٣٧ ٠

(١٠٣) أبو الفدا : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤١ ٠

وأيضا ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٩٣ ٠

(١٠٤) بدر الدين العينى : السيف المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى تحقيق : فهيم شلتوت ، وراجعه محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ٦٦/١٩٦٧ ، ص ١٩٠ ٠

(١٠٥) ستيفين رانسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٩٢ ٠

(١٠٦) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١١ ٠

(١٠٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٢١ ٠

وانظر أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ، وأيضا : سبط ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ٠

(١٠٨) ابن أيبك الدوادارى : الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٧ ، ص ٣٧ ٠

(١٠٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٢١ ، وانظر : أبو شامه المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٢ ٠

وايضا : سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ٠

وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٦٥ ـ ٦٦٦ ٠

(١١٠) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٥٩٥ ٠

وايضا : عبد القادر اليوسف : المرجع السابق ، ص ١٣٦ ٠

(١١١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٢٣ ٠

(١١٢) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٠١ ٠

(١١٣) أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٢ ٠

(١١٤) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفيه ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٣٧ ٠

(١١٥) أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٤٤ ، وأيضا : ابن ايبك الدوادارى المصدر السابق ، ص ٢٨ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، حوادث ٥٦٢ هـ ، وايضا ابن الوردى : المصدر السابق ، ص ١١١ ٠

وابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٢٥٢ ، وكذلك : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٦٠٦ ٠

(١١٦) ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ٦٠٦ ٠

(١١٧) ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ورقة ٧ ٠

(١١٨) ابن كثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٢٥٣ ، وابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ١١١ ، وانظر عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٢٨ ٠

(١١٩) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٦١٧ ٠

(١٢٠) أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٥ ، وأيضا : ابن الوردى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٥ ٠

(١٢١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ١٤٨ ٠

(١٢٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ١٣٥ ، وأيضا أبو شامه : المصدر السابق جـ ١ ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ ٠ وانظر : ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٣٩ ٠

(١٢٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ١٣٧ ، وأيضا ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ١٤٨ ، وأيضا ابن الوردى : المصدر السابق جـ ٢ ، ص ١١٥ وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٦٨ ٠

(١٢٤) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١٩ ، وانظر عبد القادر اليوسف : المرجع السابق ، ص ١٣٠ ٠

(١٢٥) عطية القوصى : معركة حطين ووحدة الصف العربى ، ص ١٠ ٠

(١٢٦) سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٢٧٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص ١٤٩ ، وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٧٨ ،

(١٢٧) عز الدين جورديك : عتيق نور الدين صاحب الشام ، انظر ابن خلكان المصدر السابق ، مجلد ٢ ، ص ٤٤٠ ·

(١٢٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٢٧ ·

(١٢٩) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥٦ ·

(١٣٠) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٣٧ · أبو شامه المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٥٨ ، وأيضا الحنبلى : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣١٣ ·

أما تقليد شيركوه الوزارة فكان عبارة عن عهد أرسله له الخليفة وهذا نصه « هذا عهد لم يعهد لوزير بمثله ، فتقلد أمانة ، وآل أمير المؤمنين أهله لحملها والحجة عليك عند الله مما أوضحه لك من مراشد سبله ، ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا » ·

انظر : ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب ٨ ·

(١٣١) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٣٧ ·

(١٣٢) أبو شامه : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، وأيضا سعيد عاشور الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٨٣ ·

(١٣٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٣٩ ·

كتب نور الدين الى صلاح الدين يعنفه على قبول وزارة مصر بدون مرسومه انظر ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥٨ ·

(١٣٤) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٤٢ ·

(١٣٥) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ ـ ٦٢٦ ·

(١٣٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٤٧ ، وأيضا سبط ابن الجوزى ، المصدر السابق ، ج ٨ ، قسم ١ ، ص ٢٨٣ ·

وأيضا : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٠ ـ ٦٣١ ·

(١٣٧) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٨٨ ·

(١٣٨) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٥٨ ·

(١٣٩) أبو شامه : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٨١ ·

(١٤٠) نفس المصدر ، ص ١٨٧ ـ ١٨٨ ، وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص ٦٩٦ ·

(١٤١) أبو شامه : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ١٩٤ ·

(١٤٢) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٢ ·

أما العبارة التى كان يرددها الشيعة فى الآذان فهى « حى على خير العمل » ·

(١٤٣) أبو شامه : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ ، وأيضا ، أبو الفدا : المختصر ج ٣ ، ص ٥٠ · وأيضا سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٢٧ ، وانظر : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٣٦ ·

(١٤٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص ٦٤ ·

(١٤٥) الفتح بن على البندارى : سنا البرق الشامى ، ج ١ ، تحقيق فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٦١ ·

(١٤٦) حسن حبشى : نور الدين والصليبيون ، صفحات ١٣١ ـ ١٣٥ ·

(١٤٧) انظر : أبو شامه : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ·

وأيضا : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٤٥ ، وكذلك ابن الوردى · تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٤ ·

(١٤٨) وانظر ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٦٨ ·

وأيضا : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ١٦٣ ، وكذلك أبو شامه : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ·

(١٤٩) ابن القيسرانى : هو موفق الدين أبو البقاء خالد بن محمد بن نصر ابن جيفر المعروف بابن القيسرانى · انظر : المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٧٢ ·

(١٥٠) أبو شامة : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢١٩ ، وأيضا : المقريزى : السلوك ج ١ ق ١ ، ص ٧٣ ·

(١٥١) حدثت بعض المؤامرات فى مصر ضد صلاح الدين ، هدفها تقويض حكمه ، ومن هذه المؤامرات ، مؤامرة كان أحد أقطابها ، عماره اليمنى وهو من جبال اليمن ، ويدعى أبو الحسن أبو حمزة اليمنى ، وكان شاعرا ، وهو من قمطان ، جاء مصر سنة ٥٥٥ هـ ، وصاحب فى مصر الفائز بين الظافر وطلائع ابن رزيك ·

انظر : سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ١ ، ص ٢٩٩ ·

وأيضا : ميخائيل آمارى : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٣٠٩ ·

(١٥٢) انظر :

ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ص ٤٧ ·
وأيضا : ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ·

(١٥٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٣ ، ص ٥٥ ·

(١٥٤) Lamb (H.) : Op. Cit., p. 43.

(١٥٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٦٤ ·
وأيضا : أبو شامه : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ·

(١٥٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٦٥ ، وأيضا ابن كثير المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٨٥ ·
وانظر ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢١٦ · وأيضا : حسن ابراهيم حسن وأحمد طنطاوى : تاريخ العصور الوسطى فى الشرق والغرب ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٣٣ ، ص ١٧٨ ·

(١٥٧) ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب من مناقب بنى أيوب ، ورقة ٢٢ ·
وانظر ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٨ ، وأيضا ابن خلكان ، المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٦٥ ·
وكذلك ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٠ ، وأيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٠٥ ـ ٧٠٧ ·

(١٥٨) دار العقيقى : العرب تقول : لكل سيل ماء شقة السيل فى الأرض ، فانهره ووسعه عقيق · انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٢٢ ·

(١٥٩) انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ ، أبو شامه : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٥٦ ، الحنبلى : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٣١٥ · وأيضا ابن خلدون العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ، ص ٢٥٥ · ولمزيد من التفاصيل انظر سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٣٧ ـ ٣٩ ·

(١٦٠) كانت حمص وحماه وقلعة بعرين وسلميه وتل خالد والرها من بلد الجزيره في قطاع الأمير فخر الدين مسعود الزعفراني ، انظر : ابن الاثير . المصدر السابق . ج ١١ . ص ١٦٩ ·

(١٦١) ابن الاثير : نفس المصدر ، ج ١١ ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ ، تذكر بعض المصادر انه تم فتح حمص قبل حماه · انظر : أبو شامه : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٧ ، وايضا : ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٨٩ ، لكن لم يملك صلاح الدين حمص قبل حماه وهاجمها فقط · انظر : ابن الوردى

تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٩ ، وأيضا : سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٤٠ ـ ٤١ ·

(١٦٢) ابن الاثير ، المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ١٧٤ ·

(١٦٣) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١١ ، ص ١٧٤ ·

(١٦٤) ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ، وأيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧١٩ ·

(١٦٥) حسن ابراهيم حسن واحمد صادق طنطاوى : تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٧٨ ·

(١٦٦) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٤٢ ، وانظر الباز العرينى ، مصر فى عصر الأيوبين ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٤٥ ـ ٤٦ ·

(١٦٧) ابن الوردى : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ ·

(١٦٨) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٠ ·

(١٦٩) ابن كثير ، المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٩٥ ·
وانظر المقريزى : خطط المقريزى ، ج ٣ ، ص ٨٥ ، وأيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ ·

(١٧٠) أبو شامة : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٣ ·
وانظر ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٥٣ ، وأيضا ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٧٢ ·

(١٧١) Reinoud (M.) : Notice sur la vie de Saladin, Sultan d'Egypte et Syria, Journal Asiatique, Tome 5, pp. 226-237.

(١٧٢) ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٣٥ ، وانظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٣٤ ·

(١٧٣) الملك المنصور محمد بن المظفر بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب مضمار الحقائق وسر الخلائق ، مخطوط ورقه ، ٩ أ ، ٩ ب ·

(١٧٤) أبو شامه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١١ ، وانظر بن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٢ ·

(١٧٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١١ ، ص ١٨٧ ·

(١٧٦) نفس المصدر : ص ١٨٩ ـ ١٩٠ وأيضا : أبو شامه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧ ، ١٩ ·

(١٧٧) ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ·

(١٧٨) أبو شامه : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧ ·

(١٧٩) ابن كثير : المصدر السابق ، ص ٣٠٩ ٠

(١٨٠) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ ـ ٦٨٠ ٠

(١٨١) المقريزى : خطط المقريزى ، ج ٣ ، ص ٨٥ ٠

(١٨٢) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٦٩٦ ـ ٦٩٧ ٠

(١٨٣) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٥٦ ٠

Cf : Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the East , Camb, 1968, p. 229.

(١٨٤) سعيد عاشور ، الأيوبيون والمماليك ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ٠

(١٨٥) أبو الفدا : المختصر ، ج ٣ ، ص ٦٣ ـ ٦٤ ، وانظر ابن كثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٢١٠ ـ ٣١١ ٠ وأيضا : مكسيموس مونروند تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، ج ١ ، ص ٧٩ ٠

(١٨٦) Lawrence Nicyolson (R.) : Josselyn III and the Fall of the Crusaders State (1131-1199), Speculum, Brill, 1973, Vol. 51. p. 343.

(١٨٧) Antheny (S.C.) : The crusaders, p. 47.

(١٨٨) وليام لانجر : موسوعة تاريخ العلم ، ج ٢ ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٥٩ م ، ص ٥٧٤ ٠

(١٨٩) Cam. Med. Hist. vol. 5., Cam. 1948, p. 382.

وانظر فيشر . المرجع السابق والقسم ، ص ١٩٨ ، وأيضا سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٦٠ ٠

(١٩٠) Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 831.

وانظر رأفت عبد الحميد : الملكية الالمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى ، ندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، المجلد الثانى ، القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٨٤ ٠

(١٩١) Painter (S.) : A history of the Middle Ages, New York, 1954, p. 277.

(١٩٢) Stephenson, (C.) : Medieval History, p. 425.

(١٩٣) Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 382.

(١٩٤) Bryce (J.) : The Holy Roman Empire, London, 1907, p. 175.

(١٩٥) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٦٠ ٠

(١٩٦) Ashour, (S.) & Rabie (H) : Fifty documents in Medieval history, Cairo, 1971, pp. 85 F.

Cf : Hayward (F.) : A history of the Popes, Paris, 1929, p 189.

(١٩٧) Thampson (T.W.) : Middle Ages, Vol. 1, London, 1931, p. 490.

(١٩٨) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٦٤ ٠
وانظر : أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ١٥٢ ٠

(١٩٩) Henderson (E.F.) : Select Historical Documents of the Middle Ages trans by : Henderson, London, 1892, Letter of Adrian IV to Barbarossa, Sept., 20th. 1157.

(٢٠٠) Thampson (J.W.) : Op. cit., Vol. 1, p. 490.

(٢٠١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ٠

(٢٠٢) فيشر : أوربا العصور الوسطى ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ٠

(٢٠٣) William of Tyre : Op. cit., vol. 2, p. 281.

Cf : Hayes (J.H.) : History of Europe, New York, 1959, Vol 1, p. 281.

(٢٠٤) أسد رستم : الروم ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ٠

(٢٠٥) Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 409.

(٢٠٦) William of Tyre : Op. cit., Vol. 2., p.. 281.

(٢٠٧) William of Tyre : Op. cit., vol. 2., p. 435.

(٢٠٨) Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 346.

وانظر فيشر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ ٠

(٢٠٩) Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.H.) : A Source Book for Medieval History, America, 1905, No. 108, pp. 197 F.

وانظر نص الوثيقة ملحق رقم ١ — The preliminary treaty of Anagni between Alexander III and Frederick I, 1176.

(٢١٠) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٧٣ ٠

(٢١١) William of Tyre : Op. Cit., Vol. 2., p. 281.

(٢١٢) وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ٥٧٧ ٠

Cf : Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.H.) : Op. Cit., No. 109. pp. 199 FF, The Peace if Constance, January 1183

(٢١٣) Rohricht (R.) : Regesta Regni Hierosolymitani (1097-1291), Berelini, 1892, No. 598, p. 158.

(٢١٤) أبو طاهر مندوب السلطان صلاح الدين الى البابا هو :
محمد بن بنان الابنارى الكاتب ، من أهل مصر ، وأهله من الانبار ، قرأ

الأدب ، وسمع الحديث ، وكان شيخا جليلا مهيبـــا عالما كاملا بليغــا ، قدم بغداد رسول مع قافلة الحج من مكة ، من جهة سيف الاسلام طغتكين ، كما تولى ديوان النظر فى الدولة المصرية ، وتنقلت به الخـدم فى الأيام الصلاحية بتنيس والاسكندرية ، ولد سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣/١١١٤ م ـ وتوفى سنة ٥٩٦ هـ ١١٩٩/ ١٢٠٠ م ٠ **انظر :**

بطرس البستانى : دائرة المعـارف ، مجلد ٤ ، بيروت ١٨٨٠ ، ص ١٩٩ ٠

(٢١٥) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٦٦ ٠

وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣١٣ ـ ٣١٤ ٠

(٢١٦) Jean (M.) : & Brial (J.) : Recueil des Historieans des Gaules et de la France, Time 17, Paris, MDCCCLXXXVIII. p. 623.

(٢١٧) Ibid., p. 623.

(٢١٨) Ibid., p. 624.

(٢١٩) Lec-Cit.

(٢٢٠) Jean (M.) : & Brial (J.) : recueil des Historieans, Tome 17, p. 624.

وانظر أيضا Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 626, p. 166.

ونص رسالة العـادل الى البابا لوكيوس الثالث ، انظر ملحق رقم ٢ ٠

(٢٢١) Jean (M.) : è Brial (J.) Recueil, Tome 17, p. 623.

(٢٢٢) Jean (M.) : & Brial (J.) : Op. cit., Tome 17, p. 623.

(٢٢٣) Lec. cit.

(٢٢٤) Jean (M.) & Brial (J.) : Op. cit., Tome 17, p. 623.
Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 635, p. 168.

(٢٢٥) Jean (M.) & Brial (J.) : Recueil, Tome 17, p. 623.

عن نص رسالة صلاح الدين الى البـابا ، انظر ملحق رقم ٣ ٠

(٢٢٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ١٩٨ ٠

(٢٢٧) نفس المصدر ، ص ٢٠٢ ، وانظر سبط بن الجوزى ، مرآة الزمان جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٣٧٥ ، وأيضا ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٧٠٤ ٠

(٢٢٨) نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٤٧ ، وأيضا سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك ص ٤٧ ٠

(٢٢٩) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٤٠ ٠

ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ، ص ٣١١ ٠

وانظر سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك ، ص ٦٠ ٠

ومما يجدر ذكره أن الذى قاد الأسطول المصرى هو حسام الدين لؤلؤ الحاجب متولى الأسطول بمصر ٠ وعن هذه المهمة العسكرية التى قام بها انظر : محمد كرد على : خطط الشـام جـ ٢ ، ص ٥٦ ٠

(٢٣٠) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٦٣ ٠

(٢٣١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣١٤ ٠

وانظر رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٧١١ ٠

(٢٣٢) ابن الأتير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١١ ، ص ٢٠٦ ٠

وانظر رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٧١٤ ٠

(٢٣٣) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ٠

(٢٣٤) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٦٨ ٠

(٢٣٥) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٧١٩ ٠

(٢٣٦) ابن الاثير : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ٠

أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ٦٩ ٠

(٢٣٧) سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٦٠ ٠

(٢٣٨) مما يجدر ذكره أن صلاح الدين أرسل الى بلدوين الخامس ـ رسالة يعزيه فى والدته انظر ملحق رقم ٤ ٠

(٢٣٩) Antheny (S.C.) : The Crusades, p. 48.

(٢٤٠) Rohricht, (R.) : Regesta Regni, No. 646, p. 170.

(٢٤١) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٧٠ ، وابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢١٠ ، وانظر سبط الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، جـ ٨ القسم الأول ، ص ٣٨٤ ٠ وأيضا ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية جـ ٢ ، ص ٧٢٠ ، ونظير حسـان سعداوى : الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى ، ص ١٥ ، القـاهرة ١٩٦١ ٠

(٢٤٢) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ ٠

أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٧٠ ٠

ينكر بعض المؤرخين ، ان هدف صلاح الدين باخراج العادل من الشام الى مصر حتى يملك الشام لاولاده ، نظرا لاهميتها ، انظر :

ابن خلكان : وفيات الاعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، جـ ٦ ، ص ١٧٢ ٠

(٢٤٣) سعيد عاشور وعبد الرحمن الرافعى : مصر فى العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى ، ص ٢١٣ ، طبعة أولى ، القاهرة ١٩٧٠ ٠

(٢٤٤) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٧٢٠ ٠

(٢٤٥) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٦٥ ٠

(٢٤٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢١٤ ٠

وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣١٩ ٠

(٢٤٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٧٦٩ ٠

(٢٤٨) Poole (L.) : History of Egypt in Middle Ages, pp. 207 F.

(٢٤٩) Vonsifs (G.) : Itinerary of Richard I and others to the holy Land, London, 1848, New York, 1969, p. 73.

وانظر سبط بن الجوزى . مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ١ ، ص ٣٨٩ ٠

واختلفت المصادر العربية المعاصرة واللاتينية عن خط سير القافلة هذه فمنهم من ذكر أنها كانت قادمة من دمشق الى مصر ، انظر :

Cf : Vinsofs, p. 73.

وأغلب الظن انها قافلة مصرية قادمة من دمشق ، انظر : ابراهيم الحنبلى شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب حوادث ٥٨٢ هـ — ومنهم من اكتفى بأنها قافلة خاصة بالمسلمين ، انظر : ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر جـ ٢ ، ص ١٤٥ ٠

(٢٥٠) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٧٢٨ ٠

(٢٥١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١١ ، ص ٢١٥ ٠

(٢٥٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ مجلد ١ ، ص ١١٨ ٠

أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ٧٥ ٠

وأيضا الحنبلى : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ ١ ، ص ٣١٨ ٠

وانظر سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك ، ص ٦٢ ٠

(٢٥٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٧٥ ٠

(٢٥٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١١ ، ص ٢١٦ ٠

(٢٥٥) ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٧١ ٠

(٢٥٦) عيون كريسون ، تقع بين صفوريا وكفر كنه ، قرب حطين ، انظر رنسيمان : نفس المرجع ، ص ٧٣٢ ٠

(٢٥٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 70.

(٢٥٨) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص ٢١٧ ٠

وانظر مكسيموس مونوروند : تاريخ الحرب المقدسة فى الشرق ، مجلد / ٢ ص ٨٢ — ٨٣ ٠

وأيضا رنسيمان : نفس المرجع ، ص ٧٣٠ ٠ وكذلك الباز العرينى : مصر فى عصر الايوبيين ، ص ٨٣ ٠

(٢٥٩) Painter (S.) : A history of the Middl eAges, p. 214.
Cf : Setton (K. M.) : A history of the Crusades, Vol. 1., New York, 1955, p. 612.

(٢٦٠) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 74.

(٢٦١) King (E.J.) : The Kinghts hospitallers in the holy Land, London, 1931, p. 125.

(٢٦٢) أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ٠ ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١١ ، ص ٢١٧ ٠

Cf : Smail (R.C.) : Crusading warfare (1097-1193). Vol. 3, Cam., 1959, pp. 194 F.

Cf : Stevenson, (W.B.) : The Crusaders in the East, p. 246.

(٢٦٣) Poole (S.L.) : Saladin and the fall of the kingdom of Jerusalem, p. 212.

وانظر : رنسيمان ، الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٧٣٨ — ٧٣٩ ٠

(٢٦٤) صليب الصلبوت ، له قيمة عند الصليبيين وهو قطعة من الخشب التى صلب عليها السيد المسيح عليه السلام ٠

(٢٦٥) Archer (T.A.) : The Crusades, p. 276.

وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، ص ٢١٨ ٠

(٢٦٦) روبرت كلارى : فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمة حسن حبشى ، ص ٧٢ ٠

Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. Cit., p. 360.

(٢٦٧) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٧١ — ٧٢ ٠

Cf : Antheny (S.C.) : The Crusades, p. 49.

Cf : Lamb (H.) : The Crusades, pp. 68 F.

(٢٦٨) عبد المنعم ماجد : المصريون وحدهم ، هم الذين استردوا بيت المقدس ، مقال بالمجلة المصرية للدراسات التاريخية ، الموسم الثقافى ١٩٨٣/٧٨ .

(٢٦٩) مكسيموس مونروند : تاريخ الحرب المقدسة فى الشرق ، مجلد / ٢ ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

وانظر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، القسم الأول ، ص ٣٨٩ .

(٢٧٠) مكسيموس مونروند : تاريخ الحرب المقدسة فى الشرق ، المجلد ٢ ، ص ٨٦ .

(٢٧١) Vinsofs (G.) : Op. cit., pp. 74 F

Cf : Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the east, p. 248.

(٢٧٢) Michoud : Historia de Croisades, Tome 2, Paris, 1816, p. 50.

وانظر : أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ٧٩ .

وأيضا : ابن الأثير : الكامل ، جـ ١١ ، ص ٢١٩ .

(٢٧٣) Stevenson (W.B.) : Op. Cit., p. 248.

(٢٧٤) أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ٨٦ ـ ٨٨ .

(٢٧٥) مارجريت Margarit ، هو صقلى ، وقد أطلق عليه كل من « ريتشارد ديفز » Richard of Devizes ، Roger of Hoveden لقب أدميرال The Admiral ، ويعتبر ـ أدميرال كبير وخصوصا فى البحار الشرقية وقد قام بفتح بعض الجزر مثل « كورف Corfu و « أوتين » Ionion ، وبعض الموانىء الأخرى ، ولم يعد لاسم مارجريت ذكر فى الشرق ، بعد سنة ١١٩٠ م ، وقد كان موجودا فى ايطاليا سنة ١١٩٢ م ، ويقرر البعض أن هنرى السادس Henry VI أخذه أسيرا وأرسله الى ألمانيا ، ومات فى روما سنة ١٢٠٠ م .

Cf : Ambroise : The crusade of richard Lion-Heart, translated from the Old Franch by Merton Hubert, with Notes and Documentatton by John L. Lambonte, New York, 1941, p. 54.

(٢٧٦) Jean (M.) & Brial (J.) : Recueil, Tome 17, p. 485.

وأيضا انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٧٨٢ ـ ٧٨٣ .

(٢٧٧) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين جـ ٢ ، ص ٨٦ ـ ٨٧ .

(٢٧٨) روبرت كلارى : المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٢٧٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١١ ، صفحات ٢١٩ ـ ٢٢٣ .

Cf : Poole (S.) : Saladin and fall of Jerusalem, p. 223.

(٢٨٠) ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ص ٣٤ .

وأيضا ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، صفحات ٧٤٣ ـ ٧٤٧ .

(٢٨١) Vinsofs (G.) : Op. Cit., p. 77.

كونراد مونتفردات وهو ابن الماركيز مونتفرات من أسرة ايطالية ، ويتصل بصلة قرابة بالامبراطور فردريك بربروسا وشقيق وليم مونتفرات الذى كان زوج الأميرة « سبيل » ووريثة المملكة الصليبية ، وقد تزعم كونراد قيادة الصليبيين فى صور ضد المسلمين ، انظر :

حامد زيان : الامبراطور فردريك الأول بربروسا والحملة الصليبية الثالثة ص ٥ ـ ٦ ، القاهرة ١٩٧٧ .

(٢٨٢) السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادى : تاريخ البحرية الاسلامية فى حوض البحر المتوسط ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ ، بيروت ١٩٧١ ، وانظر سعيد عاشور وعبد الرحمن الرافعى : مصر فى العصور الوسطى ، ص ٣٢٧ .

(٢٨٣) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ٨١ .

وانظر ول ديورانت : قصة الحضارة ، جـ ٤ ، مجلد ٤ ، ص ٣٧ ، ترجمة محمد بدران .

(٢٨٤) Michoud : Op. cit., Tome 2, pp. 52 F.

لقد قام الصليبيون فى الحملة الأولى بقتل حوالى مائة الف من المسلمين .

انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٢٣ .

وأيضا : أحمد بن على الحريرى : الأعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين ، مخطوط بجامعة القاهرة ، ورقة ١ ـ ٦ .

(٢٨٥) King (E.J.) : The Knights Hospitallers in the Holy Land, p. 130.

(٢٨٦) Duggan (A.) : The Story of the Crusades, London, 1963. p. 164.

(٢٨٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

(٢٨٨) مكسيموس مونروند : تاريخ الحرب المقدسة فى الشرق ، مجلد ٢ ، ص ٩٢ ـ ٩٣ ٠ وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٢٣ ٠

(٢٨٩) ابن الأثير : نفس المصدر ، ص ٢٢٤ ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ، ص ٣٢٣ ٠

(٢٩٠) مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، ص ٩٤ ـ ٩٥ ٠
ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ٨٣ ٠

(٢٩١) King, (E.J.) : Op. cit., p. 131.

(٢٩٢) Pornoud (R.) : The crusades, London, 1960, p. 173, & Cf : Ehrenkreutz, (A.S.) : Saladin, Speculum, Vol. 49 1972. p. 726, & cf : Vinsofs (G.) : Op. Cit., pp. 78 F.

(٢٩٣) Hulme (E.M.) : The Middle Ages, New York, 1929, 1938, pp. 487 F.

(٢٩٤) Stephenson (C.) : Medieval History, p. 418.

(٢٩٥) Thampson (J.W.) : Middle Ages, Vol. 1, p. 582.

(٢٩٦) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٦٨ ٠

(٢٩٧) Richard (J.) : An account of the Battle of Hattin Referring to the Frankish Mercenaries in Oriental Moslem State, Speculum, America, 1952, Vol. 27, p. 172.

(٢٩٨) ول ديورانت : قصة الحضارة ، جـ ٤ ، مجلد ٤ ، ص ٣٨ ٠

(٢٩٩) Poole (S.L.) : Saladin, p. 233.

وانظر أيضا : عطية القوصى : معركة حطين ، ص ٣٩ ٠

(٣٠٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١١ ، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ٠

(٣٠١) ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ورقة ٤١ ،
ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٢٧ ٠

(٣٠٢) أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ١٢٠ ٠
ابن الوردى تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٤٩ ٠

(٣٠٣) ابن أيبك الدواداري : الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٧ ، ص ٩٥ ٠
وانظر ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، صفحات ٧٥٨ ـ ٧٦١ ٠
وانظر أيضا : Cf : Stevenson (W.B.) : Op. cit., pp. 256-260.

(٣٠٤) ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ترجمة : السيد الباز العرينى ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ ، القاهرة ، ١٩٦٠ ٠
وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٨٠٥ ٠

(٣٠٥) نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، ص ٢١٥ ٠

الفصل الثانى

سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الدولة الأيوبية

(٥٨٤ ـ ٥٨٦ هـ / ١١٨٨ ـ ١١٩٠ م)

- استغاثة صليبى الشرق بأوربا وخاصة بالامبراطورية الرومانية المقدسة .
- اتصالات الامبراطور فردريك الأول الدبلوماسية .
- الترتيبات العسكرية للحملة .
- تحرك الحملة الألمانية بقيادة الامبراطور فردريك الأول .
- وفاة الامبراطور فردريك الأول وتولية ابنه فردريك السوابى قيادة الحملة .

سبقت الاشارة الى أن البابا والامبراطور قد توصلا الى مرحلة وفاق ، بعد مرحلة الصراع العلماني الذى نشب ، وما تلا ذلك من توصلهما الى اتفاق ، بشأن المسألة الصليبية ، بالشرق الا انهما لم ينجحا فى حل المشاكل التى قابلت الصليبيين ومن ثم فقد أصبحت الدولة الأيوبية تسعى هى الأخرى لوضع حد للهجمات الصليبية على الامارات الاسلامية ، وانتهى الأمر بانتصار السلطان صلاح الدين على الصليبيين واسترداده المملكة منهم ، وأصبح بيت المقدس تحت يد المسلمين ، ومن هنا أخذت النداءات الصليبية تشق طريقها الى البابوية ، التى أخذت تدعو الى قيام حملة صليبية جديدة ، ومن الأباطرة الذين استجابوا ، لهذه الدعوة ـ الامبراطور فردريك الأول ٠

استغاثة الشرق الصليبى بالامبراطورية الرومانية المقدسة :

كانت العلاقات بين البابوية والامبراطورية قد بدت عنها ظلامات الخلاف واتسمت بالهدوء النسبى (١١٨١ ـ ١١٨٥) ، لكن الصراع بينهما كاد يتفجر من جديد عندما طلب الامبراطور فردريك الأول من البابا ليكوس الثالث Lucius III تتويج ابنه هنرى السادس ، الا أن ليكوس الثالث ، مات فى ٢٥ نوفمبر ١١٨٥ م فتجدد النزاع فى عهد البابا اربان الثانى Urban II (١١٨٥ ـ ١١٨٧) (١) ٠ وكاد البابا يصدر قرار الحرمان ضد الامبراطور ، بسبب سوء العلاقة بينهما ، وما أن جاءت الأنباء من الشرق بسقوط بيت المقدس فى يد المسلمين حتى توفى البابا حزنا فى ٢٠ أكتوبر ١١٨٧ م (٢) ٠ وعين خلفا له جريجورى الثامن Gregory VIII (١١٨٧ ـ ١١٩١ م) الذى حرص أن يكون الأمبراطور

له حليفا وله من المكانة وعلو الشأن ، ما يسانده فى الحركة الصليبية (٣) • وفى نفس الوقت الذى وصل فيه الى الغرب « جوسياس Josias أسقف « صور » قادما من الشرق فى سفاره الى البابوية ، يدعوهم الى نجدة الصليبيين بالشرق وتخليصهم من المشاق والهزائم التى لاقوها على يد المسلمين (٤) كما حمل معه خطابات من الملك وكل القساوسة الى الامبراطور فردريك امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة ١١٥٢ – ١١٩٠ م ، وكذلك الى فيليب أغسطس ١١٨٠ – ١٢٢٣ م ملك فرنسا ، وهنرى الثانى ملك انجلترا ١١٥٤ – ١١٨٩ م وملك صقلية (٥) •

ولم تكن هذه الاستغاثة الأولى من نوعها التى طلبها الصليبيون بالشرق ، اذ حدث فى سنة ١١٨٤ م ، أن أرسل كل من بطريرك كنيسة القيامة المقدسة ، « أرنالد » Arnoldo مقدم الداوية و « روجر » Roger مقدم الاسبتارية ، و « بلدوين Balduinus ملك أورشليم ، الى الغرب الأوربى ، يذكر انتصارات صلاح الدين عليهم فى شهر يوليو سنة ١١٨٤ م ، وهجومه على نابلس واشعاله الحرائق واستسلام سبسطية Sabasten ووقوع أسرى فى يد صلاح الدين (٦) • كذلك أرسل هؤلاء البطارقة يطلبون الاستغاثة من فردريك الأول سنة ١١٨٥ م •

وما أن انتصر جيش المسلمين بقيادة « صلاح الدين » على جيش الصليبيين بقيادة « جاى لوزجنان » فى حطين ، حتى بدأت رسائل الصليبيين بالشرق تنهال أيضا على الغرب الأوربى يطلبون فيها المعونة ، من ذلك رسالتهم فى أواخر شهر يوليه ١١٨٧ م ، شهر حطين ، الى فردريك الأول يطلعونه فيها على هزيمتهم البشعة على يد صلاح الدين (٧) • ورسالة « تيريكوس » Terricus ، فى أغسطس من نفس العام الى البابا « أوربان الثالث » Urbane III والى جميع المسيحيين ، كذا رسالة فيليب كونت فلاندريا

Philippe Coniti Flandriae التى يذكر فيها أن صلاح الدين يحاصر صور بعد انتصاره عليهم فى حطين (٨) •

ومن ثم أخذ البابا جريجورى الثامن على عاتقه مسئولية اثارة الروح الصليبية بين الغرب الأوربى ، فوجه رسالة الى جميع المسيحيين ، يناشدهم فيها ضرورة ترك الخلافات والانقسامات حتى يتفرغ لرد بيت المقدس الذى استولى عليه صلاح الدين • واعتدى على الأماكن المقدسة وفرسان الداوية والاسبتارية وصليب الصلبوت • وأسر الكثير وقتل من قتل ولم ينج الا القليل ، هذا وقد شرح البابا مآسى الصليبيين بالشرق باستفاضة ، وطلب من المسيحيين الرجوع الى الله والتوبة والندم على ما أثموه فى حق المسيح (٩) •

وفى أغسطس من عام ١١٨٧ م أرسل الاسبتارية الى « ارخمبالدو » Archumbaldo رئيس اسبتارية ايطاليا ، يذكرون أن جيش صلاح الدين قهر جيش الملك ، الذى وقع فى الأسر ومعه جماعة كبيرة من النبلاء ، وقد استولى صلاح الدين على مدن كثيرة تابعة للصليبيين (١٠) • وبطبيعة الحال ، كان لهذه الاستغاثات أثرها فى اثارة الصليبيين من جهة ، ومن جهة أخرى فهى تدل على أن الصليبيين بالشرق كانوا ينقلون الى ايطاليا وألمانيا تطورات الوضع فى بلاد الشام ، فضلا عن أن الغرب أصبح يعى جيدا مجريات السياسة فى الشرق الاسلامى ، ومن هنا يستطيع أن يكثف جهوده السياسية ناحية الشرق •

وقد كان الاسبتارية من الذين سعوا الى نقل الأخبار الى أوربا أولا بأول اذ أنهم أرسلوا الى ملك انجلترا فى يناير ١١٨٨ م يشرحون فيه وضعهم وهزيمة صلاح الدين فى ٣٠ ديسمبر ١١٨٧م • أمام صور (١١) • كما أرسل أيضا « هيرمنجر » Hermenger

أحد وكلاء الاسبتارية الى « ليوبولد » Leopoldo دوق النمسا يعلمه أن صلاح الدين استولى على طرطوس، بالاضافة الى محاصرته مدن أخرى (١٢) ٠ هذا فضلا عن الرسائل وطلبات الاستغاثة ٠

أما عن رحلة جوسياس ، فقد توجه الى ألمانيا لكى يطلب من الامبراطور فردريك الأول أن يأخذ الصليب (١٣) ٠ وفى مجلس ستراسبورج Strasburg ، كان فردريك الأول يناقش المسائل الخاصة بالامبراطورية ، ولم يكن قد أثاروا موضوع الحرب المقدسة ، ولم يكن أسقف مدينة ستراسبورج قد تكلم عن استيلاء المسلمين على القدس ، لكن ما قاله جوسياس بعد هذا المؤتمر أثار حيوية الحرب المقدسة واستدعوا الامبراطور فردريك من مدينة « ماينز » Mayance حيث دعا الى اجتماع حضره كل الأمراء وأعيان البلد وكبار رجال الامبراطورية وكان هذا يعتبر بمثابة محكمة المسيحيين ، وفى هذا الاجتماع أطلق جودفرى أسقف مدينة « ورتسبورج » كلمات أثارت حماس الحاضرين ٠ وشجعتهم على الحرب ، وبدأت هذه الروح الحماسية تستشرى فى كنائس ألمانيا، وأرسلت البابوية مبعوثيها الى كل مكان يشكون ويستاءون من المصير الذى آل اليه حال الصليبيين بالشرق كما سبق القول ٠

وقد رأى الجميع أن الخروج بحملة صليبية هو الوسيلة الوحيدة لاسترجاع القدس الى سلطانهم وعاملا حيويا لجذب أكبر عدد من صليبى أوربا ٠ فقد قالوا « سعداء الذين سافروا الى القدس وسعداء أكثر الذين لا يرجعون » (١٤) ٠

وهكذا أصبحت فكرة حملة صليبية ضد الشرق الاسلامى هى المسيطرة على جميع العقول فى أوربا المسيحية ، وبعد أن تلقى الامبراطور فردريك رسل البابوية بشأن هذه الحملة ، أعلن

مشاركته فيها ، ويذكر بعض المؤرخين أنه صحب « جوسياس » للاجتماع بملكى انجلترا وفرنسا (١٥) ٠ بالاضافة الى أن الامبراطور فردريك تعهد بنفسه ليسترد بيت المقدس (١٦) ، وأخذ الصليب من الكاردينال الأسقف « البانو » Aabano فى « ماينز » فى السابع والعشرين من مارس ١١٨٨ م (١٧) ٠

وقبول الامبراطور فردريك الأول المشاركة فى الحملة الصليبية ، يفرض على بساط البحث تساؤلات ، وهى لماذا خرج الامبراطور فردريك الأول وهو فى سن الشيخوخة ؟ ألم يكن أولى به أن يخرج قبل هذا الوقت وخاصة عندما جاءته نداءات من الشرق الصليبى ؟ فهل كان لصلاته الطيبة بصلاح الدين أثر فى تأخره عن الخروج الى الشرق ؟ أم أن الوضع السياسى داخل الامبراطورية الرومانية المقدسة جعله يؤجل هذا الى حين ؟! ٠

فى الواقع أن الفترة السابقة على حطين وهى (١١٥٢ ـ ١١٨٧ م) لم تكن الأحوال أثناءها فى أوربا تساعد فردريك على ترك امبراطوريته ، اذ أن مشاكله مع البابوية استمرت قرابة عشرين عاما (١١٥٢ ـ ١١٨٣ م) ، حتى عقد مع البابوية صلح كونستانس ١١٨٣ م ، لذلك فقد كان يخشى على الأوضاع السياسية فى بلاده ، بالاضافة الى الثورات فى ايطاليا ، هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية كان هناك نوع من الصلات الدبلوماسية بينه وبين صلاح الدين الأيوبى ـ كما سبق القول ـ لذلك لم يشأ أن يعكر صفو العلاقة . علاوة على ذلك ما كانت تقوم به البابوية من محاولات لمساع سلمية مع صلاح الدين ، من أجل حل مشاكل الصليبيين بالشرق ٠

وفوق كل هذا فان الوضع السياسى الصليبى فى الشرق ـ كان الى حد ما لا ينبىء بخطر ، كما أن الانشقاق الاسلامى ، وبخاصة

في الموصل والجزيرة ، لم يكن يشجع على القول بانهيار البنيان الصليبي في الشرق ، علاوة على ذلك لا يمكن القول بأن فردريك كان متقاعسا عن الدفاع من أجل الصليب ، والدليل على ذلك اعلانه التوجه بحملة الى الشرق اثر معرفته هزيمة الصليبيين في حطين واستيلاء المسلمين على بيت المقدس .

وتذكر بعض المصادر اللاتينية المعاصرة لفردريك الأول أن أولاده عرضوا عليه تعهدهم لانجاز هذه المهمة بدلا منه الا أنه لم يوافق على ذلك ، وترك ابنه الأكبر « هنرى السادس » Henry VI على رأس الامبراطورية ، أما الابن الأصغر « فردريك دوق سوابيا » Swabia فقد انضم الى الحملة (١٨) .

ومهما يكن من أمر تأخر فردريك الأول للقيام بالحملة فان هناك أسبابا دفعته الى التوجه بها في هذه الفترة ، فيذكر البعض أن وجود كونراد مونتفرات بـ « صور » وتزعمه الصليبيين ، وما كان بين كونراد وفردريك من صلة قرابة ، جعل فردريك لا يتردد في القيام بالحملة ، بالاضافة الى الصلات الطيبة بين النورمان والامبراطور فردريك الأول ، وخاصة بعد زواج هنرى السادس من كونستانس ابنة وليم الثاني ملك صقلية ـ « الذى له دور في الحروب الصليبية » ـ والوريثة الشرعية ، ولعل من أهم الأسباب التي دفعته الى التوجه الى الشرق ، ما حدث له أثناء الحملة الثانية بالشرق ١١٤٧ ـ ١١٤٨ م (١٩) ، وقد أصبح الآن في السادسة والستين من عمره فربما يكون قد وهب نفسه من أجل الصليب بالمشاركة في الحملة ، وليؤدي الحج في بيت المقدس .

ويمكن القول وكما يذكر البعض أن البابا كليمنت الثالث (١١٨٧ ـ ١١٩١ م) استطاع أن يقنع فردريك الأول بضرورة الاقلاع عن محاربة أعدائه في المانيا ، ابتغاء الانصراف الى المشاركة في الحملة الصليبية المزمع قيامها (٢٠) . بالاضافة الى أن الوجود الألماني بالشرق كان قليلا ، فقد كان هناك المستشفى الألماني الذى كان يتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي ، وكان له رئيسه الخاص ، الا أن نشاطه قد توقف بسقوط القدس في يد المسلمين سنة ١١٨٧ م (٢١) فربما قد أراد فردريك أن يقوى هذه المنظمات الألمانية ويدعمها ، بالاضافة الى فكرة ترك جنود المانيين بالشرق ، حتى يمكن لألمانيا أن يكون لها نصيب كبير في المنطقة المقدسة (٢٢) ، كما أنه يمكن اضافة عامل آخر ـ من دوافع حملة فردريك ـ هو ما عاناه فردريك الأول من موقف الامبراطورية البيزنطية المناوىء للصليبيين عامة ، وللألمان خاصة في الحملة الثانية ، فقد غادر الشرق وهو حانق على بيزنطة وأعمالها ، وعلى أية حال فقد قرر فردريك الأول القيام بحملة صليبية على الشرق الاسلامي وهو في السادسة والستين من عمره هدفها في المقام الأول استجابة لنداءات بيت المقدس المتكررة لاسترداده من المسلمين ومحو آثار حروب صلاح الدين بصفة عامة . ليقطع حجج البابوية الموروثة ويعيد أمجادا جديدة (٢٣) .

اتصالات الامبراطور فردريك الأول الدبلوماسية :

لقد كان للامبراطور فردريك الأول نظرة خاصة تجاه الشرق الاسلامي فقد كان يرى حل مشاكل الصليبيين دون قتال ، ولذلك فكر في اتخاذ الطريق الدبلوماسي قبل أن يستخدم القوى العسكرية ، ومن المعروف أن هناك نوعا من الرسائل المألوفة في العصور الوسطى لارهاب الأعداء ـ وهو ما يعرف بالحرب النفسية ـ قبل اتخاذ خطوات ايجابية . ومن ثم فقد ذكرت لنا

بعض المصادر اللاتينية نوعا من هذه الصلات والمراسلات الدبلوماسية .

ففى فبراير سنة ١١٨٨ م/٥٨٤م ، أرسل الامبراطور فردريك الأولى خطابا الى السلطان صلاح الدين مع مبعوثه هنرى دى ستيتيز Henricum de Zietz من ألمانيا (٢٤) والرسالة تزيد عن عشرين سطرا ـ من الأسطر العادية ، يذكر فى بدايتها ألقابه ثم يخاطب صلاح الدين فى الرسالة ، بصفته سلطان المسلمين فى الشرق ، ويبدأ فى توجيه التهديد له ، ويحذره من المساس ببيت المقدس ، وبطبيعة الحال لم يكن للتحذير معنى فى الرسالة وخاصة بعد أن استولى صلاح الدين على بيت المقدس ، وفردريك يعلم ذلك جيدا . ثم لا ينسى فردريك ، أن يذكر صلاح الدين بالصلات الطيبة السابقة بينهما ، وخاصة فى الخطابات التى تبادلاها ، فيقول فردريك « ان الخطابات التى أخلصت فيها لنا منذ وقت طويل بشأن المسائل الهامة والعظيمة الشأن بيننا والتى أفادت بأن الثقة التى كانت تحملها كلماتك الينا قد اعتبرت وسيلة للاتصال بعظمتكم » (٢٥) وقد سبق القول أن هناك صلات ودية بين فردريك الأول ، وصلاح الدين وأن هناك رسائل متبادلة بينهما منذ أوائل العقد التاسع من القرن الثانى عشر الميلادى اذ كانت عبارات الصداقة هى السمة الغالبة على هذه المراسلات ، ويستبعد أن يكونا بينهما اتفاق ضد ثالث عدو مشترك لهما ، ولا شك أن الثقة فى المراسلات كانت سببا فى استمرار العلاقات الدبلوماسية بينهما ، كما يوضح فردريك ذلك فى رسالته الى صلاح الدين .

الا أن الامبراطور فردريك بعد أن بدأ خطابه بداية طيبة يغلب عليها الدبلوماسية نجده يعدل عن ذلك فيقول « الآن دنست الأرض المقدسة » (٢٦) فهو يعتبر أن صلاح الدين ليس له حق

فى القدس ، مما دفعه الى ذكر هذه العبارة كما أنه لا يعترف باستيلاء صلاح الدين على القدس استيلاءاً كاملا ، اذ يعتبره كوصى عليها أو حارس يشير الى ذلك قوله « التى توليت حكمها كأوصياء (حراس) لكل من جودا (يهوذا) udea والسامر وفلسطين » (٢٧) وعلى ذلك يعتبر فردريك نفسه ، المدافع عن هذه الأرض ، ويطلب من صلاح الدين أن يرد الأرض المقدسة ويعطى تعويضا للبلاد التى خربها ، كما تقتضيه القوانين المقدسة ، ثم يذكر الامبراطور فردريك الأول أنه سيعطى مهلة مدتها اثنا عشر شهرا اعتبارا من نوفمبر ١١٨٨ م ، لكى يتمكن صلاح الدين من الاستجابة لرغبات فردريك الأول ، وان لم يستجب خلال هذه المدة فسوف يهاجمه ، يؤكد ذلك قوله : « الا هاجمناك فى مصر لاحياء الصليب وباسم يسوع » (٢٨) ـ كذلك يذكر فردريك لصلاح الدين أن هذه الأرض أرض المسيح ، ويعلمه أنه يعرف أن صلاح الدين يدرك هذا الموضوع تماما « والتى تبررها كل الكتب القديمة » (٢٨) ثم يذكر له أن كل المنطقة الشرقية ومصر كانت تابعة لهم فيقول « ولا تذكر أن كل من ثيوثيا Scythia وبارثيا Parthis حيث لقى جنرالنا ماركوس كراسوس الموت المفاجىء . « وكذلك مصر حيث كان أنطونيو وكيلوباترا » (٢٩) .

ففردريك يذكر كل هذه المناطق لصلاح الدين حتى يقنعه بأن البلاد التى استولى عليها لاحق له فيها وأن الرومان كانوا أصحاب هذه البلاد قبل المسلمين وبالتالى فأوربا أولى بها من المسلمين ، ثم يضيف له أن أرمينية كانت تابعة له وأن الملوك جميعهم يعلمون ذلك ، وبلا شك أن وجهة نظر فردريك خاطئه تماما ، لأنه اذا كان الرومان كانوا سادة العالم قبل سقوط روما ٤٧٦ م ، فمن كان قبل الرومان ؟ ومن جاء أيضا بعد الرومان ، على أية حال ينهى فردريك رسالته الى صلاح الدين بأن جميع الأمم الأوربية ، تابعة له وستساعده فى اعداد الجيش الذى سيوجهه ضده (٣٠) .

وبطبيعة الحال ، وصلت هذه الرسالة الى صلاح الدين الأيوبى ، ولم يتردد فى رفضها ، نظرا لما حملت من عبارات استفزازية ، وكلمات لم يقبلها صلاح الدين ولا أحد من المسلمين ، ومن ثم فهو لم يجلس لنتشاور فى أمرها مع أخيه العادل أو غيره من الأمراء المسلمين ، لذلك يرد على فردريك الأول برسالة تفوق رسالة فردريك فى عدد سطورها وانتقاء كلماتها ٠

ورد صلاح الدين مؤرخ بعام ٥٨٤ هـ/ ٢ مارس ١١٨٨ م — ١٨ فبراير ١١٨٩ م (٣١) ٠ أى أن صلاح الدين رد عليه بسرعة ، ولم يترك الوقت يمر دون أن يوجه سهامه عبر سطور رسالته ولم ينتظر المهلة التى أعطاه فردريك للرد وهى عام ، فالموضوع ليس بحاجة الى انتظار ٠

وقد بدأ صلاح الدين رسالته الى فردريك الأول بتمجيده وتعظيمه ، ثم يذكر نعم الله على العالم أجمع ، ويذكره بأنه يؤمن بجميع الديانات وبخاصة الاسلام ، ثم يأتى صلاح الدين الى مضمون الرسالة فيذكر أنه تلقى رسالة على يد رسول اسمه هنرى ، الذى قال انه من طرف الامبراطور فردريك الأول ٠

واذا كان الامبراطور فردريك الأول قد أحصى عدد الأمم التابعة له فى خطابه الى السلطان صلاح الدين ، فان الأخير فى رده لا يقل عظمة عنه ، اذ يذكر له أن الذين سيحاربون تحت قيادته والذين اذا دعاهم سيلبون النداء ، قائمة لا يمكن تسجيلها وحصرها نظرا لكثرة عددها ، وفى هذا الصدد يقول صلاح الدين « واذا أردنا حصر أولئك الذين فى خدمتنا والذين يجيبون أوامرنا ، والذين سوف يحاربون فى صفوفنا فسوف تكون قائمة لا يمكن تسجيلها وحصرها » (٣٢) وكذلك يرد صلاح الدين على فردريك بأن المسلمين فى الشرق أكثر من المسيحيين عددا وعدة ٠ وهكذا يكونون على مر الأيام (٣٣) كما أن صلاح الدين يريد بهذه العبارات أن يضعف

ويقلل من عزيمة فردريك ، اذ يشككه فى اتباعه ٠ بالاضافة الى أنه أوضح أن المسيحيين آنذاك فى الشرق والغرب ليس بينهم رابطة ، اذ أن البحر يفصل بينهم ، على عكس المسلمين فانه لا بحر يفصل بينهم بالشرق ، الذين لا حصر لهم وسوف يكونون رهن اشارته عند الحاجة (٣٤) ٠ ثم يبدأ صلاح الدين فى ذكر الشعوب المسلمة التابعة لقيادته ، فالبدو بمفردهم لديهم القدرة على رد العدو ومحاربته ، والأتراك عندهم نفس القدرة ، كما أن الفلاحين ليسوا بأقل قوة من السابقين ، اذ أن الجنود قد فتح بهم الممالك ، وطرد بهم الأعداء ، علاوة على ذلك فان صلاح الدين يذكر فردريك بأن التابعين له ليس المسلمين فحسب ، ولكن أيضا الوثنيين (الأرمن) ٠ والذين سيكونون تحت تصرفهم اذا دعاهم يقول : « ملوك الأمم الوثنية سوف لا تتأخر عن دعوتنا اذا ما دعوناهم وسوف يكونون تحت تصرفنا » كما أن صلاح الدين يتوعده ويهدده بأنه سوف يلقاه بجيش وجند أكثر مما ذكره فى خطابه ، ثم يذكر صلاح الدين له أنه لن يقنع بالأرض التى يملكها بساحل الشام ، ولن ينتظر حضور فردريك بجيشه الى الشرق ولكن سوف ينقل ميدان المعركة الى بلاد الامبراطور فردريك ويستولى عليها ، اذ يقول « ونحن لن نقنع بالأراضى التى تقع على ساحل البحر ، ولكن سوف نعبر بقدرة الله ونستولى على كل ما تملكه من أراضى » (٣٦) ويمكن القول بأن صلاح الدين الذى له أسلوب فى التهديد والوعيد والذى يوجهه ضد خصمه ، لم ينس تحذير فردريك فى الرسالة بأنه اذا أتى الى الشرق ، فانه سيأتى بكل جيشه ، وبالتالى سوف تكون بلاده خالية من المدافعين عنها ، فيستطيع صلاح الدين أن يقضى على جيش فردريك الأول فى الشرق ، ويرسل فى نفس الوقت جيشا الى الامبراطورية المقدسة ، لكى يستولى عليها ، اذ يقول صلاح الدين فى رسالته الى فردريك « واذا قدمت فانك تأتى بكل رجالك

وقواتك ، ونحن نعلم أنه لم يبق هناك أحد للدفاع عن أنفسهم وبلادهم ، وسوف ننتصر عليكم بعون الله ، ولم يبق لنـــا شيء الا الاستيلاء على أراضيك بتوفيق الله » (٣٧) ٠

ويذكر صلاح الدين أن المسلمين قد ردوا المعتدين على مصر مرتين ، مرة فى دمياط والثانية فى الاسكندرية ، كما لا يفوت صلاح الدين أن يذكر له كيف أنه جمع شمل المسلمين فاستولوا على بيت المقدس ، كما أنه ضم جميع ملوك الشرق تحت قيادته ، يشير الى ذلك قول صلاح الدين فى رسالته « اذا دعونا الملوك أصحاب الشهرة من المسلمين بالشرق فسوف يكونون فى خدمتنا ، واذا دعونا الخليفة العباسى ، يحفظه الله ، لمساعدتنا فسوف يتنازل عن عرشه ، ويأتى لمساعدتنا » (٣٨) ٠

كذلك يؤكد صلاح الدين لفردريك بأنه سوف يستولى على صور وطرابلس وأنطاكية ، وهى المدن الباقية من البلاد التابعة للصليبيين ، كما أن مطالب الامبراطور فردريك الأول ، والتى بمقتضاها يتحقق السلام ، لم يرض بها صـــلاح الدين ، الا اذا استسلمت المدن الثلاث لصلاح الدين بأمر فردريك ، بالاضافة الى أن صلاح الدين عرض على فردريك ، بأنه اذا استسلمت المدن الثلاث ، فسوف يعيد له الصليب المقدس ، ويطلق سراح الأسرى وسيسمح للمسيحيين بقسيس واحد بالشرق ويعيد الأديرة التى كانت تستخدم للديانة المسيحية ، وسوف يحسن اليهم (٣٩) ، وفى النهاية يذكر صلاح الدين فى رده ، أنه اذا كان الخطاب الذى وصل صلاح الدين ، من طرف الامبراطور فردريك ، فان هذه الرسالة تكون ردا عليها وعلى الامبراطور فردريك الأول (٤٠) ٠ اذ لم يكن صلاح الدين يهتم كثيرا برسالة فردريك الأخيرة ، نظرا لما بها من أساليب لم يتعود صلاح الدين على تلقيها من فردريك الأول ، لذلك لم يرد ذكر كلمة « صديق » فى الرسالة التى بعثها صلاح الدين الى فردريك ٠

وأيا كان أمر تبادل الرسائل بين السلطان صــلاح الدين والامبراطور فردريك الأول ، فانها لم تأت بطائل ، اذ أصبحت فكرة القيام بحملة الى الشرق هى المسيطرة على عقول الألمان ٠ ومن ثم بدأ الامبراطور فردريك الأول يتخذ الأسلوب الدبلوماسى لكى يكسب ود وعطف وصداقة الامبراطور البيزنطى بالاضافة الى الملوك والأمراء الذين سوف يسير الامبراطور فردريك الأول بحملته فى أراضيهم (٤١) ٠

أما فيما يخص الامبراطورية البيزنطية ، فقد كان هناك عداء قديم بين الامبراطورية البيزنطيـــة ، والامبراطـورية الرومانيـــة المقدسة — حيث أن الامبراطور فردريك الأول دفع سلطان قونيه الى الثورة ضـــد امبراطور الامبراطورية البيزنطية ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن لقى الامبراطور مانويل ١١٤٣ — ١١٨٠ م هزيمته فى « ميريوكفالوم » (٤٢) Myriacephalum فى آسيا الصغرى سنة ١١٧٦ م ٠ ووسط هذه النشوة من النصر أرســل الامبراطور فردريك الأول رسالة الى الامبراطور البيزنطى ، تقطـر احتقارا وتومىء الى ضرورة خضـــوع ملك اليونان للامبراطور الرومانى ، وأعلن الامبراطور فردريك نفسه وريثا للأباطرة الرومان وأن ذلك يتضمن السيطرة على المملكة اليونانيـــة Regnum Greciae (٤٣) (الامبراطورية البيزنطية) ٠

ويشــير بعض المعاصرين اللاتين الى العـداء بين الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الرومانية المقدسة ، « ان اللاتين ازدهرت لديهم الفنون وصناعة أدوات الحرب ، فى نفس الوقت الذى كان فيه اليونانيون جهلاء ، وغير مولعين بالحروب » (٤٤) ، وانهم على قدر ما كانوا مشهورين بقدر ما تجردوا من شهرتهم هذه ، فقد تحول عندهم الذهب الى الخبث والقمح الى تبن (قش) ، وطهارتهم الى دنس ، ومجدهم الى فساد ، ولكن اليـــونان القدماء قد أنجزوا

وحققوا الكثير من الفنون وأدوات الحرب ، ولكن غيرتهم من اللاتين
بقيت فى أخلاقهم لدرجة أنهم أصبحوا جهلاء ، بعد ان كانوا مصدر
المعارف وان شئت فعل قناة جافة ، ولم تجد فضائلهم ورثة يرثونها ،
على عكس جرائمهم التى وجدت الكثير ، فهم لم يزالوا يحتفظون
بخداع « سينون » Sinon وزيف « يوليسيس » Ulysses
ووحشية « أتروس » Atreus ، ولو سئلت بخصوص علمهم
العسكرى فان هذا يوضح خدعهم الحربية وليسوا أهل معارك
وكذلك بالنسبة لعقيدتهم » (٤٥) .

ولا شك قد بالغ جوفرى — المعاصر لفردريك — الذى صحب
الحملة الصليبية الثالثة الى الشرق فى وصف السبب الذى دفع
بيزنطة لكى تعادى الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وعلى أية حال
فان العداء كان متبادلا بين الطرفين وخاصة منذ أن وضع فردريك
الأول أقدامه فى الشرق أثناء الحملة الصليبية الثانية والتى كان
فيها بصحبة عمه كنراد الثالث ، اذ غادر الشرق وهو حانق على
بيزنطة نتيجة لموقفها السلبى تجاه الصليبيين ، ومما زاد الطين بلة ،
ما حدث من تقارب بيزنطى بابوى ، اذ باعد فردريك الأول عن
الامبراطورية البيزنطية كثيرا ، بالاضافة الى ما حدث من مساعدة
الامبراطور فردريك الأول للسلاجقة ضد البيزنطيين ، والتى كان
من نتائجها هزيمة البيزنطيين — كما سبق القول فى موقعة ميركيفا
ليوم ، ومما زاد من حدة العداء ، ما حدث من اقامة علاقة واتصالات
طيبة بين الامبراطور البيزنطى والمسلمين فى الشرق ، فقد سمح
باقامة الشعائر الاسلامية بالامبراطورية البيزنطية (٤٦) ، ومن هنا
يمكن القول بأن هناك عداء له جذوره بين الطرفين ، الأمر الذى ترتب
عليه أن أصبح على الامبراطور فردريك الأول أن يطمئن الى
موقف الامبراطورية البيزنطية تجاه الحملة المزمع قيامها ، ومن
ثم فبعد أن أرسل مبعوثيه الى صلاح الدين — كما سبق القول —

أرسل الى الامبراطور البيزنطى أسحق الثانى انجليوس «
١١٨٥ — ١١٩٥ م » ، فى نهاية سنة ١١٨٨ م أسقف مونستر
« هيرمان » (٤٧) Herman of Munster وكونت روبرت أف ناسا
Count Rupert of Nassau وكونت والرم وهنرى أف دتز
Henry of Dietz وماركوارد أف نينبرج (٤٨) ، وفى أواخر سنة
١١٨٨ م . قدمت سفارة بيزنطية الى نورمبرج Nuremberg
لاعداد التدابير اللازمة للصليبيين لاجتياز بلاد الدولة
البيزنطية (٤٩) . هذا وقد عقدت معاهدة مع السفراء البيزنطيين
نصت على السماح للألمان بالمرور فى الأراضى البيزنطية ، وان يتكفلوا
بايوائهم فى مدنهم ، وسوف ينعمون عليهم بفواكه الأشجار وخضار
الحدائق ، وخشب للوقود وعلف للخيول ، أما اذا زاد احتياج
القوات من المؤن — فسوف يشترى الألمان من البيزنطيين ما يحتاجون
اليه بثمن معقول طبقا لأحوال البلاد . كما تعهد الألمان بألا يحدثوا
أى اضطرابات أو خسائر أو أى فتنة (٥٠) .

وقد استلم دوق سوابيا Le duce of Swabe وقواد آخرون
فى الحملة الصليبية الألمانية ، تصريحا بالمرور مجانا ، وأخذوا على
أنفسهم أن يحترموا المعاهدة وبنود السلام ، هذا فضلا عن أن
فردريك الأول أرسل سفارة جديدة الى الامبراطور اسحق الثانى
انجليوس ، لكى يتأكد من الصداقة (٥١) .

كما استطاع الامبراطور فردريك الأول أن يطمئن الى موقف
الامارات والبلاد الأخرى التى سيمر بها جيشه . فقد اتصل بملك
هنغاريا (٥٢) Hungary وأرسل سفيره الى « ستيفين نيمانى »
Stephen Nemanye حاكم الصرب » (٥٣) كما أرسل فردريك
سفراءه الى السلطان قلج أرسلان فى « قونيه » وقد استقبل أرسلان
السفراء ، وتعهد بارسال جميع المساعدات الى الامبراطور فردريك

الأول (٥٤) · وأرسل له سفارة ، ردا على سفارة فردريك ـ ذكر البعض أن بها ألف رجل ومائة فارس (٥٥) ·

والذى لا شك فيه أن هذه الاتصالات التى أجراها الامبراطور فردريك الأول مع هؤلاء الأمراء والملوك والذين هم أعداء الدولة البيزنطية (٥٦) ، كان من نتيجته أن أصبحت بيزنطة حاقدة أكثر على الامبراطور فردريك الأول وحملته الألمانية المزمع قيامها ·

الترتيبات العسكرية للحملة :

وفى الوقت الذى كان فيه الامبراطور فردريك الأول يقوم باتصالاته الدبلوماسية بشأن تسهيل مروره فى الأراضى التى سيسير فيها بعد أن قرر التوجه برا الى الشرق ، كانت الترتيبات العسكرية للحملة تقوم على قدم وساق مع الترتيبات الدبلوماسية ·

فقد أصدر الامبراطور فردريك مرسوما امبراطوريا ، بشأن الاستعداد للحملة ، فتذكر بعض المصادر المعاصرة ، ان الجميع ساروا فى هتاف موحد يأخذون على عاتقهم نذر الحج المقدس ، ولم تكن رغبة الأمراء الحصول على رشوة أو دعاء ، ولكن كانت رغبتهم فى المكافأة السماوية من الله ، وقد أبدى الجميع خدمتهم لله وللسمو الامبراطورى ، وقادتهم العناية الالهية ، وتجمعوا فى كل جانب ، وهدفهم واحد مؤمنين بأن مجد روما التليد لم يتلاش ، وقد ضم هذا الجيش كثيرا من النبلاء فكان منهم الحبر والدوق والايرك والماركيز (٥٧) ·

وبعد أن تجمع حشد غفير من الراغبين ، فى الانضمام الى الحملة ، كان على الامبراطور فردريك الأول أن يضع نظاما لهذه الجحافل ، خاصة وقد استفاد من خروجه فى الحملة الصليبية الثانية ، لذلك فقد رأى الامبراطور فردريك ضرورة وضع ضوابط ونظام لجيش الحملة ، الذى سيتوجه الى الشرق ، خشية حدوث

اضطرابات ، مما يترتب عليه الاضرار بتنفيذ الخطة (٥٨) · ومن ثم فقد عقد مجلسا عسكريا من ستة عشر رجلا لمناقشة هذه الموضوعات (٥٩) · وقرر بأن لا يذهب مع هذه الحملة ، الا من يملك مؤنة تكفيه لمدة عام ، كما أعد الامبراطور فردريك ، عربات لمن يصيبهم المرض فى الطريق ، حتى لا يسببوا المتاعب لغيرهم ، أو يتركوا فى الخلف ، فيموتوا من المرض (٦٠) ، بالاضافة الى أن الامبراطور فردريك الأول أصدر تعليمات ، بأن أى رجل ليس مدربا على السلاح ، لا يخرج للحرب ، حرصا على النظام ، لأنه لا يحب المغامرين ولا المتسكعين ولا المشعوذين ، الذين كانوا قد أساءوا الى الحملة الأولى ، وقد كان الامبراطور فردريك يحتاج الى جيوش كثيرة معه ، ولكن مدربة ، ومن ثم فقد أضاف اليه الحجاج الصليبيين ، لتحقيق أمنيتهم فى الحج ، وتكفل بالمال الذى كان ناقصا (٦١) ·

وهكذا أصبح الجيش الألمانى معدا ومجهزا ، تحت قيادة الامبراطور فردريك الأول ، وقد استغرق هذا الاعداد العسكرى والدبلوماسى قرابة عام ، وبعد أن اطمأن الى الوضع النهائى ، حدد مكان التجمع العسكرى ، فى راتسبون Ratisbonne حتى يتجه الى الشرق ، ولم يكن هناك سفن لتحمل هذه الأعداد ـ على حد ذكر بعض المعاصرين ـ (٦٢) لذلك فقد قرر الامبراطور فردريك الاتجاه برا · وبدأت الجموع الألمانية من حجاج راكبين على خيولهم أو راجلين من بداية شهر أبريل ١١٨٩ م تتوافد على راتسبون (٦٣) ·

تحرك الحملة الألمانية بقيادة الامبراطور فردريك الأول :

خرج الامبراطور فردريك الأول من الامبراطورية الرومانية المقدسة ومن راتسبون ، تاركا على رأس امبراطوريته ، ابنه هنرى السادس فى أوائل شهر مايو سنة ١١٨٩ م ، ومعه ثانى أبنائه ، فردريك دوق سوابيا (٦٤) · بالاضافة الى عدد كبير من الأفراد · وعند رحيله حياة الناس (٦٥) ، وسار الجيش لمدة خمسة أسابيع

في هنغاريا (المجر) ، وأرسل له بيلا الثالث Bella ، سفارة
ليحيى الصليبيين ، ويرحب بهم فى برسبورج Bressburg (٦٦) .
وقد سر بيلا بمقدمهم ويذكر عنه جيوفرى فنيزوف أنه كان « رجلا
ذا صفات حميدة ، وذا فضائل عديدة ، وقد استحق المملكة عن
جدارة ، وان لم يكن كذلك فبكرمة الذى عرف عنه » (٦٧) اذ استقبل
الجيش الألمانى بقيادة فردريك الأول ، بحفاوة بالغة (٦٨) . وفى
الرابع من يونيـة ١١٨٩ م اجتمع بيلا مع الامبراطـور فردريك
شخصيا فى ضواحى « جران » Gran Esztergam ، وقد أهدت
الملكة مارجريت Margaret ، وهى أخت فيليب أغطس خيمة
فسيحة رائعة ، الى الامبراطور فردريك الأول ، واستضافته
يومين (٦٩) .

هذا وقد انضم الكثير من الشعب الذى يحكمه بيلا ، الى
الجيش الألمانى ، ثم عبر الأخير نهر الدانوب ، ووصلوا الى ممرات
بلغاريا (٧٠) . وهنا بدأ يظهر على الصليبيين الفقر ، وقد انفصل
عن الجيش الصليبى عناصر ، البلقان والصربيون ، والبلغاريون ،
واليونانيون والبيزنطيـون ، الهـون Huns ، وأصبحوا أعداءا
للامبراطور (٧١) .

وقد انتهزت بعض القبائل ، هذه الانقسامات ، وأطلقوا
سهامهم على الصليبيين الذين تفرقوا ، وكان من نتيجة ذلك أن
فقد مجموعة من الصليبيين حياتهم ، وأصيب بعضهم ، مما دفع
الامبراطـور فردريك الأول ، الى أن يطلق على هذه القبائل ،
الحيوانات المفترسة وقال « الذين يقعون فى أيدينا سوف يعلقون
على أشجار الطريق ، رؤوسهم الى أسفل ، مثل الكلاب المسعورة
أو الذئاب المفترسة » (٧٢) مما ترتب عليه أن بدأ البلغار يثأرون
لأنفسهم من أعمال الصليبيين الألمان ، اذ كانوا يدفنون الصليبيين

الذين ماتوا من المرض ويعلموهم بأغصان من الأشجار حتى
يعرفوهم ، بينما كان قطاع الطريق يختفون خلف أشجار الفلين ،
والصنوبر ، ويضربوهم بسهامهم ، ويرموهم بحجارة كبيرة من أعالى
الجبال (٧٣) وعندما وصل الألمان الى بلاد مسكونة هرب جميعهم ،
وحطموا المطاحن وخطفوا الأحياء (٧٤) .

ويذكر بعض المؤرخين أن الامبراطور فردريك الأول استعمل
الدبلوماسية ، ضد أعدائه ، ورغم ذلك فقد سعى بعض حكام المنطقة
الى التودد للامبراطور فحينما وصل الى مدينة « نيسيا »
Nyssa (٧٥) فى يولية ١١٨٩ م ، فقد تقدم لتحيته فى ٢٧ يولية
من نفس العام ، ستيفن نيمانيا Stephen Nemanya أمير الصرب
Serbs (١١٦٧ – ١١٩٦ م) ، ومعه أخوه « سراسمير » ورحبوا
بالامبراطور فردريك الأول ، وقدموا له الشعير والدقيق والأغنام
والبقر ، و « فرس البحر وخنازير متوحشة ، وثلاثة غزلان حية
متوحشة ، ووزعوا على كل أمير مجموعة من المؤن والخمر
واللحم » (٧٦) . وقد فسر البعض هذا ، بأن أمير الصرب جاء الى
فردريك ليطلب منه المساعدة لمحاربة الامبراطورية البيزنطية (٧٧) .

ولم يقتصر أمر الترحيب بالامبراطور على أمير الصرب فقط ،
حيث أرسل (ايفان وبطرس) قائدا الثورة البلغارية الى الامبراطور
فردريك الرسائل يعدانه فيها بمساعدته . وبطبيعة الحال
كانت اتصالات فردريك بهؤلاء الأمراء تثير حفيظة الامبراطور
البيزنطى ، الذى شك فى نوايا الامبراطور فردريك ، لذلك أرسل
الأول ، السفيرين اللذين سبق أن أنفذهما الى البلاط الألمانى ،
وهما « يوحنا دوكاس » و « قنسطنطين » كابنا نورثيوس » أرسلهما

من جديد لتحية الامبراطور فردريك الأول (٧٨) ٠ كما يضيف البعض أن الامبراطور البيزنطى اسحق أرسل فى ٢٥ أغسطس ١١٨٩ م ٠ رسالة الى فردريك الأول ، يرفض فيها عبور الدردنيل Dardanelles ، حتى يرسل فردريك رهائن الى القسطنطينية ، وأن يتعهد باعطاء بيزنطة نصف ما سيفتحه فى بلاد الشام ، ولكن الامبراطور فردريك لم يعر السفارة اهتماما ، وقرر دخول فيليببولس Philippolis (٧٩) ، وبدأ الجيش فى احتلال المنطقة المحيطة بالقوات العسكرية (٨٠) ٠

هذا وكما يذكر المؤرخ ميشو ان البلغاريين يتسمون بالبلاده ، ولم يكن لهم دور الا مهاجمة الصليبيين ، وبدأ قطاع الطرق منهم كل يوم يهجمون ببشاعة عليهم فى أعماق الأودية ٠ لكن الامبراطور الألمانى لم يكن يرغب فى الدخول فى حروب جانبية ضد هؤلاء ، لأنه ركز جهوده من أجل الحرب المقدسة ٠ أما الهنغاريون والبوهيميون ، فقد فتحوا طريقا وسط الغابات بالفؤوس والنار ، ووصلوا أخيرا الى أبواب « سان باسيل » Saint Basile آخر مدن بلغاريا ، وفى هذه المنطقة ، التقى بعض البيزنطيين بهم ٠ بهدف منع مرور الجيش الألمانى ، ولكن عندما نظروا الى هذه الجيوش ، هربوا ٠ وعلى أية حال تقدم الجيش الألمانى نحو أسوار فيليببولس فى شهر سبتمبر ١١٨٩ م (٨١) ٠ وعندئذ أرسل الامبراطور فردريك الأول سفارة الى الامبراطور البيزنطى اسحق يطلب منه المساعدة فى نقل الجيش الألمانى الى آسيا ، الا أن الامبراطور البيزنطى ألقى بالسفراء الألمان فى السجن ، وبذلك نقض المعاهدة التى عقدها مع الامبراطور فردريك الأول ، والتى سبق ذكرها ، وبالتالى أصبح البلد فى حالة حرب لمدة شهور ، ولكنه عاد وأطلق سراح هؤلاء السفراء الألمان بعد أسابيع فى ٢٠ أكتوبر ١١٨٩ م ، ورجعوا الى الجيش الألمانى (٨٢) ٠ ولعل السبب الذى دفع

الامبراطور البيزنطى الى اطلاق سراح السفراء ، أنه خشى من الألمان ٠ فقد علم أنهم عزموا على مهاجمة بيزنطة ، ان لم يطلقوا سفراءهم (٨٣) ٠ ولكن هذه التصرفات قد زادت من حماس الألمان (٨٤) ٠ اذ استطاع الامبراطور فردريك أن يستولى على أديانوبل Adrianople ، اذ وجدها خالية من السكان الذين هجروها خوفا من الامبراطور فردريك (٨٥) ٠

هذا وفى نوفمبر من نفس العام ١١٨٩ م ٠ أرسل عز الدين قلج أرسلان سلطان « قونيه » الى الامبراطور فردريك الأول رسالة يتعهد فيها ، بأنه سيساعده ضد الأعداء ، وبامداده بالمؤن الوافرة (٨٦) ٠

ومهما كان من أمر هذه الحملة والمشاكل التى قابلتها ، فان فردريك استطاع أن يستولى على أكبر عدد ممكن من المناطق ، فقد استولى على « بيرهوا » Berrhoea ، وتمكن جزء كبير من الجيش الاستفادة من الغنائم بها من لحوم ومواش وأغنام (٨٧) ٠ كما استولى فردريك السوابى فى ٢٤ نوفمبر ١١٨٩ م على ديموتيكا Demotica ، ومقدونية Macedaine (٨٨) وتراقية Thrace (٨٩) ٠ ومدن أخرى حتى أسوار بيزنطة (٩٠) ٠

وبما ان الامبراطور البيزنطى قد رفض السماح للألمان بالمرور فى أراضيه ، فقد رأى الامبراطور فردريك الأول ، ضرورة ارسال رسالة الى ابنه هنرى السادس فى ١٦ نوفمبر ١١٨٩ م بألمانيا ٠ ليرسل له السفن اللازمة لعبوره ، وعندما وصل الامبراطور الى أطراف القسطنطينية ، كتب الى ابنه « اننا نعانى من عدم وجود طعام ، وقتل رجالنا ، وهذا بلا شك بدافع من

الامبراطور البيزنطى » (٩١) ثم أخذ فردريك يذكر لابنه المراحل التى مرت بها الحملة ، والصعوبات التى قابلته ، ثم أمره ان يذهب الى البندقية (فنيس) Venisa ، وانكونا Ancone ، وجنوا Genes ويطلب من الأمراء والأفصال Vassel ، الحضور الى القسطنطينية ، كما طالب البابوية بسرعة القيام بحرب صليبية ضد بيزنطة وخاصة الامبراطور اسحق (٩٢) ومن ثم فقد رأى الامبراطور فردريك انه ما لم يستول الألمان على البوغازين (الدردنيل والبسفور) لن تظفر الحركة الصليبية بالنجاح (٩٣) .

علاقة الامبراطور البيزنطى بالمسلمين :

ومما سبق يمكن القول بأن العداء أصبح سافرا بين الامبراطورية البيزنطية والحملة الألمانية التى يقودها الامبراطور فردريك الأول ، وكان هذا نتاجا طبيعيا للشكوك المتبادلة بين الطرفين رغم أن فردريك الأول كان يقصد بالفعل استرداد الأراضى المقدسة ، ولم يكن غرضه حنيئذ اصابة بيزنطة بسوء ، رغم حقده عليها ، كما سبق شرحه — أما ما هو الدافع وراء أعمال الامبراطور البيزنطى « اسحق » ضد الحملة فهو يرجع الى علاقته بصلاح الدين الأيوبى — سلطان المسلمين بالشرق — اذ كان — بلا شك — لها تأثير على علاقة البيزنطيين بالألمان الذين قصدوا استرداد الأراضى المقدسة من المسلمين بالشرق .

وفى الواقع كان لعلاقة الدولة البيزنطية بالمسلمين فى الشرق عموما ، وبمصر خاصة طابع خاص ، وليس أدل على ذلك من أنه فى سنة ١١٥٨ م / ٥٥٣ هـ ، طلب الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين مساعدة حربية بحرية من مصر ضد صقلية (٩٤) . وبسقوط الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية حرصت

بيزنطة على استمرار العلاقات الطيبة بالمسلمين فى مصر والشام ، وخاصة عندما أصبحت قبضة صلاح الدين قوية فى تلك المنطقة ؛ لذلك لم يتردد الامبراطور البيزنطى مانويل الأول كومنين فى أن يخبر صلاح الدين بالمؤامرة التى اشتركت فيها صقلية وبيت المقدس ، وعناصر داخلية ، ضد صلاح الدين فى عام ١١٧٤ م / ٥٧٠ هـ(٩٥) .وحتى الآن ربما لم يكن الامبراطور البيزنطى يكن حقداً للقضية الصليبية فى الشرق ، ولكن ما قام به من احاطة صلاح الدين بأخبار الأسطول الصقلى ، ليس الا كرها لانفراد صقلية بالهجوم على مصر ولهزيمة البيزنطيين فى موقعة ميركيفالوم ١١٧٦ ، كما سبق ذكره ، بالاضافة الى التقارب بين البابا اسكندر الثالث والامبراطور فردريك الأول ١١٧٧ م ، الأمر الذى ترتب عليه طرد الرعايا البيزنطيين من ايطاليا (٩٦) . واذا وضعنا كل هذه الأمور فى الاعتبار لأمكن القول ان ثمة أسبابا دفعت البيزنطيين والأيوبيين الى نوع من التقارب ، اذ أنه عندما أعتلى الكسيوس الثانى كومنين (١١٨٠ — ١١٨٣ م) عرش الامبراطورية البيزنطية ، سارع بارسال سفرائه الى القاهرة فى سنة ١١٨١ م . وعقدت معاهدة صلح بين الطرفين ، وتم اطلاق مائة وثمانين من أسرى المسلمين الذين كانوا لدى الامبراطورية البيزنطية ، كما تعهدت بيزنطة بعدم مشاركة أسطولها فى أى حرب ضد صلاح الدين (٩٧) . وقامت بقتل بعض اللاتين بالقسطنطينية سنة ١١٨٢ م (٩٨) .

وبمصرع الكسيوس الثانى كومنين ، أصبح اندرو نيكوس الأول كومنين (١١٨٣ — ١١٨٥ م) Andronicus I ، امبراطورا على بيزنطه ، وقد وعد صلاح الدين بمساعدته ضد الصليبيين ، وقد استمرت العلاقات ودية بين الطرفين طيلة مدة حكمه (٩٩) .

وذكر بعض المؤرخين ان اندرنيكوس هذا ، أرسل رسالة الى صلاح الدين واعتبره كصديق له ، واقترح عليه التحالف ، وتقسيم المناطق التى سيفتحها صلاح الدين فى فلسطين ، ما عدا عسقلان ، واذا تم الاستيلاء على آسيا الصغرى ، فتضاف الى بيزنطه ، ومقابل ذلك يساعد اندرونيكوس صلاح الدين عسكريا فى فتوحاته ، والتى ضد اللاتين ، ولكن ليس معروفا مدى استجابة صلاح الدين ، لهذه الاقتراحات . فقد مات الامبراطور اندرنيكوس فى ١٢ سبتمبر ١١٨٥ م (١٠٠) .

ومهما يكن من أمر الصلات بين صلاح الدين واباطرة الدولة البيزنطية ، فانه بتولية اسحق الثانى انجليوس Isaas II Angelus (١١٨٥ — ١١٩٥ م) بدات العلاقات بين الطرفين تأخذ شكلا جديد الكثر تفاهما واشد صداقة عما سبق ، اذ أن الامبراطور الجديد ، استقبل سفارة صلاح الدين ، والتى كان الأخير قد ارسلها لسلفه وبسرعة أيد الاتفاقية ، وساعد على تحقيقها ، ولا شك أن هذه الاتفاقية حررت صلاح الدين من خوفه من ناحية بيزنطة (١٠١) . وعلى أية حال فقد كتب اسحق الى صلاح الدين يلح عليه لاسترداد المدن الباقية من قبضة اللاتين . اذ كانت هناك اتصالات بين الدولة البيزنطية ، وقائد مسلم فى الأرض المقدسة عن طريق اثنين من مساعديهم ، احدهما يدعى « ميليكتيس » Melkites ، والآخر « يوسف باتيث » Joseph Batit ، وزادت المراسلات بين صلاح الدين واسحق ، فقد أرسل الأول سفاره الى اسحق وأرسل معها معدات عسكرية، وهدايا فاخرة ، من أسهم وأقواس وسروج خيل ، ومائة أسير بيزنطى وعددا من الخيول التركية ، وكمية من العطور . وقد ابتهج اسحق بهذه الهدايا ، كما أبدى سروره لاستجابة صلاح الدين لفك أسر أخيه (١٠٢) .

وردا على سفارة صلاح الدين أرسل الامبراطور اسحق سفارة اليه ، وقد حوت هذه السفارة الكثير من الهدايا الحربية ، والملابس الامبراطورية للسلطان واخوته واولاده . وأرسل تردا ، ورساله ذكر فيها ، « أرسل لك هذا لانك فى رأيى ملك شرعى بمساعدتى ورعاية الرب » وقد وصلت الرسالة الى عكا فى ٦ يناير ١١٨٨ ، ابان حصار صور ، وقد ملأ الرسل بلاطه ، والنبلاء والجنود ، وتقدم الرسل البيزنطيون بشكر من الامبراطور البيزنطى لصلاح الدين ، كما استفسر صلاح الدين عن الأحوال فى الامبراطورية ، ووضع الغرباء Valchs بها ؛ على أن أهم ما جاء به الرسل هو أن هناك حملة صليبية جديدة مزمع قيامها (١٠٣) . ومما يجب الاشارة اليه أن هذه الاخبار تعتبر مبكرة ، حيث أنه كانت الاستعدادات قد بدأت فى المانيا بالفعل لتهيئة الجو للقيام بحمله الى الشرق .

ويمكن القول ان علاقات المصالح قد توثقت بين اسحق وصلاح الدين وقد أرسل الى اسحاق الثانى بعد فتح بيت المقدس يخبره بالفتوحات ، وتسليم مائة وتسعين رجلا اليه من رعايا الدولة البيزنطية ، كان صلاح الدين قد أسرهم فى حروبه ضد الصليبيين (١٠٤) . ويضيف بعض المؤرخين ، أنه عندما بلغت القسطنطينية أنباء انتصار صلاح الدين فى حطين ، أرسل الامبراطور البيزنطى اسحق انجليوس سنة ١١٨٨ م ، سفاره الى صلاح الدين مهنئا ويطلب منه ضرورة ، اعادة الاماكن المقدسة المسيحية الى الكنيسة الارثوذكسية(١٠٥) .

ولما تأكد صلاح الدين من أن هناك حملة المانية فى طريقها الى الشرق الاسلامى ، سارع بارسال سفاره الى اسحق الثانى انجليوس البيزنطى ، وكان أهم مهامها ، ضرورة

التفاوض على اتفاقية مع البيزنطيين بشأن المشاركة فى صد حملة فردريك الأول الألمانى ، كما أرسل له هدايا فخمة وعظيمة ، من مسك وجواهر ونعام وفيله صغيرة وتوابل ، وغير ذلك من الأشياء الغالية الثمن ، كما أهدى اليه ، منبرا ، اذ اهتم صلاح الدين باقامة الشعائر فى مسجد القسطنطينية ، الا أن المنبر لم يصل ، لأن الجنويين استولوا عليه ، وأحضروه الى صور ، واستغل كنراد مونتفرات هذا للتشهير بالامبراطور البيزنطى فى أوربا . وكتب الى أوربا فى ٢٠ سبتمبر ١١٨٨ م مقررا ، ان المنبر هو خير دليل على التعاون بين اسحق وصلاح الدين (١٠٦) غير أن هذا لم يمنع بيزنطة من التعاون مع الأيوبيين وأصبح البيزنطيون يحرصون على دوام الصداقة مع صلاح الدين ، لأن مصلحتهم قاصرة على الوضع فى الشرق الاسلامى، فخطبوا ود صلاح الدين،ولم يعد الغرب الأوربى سواء البابوية فى روما ولا الاباطرة فى الغرب الأوربى ، يشكلون أى عائق فى وجه الامبراطورية البيزنطية ، ومن هذا المنطلق اهتم البيزنطيون بالسفارات الأيوبية ، ورحبوا بها ، ولم يتم استقبال السفراء الأجانب بنفس الأسلوب الذى استقبلت به السفارات الاسلامية ، والتى كانت من قبل صلاح الدين . وبذا فتح اسحق على نفسه باب العداء من الغرب عليه .

وقد سبق القول ان الامبراطور فردريك الأول أرسل بعثة الى الامبراطور اسحق الأول لتسهيل عبور الحملة الألمانية الى الشرق ، الا أن السفارة سجنت فى شهر مايو ١١٨٩ م . اذ ربما كما يذكر بعض المؤرخين ، يكون ثمة دافع من سفراء صلاح الدين — الذين كانوا موجودين فى البلاط البيزنطى وقت وصول السفارة الألمانية — وراء سجن السفارة الألمانية (١٠٧) . وأرسل اسحق سفاره الى صلاح الدين وصلته فى أغسطس — سبتمبر ١١٨٩ م /

٥٨٥ هـ ، بمرج العيون ، وتضمنت الاتفاق على تدمير الجيش الألمانى ، وعدم تمكينه من العبور ، كما طلب اسحق من صلاح الدين رجال دين للخطبة والدعوة للخليفة العباسى بالقسطنطينية، وقد أرسل صلاح الدين الى القسطنطينية اماما ومؤذنا ومنبرا وقراء لقراءة القرآن (١٠٨) . كما يشير بعض المؤرخين ، ان صلاح الدين وافق على وضع الاماكن المقدسة المسيحية فى بلاد الشام تحت رعاية رجال الدين الأرثوذكس . وقد وصلت سفارة من القسطنطينية ، تفيد وصول المنبر — غير المنبر الذى استولى عليه الجنوية — ورجال الدين واقامة الخطبة للخليفة العباسى بالقسطنطينية (١٠٩) .

ويعلل بعض المؤرخين مسلك اسحق الثانى هذا واستعمال الدبلوماسية مع صلاح الدين ، التى جزع لها الفرنجة فى الشرق ، وليس بهدف ، أن يلحق الاذى والضرر بمصالح الصليبيين ، بل كان يقصد انتقاص قوة السلاجقة . غير أن ما حققه من عمل باهر ، بعودة الأماكن المقدسة الى رعاية الارثوذكس يعتبر فى ذاته صدمة للغرب الأوربى(١١٠).

بينما ذكر آخرون أن الامبراطورية البيزنطية قد اعتمدت على قوة صلاح الدين للوقوف فى وجه أخطار النورمان والبيازنه والجنوية (١١١) . وامبراطور المانيا والبابا اكبر الأعداء وأمرهم (١١٢) .

ويمكن القول بأن ما قام به الامبراطور فردريك الأول من تعاون واتفاق ومفاوضات مع الصرب والبلغار ، وما أبدته الأخيرتان من تحمسهما لمحاربة بيزنطة (١١٣) ، جعلت اسحق الثانى لا يتردد فى عقد معاهدة تحالف مع صلاح الدين اذ ظن أن الحملة موجهة ضده ، وربما يكون فردريك قد فكر فعلا فى توجيه الحملة ضد بيزنطة ، وخاصة بعد اتفاقها مع

صلاح الدين (١١٤) . ويؤيد هذا القول ما حدث من مواقفه بيزنطة ، لاختلاق المصاعب ضد الحملة الألمانية ، وقد كان لهذا صداه على الامبراطور فردريك الأول ، اذ أرسل الى ابنه هنرى السادس ، لكى يحث البابوية على توجيه حملة ضد الامبراطورية البيزنطية ، كما أن الأمر لم يكن بخاف عن الصليبيين ، اذ أنه فى صيف ١١٨٩ م ، أرسلت سيبللا Sibylla ملكة بيت المقدس (سابقا) الى الامبراطور فردريك الأول تخبره أن صلاح الدين دخل فى عهد أثيم مع امبراطور بيزنطة ، وتطلب منه الا يثق بمندوبى الامبراطور (١١٥) . بالاضافة الى أن الصليبيين قد عرفوا صراحة ان اتفاق اسحق مع صلاح الدين موجه ضد الامبراطور فردريك الأول ، ففى شهر نوفمبر ١١٨٩ م ، أرسل أحد الصليبيين بالشرق يذكر ذلك التحالف الأثيم بين امبراطور بيزنطة ، والسلطان صلاح الدين ضد اللاتين ، ولاسيما ضد الامبراطور فردريك الأول (١١٦) .

وهكذا ظل اسحق الثانى انجليوس يراسل صلاح الدين بشأن حملة فردريك الأول امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ويكتب له التطورات ويطمئنه . ففى نهاية ديسمبر ١١٨٩ م ، أرسل له رساله يستفسر فيها عن السفراء الذين طرفه وكذلك السفير الذى مات ، ويحث صلاح الدين على ضرورة الاستعداد للحملة الصليبية ، وذكر له أن الألمان لن يصلوا سالمين الى الشرق ، حيث قال « اذا وصلوا فانهم لن يستطيعوا القيام بأى شر لجلالتكم » (١١٧) .

وهكذا أصبح لدى الامبراطور فردريك الأول معلومات اكيدة من كل الأطراف بالتعاون البيزنطى الأيوبى ضده ، وقد ترتب على ذلك تأزم الموقف بين اسحق وفردريك ، اذ هدد الأخير بتدمير بيزنطة ، وتقدم واحتل أدرنة Adrianople ، ليقضى فيها الشتاء ،

اذ وجدها خالية من السكان ، وكانوا قد هجروها عندما عرفوا قدوم الامبراطور فردريك الأول (١١٨) . وقد خشى فردريك دوق سوابيا ابن الامبراطور فردريك — أن تسبب فترة الراحة هذه ، الترف وكسل الجنود الألمان ، لذلك عمل على ايجاد عمل لهم خلال تلك الفترة ، ووضع خطة لمهاجمة منطقة لا تبعد كثيرا عن « ادريانوبل » ، ويضيف بعض المعاصرين ، أن البيزنطيين تجمعوا فى هذه المنطقة وهم يثقون فى حمايتها ويدافعون عن تحصيناتها ، ضد القوات الالمانية ، ولكن استطاع الألمان هزيمتهم ، وأسر بعضهم (١١٩) .

ولا شك أن الامبراطور البيزنطى أصبح فى مأزق ، لأن صداقته لصلاح الدين لن تدفع عنه الجيش الالمانى ، وخاصة بعد أن عرف الرسالة التى أرسلها الامبراطور فردريك الأول (١٢٠) الى ابنه هنرى السادس ، فتوقع — اسحق — أن تأتيه جيوش لا قبل له بها ، بالاضافة الى انه سمع بما قام به الألمان من أعمال ، وكذلك تقدمهم ، ومن ثم خشى على امبراطوريته من الهلاك والتدمير ، الأمر الذى ترتب عليه أن أرسل مبعوثيه للامبراطور فردريك الأول من أجل السلام ، ولقد رأى بعض الألمان التابعين لفردريك ، أنه من الخطر الدخول فى سلام مع الامبراطور اسحق ، الا أن فردريك فضل المعاهدة والصلح مع اسحق خوفا من أن تتأخر الحملة الألمانية فى الوصول الى الشرق الاسلامى (١٢١) . وقد تعهد سفراء الامبراطور اسحق بمساعدة الامبراطور فردريك وجيشه فى العبور ، ووعد بأنه سيكون خادما مخلصا للمسيحيين ، وسوف يضع نفسه وكل ما يملك تحت تصرفهم وأنه سينظم لهم سوقا يشترون منه ما يلزمهم من المؤن ، وسيخصص لهم مساحة آمنة من أملاك الامبراطورية البيزنطية (١٢٢) . كما أن بيزنطة تعهدت بدفع تعويض للألمان عن خسائرهم ، وسوف تعد السفن لعبور الحملة الألمانية ، الى

الجانب الآسيوى (١٢٣) . ولم يكتف الامبراطور الألمانى بذلك بل طالب برهائن بيزنطيين حتى يكفل تطبيق المعاهدة ، ووصل عدد الرهائن الى تسعمائة ، وفى الرابع من فبراير ١١٩٠ م ، أقسمت الشخصيات العظيمة والمرموقة فى الامبراطورية البيزنطية — فى كنيسة سان صوفيا Saint Sophia ، بأن يأخذوا فى الاعتبار هذه المعاهدة (١٢٤) . وفى المقابل تعهد الالمان بعدم الاعتداء على اى جزء من بيزنطه (١٢٥) . كما هدد الامبراطور فردريك بالعقاب على كل من يلجأ الى السلب والنهب من أفراد الحملة الألمانية ، هذا وقد واجه الامبراطور فردريك النقد بسبب عقده هذه الاتفاقية ، مع البيزنطيين ، وخاصة من بعض تابعيه لانفراده بالرأى (١٢٦) .

ومما يجب ذكره أن هذه الاتفاقية التى عقدت تعتبر نصرا دبلوماسيا لفردريك الأول (١٢٧) . وذلك لما استطاع أن يحصل عليه من مواثيق ، وتعهدات من الامبراطورية البيزنطية ، اذ أمن جانب البيزنطيين من الهجوم عليه أثناء الطريق ، كما أنهم نفذوا المعاهدة التى سبق أن عقدها سفراء بيزنطة فى المانيا فى صيف ١١٨٩ م ، بخصوص التسهيلات اللازمة للحملة الألمانية من مؤن وغير ذلك . وفى أول مارس سنة ١١٩٠ م، تحركت الحملة الألمانية من ادريانوبل(١٣٨).وقد التزمت بالنظام فى سيرها، تجنبا للفوضى أو السخط بين الأفراد، اذ قسم الجيش الى ثلاثة مجموعات الأولى يقودها دوق سوابيا ، والمؤخرة يقودها الامبراطور فردريك بنفسه ، أما القلب فمهمته الاهتمام بأمتعة الجيش وفرسان الحملة وكانت كل مجموعة من هذه المجموعات الثلاث تنتظم مجموعات أخرى ، عليها عدد من الضباط وقائد عام ، وكان هذا هو الأفضل للمعسكر ، وظروف الحرب . فالجيش يتعرض للهلاك بدون قائد وحيث لا توجد المساواة(١٢٩). وعلى أية حال وصل السوابيون والبافاريون فى ٢١ مارس الى

غاليبولى الواقعة على الدردنيل (١٣٠) . وكان فى انتظار الالمان ، خمسمائة سفينة وستة وعشرون شونة بيزنطية (١٣١) . لتنقلهم الى ساحل آسيا (١٣٢) . وعبر الجيش يوم الأحد الخامس والعشرين من مارس ١١٩٠ م ، أما الامبراطور فردريك فقد عبر بنفسه فى ٢٨ مارس ١١٩٠ م . ومعه مؤخرة الجيش وبعض اتباعه ، وبذلك تكون الحملة الالمانية قد عبرت من أدريانوبل الى آسيا (١٣٣) . وبعد أن عبر فردريك بحملته ، اجل تحرك الجيش حتى أعياد الفصح (١٣٤) ، وسط أصوات المزامير فى حضور جمع غفير من الناس على ضفتى نهر « لسان القديس جورج » اذ كان نهرا صغير (١٣٥) . ثم عبره ، ويذكر بعض المؤرخين أن الامبراطور فردريك اتخذ الطريق الذى يقع بين الطريق الشرقى الذى صارت فيه الحملة الأولى سنة ١٠٩٧ م . والطريق الغربى الذى سار فيه فردريك مع عمه كنراد الثالث فى الحملة الثانية سنة ١١٤٨ م (١٣٦) .

ومهما يكن من أمر فقد أتبع الامبراطور فردريك الأول الطريق الذى اتبعه الاسكندر المقدونى ، فقد انطلق فردريك الأول الى « لامباسك » Lampasque مارا على « لجرانيك » ، وتوجه نحو « لودكيا » Laodicee ، مخترقا مدن « برجام » Pergame و « سردس » Sardes . ثم بلغوا ما بين جبلى «اوليمبوس» و « ارينجو » (١٣٨) . وفى الطريق الى « فلادلفيا » Philadelphia (١٣٩) ليحتلها ، حلت كثير من المصائب على الجيش الألمانى ، اذ توجهت جيوش « التيوتون » Teutons ، مدة احدى عشر ساعة وسط غابة مملوءه بالأخشاب الكبيرة من الشمال بجبال « بلنجى دو » Bellendji-dagh وكان الصليبيون قد تأثروا بالجوع على أسوار فيلادلفيا ، يريدون قطع الحصائد لدرجة أكل الأحياء ، وقد هدد فردريك الأول بمهاجمة المكان ، ويذكر بعض المؤرخين أن النصحاء قد منعوه وأشاروا

عليه بأن هذه المدينة مملوءة بأشياء مقدسة ، التى يستشعرون فيها « المسيح الحى » وآخر معاقل المسيح ضد الاتراك (١٤٠) .
ومما يجدر الاشارة اليه أن فيلادلفيا كانت تابعة للسلطان السلجوقى ، وقد رفض اهلها تقديم المساعدات العسكرية الى الألمان ، لذلك حدثت معارك بينهم (١٤١) . وعلى أية حال سار فردريك بجيشه تاركا وراءه قمم « سيوجس » Sages وغاباتها ، ووصل الألمان الى « ترابلى » (١٤٢) التى تحيط بها هضبة عندها من الشمال الشرقى ينبع نهر ، وتحيط بها احجار صلبة ، وقد عسكر الالمان هناك بجوار أشجار التين ، قبل أن يتوجهوا الى الضفة اليسرى من النهر ، وعبروا بعد ذلك نهر « ليكوس » Lycus (١٤٣) شمال ترابلى ، ووصلوا الى « لادوكيا » Laadicee (١٤٤) ، بعد حوالى ساعتين من السير ، اذ استولوا عليها فى ٢٧ ابريل ١١٩٠ م (١٤٥) . أى بعد شهر من عبورهم الدردنيل ، ووجدوا بها غنائم كثيرة .

ولكن الذى يدعو الى التساؤل هو موقف السلاجقة من حملة الامبراطور فردريك الأول ، اذ أن هناك اتفاقا بين الامبراطور الألمانى والسلاجقة (١٤٦) ، وخاصة منذ التعاون الذى حدث فى موقعة ميركيفا ليوم ضد البيزنطيين ، وفى نفس الوقت الذى كان فيه الامبراطور فردريك بالشرق قبل عبوره الدردنيل ، كانت المراسلات بينه وبين السلطان السلجوقى مستمرة (١٤٧) . ويذكر بعض المعاصرين ، أن سلطان قونيه ، عز الدين قلج ارسلان الثانى بن مسعود سلطان سلاجقة الروم (١١٥١ ـ ١١٩٢ م) كان يتوق للنيل من الألمان ، فأعلن صداقته معهم تحت ستار مضلل ، وهو يخفى فى داخله الغل والحقد لهم فيباغتهم فجأة حينما يكونون غير متيقظين (١٤٨) .
ولم يكن الألمان يعتقدون فى وقوف السلاجقة ضدهم ، وليس أدل على ذلك من أن الألمان ـ تركوا غنائم السلطان السلجوقى ،

ولم يستولوا عليها عند عبورهم الى أراضيه ، كما انهم لم يعملوا حسابا لمثل الهجوم السلجوقى عليهم . لكن الألمان استطاعوا أن يوحدوا انفسهم ، ويجمعوا أسلحتهم ، اذ كان عددهم ثلاثة آلاف فارس ، بالاضافة الى ثمانين الف راجل (١٤٩) . وقد كان موقف قلج ارسلان فى موضع لا يحسد عليه ، فهو قد تعهد بالسماح للامبراطور فردريك الأول وجيشه بعبور أراضيه ، فى نفس الوقت الذى أصبح أمام جيوش المانية كثيرة ، وهكذا اذا سمح لفردريك بالعبور فسوف ينقلب المسلمون جميعهم ضده ، ومن ثم آثر الصمت حتى يتبين له الموقف تماما، الأمر الذى ترتب عليه أن ترك الجيش الألمانى يتوغل فى اقاليم السلاجقة.ويفسر بعض المعاصرين ذلك ، بأن السلطان السلجوقى أراد أن يوقع الألمان فى مأزق الجوع وحاجتهم الى المؤن من جهة ، وفى التعب الذى يلحق بالألمان من جهة اخرى(١٥٠). ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان السلجوقى لم يكن ينوى ـ برغم ما بذله من وعود ـ أن يسمح للصليبيين باجتياز بلاده فى هدوء (١٥١) . لذلك بعد ستة أيام من الاستيلاء على « لادوكيا » أى فى ٣ مايو ١١٩٠ م . اتبع السلاجقة اسلوب الهجوم الخاطف على الألمان وخاصة على مؤخرة الجيش ، ومقدمته بهدف فصل الجيش عن بعضه ، وقد حل الليل على الجيش الألمانى ، مما جعله فى حالة دفاع دائم ، اذ اخترقت رماح السلاجقة خيام الألمان ، فقتل منهم الكثير (١٥٢) . ويذكر احد جنود الحملة الألمانية ، انه « فى الرابع من مايو ١١٩٠ م ـ كنا قرب « سوسوبولى » (١٥٣) ، ودخلت الجيوش الى مغاور الجبال حيث اشتكت من البرد والفقر ، وبعد أن مشينا بعض الوقت فى خوانق ضيقة ، غادرت الجيوش الطرق الملكية الى قونية ، وتوجهت نحو اليسار فى المناطق الجبلية والأقل تحوله » (١٥٤) .

ولم يكن أبناء السلطان السلجوقى يرغبون فى مهادنة الألمان ، لذلك واجهوا الجيش وحاولوا صده فى عيد العنصرة (١٥٥) ولم

يكن أمام الألمان الا محاربتهم ، فى سهل « فيلوميليوم » Philomelium (١٥٦) يوم الاثنين « عيد العنصره » والتقى الاتراك السلاجقة بالألمان وخاصة مع الفليق الأخير ، وهاجموهم بالرماح ، وعرف دوق سوابيا ذلك ، فأسرع الى ساحة المعركة بأسرع ما يكون ، وبينما كان يبحث عن أبيه ــ الامبراطور فردريك ــ وهو على هذه الحال صائحا باسم والده ، أصيب بحجر فى رأسه ، وكسرت أسنانه وبقى عاجزا عن الحركة (١٥٧) . ومن المحتمل أن الامبراطور فردريك نفسه كان فى المعركة ، اذ يذكر البعض أنه « كان سعيدا لمحاولته انقاذ أبيه ، وكم كان يبذل نفسه ويعرضها لهذه المخاطر التى لا تنتهى وعزاء له على ذلك الجرح الذى أصابه ، فشكل اللثه الخالية من الاسنان تشهد له بالنصر » (١٥٨) .

ويروى شاهد عيان واحد جنود الحملة تفاصيل هذه المعارك التى كانت لا تنتهى فيقول « وفقدنا كثيرا من دوابنا مع النقود والملابس والمتاع التى كانت تحملها الدواب وقتلنا كثيرا من البربر ، ولكنهم تكاثروا ، وبقدر ما كنا نقتل البربر بقدر ما كانوا يتكاثرون ، واضطررنا الى أن نحارب فى نفس الوقت أمير « فيلوميليوم » وأمير « فرما » Ferma مع جماعة من البلاد المجاورة ، وبعض ايام كنا نقاتل من الصباح حتى المساء » (١٥٩) .

ومهما يكن من أمر فقد أعترف الالمان بهزيمتهم أمام السلاجقة، وقد تصوروا أن القديس جورج Saint George يحارب معهم ضد المسلمين ، ويذكر شاهد عيان أنه « قضى الليلة فى صحراء رملية ، لا ماء فيها ولا حياة كمثل النعاج » (١٦٠) ويوجز أحد المعاصرين ، وضع الحملة الألمانية ، وهم فى الطريق الى قونيه بقوله « واجهز العدو (السلاجقة) عليهم دون هواده ولمدة ستة أسابيع حتى انهم كانوا يأكلون وينامون بأسلحتهم دون خلع دروعهم ، واشتد بهم

الجوع والعطش ، واضطروا لأكل لحوم الخيل التى ماتت فى هذه الحرب ، فكانت بمثابة عزاء لهم ، كما اضطروا للشرب من دمائها ، وبذلك علمتهم الضرورة أن يجدوا استعمالا آخر للحيوانات التى يركبونها » (١٦١) وكان الألمان وسط هذه الأزمات المتلاحقة بهم ، قد خسروا الكثير ، فأصبح أهم شىء عندهم هو الوصول الى قونيه Icounium ، فقد وقع فى أيدى الألمان جندى تركى ، وتعهد له فردريك الأول ، بأنه سيتركه على قيد الحياة ، اذ اخرج الجيش من هذه الصحارى ، فنصح الجندى التركى الألمان بأخذ الطرق المتوجه الى اليسار نحو « سوسوبولى » ، وكان يسير على راس الجيش والسلسلة حول عنقه وعليه أن يدل الصليبيين على المدن الغنية (١٦٢) .

ومما يجب الاشارة اليه ان الصليبيين قطعوا الطريق من لادوكيا الى قونية فى خمسة وثلاثين يوما ، وكان بعد كل مسيرة ستة أيام، يجدون مدينة وخلال الطريق الطويل لم يجدوا الا مدينتين، واما باقى الطريق فكان عبارة عن بقايا لمدن بلا اسماء ، والجبال الجرداء والبحيرات المالحة ، بالاضافة الى الأعداد الكبيرة من الاتراك الذين يهاجمون الألمان ليل نهار ، وكان الآخرون يطاردونهم الى قمم الجبال (١٦٣) . وازاء كل هذه المواقف دخل الالمان الى ارض قونيه ، ووجدوا بها مصادر الماء وكلما اقتربوا من المدينة وجدوا العيون والجداول ، وفى اليوم السادس بعد عيد العنصره توجهوا الى قونيه (١٦٤) . ووصلوا أسوارها فى ١٧ مايو ١١٩٠ م (١٦٥) . فأرسل لهم السلطان السلجوقى بعض مساعديه، لكى يعرض على فردريك ، السماح له بالمرور ، مقابل اعطائه ثلثمائة قطعة ذهبية ، الا أن فردريك رفض وقال « ليس من عادتى أن اشترى طريقا بالذهب ، ولكن افتحها بالحديد ونجدة نبينا عيسى المسيح ، الذى نحن جنده » (١٦٦) وكان المسلمون قد هددوا الامبراطور فردريك بمهاجمته فى اليوم التالى بجيش قوامه ثلثمائة

ألف رجل ، بينما كان الجيش الألمانى عندئذ ألف فارس ، مجهزين بأسلحتهم وفى حالة جيدة ، ويذكر البعض أن فردريك الأول قد تلقى نصيحة فحواها ، أن يكسب أراضى أرمينية ، بدلا من محاصرة قونية ، الا أن الجيوش كانت قد تقدمت نحو مدينة قونية بناء على أمر الامبراطور فردريك (١٦٧) .

ويصف بعض المعاصرين حال الحملة عند أسوار قونية ، بأن الجنود الألمان قد نصبوا خيامهم على مسافة قريبة ، وهم يشكون من محنة ، وقد عصفت بهم ريح شديدة داخل المعسكر ، وأن الجيش التركى يحيط بهم فى كل مكان ، وأنه يزيد عددهم عن ثلثمائة الف رجل ، بقيادة قطب الدين (١٦٨) بن السلطان السلجوقى ، فى حين صعد السلطان قلعة شامخة ، حيث جلس يراقب الموقف الحربى ، الا أن الامبراطور فردريك استطاع أن ينتصر على قطب الدين بن السلطان ، واحتلت المدينة وملئت بالقتلى والدماء (١٦٩) . كما يرجع البعض هذا النصر الى حسن تنظيم الجيش الألمانى بالاضافة الى خوفهم من الله ، وعلى أية حال فقد استقر السلطان السلجوقى فى القلعة متحصنا بها(١٧٠) . وقد خشى على نفسه وعلى أملاكه ، الأمر الذى ترتب عليه أن أرسل الى الامبراطور فردريك الأول — وكان الأخير قد دخل المدينة ، وقابل ابنه فردريك السوابى الذى دخلها قبله (١٧١) — والقى اللوم على ابنه قطب الدين وأعلن براءته شخصيا ، وعرض على الامبراطور عقد اتفاقية بينهما ، على أن يأخذ الامبراطور فردريك الذهب مقابل أن يطلق الأخير سراح الرهائن (١٧٢) ، والذى لا شك فيه أن فردريك قبل هذا العرض فى مايو ١١٩٠ ، لأنه لا يريد أن يدخل فى حروب جانبية من الممكن أن تثنيه عن هدفه الأهم وهو بيت المقدس ، ومن هذا المنطلق ، أرسل له السلطان السلجوقى من الذهب خمسين قنطارا ومن الفضة خمسين قنطارا ومن الثياب الطلس المعدنية ما بلغ الألوف (١٧٣) . وتم

اطلاق الرهائن من جانب الامبراطور فردريك ، وقد وجه بعض القواد كالعادة اللوم للامبراطور فردريك بسبب اطلاقه سراح الرهائن لأنهم لم يكونوا ليأمنوا جانب السلطان السلجوقى (١٧٤) . وبطبيعة الحال لم يكن الامبراطور فردريك الأول ، يترك الأمر طبقا لما يشتهى السلطان السلجوقى ، فكان يستعين بمرشدين من السلاجقة حتى يمكن لهم الخروج من بلاد السلاجقة ، وليأمنوا عدم وقوع أى اعتداءات عليهم، وتشير المصادر العربية واللاتينية المعاصرة ،الى أن السلطان السلجوقى أعطى الامبراطور فردريك رهائن من أولاد أكابر السلاجقة زاد عددهم على عشرين (١٧٥) . ويذكر البعض أن الامبراطور فردريك لم يمكث طويلا داخل أسوار المدينة ، ولكنه أجاز لجيشه أن يخلد الى الراحة فترة من الزمن فى حدائق ميرام بالأرض الجنوبية للمدينة (١٧٦) . ثم تحرك الامبراطور فردريك وجيشه من المدينة . وبالرغم مما حدث من اتفاق فقد قابل الجيش الألمانى أجناسا كثيرة اعترضت طريقهم ، وحاربتهم ، منهم التركمان والترك والتركستين (١٧٧) Les turcomans, Les turcobares, Les turcogistes et lesturoscytes وقد أتوا من ضفاف بحر قزوين ، حيث احتلوا « سرقسيا » Circassie (١٧٨) وعلى أية حال بعد النصر الألمانى العسكرى والدبلوماسى على قونية ، رأى الألمان أن أمامهم قوة معادية لابد من محاربتها ، اذ تحركوا الى « لارند » Laranda (١٧٩) ووصلوا اليها بعد مسيرة ستة أيام أى فى ٣٠ مايو (١٨٠) . فى نفس الوقت كان التيوتون قد استطاعوا أن يسيطروا على كثير من الحدود المسيحية (١٨١) ، وهى لبلاد أرمينية ، وصاحبها ليون الأرمنى Lean II ١١٧٨ — ١٢١٩ م (١٨٢) . الا أن الأخير أرسل الى الامبراطور فردريك سفراءه ليبعث بالنجدة التى كان فى حاجة اليها ، ونصحه بالا يمكث كثيرا فى بلاده خوفا من الجوع والفوضى (١٨٣) . بالاضافة الى أنه قد أبدى استعداده لأن يقدم

للامبراطور فردريك ، كل المعونة والمساعدات التى يحتاج اليها ، وأظهر له الطاعة والأمان (١٨٤) .

وفاة الأمبراطور فردريك الأول وتولية ابنه فردريك السوابى

قاد الامبراطور فردريك الجيش الالمانى ، عبر دروب جبال طوروس Tours فى الطريق الى انطاكية ، وكان عليهم ان يظهروا شجاعتهم ، وصبرهم ، وعلم الامبراطور بأن الجيش عليه أن يقطع طريقا صعبا ، نحو الساحل الجنوبى الى سلوقية ، وكان ميناء سلوقية ، (طرسوس) (١٨٥) وقتذاك بأيدى الأرمن ، والطريق وعرا والطعام فيه شحيحا ، واشتدت جرارة الصيف ، واتفق الجميع على عبور نهر سالف Salf (١٨٦) . أو نهر سيلوس Salesius ، فى قليقيه Cilicia وقد بدأ سلاح الفرسان فى العبور ، اذ كان نهرا صغيرا ، وكان الامبراطور يمشى فى مؤخرة الجيش (١٨٧) . وذلك فى بداية شهر يونيو ١١٩٠ م . وقد اراد الامبراطور أن يسبق جنوده من الفرسان لعبور النهر ، الا أن عددا من خواصه ، حذروه ، وقد يكون الاختراق بغرض الاستحمام والترطب بالمياه من حرارة الجوفى ١٠ يونيه ١١٩٠ م ، او بغرض السباحة الى الشط الآخر بعد ان خلع ملابسه . وأيما كان الأمر فقد نزل الامبراطور النهر ، فأعترته قشعرة شديدة ، وطلب الاغاثة ، فخطفه الخدام من النهر منزعجا منازعا ، الا انه مات بعد أيام (١٨٨) . اذ لم ينجح رجاله فى اغاثته (١٨٩) . وكما يذكر جيفرى فينزوف أن موت الامبراطور ، لم يكن هو الشىء المؤلم ، ولكن المؤلم حقا هو سبب الموت ، ويضيف ، بأن هناك من يقول بأن هذا النهر قد عرف بالموت منذ العصور القديمة ، وعلى الصخرة القريبة منه محفورا « هنا سيهلك أعظم الرجال » Here the Greatest men shall perishm (١٩٠)

ولا شك ان وفاة الامبراطور فردريك الأول كان بداية النهاية لهذه الحملة التى عانت الكثير خلال عبوزها ارأضى السلاجقة فى آسيا الصغرى ، بالاضافة الى انه ترك ابنه فردريك السوابى ، الذى كان أقل خبرة من والده فى شئون السياسة ، غير أنه يعتبر أعظم الأمراء فى الحملة ، فقد كان طبيعيا أن يصبح على رأس الحملة الالمانية ، وقد رأى بعض الأمراء ، أن أخاه الأكبر هنرى السادس (١٩١) . هو أولى بقيادة الحملة ، ولكن من الصعوبة بمكان تولى هنرى السادس قيادة الحملة ، لأنه كان يراعى شئون الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الغرب ، أثناء فترة غياب والده فى الشرق (١٩٢) . وعلى أية حال فقد استقر رأى الجميع على تولى فردريك السوابى قيادة الحملة ، خلفا لوالده (١٩٣) . وتشير المصادر العربية المعاصرة الى أن « ليون الثانى » أمير أرمينية ، كان فى طريقه ، الى مقابلة الامبراطور فردريك ، وعندما علم بما حل بهم لم يرغب فى أن يلقى بنفسه فى وسط الألمان ، لذلك رجع الى قلاعه المنيعة ، ولما عرف فردريك السوابى ذلك ، ارسل الى امير أرمينية ، يستعطفه ويشرح له موقفه . اذ قال : « ان ابى كان شيخا كبيرا ، وما قصدت هذه الديار الا لأجل الحج الى بيت المقدس ، وأنا الذى دبرت الملك ، وعانيت المشاق فى هذه الطريق ، فمن لم يتقدم لطاعتى ، قصدت دياره » (١٩٤) .

ولم يكن أمام ليو الأرمنى الا ان يستجيب لنداءات فردريك السوابى ، واغلب الظن ، فان أمير ارمينية خشى على نفسه من تقلب الرأى العام الصليبى ضده ، ويذكر امير ارمينية حال الألمان ونظمهم ، فى الرسالة التى بعث بها الى صلاح الدين حيث يقول : « ان عددهم كثير ، وبهم اجناس متفاوته ، ونظامهم فيما بينهم صارم ، فمن يرتكب منهم جناية

يذبح ، بحكم القساوسة ، وانهم حرموا انفسهم من الملذات ، وهجروا ثيابهم ، ولم يلبسوا الا الحديد » (١٩٥) . وقد وصلت هذه الرسالة الى صلاح الدين فى يوليه / اغسطس ١١٩٠ م — ٥٨٦ هـ عن طريق قلعة الروم (١٩٦) . ويمكن القول بأن سياسة أمير أرمينية كانت ذات وجهين فهو مع الصليبيين الألمان طالما كانوا اقوياء ، واذا لم يصبح منهم رجاء فهو يخطب ود صلاح الدين خوفا منه .

ومهما يكن من أمر فردريك السوابى فى أرمينية ، فانه قرر اخيرا استكمال المسيرة بهدف تحقيق السياسة الشرقية لوالده ، لكن جيشه أصبح ضعيفا وقليلا ، اذ تخلى كثير منهم عن الديانة المسيحية ، واعتنقوا ديانات أخرى ، نتيجة لما حل بهم فى أرمينية ودعوا المسيح بقولهم : « لقد سقط التاج (الامبراطور فردريك) من فوق رؤسنا فسخطا لنا نحن الذين عصينا » (١٩٧) وقرر بعض الأمراء العودة بأتباعهم الى المانيا (١٩٨) ، وفريق ثالث استقل سفينة من طرسوس الى صور (١٩٩) .

وهكذا لم يبق من الالمان الا أولئك الذين خجلوا من العودة فظلوا تحت قيادة فردريك السوابى ابن الامبراطور (٢٠٠) . للتوجه الى انطاكية ، فاجتازوا سهل قيليقية ، حيث مرض فردريك ، مرضا شديدا ، أعاقه عن السير على حين تقدم جيشه من غير قائد (٢٠١) . فسار بعضهم الى حلب فتخطفهم المسلمون ، ولم ينج منهم الا القليل (٢٠٢) . وسار بعضهم من تحت قلعة بغراس (٢٠٣) يقودهم كونت المانى ، وقد أسر عسكر بغراس منهم عدداً كبيراً .

هذا وقد ذكر أمير أرمينية فى رسالة أخرى لصلاح الدين ، ما بقى من حملة فردريك السوابى بقوله « ضعفاء قليلوا الخيل والعدة ، واكثرهم ثقلهم على حمير وخيل ضعيفة » وقال ايضا « لقد وقفت على جسر يعبرون عليه لاعتبرهم ، فعبر منهم جمع عظيم ، ما وجدت مع واحد منهم طارقه ، ولا رمحا الا النادر » ذلك لانهم حرقوا معظم ادواتهم الحربية لاحتياجهم الى النار (٢٠٤).

وعلى أية حال وصلت هذه الحملة الى انطاكية **Antioche** فى ٢١ يونيه ١١٩٠ م (٢٠٥).وقد مات الكونت الذى كان على راسهم، ولما علم بوهيمند الثالث(١١٦٣ — ١٢٠١م) أمير انطاكية، بحالة فردريك السوابى ، ذهب اليه ، ليحضره الى انطاكية ، واستقبله استقبالا عظيما ، وادى بوهيمند يمين الولاء لفردريك السوابى (٢٠٦) . وسلم له المدينة بكل مقومات الدفاع عنها ، ولتقوية عملية الدفاع ، عرض عليه استعداده لحماية المدينة من أجل حماية فردريك ورجاله ضد هجمات الأعداء (٢٠٧) .

بقى فردريك السوابى فترة فى انطاكية ، ولم يستطع أن يقوم بعمل حربى أو سياسى يستحق الذكر ، سوى الهجمات الخاطفة التى كان يقوم بها أفراد حملته ، على بعض القلاع المجاورة مثل حلب وبغراس ، الا أن الحاميات الاسلامية كانت تصدهم وتأسرهم (٢٠٨) . وبالتالى أصبح عدد الجيش الألمانى فى انطاكية قليلا ، قدره البعض بحوالى خمسة آلاف فقط ، هذا الجيش الذى كان قد خرج من المانيا ما يزيد عن مائتى الف جندى (٢٠٩) . واصبح من الضرورى أن يأتى فردريك السوابى بعمل عسكرى ضد المسلمين بالشرق الاسلامى ، ولما كانت حالة جيشه العسكرية لا تسمح بعمل يقابل فيه المسلمين وجها لوجه ، لذلك فكر فى الاتجاه الى عكا (٢١٠) . وشجعه على هذه الفكرة ابن عمه كنراد مونتفرات — الذى قام

بزيارة له من صور (٢١٢) فضلا عن تشجيع بوهيمند الثالث امير انطاكية لهذه الفكرة (٢١١) .

خرج فردريك السوابى ومعه جيشه من انطاكية فى الاربعاء ٢٨ اغسطس ١١٩٠ م / ٢٥ رجب ٥٨٦ هـ ، وهو قاصد عكا ، وفى الطريق من انطاكية الى اللاذقيـة ومن اللاذقيـة الى جبلـه واجهته مصـاعب كثيرة فى الطـريق ، اذ خارت قـوى كثير من الخيول التى كانت تحمل جنوده ومتاعه ، كما لاقى الجيش متاعب جمه ، من هجوم اسلامى فى الطريق من جبله الى طرابلس ، التى وصلهـا يوم الثـلاثاء ١١ سبتمبـر ١١٩٠ م / ٨ شعبـان ٥٨٦ هـ (٢١٣) .

ولما كان الجيش الالمانى على طول المسافة من انطاكية حتى طرابلس قد لاقى الكثير من المتاعب ، اصبح لا يستطيع عمل شيء يذكر (٢١٤) . وقد مكث فردريك السوابى بعض الوقت فى طرابلس ، وارسل الى عكا يخبرهم بانه سيحضر اليهم ، وفى اواخر شعبـان ٥٨٦ هـ / سبتمبر ١١٩٠ م ، توجه بحرا الى عكا (٢١٥) . عـلى المراكب التى اعدت له ، وركب عليها ومعه جنوده ، الا انه قامت ريح شديدة اغرقت بعض سفنهم ، واجبرتهم على العودة ثانيـة الى طرابلس ، ثم اقلعوا اخيرا الى صور (٢١٦) ، وارسل بقيـة الجند الالمانى الى عكا ، واقام بصور ليلة واحدة وتوجه بمفرده الى عكا فى ٦ رمضان ٥٨٦ هـ / ٧ اكتوبر ١١٩٠ م (٢١٧) . ومجمل ما وصل من الجيش الالمانى لم يتعد الف رجل ، وقد فكروا فى القيام بشن هجوم على عكا (٢١٨) . فى نفس الوقت الذى غادرت سفن المانيـة عكا الى المانيـا ، وخاصـة كونت ادولف اف هولستين Adalf of Holstein . (٢١٩) .

ومهما يكن من امر الحملة الالمانية التى وصلت بقاياها الى عكا ، فهناك عدة تساؤلات هى : هل اشتركت الحملة فى تخليص

عكا من ايدى المسلمين ؟ او هل كان للصليبيين دور فى حصار عكا قبل وصول الألمان ؟ واذا كان كذلك فما هو موقف الشرق الاسلامى من هـذه الحملة الصليبية عامة ، ومن حملة فردريك السوابى خاصة .

فى الواقع لم تكن حملة فردريك السوابى هى التى اتت الـى عكا فقط ، ولكن جاءت قوات اخرى من ألمانيا قبله . وخاصـة « لاند جراف Land grave » (٢٢٠) من ثورنجيا Thuringia الذى استطاع أن يقنع المركيز كونراد مونتفرات Conarad of Montforrat ، بأن يأتى اليه فى عكا وخاصة عندما كان كنراد على نزاع مع الملك « جاى لوز جنان » ، وقد وافق المركيز على الحضور الى عكا ، مع بقاء الخلاف بينه وبين الملك جاى (٢٢١). بالاضافة الى ذلك فقد جاء من الغرب بعض الألمان فى سبتمبـر ١١٨٩ م،بطريق البحر،من فريزيين وفلمنك Frisian and Flaming تحت قيادة « جيمس أفنس » James of Avesnes ، فضلا عن جماعة من النبلاء السكسون تحت قيادة أوتو اف جلدر Otto of Guelders ، و « هنـرى اليتنبـرج » Henry of Altenburg وجنود مشاه من كلونى Cologne ، علاوة على ذلك أن الانجليز كانوا فى الطريق (٢٢٢) .

وبعد زيادة عدد الجيش على عكا بهذه الصـورة ، أصبح أكثر ملاءمة لدخول الحرب ومهاجمة المسلمين (٢٢٣) . فقد قـاد الملك جاى لوز جنـان الجيش فى الرابـع من آكتوبر ١١٨٩ م / ٥٨٥ هـ وترك أخاه « جفرى » يراقب عكا ، ليأخذ معسكره الشرقى على بعد ميلين من هضبة « جودا » Agadieh ، وقـد تشكل الجيش على النحو التالى : فى القلب بارونات الأرض المقدسة ، وايطاليين ، كانوا تحت قيادة كونراد ، أما الوسط الأيسر فكان

من الألمان الذين أتوا تحت قيادة « لاندجراف » ، هـذا ويرأس الجانب الأيسر كله ، « جيرارد ريدفورت » Gerard de Ridfort واندفع الفرسان الالمان والايطاليون الى المسلمين ، الذين هزموهم عند الأردن (٢٢٤) .

وهكذا بدأت القوات الألمانية تباشر نشاطها العسكرى ، فما هو الدور الذى لعبه السياسيون بالدولة الأيوبية لصد هذه الهجمات ؟

موقف المسلمين من الحملة الألمانية :

عرف السلطان صلاح الدين ، أخبار الحملة الالمانية هذه ، منذ أن بدأ الاستعداد لها فى أوربا ، وذلك عن طريق الامبراطور اسحق الثانى انجليوس امبراطور الامبراطورية البيزنطية . ويرى بعض الباحثين أن صلاح الدين عرف أخبار هذه الحملة من تجار الجمهوريات الايطالية الثلاث (جنوا — بيزا — البندقية) اذ كانت هناك فى ميناء الاسكندرية فى شتاء سنة ١١٨٧ — ١١٨٨م — ٥٨٣ هـ سبع وثلاثون سفينة تجارية قادمة من هذه الجمهوريات الثلاث ، وقد أخبر تجارها المقيمون فى الاسكندرية عن حملة فردريك الأول (٢٢٥) . علاوة على هذا انه فى رمضان ٥٨٥ / ١١٨٩ م ، أرسل الظاهر غياث الدين بن صلاح الدين (٥٨٤ — ٦١٣ هـ) من حلب الى والده يخبره ، أن ما تردد بشأن الحملة الألمانية صحيح (٢٢٦) .

والذى لا شك فيه أن هذه الحملة لم تكن مفاجأة لصلاح الدين ، نظرا لما كان قد حدث بينه وبين الامبراطور فردريك الأول من مراسلات ، تنم عن تهديد ووعيد من ناحية الامبراطور فردريك الأول ، ومن ثم فان مجىء حملة من الغرب فى وقت قريب جدا أمر

لم يكن مستبعدا بالنسبة لصلاح الدين ، لما جرت عليه عادات الصليبيين فى الشرق من الاستغاثة بالغرب فى ظروف الشدة الملمة بهم . كما أن هناك اتصالات تمت من جانب كبار الصليبيين المقيمين فى الشرق ، وفى مقدمتهم البطريرك ، ومقدمى الجماعات الدينية يستعجلون فيها رجال الغرب للمسارعة بارسال حملة ، اذن لم يكن من الغريب القول ان صلاح الدين كان على علم بها . بالاضافة الى أن الوقت الذى تقطعه الحملة من الغرب الى الشرق والمصاعب التى قابلتها ، كان كافيا لأن يعد صلاح الدين العدة للتصدى لها ، وليس مجرد العلم بها .

وقد ظهرت دبلوماسية صلاح الدين فى مقابلة هذه الأخبار ، فبدأ يستعد لها ، فارسل الى صاحب سنجار، وصاحب الجزيرة، وصاحب الموصل ، وصاحب اربل ، واستدعاهم للجهاد بأنفسهم، كما أرسل ابن شداد الى الخليفة العباسى ، الناصر لدين الله ، فى ١١ رمضان ٥٨٥ هـ (٢٢٧) . وكانت استعدادات صلاح الدين فى البر والبحر معا، اذ انه أرسل الى الأسطول المصرى، الذى وصل الى عكا فى ١١٨٩ م / ١٦ ذى القعدة ٥٨٥ هـ . فى خمسين شنيا ، واستجاب الأمراء بالشرق الاسلامى ، لنداء الجهاد الذى أعلنه صلاح الدين على لسان رسله ، فقد أرسل « عز الدين مسعود ابن مودود » صاحب الموصل ، ابنه علاء الدين مزودا بالنفط الأبيض (٢٢٨) والرماح (٢٢٩) والتراس (٢٣٠) .

وليس ادل على سرعة استجابة الخلافة العباسية لذلك من أن الامدادات جاءت الى صلاح الدين فى نفس الوقت الذى رجع فيه ابن شداد من سفارته الى الخليفة العباسى ، فى طلب الامدادات ، اذ أن ابن شداد عاد فى الخميس الخامس من ربيع الأول ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م (٢٣١) . ووصلت الامدادات فى ١٦ ربيع الأول ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م . وقد جاء بها الشريف فخر الدين ، ومعه

حملان من النفط التيار ، وحملان من القنا الخطى ، وتوقيع بعشرين الف دينار ، وخمسة من الزراقين (٢٣٢) النفاطين الذين يجيدون صناعة الحريق بالنار (٢٣٣) . واستجاب أيضا عماد الدين زنكى صاحب سنجار بعسكره ، وابن اخيه سنجر شاه ، صاحب الجزيرة ، وكذلك صاحب أربل (٢٣٤) .

ويمكن القول بأن سرعة الاستجابة هذه تدل على مدى تماسك الجبهة الاسلامية بالشرق ، لمواجهة الخطر الصليبى الذى يتهددها اذ أن هذا الخطر لا يهدد الدول الأيوبية فحسب ولكن يهدد المسلمين جميعا فى المنطقة .

ولما راى صلاح الدين أن الجيش الاسلامى قد أصبح فى وضع يسمح له بمقابلة الصليبيين ، تحرك ناحيتهم ، فنزل بتل كيسان ، فى ١٨ ربيع الأول ٥٨٦ هـ (٢٣٥) . وكانت المراسلات لا تنقطع عن السلطان صلاح الدين ، من الامبراطور البيزنطى ، أو من سلطان السلاجقة ، بشأن أخبار حملة فردريك الأول ، فقد تحقق السلطان من وصول ملك الألمان الى ارمينية ، واصبح قاب قوسين أو ادنى من بلاد الشام ، لذلك لم يستبد صلاح الدين بالأمر ، فأشار على ارباب الرأى والمشورة ، واستشارهم فى كيفية مقابلة ملك الألمان ، هل يخرج للقائهم فى الطريق ، ويحاربهم، أو يمكث مكانه لحين وصوله ؟ فأشار البعض عليه ، بالرأى الأول، وأشار آخرون بالرأى الثانى ، لكن صلاح الدين جمع بين الاتجاهين فى استراتيجية ، بأن يسير بعض العساكر الى البلاد المتاخمة لطريق الجيش الألمانى ، وأن يقيم صلاح الدين بعسكره فى مقابلة العدو خشية استيلائهم على عكا (٢٣٦) . وعلى هذا فقد تحرك الى طريق العسكر الالمانى ، ناصر الدين بن تقى الدين ، صاحب منبج ، وكذلك عز الدين بن المقدم ، صاحب كفر طاب وبعرين ، ومجد الدين صاحب بعلبك ، وسابق الدين صاحب شيزر ، وعسكر حلب وحماه ، وبدر الدين شحنه دمشق (٢٣٧) . وعندما

كان صلاح الدين بالقرب من عكا فى ٢٥ ربيع الأول ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م ، وصلة عوام من البلد ، معه كتب تذكر أن العدد قد كثر ، وقوى عزمه ، مما ترتب عليه أن تأهب صلاح الدين اكثر لملاقاة العدو ، فأمر العادل بأن ينتقل الى منزلة تقى الدين ، فى طرف الميمنة ، وكان عماد الدين زنكى فى طرف الميسرة ، وعرفوا بموت الامبراطور فردريك الأول ، وتولية ابنه (٢٣٨) . ووجه صلاح الدين جنوده ليتصيدوا جنود الألمان فى الطريق الى انطاكية — كما سبق ذكره — وعزم السلطان صلاح الدين على استقباله ، وامر السلطان بهدم أسوار طبرية ويافا وارسوف وقيسارية وصور وصيدا وجبيل ونقل أهلها الى بيروت (٢٣٩) .

كما امر السلطان ايضا باعادة تعمير الاسطول المصرى وتزويده بالمؤن والعتاد . ووصل الى الشام فى ٨ جمادى الأولى ٥٨٦ هـ ، على ميناء عكا بقيادة رجال من مصر (٢٤٠) . وفى نفس العام كانت قد وصلت نجده برية وبحرية بقيادة يدعى « مارجاريت » Margaritus ، لمساعدة الصليبيين المقيمين فى عكا ضد المسلمين ، وتصدى للمسلمين فى عكا وهزمهم (٢٤١) .

وهكذا كان صلاح الدين يتحرك برا وبحرا فى مواجهة التقدم الألمانى ، فى نفس الوقت الذى كان فيه الصليبيون يحاصرون عكا ، محاولين أن يفتحوها باستخدام كافة الحيل فصنعوا ثلاثة ابراج (٢٤٢) من خشب وحديد والبسوها الجلود المسقاة بالخل ، حتى لا تلتهمها النيران ، وكانت هذه الابراج كالجبال ، ومركبه على عجل يسع الواحد منها حوالى خمسمائة من الجنود ، ويسمح سطحها ايضا لأن ينصب منه المنجنيق ، وعلى اية حال فكان على السلطان صلاح الدين أن يواجه هذه الأعمال ، فجمع المهندسين من الزراقين والنفاطين ، واجزل لهم العطاء ، لكن ضاقت حيلهم، الا أن احد الدماشقة وكان يعمل سئاب نحاس ، ذكر انه يمكن

احراقها ، ان أمكن الدخول الى عكا ، وأحضر له ما طلبه من مواد ليستخدمها ، ودخل المهندس عكا ووضع المواد مع النفط فى قدور من النحاس ، حتى صارت كأنها جمرة نار ، ثم ضرب الأبراج الثلاثة بثلاثة أوان ، فاحترقت واحدا بعد الآخر (٢٤٣) .

هذه بعض المناوشات التى كانت تحدث بين المسلمين والصليبيين حول عكا ، وفى أماكن أخرى ، الى أن وصل فردريك السوابى ، — ببقايا حملة والده — الى عكا ، فى ٦ رمضان ٥٨٦ هـ / ٧ أكتوبر ١١٩٠ م . وتذكر بعض المصادر العربية ، أن الصليبيين عند عكا لم يرحبوا بفردريك السوابى وفرقته الألمانية (٢٤٤) ، خشية أن ينسب النصر ، — فى حالة الانتصار على المسلمين — اليه . وعلى أية حال فقد مكث فردريك السوابى، أياما فى عكا ووجه اللوم للصليبيين الموجودين فى الحصار ، لعدم قدرتهم على النصر ، كما رأى أن يواجه المسلمين ، مما ألهب حماس الجنود ورفع روحهم المعنوية وأصبح لا بديل عن القتال (٢٤٥) . وقال فردريك السوابى للصليبيين « لا بد من الخروج على اليزك لنذوق قتال القوم ، ونعرف مراسهم ، ونتبصر أمرهم ، فليس الخبر كالعيان » (٢٤٦) وخرج الى المسلمين بالمشاة والفرسان ، فى تل العياضية ، وحدث قتال ، وعندما علم صلاح الدين بذلك تحرك من تل كيسان ، مما دفع الألمان الى التقهقر ، لكن فردريك السوابى رأى أن يكرر الهجوم على المسلمين ، وخاصة على عكا ، فاستحدث من الآلات الحربية ، مالفت نظر المسلمين اليه ، منها الدبابة (٢٤٧) التى تحمل أعداداً كبيرة من الجند المتدرعين بالحديد ، وبالدبابة عجل يحركها ، وبداخلها من الجنود المقاتلة ، ولها رأس عظيم برقبة شديدة من حديد ، وهى تسمى كبشا ، ثم يجرها جنود آخرون غير الذين فيها ، فيضربون السور بها بقوة ، وبتكرار عملية الضرب هذه يتهدم السور (٢٤٨) .

وقد أدت أساليب فردريك السوابى الحربية الى اقترابه من معسكر السلطان ومن خيمته فى شهر نوفمبر ١١٩٠ م / شوال ٥٨٦ هـ . حيث وقف المعسكر الاسلامى على الجانب الشرقى قبالة الصليبيين (٢٤٩)، مصممين على الدفاع عن معسكرهم ، ثم تقدم المشاة من الصليبيين ، وهاجموا المسلمين ، وكاد الصليبيون الألمان يستولون على خيمة السلطان ، الا أن المسلمين الذين فى عكا انطلقوا وأحاطوا بجيش الألمان مما أوقع الألمان فى مأزق وحيره ، هل يدافعون عن أنفسهم ، أو يهجمون على المعسكر الاسلامى ، وفى هذه الاثناء، تقدم الداوية الى ساحة المعركة ، الا أن المسلمين منعوهم من التقدم الى عكا ، وقتلوا معظمهم ، وانتصروا عليهم (٢٥٠) . واتجه الألمان فى لهفة الى جمع غنائم فرسان الهيكل فى نفس الوقت الذى أشيع فيه أن المسلمين قد سلبوا أمتعة الألمان الأمر الذى ترتب عليه أن ساد الذعر بين الألمان ، ولم يستطيعوا المقاومة (٢٥١) .

لا شك أنه بعد هذه الهزائم المتوالية على الألمان فى عكا لم يعودوا يفكرون فى الهجوم مرة ثانية على المسلمين ، وانكمشوا فى حصار المدينة ، ولم تأت لهم أى معونة ، وحلت بهم الامراض والأوبئة ، فمات فردريك السوابى فى ٢٠ يناير ١١٩١ م / ٢٢ ذى الحجة ٥٨٦ هـ (٢٥٢) . ودفن فى قلعة التيوتون (٢٥٣) . ولا جدال أن موت هذا القائد ، كان من المصائب أيضا التى حلت على الألمان ، اذ لم يقم لهم قائمة بعد ذلك فى هذه المنطقة ، وبدأ الوهن يدب فى قلوب الصليبيين والألمان معا (٢٥٤) .

كما أنه بلغ الأمر بالألمان ، أن أسر المسلمون ، ابن أخ — فردريك السوابى ، فى احدى الاستطلاعات الاسلامية البحرية فى عكا (٢٥٥) . وليس هذا فحسب ولكن تذكر بعض المصادر

العربية ، أن بعض الصليبيين قد اتفقوا مع صلاح الدين أن يأتوا بغنائم للمسلمين ، وخاصة بعد موت ملك الألمان ، بشرط ان تكون هذه الغنائم مناصفة بين المسلمين والصليبيين ، وقد أتوا بالفعل ، بغنائم كبيرة فى « بركوسا » (٢٥٦) كان قد أعطاه صلاح الدين لهم (٢٥٧) .

ومهما يكن من أمر فقد انضم ما بقى من حملة فردريك السوابى تحت قيادة كونراد مونتفرات ، واستطاعوا حينئذ أن يساهموا بالقليل فى فتح عكا (٢٥٨) . فى يوليو ١١٩١ م / جمادى الأولى ٥٨٧ هـ . وذلك بعد وصول فيليب اغسطس ملك فرنسا ، ورتشارد قلب الأسد ملك انجلترا .

على أن هذا المصير التى وصلت اليه الحملة الألمانية ، لم يكن سببه تلك الصعوبات التى قابلتها فى الطريق فحسب ، بل أيضا تلك الظروف التى لم تسعف الألمان الذين أرادوا أن يقلبوا سياستهم السلمية ، تجاه المسلمين الى سياسة عدائية . فبالرغم من الاتصالات الدبلوماسية ، التى قام بها الامبراطور فردريك الأول ، مع الامبراطور البيزنطى اسحق انجليوس ، الا أن الأخير لم يكن مخلصا للألمان بالمرة ، ويذكر بعض المؤرخين ، أن اسحق أعطى لصلاح الدين كل شىء (٢٥٩) ، عن أسرار الحملة الألمانية . كما أن أبناء السلطان السلجوقى ، لم يتركوا حملة الامبراطور فردريك الأول تمر عبر أراضيهم مر الكرام ، — برغم اتفاق والده مع فردريك الأول — الى المسلمين ، علاوة على هذا أرسلوا الى صلاح الدين تفاصيل الحملة الألمانية ، عسكريا وسياسيا .

كما أن ليو أمير أرمينية — المسيحى ، لم يمد يد العون الى الحملة الألمانية ، كما يجب أن يكون ، والأسوأ من هذا ، ما أرسله الى صلاح الدين ، من أخبار تفصيلية عن مسار الحملة حتى يتهيأ المسلمون لرد خطرها .

ولا شك أن الحملة قد فقدت جزءا كبيرا من خططها ، بموت الامبراطور فردريك الأول ، فقد تولى ابنه فردريك السوابى ، الذى لم يقتنع به اغلب الالمان ، اذ تركوه ، فعاد بعضهم الى ألمانيا ، وآخرون الى صور ، والبعض ترك المسيحية — كما سبق القول — ولم يكن فردريك السوابى ذا خبرة حربية ، لذلك لم يتمكن من توجيه السياسة ناحية الشرق الوجهة السليمة ، اذ كان من الممكن أن يرضى من الغنيمة بالاياب الى بلاده . ويحتفظ بالعلاقة الطيبة لامبراطوريته مع ملوك نبى أيوب بالشرق ، الا أنه زاد الطين بله، باتمام مسيرة الحملة بحطامها، فى الوقت الذى استعد الشرق الاسلامى ، بأمرائه وقواده وسلطانه وخلافته ، أمام الالمان، حتى لا يمكنوهم من الدخول الى بلادهم التى حرروها بالنفس والنفيس .

واذا كانت الحملة الألمانية قد جاءت الى الشرق بغرض قلب الموازين والاستيلاء على بيت المقدس من يد الشرق الاسلامى ، فان هذا لم يتحقق ، نظرا لما كان من خلافات بين الصليبيين بالشرق ، فكونراد مونتفرات فى نزاع من « جاى لوزجنان » ، بسبب الوراثة على عرش الملكة ، والصليبيون فى عكا ، لم يرتاحوا

الى حضور فردريك السوابى اليهم ، ولا ننسى حقد الألمان على فرســان الهيكــل اذ تحقــق لهم فتح عكــا ، وانفرادهم بها دونهم (٢٦٠) .

وهكذا لم يساهم الألمان فى الشرق حتى هذا الوقت ، الا فى مناوشات صغيرة ، لا تستحق الذكر ، ولم يتركوا لهم اثرا عــدا اشتراك قساوستهم فى المستشفى الخاصة بالألمان (٢٦١) .

ومما سبق يمكن القول بأنه لا عبرة لقول بعض المؤرخين — من انه لو قدر لفردريك الأول البقاء ، ووصل بحملته الى الشرق ، لأختلفت النتائج اختلافا تاما (٢٦٢) . ذلك لأن الشرق الاسلامى لم يعد مفككا ، فقد جمعتهم المحن ، وصهرتهم فى بوتقة واحدة ، من سلطان وخليفة وأمراء زنكيين وسلاجقة ، فضلا عن موقــف البيزنطيين والأرمــن الايجــابى تجاه صــلاح الدين والمسلمين بالشرق .

الهوامش

(١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .

(٢) حامد زيان : الامبراطورية فردريك بربروسا ، ص ١٦ .

Cf : Tout (T.F.) : The Empire and the Papacy, London, 1924, p. 271.

(٣) السيد الباز العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، ج ١ ص ٨٨٦ .

(٤) مكسيموس مونروند : تاريخ الحرب المقدسة فى الشرق مجلد ٢ ، ص ٩٨ .

Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 85.

(٥) William of Tyre : Op. cit., Vol. 2., pp. 359 F.

(٦) Jean (M.) : & Brial (J.) : recuiel, Tome 17, p. 624.

وانظر نص رسالة القدس الى الغرب الاوربى ، ملف رقم ٥ .

(٧) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 658, p. 175.

(٨) Ibid., No. 660, p. 176.

(٩) Jean (M.) : & Brial (J.) : Op. cit., p. 474.

ونص رسالة البابا جريجورى الثامن الى المسيحيين بالغرب الأوربى . انظر ملحق رقم ٦ .

Cf : Antheny (S.C.) : The Crusades, p. 51.

(١٠) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 661, p. 176.

(١١) Ibid., No. 669, p. 178.

(١٢) Ibid., No. 678, p. 181.

(١٣) Michocd : Historie de Croisades, Tome 2, p. 74.

وانظر : حامد زيان : الامبراطور فردريك بربروسا ، ص ١١ .

(١٤) Ibid., pp. 75 F.

(١٥) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٢٣ .

(١٦) Cam. Med. His., vol. 5., p. 410.

(١٧) Setton (K.M.) : A history of the Crusades, Vol. 2, London, 1962, p. 89.

وانظر أيضا : الباز العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٨٨٧ .

Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5, p. 410.

(١٨) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 86.

(١٩) حامد زيان : المرجع السابق ، ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٢٠) نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، ص ٢١٦ .

(٢١) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، القـاهرة ١٩٨١ م ، طبعـة أولى ، ص ١٩٦ م .

(٢٢) Kantoriwicz (E.) : Frederick The Second, Trans by Lorimer, (E.O.) : London, 1931, p. 168.

(٢٣) Thampson (J.W.) : Middle Ages, Vol. 1., p. 511.

(٢٤) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 671, p. 179.
Cf : Conder (C.R.) : The Latin Kingdom of Jerusalem, (1099-1291), London, 1897, pp. 25 F.

(٢٥) Vinsofs, (G.) : Op. cit., p. 87.

(٢٦) Ibid., p. 87.

(٢٧) Lec. cit.

(٢٨) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 88.

تذكر بعض المصادر أن فردريك أعلن أنه سيهاجم صلاح الدين فى سهول تنيس Tanes اى سيهاجم مصر . انظر :

Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regnai, No. 671. p. 179.

(٢٨م) Vinsofs, (G.) : Op. cit., p. 88.

(٢٩) Ibid., p. 88.

(٣٠) أما البلاد والشعوب التى عددها الامبراطور فردريك الأول فى رسالته الى السلطان صلاح الدين فهى : شاطىء الدانوب ، والبافاريين ، وسوابينـا ، وفرانكونيا وسكسونيا وسرنجيا Thuringia ووستفاليا والبرابرة واللورنيين Liérrainer وبرجنديا ، والألب Alps والفيريين Frian والبوهميين

وبولينا واستريا وبيريا ، ورينا Rowennis واستريا Istria وركونفيا Rocnnphia والبريا ولباريا وتسكانيا وانكونا Ancona ، والبيزيين . كل هؤلاء الأمم ينكر فردريك « من أجل المسيحية » .

Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 88.
Cf : Jean (M.) : & Brial Recueil, Tome 17, p. 487.

عن نص رسالة الامبراطور فردريك الأول الى السلطان صلاح الدين ، انظر ملحق رقم ٧ .

(٣١) Rohricht (R.) : Regesta regni, No. 672, p. 179.
Cf : Ambroise : The Crusade of Richard Lion-Heart, p. 121.

(٣٢) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 88.

(٣٣) Ibid., p. 89.

(٣٤) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 89.

(٣٥) Ibid., p. 89.

(٣٦) Vinsofs, (G.) : Op. cit., p. 89.

(٣٧) Vinsofs, (G.) : Op. cit., p. 89.

(٣٨) Ibid., p. 90.

(٣٩) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 90.

وانظر Cf : Conder (C.R.) : The Lainte Kingdom of Jerusaled, p. 252 F.

(٤٠) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 90.

عن نص رسالة السلطان صلاح الدين الى الامبراطور فردريك ، انظر ملحق رقم ٨ .

وعن ملخص الرسالة هذه انظر : Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 672, p. 179.

(٤١) ستيفن رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٢ ـ ٣٣ .

Cf : Thampson, (J.W.) : Op. cit., Vol. 1, p. 584.

(٤٢) عن معركة « ميريوكفالوم » ونتائجها Cf : Ostrogorsky, p. 347.

وأيضا : زبيدة عطا : الترك فى العصور الوسطى ، صفحات ٩٩ ـ ١٠٤ .

(٤٣) Ibid., p. 347.

وانظر ج٠م٠هسى : العـالم البيزنطى ، ص ١٩٧ ٠

وانظر : رأفت عبد الحميد : المشكلة الايطالية فى السياسة الألمانية فى العصور الوسطى ، مقـال فى المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٣١/٣٠ لسنة ١٩٨٤/١٩٨٣ ، ص ٢٧٩ ٠

وانظر أيضا : زبيدة عطا : الشرق الاسـلامى والدولـة البيزنطيـة ، ص ٩٥ ـ ٩٦ ٠

(٤٤) Vinsofs, (G.) : Op. cit., p. 93.

(٤٥) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 93.

(٤٦) Ibid., p. 93.

(٤٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94.
Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 411.

(٤٨) Setton (K.M.) : A history of the crusades, Vol. 2, p. 92.

(٤٩) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣ ٠

(٥٠) Michoud :Histoire de Croisades, Tome 2, p. 76.
Cf : Ostrogorsky (G.) : History of the Byzantine State, p. 360.

وانظر أيضا : أسد رستم : الروم ، ص ١٧٢ ٠

(٥١) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 77.

(٥٢) Vasiliev (A.A.) : History of the Byzantine Empire, vol. 2., Madison, 1958, p. 445.
Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5, p. 410.

(٥٣) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 91.

(٥٤) Michoud : Op .cit., Tome 2, p. 77.
Cf : Cam. Med., Hist., Vol. 5., p. 410.

يذكر « ميشو » إن سلطان قونيه قد أشيع عنه فى أوربا أنه اعتنق المسيحية وان البابا اسكندر الثالث قد نصحه بالدخول معه فى محادثات ٠

Cf. Michoud : Op. cit., : Tome 2, p. 77.

(٥٥) Setton (K.M.) : Op. cit., vol. 2., p. 137.

(٥٦) Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 360, & cf : Cam. Med., Hist., Vol. 5., p. 410.

(٥٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., Ch. 9, p. 91.

وكان من استعد لهذه الحملة ، أساقفة ليجى Bishops of Liege وورسبرج Wurzburg وباسو Passau ورجنسبرج Regensburk وباسل Basel وميسين Meissen واوسنبارك Osnabruck ، وكان من بين القواد الأرستقراطيين ، برشولد Berthold ودوق دلماشيا ، وميران Meran ، ومارجراف اف استريا Margrave of Istria وماجراف اف فهبرج The Margarave of Vohburg وبادن Baden وكونت فلورنت Count Florent III وهولاند Holand وكونت اف ساين Sayen وسبونيم كايك Sponhein cyuk ووايد Wied وبيرج Berg وساربروكين Sourbrucken وابنبرج Abenberg وهينبرج Henneberg وحضر من سوابيا كونتات اوتين Ottingen وكيبرج Kyburg وديلينجن Dillingen ونيمبرج Nimburg وفهرنين Vahringen ومن بافاريـا كونتـات : دولنسـتين Dollnstein وليبنـو Liebenau ودورنبرج Dornberg والكنستينى Alkenstein وسكسونيـا Saxany وكونت ادولف Adolf وشمبرج Schaumburg وهلستين Holestein وكونت الدينبرى Aldenbury وهاليسرموند Hollermund وولستنجرود Waltingerode .

Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 92.
Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 411.

كما انضم أيضا : بوجراف اف مجدبرج The Burggrave of Magedburg وكان هناك أيضا فردريك اف بيرج of Berq وادفوكات اف باسـو The Advocate of Passau وموناسترى اف ميلك The Monostory of Melik وبيرجريس ميتز Burghers of Metz وقد لحق مؤخرا بالجيش بعض الكهنوتيين ، وملوك آخرين مختـارين

Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 93.

(٥٨) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 76.

(٥٩) Setton (K.M.) : Op. cit., vol. 2, p. 94.

(٦٠) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 91.

(٦١) Michoud : Op. cit., Time 2., p. 76.

ويذكر ميشو ان اعفاء الحجاج من دفع المال لم يحدث فى الحملة الاولى ولا الثانية ·

Cf : Tome 2., p. 76.

(٦٢) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 91.

(٦٣) Michoud ; Op. cit., Tome 2, p. 77.

Cf : Mam. Med., Hist., vol. 5, p. 411.

(٦٤) ستيفين رينسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٣ ·
Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 411.

(٦٥) Kantorowicz, (E.) : Frederick The Second, p. 168.

(٦٦) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 94.

(٦٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 92.

(٦٨) Michoud : Op. cit., Tome, 2, p. 87.

(٦٩) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 94.

(٧٠) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 92.

(٧١) Ibid., p. 92.

(٧٢) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 87.
وانظر أيضا : ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٣٥ ·

(٧٣) كان الطريق من بلغاريا الى مقدونيا محصن من الجانبين بالصخور العالية ، ومغطى بالأشواك وغصون الأشجار بالاضافة الى الموانع الصناعية التى اضافها السكان ، Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 92.

(٧٤) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 78.

(٧٥) نيسيا : Nyssa باسيا الصغرى ، منطقة تقع على منحدر « هاليس » Halys ، كما وصفها الجغرافى أسقف نيسيا ، وقد وجد انها منذ ٣٧٨ م وليست لها طريق من قيصرية Caesariea الى « بارناسوس » Parnassos وتقع نيسيا على بعد أربعة وعشرين ميلا من « بارناسوس عند جنوب منحدر « هاليس » على بعد عشرة اميال قبل « كيسك Kessik Keupreu ونيسيا ، ليست بعيدة عن حدود « جاليتال » Galatian ، وتعتبر « نيسيا »

طريق عسكرى مناسب من قيصرية وكبادوكيا Cappadocia
Cf : Ramsay (W.H.) : The Historical Geography of Asia Minor, Amstermam, 1962, pp. 287-288 F.

(٧٦) ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٣٦ ·

(٧٧) Michoud : Op. cit., Tom 2, p. 78.
Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 99.

(٧٨) Ostrogorsky (G.) : Op. cit., 360.
وانظر ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٣٦ ·

(٧٩) فيليبوليس Filippolis · كانت تسمى من قبل « بولبوديلا » Pulpudela وقد حملت اسمها هذا « فيليبولس » تشريفا للامبراطور الرومانى فيليب الذى كان أول امبراطور مسيحى الذى أضاف مجدا للامبراطورية باعلانه الديانة المسيحية ؟ ! من هو فيليب ·

وكانت وقت الحملة الالمانية هذه تابعة للامبراطورية البيزنطية ·
Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 93.

(٨٠) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 101.

(٨١) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 79.

(٨٢) Ibid., Tome 2, p. 79.

(٨٣) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94.

(٨٤) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 79.

(٨٥) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94, & Cf : Cam. Med. Hist., Vol. 5, p. 411.

(٨٦) Rohricht (R.), Regesta Regni, No. 686, p. 183.

(٨٧) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 102.

(٨٨) مقدونية : من أعمال الروم ، ويحده من الشرق السور ، ومما يلى الجنوب بحر الشام ، ومن الغرب بلاد الصقالبة ومن الشمال برجان ، وطوله مسيرة خمسة عشر يوما وعرضه مسيرة خمسة أيام وفيه ثلاثة حصون ·
انظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٠٥ ·

(٨٩) تراقيه : من الأعمال التى يحكمها ملك الروم ويحده من الشرق السور ومن الجنوب عمل مقدونية ، ومن الغرب بلاد برجان ، ومن الشمال بحر الخزر ، وطوله مسيرة خمسة عشر يوما ، وعرضه مسيرة ثلاثة ايام وفيه عشرة حصون ، انظر : ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، ص ١٠٥ ؛

(٩٠) Michaud : Op. cit., Tome 2, p. 79.
وانظر : ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٣٦ .

(٩١) من رسالة الامبراطور فردريك الأول ، الى ابنه هنرى السادس ، بالتفصيل انظر Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 95.

(٩٢) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 97.
وانظر : Cf : Archer (T.A.) : The Crusades, p. 311.

(٩٣) ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٣٧ .

(٩٤) ابن الميسر : اخبار مصر ، ج ٢ ، ص ٩٧ ، حوادث ٥٥٣ هـ .

(٩٥) زبيده عطا : الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية ، ص ٨٩ .

(٩٦) نفس المرجع ، ص ١٠٧ .

(٩٧) السيد الباز العرينى : مصر فى عصر الأيوبيين ، ص ٧٢ – ٧٣ .
وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٤٠ .
وايضا : نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى ، فى عدد صلاح الدين ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٩٨) Vasiliev (A.A.) : Op. cit., Vol. 2, p. 246.

(٩٩) Nicholson (L.R.) : Joselyn III and the Fall of the Crusader State (1134-1199), speculum, Vol. 51, Leiden, 1973, p. 153.
وانظر : حسنين ربيع : الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٥ .

(١٠٠) Brand (C.M.) : The Byzantines and Saladin, Speculum, Vol. 37, America, 1962, p. 168.

(١٠١) Nicholson (L.R.) : Op. cit., p. 153.
Cf. Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 411.

(١٠٢) Brand (C.M.) : Op. cit., p. 170.

(١٠٣) Ibid., p. 171.
وانظر زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(١٠٤) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ١٢٢ .
وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج٢ ، ص ٧٩٤ ، ٧٩٥ .
وايضا نظير حسان سعداوى : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(١٠٥) Duggan (A.) ; The Story of the Crusades, p. 165.
Cf : Setton (K.M.) : A history of the crusades, Vol. 1, p. 620.
وأيضا انظر : ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٥٦ .

(١٠٦) Brand (C.M.) : Op. cit., pp. 172 F.

(١٠٧) Brand (C.M.) : Op. cit., pp. 173 F.
وانظر زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(١٠٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨١٣ .

(١٠٩) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، القسم الأول ، ص ١٣١ ،
وانظر أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(١١٠) رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٤ .

(١١١) حسنين ربيع : الدولة البيزنطية ، ص ٢٣٩ .

(١١٢) Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 360.
وانظر : نورمان بنز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩٦ – ٢٨٧ ، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

(١١٣) Vasiliev (A.A.) : Op. cit., Vol. 2., p. 246.

(١١٤) Ostrogorsky : (G.) : Op. cit., p. 360.
وانظر جوزيف نسيم يوسف : الدولة البيزنطية ، ص ٢٤٥ الاسكندرية ١٩٨٤ م .

(١١٥) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 681, p. 182.
Cf : Conder (C.R.) : The Latin Kingdom, pp. 253 F.

(١١٦) Rohricht (R.) : Op. cit., Ni. 683, p. 183.

(١١٧) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 80.
Cf. Brand (C.M.) : Op. cit., p. 175.
ويذكر بعض المؤرخين أن الخطاب الذى أرسله اسحق الى صلاح الدين ، كان باللغة العربية واليونانية .
انظر : Cf : Conder (C.R.) : Op. cit., p. 253.
وايضا نظير حسان سعداوى : الحرب والسلام ، صفحات ٢٥ – ٢٩ .

(١١٨) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94.
Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 361.

ويصف جوفرى فونزوف وقت دخول الألمان « أدريانوبل » بأن الخريف كان على وشك الحلول وكانت المجموعة النجمية « ليبرا » توازن الليل والنهار فى أطوال متساوية •

(١١٩) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 94.

(١٢٠) Duggan (A.) : The story of the crusades, p. 167.

(١٢١) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 95.
Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 361.

(١٢٢) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 95.

(١٢٣) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 108.
Cf : Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 361.

(١٢٤) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 80.
Cf : Ostrigorsky : (G.) : Op. cit., p. 361.

(١٢٥) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 108.

(١٢٦) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 95.

(١٢٧) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 109.

(١٢٨) Ibid., p. 109.

(١٢٩) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 96.

(١٣٠) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 109.

(١٣١) يطلق مكسيموس مونروند على الشونة ، لفظ « غلياطه » انظر :
مكسيروس مونروند • تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق مجلد ٢ ، ص ١١٠ ، وشونة أو شينى جمعها شوانى وهى من أهم القطع التى يتالف منها الأسطول الحربى ، وكان متوسط ما يحمله الشينى الواحد من الرجال ما يقرب من مائة وخمسين رجلا : انظر عبد الفتاح عباده : سفن الأسطول الاسلامى ، انواعها ومعداتها ، القاهرة ١٩١٣ ، ص ٤ ، ٥ •

(١٣٢) Michoud : Op. cit., tome 2, p. 80.

وانظر : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٧ •
يذكر البعض أن السفن التى نقلت الألمان كانت من البندقية ، وكان عددها خمسة عشر ألف سفينة : انظر :
Cf : Conder (C.R.) : Op. cit., p. 254.

(١٣٣) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 110.

(١٢٤) عيد الفصح : هذا العيد عند المسيحيين هو عيد كبير ، متنقل ، يبدا بأحد الزعف ، ثم اسبوع الآلام ، وينتهى بأحد الفصح أو عيد القيامه ، ويزعم المسيحيون أن المسيح عليه السلام ، لما تمالأ اليهود عليه واجتمعوا على تضليله وقتله قبضوا عليه ، وأحضروا خشبة ليصلب عليها ، لكن المسيح لم يصلب ولم يقتل ، وأن الذى صلب على الخشبة غير المسيح شبهه الله لهم بالمسيح : انظر :
Cf : Nau (F.) : Martyrologes et Memologes Orientaux. I-XIII, Paris, 1912, pp. 318 F.

(١٣٥) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 95.

تذكر بعض المصادر أن هذا النهر يتمتع بشهرة عظيمة لأنه ينساب خلال شطرى آسيا وأوربا • Cf : Ibid., p. 95.

ويسمى بعض المؤرخين هذا النهر باسم « انجيلو كومتيس » ويذكر أن الامبراطور فردريك سار حتى وصل الطريق البيزنطى المرصوف حاليا ، والممتد من « مليتوس بولس » الى « باليكس » الحالية : انظر : ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٨ •

(١٣٦) ارنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١١٣ •
انظر :
Cf : King (E.J.) : The Kinghts hispitallers, p. 141.

(١٣٧) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 80.

(١٣٨) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، جـ ٢ ، ص ١١٠ •

(١٣٩) Ostrogorsky : (G.) : Op. cit., p. 361.

(١٤٠) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 81.

(١٤١) مكسيموس مونروند : نفس المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٩٠ •

(١٤٢) ترابلى : بآسيا الصغرى ، بالقرب من « أسار » وكاديكى Kadikeui
Assar
Cf : Ramasay (W.H.) : The Historical and Geography of the Asia Minor, amsterdam, 1962, p. 135.

(١٤٣) نهر ليكوس : بآسيا الصغرى ، بالقرب من جبال فيلادلفيا •
Cf : Ramasay (W.H.) : Op. cit., p. 59.

(١٤٤) لادوكيا : منطقة بآسيا الصغرى Cf : Ibid., p. 400.

وكانت لادوكيا مدينة يونانية مستقلة عن حكم التركمان ، سكنها شعب يونانى ، وأشعل نار الثورة ضد الحكم السلجوقى مرارا ، وقد رحب أهلها بالامبراطور فردريك الأول والألمان • انظر : حامد زيان : الامبراطور فردريك بربروسا ، ص ٤١ •

(١٤٥) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 81.

(١٤٦) انظر : سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ١ ، ص ٢٧١ .

(١٤٧) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 686, p. 183.
Cf. Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 80.

(١٤٨) Vinsofs (G.) : O. cit., p. 95.
وانظر حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٤٣ ـ ٤٥ .

(١٤٩) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 96.

(١٥٠) Ibid., p. 96.

(١٥١) ستيفن رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٨ .

(١٥٢) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 97.

(١٥٣) سوسوبولى Spzopolis ، مكان فى « أبولونيا » Apollonia وفى القوائم البيزنطية قريبة من جبال « أبولونيا » و « كونانا » Konana بآسيا الصغرى ، وبمرور الزمن أصبح اسم « سوسوبولى » هو الشهير ، واخذ اسم « ايولونيا » يختفى ، ولم نعرف بالتحديد متى ظهر اسم « سوسوبولى » ولكن وجد فى الوثائق البيزنطية من سنة ٣٨٦ م ، وتعتبر « سوسوبولى » من المناطق الهامة لحجاج بيزنطة ، وقد وقعت فى أيدى السلاجقة سنة ١٠٧٤ م ، باتفاقية بينهم وبين ميخائيل السابع ، ثم رجعت الى البيزنطيين سنة ١١٢٠ م ثم عادت الى المسلمين سنة ١١٨٠ م ، بعد موت مانويل .
Cf : Ramsay (W.H.) : Op. cit., pp. 400 F.

(١٥٤) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 82.

(١٥٥) عيد العنصرة : بعد خمسين يوم من عيد القيامة ، ويحتفل فيه بذكرى حلول الروح القدس على الرسل : انظر :
أعمال الرسل : الاصحاح الثانى ، الباب الثانى .

(١٥٦) فيلومليوم : قرية تركية صغيرة ، بينهما وبين قونية مسيرة ثمانية أو تسع ساعات .
Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 82.

(١٥٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 97.
وانظر : Cf. : Michouc : Op. cit., Tome 2, p. 82.

(١٥٨) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 97.

(١٥٩) Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 82.

(١٦٠) Ibid., p. 83.

(١٦١) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 97.
ويضيف بعض المؤرخين بأن الصليبيين اضطروا الى حرق سروج الخيل ولباس وخشب السلاح ، لكى يطهوا لحوم الخيول ، وكان عليهم أن يأكلوا بدون ملح وتوابل ، هذا الاكل كان مخصص لكبار الصليبيين ، بينما الفقراء كانوا لا يأكلون الا جذور الاعشاب والنباتات ، واستولى التعب والجوع والمرض على الصليبيين ، ولم يتمكنوا من متابعة الجيش ، وناموا على الأرض ينتظرون الموت ، انظر :
Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 84.

(١٦٢) Ibid, p. 84.

(١٦٣) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 83.
وانظر : العماد الاصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٢١٠ .

(١٦٤) Ibid., p. 83.

(١٦٥) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 111.

(١٦٦) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 84.
وانظر أيضا : مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، مجلد ٢ ، ص ١١٣ .

(١٦٧) Ibid., p. 84.

(١٦٨) قطب الدين بن قلج أرسلان هو زوج بنت صلاح الدين الايوبى ، لذلك تشجع لمقاتلة الالمان ، وصدهم عن المسلمين ، انظر :
Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 98.
وعن موقف السلطان قلج الاسلان وابنائه من حملة فردريك الاول ، انظر : زبيدة عطا : الترك فى العصور الوسطى ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(١٦٩) Ibi .. p. 98.
وانظر : ستيفن رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٨ .
وأيضا : العماد الاصفهانى : المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(١٧٠) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 99.

(١٧١) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، ص ١١٤ .

(١٧٢) Ibid., p. 99.
وانظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٤٨ ، طبعة بيروت ١٩٨٢ م .
وأيضا : مجير الدين الحنبلى : الانس الجليل ، جـ ١ ، ص ٣٦٥ ، العراق ١٩٦٨ م .

(١٧٣) العماد الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٢١٠ ٠

(١٧٤) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 99.

(١٧٥) Ibid., p. 99.

وانظر : ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٢٣ ٠

وايضا : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٢١ ٠

وكذلك : الحنبلى : الانس الجليل ، ص ٣٦٥ ٠

(١٧٦) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٨ ، ٣٩ ٠

(١٧٧) يذكر بعض المؤرخين أن الجيش الألمانى اصطدم بفرع من التركمان هم تركمان « أوج » انظر : زبيدة عطا : الترك فى العصور الوسطى ، ص ١٠٨ ٠

(١٧٨) Michoud ; Op. cit., Tome 2, 85.

(١٧٩) لارند : تقع « بلكونيا » Lykonia ، ومازالت تسمى بهذا الاسم الذى أطلقه عليها المسيحيون ، وتسمى اليوم « كارمان » Karman وهو الاسم الرسمى لها وتبعد عن قونيه مائة وخمسة ميل ٠

Cf : Ramasay : Op. cit., p. 336.

وايضا : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٩ ٠ وكذلك : مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، جـ ٢ ، ص ١١٥ ٠

(١٨٠) Micnoud : Op. cit., Tome 2, p. 86.

Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 113

(١٨١) Micnoud : Op. cit., Tome 2, p. 86.

(١٨٢) ليون الثانى الأرمنى : هو ابن لافون بن اصطفانه بن ليون : انظر ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٢١ ٠

(١٨٣) Ibid., p. 87.

(١٨٤) ابن الأثير : نفس المصدر ، جـ ١٢ ، ص ٢١ ٠

وانظر ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٩ ٠

وايضا : حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٥٠ ـ ٥٤ ٠

(١٨٥) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين انطاكية وحلب وبلاد الروم ، بينها وبين اذنه ستة فراسخ : انظر : ياقوت الحموى ، معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٨ ٠ وكان اسمها من قبل أنطرطوس ، وكان ضمن المدن التى لم تتضمنها اتفاقية يافا ١٢٢٩ ٠ (طرابلس وحصن الاكراد وصفيثا والمرقب وطرطوس وانطاكية) ٠ انظر : عبد الحميد يونس : دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ١٥ ، ص ١٥٧ ، ١٥٩ ٠

(١٨٦) Michaud : Op. cit., tome 2, p. 87.

نهر سالف : Salep باسيا الصغرى بالقرب من « ديات » Daiyat « بيسيديا » Pisidia

Cf : Ramasay (W.H.) : Op. cit., p. 400

ونهر سالف بالتركية هو كيوك سو Guiueik-Sou

Cf : Michaud : Op. cit., tome 2, p. 87.

ويبدا هذا النهر من مدينة « لاراند » وينتهى فى قيلقيه ٠ انظر : مكسيموس مونروند : نفس المرجع ، جـ ٢ ، ص ١١٦ ٠

(١٨٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 87.

(١٨٨) Ambroise : Op. cit., p. 81.

انظر : ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ ٠

وايضا : مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٦ ٠

(١٨٩) M.chaud : Op. cit., tome 2, p. 87.

ويذكر بعض المعاصرين ، بأن الامبراطور فردريك الاول كان طويل القامة ، شعره احمر ، ذو جفون بارزة ، مستدير الوجه ، عريض الصدر والمنكبين ، وكان يقرا لسقراط ٠ رابط الجاش ، لا يثيره الغضب ولا يعرف الحزن ، على دراية كبيرة بلغته الالمانية ، ولغات اخرى

Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 100

(١٩٠) Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 114.
Ibid, p. 100.

وايضا : سبط بن الجوزى : مراة الزمان ، جـ ٢ ، القسم الاول ، ص ٤٠٣

(١٩١) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ٠

(١٩٢) Duggan (A.) : The Story of the Crusades, p. 178.

(١٩٣) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٤١ ٠

يذكر معاصر : أن الألمان حملوا جسد الامبراطور فردريك الأول ، الى انطاكية فى كنيسة أبرشيه الحواريين ، اما عظامه سوف تنتقل بحرا الى صور ومنها الى اورشليم ٠

Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 101.

اذ يحدوه الأمل الكاذب فى ان شطرا على الاقل من فردريك الأول سوف ينتظر يوم القيامة فى بيت المقدس : انظر :

ستيفن رنسيمان : نفس المرجع ، جـ ٣ ، ص ٤٣ ٠

(١٩٤) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ٠

(١٩٥) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٦ ٠

(١٩٦) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 694, p. 185.

(١٩٧) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 87.

(١٩٨) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 101.

(١٩٩) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٤١ ، ٤٢ .
وانظر : Cf : Duggan (A.) : Op. cit., p. 189.

(٢٠٠) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 101.

(٢٠١) ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، جـ ٣ ، ص ٤٢ .

(٢٠٢) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، جـ ٢ ، ص ١١٧ .
وانظر العماد الأصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٢١٣ .

(٢٠٣) مما يجدر الاشارة اليه أن قلعة بغراس ، استولى عليها صلاح الدين سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م وكانت تعرف قديما بـ « بجراى » Pagrae ، محطة هامة على الطريق من اسكندرونة الى انطاكية ، وزاد شانها عندما استولى عليها صلاح الدين ولم يبق منذا الآن الا قرية ضئيلة تسمى « بكراس » انظر : عبد الحميد يونس : دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٤ ، ص ٢٦ .

(٢٠٤) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٠٥) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 115.

(٢٠٦) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٢ .
وتذكر بعض المصادر العربية أن بوهيمند الثـالث امير انطاكية قد طمع فى أموال فردريك السوابى ، لذلك سارع لاحضاره ، ورحب به ترحيبـا حارا . انظر : سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، القسم الأول ، ص ٤٠٣ .

(٢٠٧) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 101.

(٢٠٨) أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ .

(٢٠٩) King (E.J.) : The Kinghts Hospitallers in The Holy Lond, p. 141.
Cf : Conder (C.R.) : Op. cit., p. 255.
وانظر أيضا : مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، جـ ٢ ، ص ١١٨ .

(٢١٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٨١٩ .

(٢١١) يذكر بعض المؤرخين أن خصوم كنراد مونتفرات أشاعوا عنه بأنه تلقى من صلاح الدين ستين الف دينار (بيزنت) لكى يحمله فردريك السوابى على مغادرة انطاكية ، ذلك لأن بقاء فردريك بانطاكية انفع للصليبيين . انظر : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

(٢١٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٢١ .
وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٨١٩ .

(٢١٣) العماد الأصفهانى : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .
Cf : Stevenson, (W.B.) : The Crusaders in the East, p. 265.
وانظر أيضا : حامد زيان : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢١٤) Setton (K.M.) : Op. cit., p. 116.

(٢١٥) أغلب الظن أن فردريك السوابى خشى من السـير فى الطريق البرى الى عكا ، انظر : ابن شداد ، المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٢١٦) Setton (K.M.) : Op. cit., vol. 2., p. 115.

(٢١٧) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢١٨) Poole (S.L.) : History of Egypt in the Midle Ages, p. 210.
وانظر : أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١١٣ .
وأيضا : مصطفى الحناوى : جماعة الاستبارية ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى فى عصر الحروب الصليبية ، رسالة ماجستير جامعة الاسكندرية ، ١٩٨٠ ، ص ٢٣٦ .

(٢١٩) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 115.

(٢٢٠) لاندجراف : تعنى فى اللغة الألمانية . كونت ، ولقب أيضا بلقب « صاحب السعادة » انظر : Cf : Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 107.

(٢٢١) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 107.
Cf : Tout (T.E.) : The empire and the Papacy, p. 300.
مما يجدر ذكره ، انه كان هناك نزاع بين كونراد مونتفرات وجاى لوزجنان ، بسبب التنافس بينهما حول عرش مملكة بيت المقدس الصليبية ، ذلك لأن زوجة « جاى » ماتت امام عكا ١١٩٠ م . ولم يصبح للملك « جاى » حق فى المملكة ، فأسرع الامراء الى تطليق اختها « ايزابيلا » من زوجها « أونفرى دى تورون » وتزوجها ــ فى نوفمبر ١١٩٠م ــ كونراد دى مونتفرات ، الذى كان قوى الشخصية،

وبذلك يصبح زوجا للملكة بيت المقدس : انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٨٢٩ ، ٨٣٠ ٠

(٢٢٢) Setton (K.M.) : Op. cit., vol. 2., p. 115.

(٢٢٣) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 107.

انظر أيضا : مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة ، جـ ٢ ، ص ١٢٢ ٠

(٢٢٤) King (E.J.) : Op. cit., p. 137.

وانظر : السيد الباز العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٩٠٢ ٠

(٢٢٥) سامى سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الايطالية ، ماجستير ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٧٣ ٠

(٢٢٦) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١١٥ ٠

(٢٢٧) ابن شداد : نفس المصدر ، ص ١١٥ ٠

Cf : Ambroise : Op. ict., p. 215.

Cf. Poole (S.L.) : Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem, p. 268.

(٢٢٨) العماد الأصفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ١٨٦ ٠

وأيضا : أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ ٠

(٢٢٩) الرماح : جمع رمح ، ويعتبر الرمح من أسلحة الهجوم المعدنية الأخرى كالسيف والخنجر ، ويتميز بطوله عنها ، وبالرغم من تعدد أشكاله فان الرمح بصفة عامة يتكون من نصل من الحديد أو الصلب يتخذ هيئة حربية مثبتة فى يد طويلة من خشب أو حديد ٠

وكانت يد الرمح تعرف باسم القناه ، ولا يعتبر الرمح رمحا ، الا اذا كان مثبتا والا فهو قناه ٠ انظر : حسنين عبد الرحيم عليوه : السلاح المعدنى للمحارب المصرى فى عصر المماليك ، دكتوراه ـ اداب القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٢٤٤ ٠

(٢٣٠) التراس : جمع ترس ، وكان له أسماء أخرى مثل الدرقة ، والحجفه ، والطارقة والجنوية لكنها ، كانت يطلق فى الغالب على أنواع من التروس ، تختلف عن الترس المعدنى فى مادة الصنع أو فى الشكل العام ، فبينما كان الترس المعدنى يصنع من حديد أو فولاذ ويتخذ غالبا هيئة مستديرة ، كانت الدرقة والحجفه، تصنعان من جلد ، وكانت الطارقة الجنوية تصنعان من الواح خشبية ،

قد تكون كبيرة أو صغيرة ، وكانت تتخذ فى هذه الحالة شكلا دائريا واسعا من أعلى ويضيق الى أسفل حتى ينتهى بطرف مدبب ٠ انظر :

حسنين عليوه : نفس المرجع ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ ٠

(٢٣١) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١١٥ ٠

Cf : Pormoud (R.) : The Crusades, London, 1960, pp. 181 F.

(٢٣٢) الزراقين : وظيفة ، وكانت هذه نوع من الأسلحة ، وهذا السلاح هو عود من خشب مجوف أو ليطه ، وهو القصب الفارسى ، ووصفه صاحب التدبيرات السلطانية بقوله « وهذا المزراق يمكن ان يكون من قنا يجعل بطول الرمح ، وفيه سنون فيكون كهيئة رمح لكن مجوف وفيه الماء المهلك ، وهذا الرمح يمكن أن يطعن به ويزرق بما فيه وهو من خدع الحرب . واذ زرق به الزراق فلا يقصد الا العينان ويكون الزروق كافرا » ٠ انظر :

نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ١٨٢ ٠

(٢٣٣) العماد الأصفهانى : المصدر السابق ، ص ١٩٤ ٠

(٢٣٤) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٩٤ ٠

(٢٣٥) ابن شداد : نفس المصدر ، ص ١١٨ ٠

(٢٣٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ٣٢٢ ٠

وانظر : ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٦ ٠

(٢٣٧) ابن شداد : نفس المصدر ، ص ١٢٦ ٠

(٢٣٨))نفس المصدر ، ص ١٢٧ ٠

(٢٣٩) مجير الدين الحنبلي : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ ١ ، ٣٦٥ ٠

(٢٤٠) العماد الأصفهانى : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ٠

(٢٤١) Jean (M.) & Brial (J.) : Recuiel des Histodiens, Tome, 17, p. 485.

(٢٤٢) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، القسم الأول ، ص ١٣٠ ٠

(٢٤٣) ابن سعيد : الروض المهضوب فى حلى دولة بنى أيوب ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ ٠

(٢٤٤) الحنبلى : الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ،
جـ ١ ، ص ٣٦٧ ٠
وانظر : ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٣٣٦ ٠

(٢٤٥) Poole (S.L.) : Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem, p. 271.

(٢٤٦) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٤٠ ٠

(٢٤٧) يعتبر بعض المؤرخين ، أن فردريك السوابى ، هو الذى ابتكر هذه الالة ، انظر : السيد الباز العرينى : الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، هامش ، ص ٩١٦ ٠

(٢٤٨) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٤٠ ، ١٤١ ٠
وانظر : نظير حسان سعداوى : التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين ، ص ٢٤٣ ٠

(٢٤٩) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٤٩ ٠

(٢٥٠) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 108.

(٢٥١) Ibid., p. 109.
وانظر : أبو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ١٧٩ ٠

(٢٥٢) ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٥٤ ٠

(٢٥٣) Setton (K.M.) : Op. cit., vol. 2., p. 115.

(٢٥٤) ابن شداد : نفس المصدر والصفحة ٠

(٢٥٥) الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والجليل ، جـ ١ ، ص ٣٧١ ٠

(٢٥٦) البركوس : جمعها براكيس : نوع من السفن التى كانت تستعمل فى الحروب بين الشرق والغرب فى مياه البحر الأبيض المتوسط فى العصور الوسطى ، وهى أصغر حجما من (البطسه) ٠ وكان يستعمل لركوب الجند والناس عامة ، وكذلك لنقل المتاجر ، وكانت حمولته خمسة وعشرين رجلا ٠ أما البطسه : يقال احيانا بطسه أو بطشه ، والجمع بطسات وبطس ، وبطشات وبطش ، وكانت تستعمل فى الجانبين الاسلامى والصليبى ، فكانت تقوم بشحن الغلال والأقوات والأموال والنفقات خاصة للمدن الساحلية المحصورة ، علاوة على الات الحرب من أسلحة وذخائر تقوم بعمليات القتال ٠ وكانت تحمل ما بين ثلاثمائة وسبعمائة مقاتل ٠ انظر : درويش النخيلى : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، الاسكندرية ، ١٩٧٤ ، ص ١٣ ـ ١٦ ٠

(٢٥٧) يرجع السبب فى أن يأتى الصليبيون بالعنائم الى صلاح الدين ، أن الصليبيين قد جاءوا الى المسلمين يطلبون الاكل ، اذ كانوا جوعى ، فعرض صلاح الدين عليهم الفكرة فوافقوا عليها ٠ انظر :
ابو شامه : الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ١٨١ ٠

(٢٥٨) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 116.
وانظر : ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ ٠
وأيضا : سعيد عاشاور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٨٣٠ ، ٨٣١ ٠

(٢٥٩) Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the east, p. 264.

(٢٦٠) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 108.

(٢٦١) المستشفى الالمانى : هى عبارة عن مبنى خشبى ، تم بناؤه من أخشاب السفن المحطمة ، وتحميه أقمشة الأشرعة من الشمس والمطر ٠ انظر :
يوشع براور) عالم الصليبيين ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ومحمد خليفة حسن ٠ ص ١٩٦ ، ١٩٧ وانظر ايضا :
Cf : King (E.J.) : Op. cit., pp. 144 F.

(٢٦٢) Glubb (J.) : The Last Conturis : From The Muslim to The Renissance of Europe (1145-1453), Speculum, Vol. 44., July, 1969, p. 463.
وانظر ايضا : فيشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ـ القسم الأول ـ ص ١٩١ ٠

الفصـــل الثـالث

الأوضاع السياسية فى الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الأيوبية وأثرها على العلاقات بينهما

(١١٩٠ ـ ١٢٠٨ م) (٥٨٦ ـ ٦٠٥ هـ)

ـــ العادل الأيوبى والوحدة الاسلامية بعد صلاح الدين ٠

ـــ محـاولات الامبراطور هنرى السادس للسيطرة على الشرق ٠

ـــ الامبراطورية الرومانية المقدسة ودورها فى الحملة الرابعة سنة ١٢٠٤ ٠

ـــ الوضع السياسى فى الامبراطورية بعد هنرى السادس حتى سنة ١٢٠٨ م ٠

سبق أن أوضحنا كيف حاولت الامبراطورية الرومانية المقدسة مواجهة الدولة الأيوبية بقوة عسكرية ، لرد اعتبار الصليبيين بعد حطين ، وان هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح ، ولذلك حاولت الامبراطورية مرة أخرى ابان عهد الامبراطور هنرى السادس (١١٩٠ ـ ١١٩٧ م) تجديد هذه المحاولات ، مستغلة الوضع السياسى بالشرق الاسلامى بعد وفاة صلاح الدين ، لكن خابت المحاولة مرة ثانية ، لأن العادل الأيوبى لم يترك الحبل على الغارب ، اذ استطاع أن يعيد وحدة الشرق الاسلامى مرة أخرى تحت قيادته .

العادل والوحدة الاسلامية بعد صلاح الدين :

توفى السلطان صلاح الدين فى صفر ٥٨٩ هـ (١) تاركا فى دولته سبعة عشر ولدا (٢) ، وقد استطاع ابنه الأفضل نور الدين على (٥٨٩ ـ ٥٩٢ هـ / ١١٩٣ ـ ١١٩٦ م) أن يحلف العساكر له على الولاية من بعد والده ، فملك دمشق وغيرها من المناطق وكذلك استولى العزيز عثمان (٥٨٩ ـ ٥٩٥ هـ/١١٩٣ ـ ١١٩٨ م) ـ ثانى أولاد صلاح الدين ـ على مصر حيث كان بها ، كما استولى الظاهر غازى (٥٨٩ ـ ٦١٣ هـ / ١١٩٣ م ـ ١٢١٥ م) ثالث أولاد صلاح الدين على حلب وجميع أعمالها ، وقد ظل معظم الأمراء الأيوبيون فى أماكنهم التى كانوا عليها قبل وفاة صلاح الدين (٣) ، بالاضافة الى أن العادل أبا بكر كان له الكرك والشوبك والبلاد الشرقية (٤) ، التى حاول المواصلة اخراجه منها ، الا أنه وقف ضدهم بمساعدة الأيوبيين (٥) ، أما ظهر الدين طغتكين سيف الاسلام (أخو صلاح الدين) فقد استقر باليمن (٦) وهكذا قسمت دولة صلاح الدين بين أولاده وأقاربه وكأنها ميراث شرعى (٧) .

وكان من الممكن أن يستقر الوضع السياسى فى الشرق ، الا ان ما حدث من تنافر ونزاع بين أولاد صلاح الدين غير من مسار سياسة الشرق الاسلامى ، ومن الأطراف التى تنازعت فيما بينها : « العزيز عثمان » صاحب مصر ، « والأفضل على » صاحب دمشق ٠ وهناك عدة عوامل ساعدت على ظهور الشقاق بين الأخوين أهمها ، رغبة الأفضل على فى اعطاء بيت المقدس لنواب العزيز ، لكثرة تكاليفها (٨) ، لكنه رجع عن فكرته (٩) ، بالاضافة الى مفارقة الأمراء الناصرية الكبار ، الملك الأفضل، وذهابهم الى الملك العزيز، واتفقوا على أن يكون الأخير صلطان الأيوبيين كما كان والده (١٠)، كما حدث أن بعض الأشخاص لجأوا الى العزيز بمصر فأقطعهم من أملاك الأفضل (١١) ٠ وكان الأخير قد طردهم من دمشق (١٢) ٠ زد على ذلك ما حدث من استيلاء الفرنج على ثغر جبيل من المسلمين ، ولم يتحرك الأفضل لردهم (١٣) ٠ وعلى أية حال ، خرج العزيز بجيشه من مصر (١٤) وعندما علم الأفضل بذلك خرجهو الآخر من دمشق ، ونزل على رأس الماء ، وقد رأى أن يصالح العزيز ويقوم بالخدمة بين يديه (١٥) ، الا أن رجال الأفضل أوغلوا صدره ضد أخيه واستعان بالظاهر واستنجد بالعادل وصاحب حماه وحمص وبعلبك (١٦) وفى جمادى الآخرة سنة ٥٩٠ هـ وصلت قوات العزيز « الفوار » فاحتكت بقوات الأفضل حتى تراجعت الى دمشق ، واتفق مع عمه العادل على المقابلة فى صحراء المزه (١٧) ، وانتهى الأمر بمغادرة العزيز حصار دمشق الى « داريا » والأعوج (١٨) وأرسل رسولا من طرفه (١٩) ٠ الى العادل من أجل الصلح ، على أن يكون بيت المقدس للعزيز ودمشق وما جاورها من طبرية والغور للأفضل ، وللعادل اقطاعه الأول بمصر ، وللظاهر جبله واللاذقية (٢٠) ٠

ولما كان الملك العزيز حريصا على ضم دمشق الى مصر من أجل وحدة الدولة الأيوبية ، فقد خرج من مصر مرة أخرى

سنة ٥٩١ هـ / ١١٩٤ م ، قاصدا دمشق ، لكن الأفضل استغاث بعمه العادل ، بعد استشارة رجاله (٢١) ، فجاء العادل والظاهر الى دمشق فى جمادى الآخرة ٥٩١ هـ (٢٢) ، غير أن الأخير نفر من العادل ، واتصل بالعزيز يحرضه على مهاجمة دمشق ووعده بالمساعدة (٢٣) ٠ فاتجه العزيز بقواته الى دمشق لكن العادل استطاع أن يوقع بين أمراء الملك العزيز ، فترتب على ذلك مغادرتهم للعزيز قاصدين العادل والأفضل ، فضلا عن هذا فان العادل كاتب الأمراء بمصر ليمنعوا العزيز من دخولها (٢٤) ؛ لكنهم لم ينجحوا فى ذلك (٢٥) ٠

توجه الأفضل والعادل خلف العزيز الى مصر ، بغرض الاستيلاء عليها ، كما أمر الأسدية بالاستيلاء على القدس وأعمال الساحل (٢٦) ٠ وتشير بعض المصادر الى أن العادل أرسل الى العزيز سرا ، طالبا منه ارسال القاضى الفاضل للتفاوض فى الصلح (٢٧) ، وتم عقد الصلح بين الطرفين (العزيز والأفضل) وأقام العادل بمصر وعفا عن الأسدية (٢٨) ، ورجع الأفضل الى دمشق فى المحرم سنة ٥٩٢ هـ (٢٩) ٠

ويذكر بعض المؤرخين ، انه بانتهاء الخصومة على هذا الشكل بين الأخوين ، فقد ظهر العادل فى صورة الناصح الأمين والمسيطر على أولاد أخيه ، اذ فرض كلمته عليهم (٣٠) وبدء ينطلق من مصر عندما عرف سوء أحوال دمشق ، فتعاهد الأفضل ورجاله على محاربة العادل والجيش المصرى (٣١) الا أن الأفضل أرسل رسولا الى العادل من أجل الصلح (٣٢) ، لكن لم تنجح هذه المساعى ، نظرا لشروط العادل والعزيز ، وأخيرا دخلا دمشق ، اذ سلمها مشايخ البلد (٣٣) فى ٢٧ رجب ٥٩٢ هـ ، واتفق مع الأفضل ترك دمشق للعزيز مقابل أن يأخذ الأول صرخد (٣٤) ، ولما علم العادل بنوايا العزيز

الطيبة تجاه الأفضل قرر رجوع العزيز الى مصر (٣٥) على أن تكون الخطبة للعزيز بدمشق ٠

وهكذا اتخذ العادل خطوة فى سبيل اعادة الوحدة السياسية بالدولة الأيوبية ، واخذ يعمل على مواجهة الصليبيين وخاصة الألمان الذين أرسلهم الامبراطور هنرى السادس الى عكا واستطاع العادل أن يسترد يافا فى شوال ٥٩٢ هـ / ١١٦٧ م ، اذ أنها أقرب المدن ذات الميناء ، الى بيت المقدس (٣٦) ٠ وقد أراد الصيبيون ان يستولوا على بيروت فتوجهوا فى ١١٩٧ م / ذى الحجه ٥٩٣ هـ ، وكان يملكها المسلمون فتركوها للصليبيين صلحا (٣٧) فارسل العادل الى العزيز ليساعده سنة ٥٩٤ هـ (٣٨) ، فى مواجهة الألمان ، فوصل عند عمه على حصن « تبنين » (٣٩) وعندما علم الصليبيون بذلك أرسلوا الى العادل بهدف الصلح ، فتم عقد هدنة مدتها ثلاث سنوات بين الطرفين ابتداءا من سنة ١١٩٨ م / ٥٩٤ هـ ، ورجع العادل الى دمشق ، ورجع العزيز الى مصر بسبب اضطراب الأمن فيها (٤٠) ٠

وقد توفى العزيز فى محرم ٥٩٥ هـ/٢٩ نوفمبر عام ١١٩٨ ، فكانت وفاته سببا فى تصدع الجبهة الاسلامية بالشرق من جديد ، لأن الأمراء الأسدية بمصر طلبوا الأفضل لحكم البلاد مكان العزيز، والأمراء الصلاحية طلبوا العادل الذى كان يحاصر ماردين (٤١) ، فلم يستطع مغادرتها ، فوصل الأفضل مصر ، واعتبر نفسه وصيا على ابن الملك العزيز وخطب له (٤٢) ، وأرسل الى العادل حتى يتفادى سوء تفاهم متوقع الحدوث ، لكن الأخير أرسل اليه أن يتحقق عما اذا كان العزيز قد ترك وصية أم لا (٤٣) ، ومن ثم

فقد فكر الأفضل فى تأمين نفسه ضد عمه ، ودعم ذلك بأقوال أخيه الظاهر صاحب حلب له (٤٤) ، فخرج من مصر متوجها الى دمشق، وعلم العادل بذلك فترك ابنه الكامل على حصار « ماردين » ودخل دمشق قبل وصول الافضل بيومين فى شعبان ٥٩٥ هـ(٤٥)، وحاصر الاخير دمشق قرابة سته شهور الا ان العادل استعمل أسلوب الوقيعة بين الأفضل وأخيه الظاهر (٤٦) ، ونتيجة لذلك رفع الحصار ورجع كل الى بلده (٤٧) ، وقد شعر العادل بأن الأفضل يمثل عقبة كؤودا فى سبيل الوحدة ، ومن ثم عزم على الاستيلاء على مصر منه ، فتوجه اليها فى ربيع الآخر ٥٩٦ هـ ، ووجد الأفضل متحصنا بقلعة الجبل (٤٨) ، واتفق مع رجاله على مراسلة العادل الذى وصل مصر (٤٩) ، فراسله العادل يشككه فيمن حوله (٥٠) وفى النهاية سلم الأفضل مصر الى العادل بشرط أن يعوضه عنها ٠ « ميافارقين » ، و « حانى » و « سميساط » وتوجه الأفضل الى صرخد ، وأقام العادل بمصر ولم يف بوعده للأفضل (٥١) ٥٩٦ هـ / ١٢٠٠ م ، واعتبر نفسه وصيا على ابن الملك العزيز ٠

اعتبر العادل القاهرة حجر الزاوية فى بداية بناء صرح الوحدة الاسلامية ، ومن ثم رأى أن يقوم الحكم فى مصر باسمه فعزل الملك المنصور بن العزيز منها (٥٢) فى شوال ٥٩٦ هـ ، وخطب لنفسه (٥٣) ، وبطبيعة الحال كان لهذا التصرف نتيجتان هامتان ٠

أولاهما : أن الأمراء الأيوبيين أصبحوا يخطبون ود الملك العادل ودليل ذلك مراسلة الظاهر للعادل (٥٤) ٠

ثانيهما : أن الملك العادل استدعى ابنه الكامل محمد من « حران » الى مصر وجعله نائبا عنه فيها (٥٥) ، فترتب على ذلك أن شعر الظاهر والأفضل بسلطة العادل فهداهما تفكيرهما الى

الاستيلاء على دمشق من المعظم عيسى بن العادل فى سنة ٥٩٧ هـ ، لكن هذه الخطة فشلت لوصول جيش العادل الى دمشق قبل جيش المهاجمين هذه المرة أيضا ، فضلا عن اختلاف الأخوين فيما بينهما ، وكانت النتيجة أن تم عقد الصلح بين الجميع (٥٦) ورحلوا عن دمشق فى بداية سنة ٥٩٨ هـ (٥٧) ، وهذا العمل فى حد ذاته قطع الأمل عند كل من يرغب فى الانقلاب ضد العادل ، ودليل ذلك أن « نور الدين ارسلان » صاحب الموصل ، رجع عن قصده لأملاك العادل (٥٨) عندما علم بالصلح بين العادل وأولاد أخيه • ويمكن القول بأن العادل سعى جاهدا لهدفين رئيسيين :

أولهما : أعادة الجبهة الاسلامية بالشرق ، لكى يكون هو المتحكم فى سياسيتها •

وثانيهما : العمل على أن يحل أولاده مكان أولاد أخيه صلاح الدين ، ومن ثم ما كادت شمس عام ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م تغيب ، حتى كان بمصر الكامل محمد ، وبدمشق المعظم عيسى ، وبالشرق ابراهيم بن العادل (٥٩) كما سلم العادل « حران » الى الأشرف موسى سنة ٥٩٨ هـ ، وعقد العادل صلحا مع الظاهر سنة ٥٩٩ هـ (٦٠) •

وهكذا أصبحت معظم الامارات الاسلامية بالشرق تخضع لسلطان العادل (٦١) كما أقطع العادل ، الملك المنصور بن العزيز حماه وأعمالها (٦٢) ، ولم يكن يمنع العادل مانع من اتخاذ أى اجراء ضد مناوئيه وخاصة أولاد أخيه (٦٣) فى سبيل المحافظة على وحدة الدولة ، هذا ويضيف البعض بأن سياسة العادل فى الفترة السابقة تميزت بالدفاع عن مملكته ضد الصليبيين ، ولم يأخذ بسياسة الهجوم خشية قيام حملة صليبية جديدة (٦٤) •

وهكذا تميزت سياسة العادل بأسلوب دبلوماسى ، وأصبح له سلطان لا يضارع صلاح الدين فى احترام الناس ، ولكنه يفوقه فى المكر والنشاط (٦٥) وارسل له الخليفة العباسى الناصر ، الخلع فى سنة ٦٠٤ هـ /١٢٠٧ م ، ولقب العادل بلقب شاهنشاه ملك الملوك خليل أمير المؤمنين (٦٦) ، وأطلق عليه الصليبيون سيف الدين Saphadin (٦٧) •

محاولات الامبراطور هنرى السادس للسيطرة على الشرق :

فى خضم هذه الأحداث بالدولة الأيوبية ، ومحاولات العادل لاعادة الوحدة ، يظهر على السطح تساؤلا مؤداه : ما هو دور الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الصراع الصليبى الاسلامى الدائر فى الشرق ، وما هى طبيعة هذا الدور ؟ وخاصة بعد أن فشلت محاولاتها السابقة ، والتى انتهت بوفاة الامبراطور فردريك الأول فى يونية عام ١١٩٠ م ، ثم وفاة ابنه فردريك السوابى فى يناير عام ١١٩١ بعكا •

فى الحقيقة ، وكما سبق القول أن أولى المحاولات السابقة العسكرية والدبلوماسية للامبراطورية الرومانية المقدسة ، قد باءت بالفشل ، الأمر الذى ترتب عليه أن فكر الامبراطور هنرى السادس ـ ابن الامبراطور فردريك الأول ـ من جديد فى استكمال الدور الذى قام به والده ، فكيف كان ذلك ؟!

عندما مات الامبراطور فردريك الأول تولى ابنه هنرى السادس عرش الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وكان عمره لا يتجاوز الثالثة والعشرون (٦٨) فى الوقت الذى بدأت المدن اللمباردية تثور من جديد ضد الامبراطورية مما دفع الامبراطور هنرى السادس الى أن يعبر جبال الألب الى ايطاليا فى بداية عام ١١٩١ م ، ليخضعها الى حكمه (٦٩) •

وفى الواقع لم يكن الامبراطور هنرى السادس (١١٩٠ - ١١٩٧ م) أقل حماسا من والده فى اعادة مجد الامبراطورية الرومانية المقدسة ، وخاصة ابراز دورها فى الصراع الصليبى الاسلامى .

ويذكر بعض المعاصرين أن فكرة توجه هنرى السادس الى الشرق ، لضم الأراضى المقدسة ، كانت جزءا من خطته التوسعية (٧٠) ، وبالتالى انطلقت سياسته الخارجية تجاه الشرق الاسلامى من ثلاثة محاور .

المحور الأول : اتجه الى ضرورة ضم العناصر المناوئة له ، حتى يتفرغ للمسلمين بالشرق ، وقد اتبع فى هذا الأسلوب الدبلوماسى، حيث تزوج من الأميرة كونستانس Constance النورمانية (٧١) ، أخت الملك وليم الأول ، وعمة وليم الثانى بعد ذلك (٧٢) ، كما توج هنرى السادس فى بالرمو بصقلية سنة ١١٩٤ م ، وهذا بمثابة اتحاد بين ألمانيا وصقلية (٧٣) .

الثانى : فقد اتجه الى بيزنطة ، اذ أنه زوج أخاه « فيليب السوابى » Philip Sawabi من « ايرين » ابنة الامبراطور البيزنطى اسحق الثانى انجيلوس (١١٨٥ - ١١٩٥ م) ، حتى يربط بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والامبراطورية البيزنطية، وهذا بند من بنود اتفاقية كان قد عقدها الامبراطور هنرى السادس مع الامبراطور البيزنطى اسحق الثانى انجيلوس ، بالاضافة الى أن الأول قد طلب من الثانى تعويضا عما فقده والده ، فى الحملة الثالثة ، فضلا عن أنه طالب أيضا بيزنطة بأسطول حربى للاستعداد لحملة الى الشرق (٧٤) . لكن لم تأت الرياح بما تشتهى السفن ، اذ استطاع الكسيوس الثالث أن يطرد اسحاق الثانى من العرش البيزنطى ، ويتولى مكانه (١١٩٥ - ١٢٠٣ م) (٧٥) ، ولا شك ان هذا التغيير السياسى فى العرش البيزنطى ، دفع هنرى

السادس لكى يغير وجهة نظره تجاه الامبراطورية البيزنطية ، وخاصة عندما فقد الامبراطور الذى يمكن أن يعتمد عليه فى بيزنطة . وعلى أية حال ، لقد اعتبر الامبراطور هنرى السادس نفسه المدافع عن العائلة المطرودة من العرش البيزنطى ، ضد الكسيوس الثالث مغتصب السلطة ، مما تترب عليه القلق والازعاج للامبراطورية البيزنطية التى سعت الى تهدئة الامبراطور هنرى السادس ، واشترت السلام معه على أساس دفع ضريبة سنوية قدرها ٠٠٠و٦٠٠ ستمائة ألف أوقية من الذهب (٧٦) وهى التى سميت بالضريبة الألمانية (٧٧) .

ويمكن القول بأن اتجاه هنرى السادس فى هذين المحورين كان بهدف السيطرة على الامبراطورية البيزنطية ، كخطوة فى سبيل الاتجاه الى الشرق الاسلامى ، حيث يذكر بعض المعاصرين أن استيلاء هنرى السادس على صقلية ، سبب ازعاج لبيزنطة (٧٨) .

ومهما يكن من أمر اتجاهات هنرى السادس السياسة ، فان المحور الثالث الذى اتخذه فى سبيل الاتجاه الى الشرق الاسلامى ، يتمثل فى اتجاهين :

أولهما : أن يخضع أمير أرمينية لسلطته ، مقابل أن يقوم هنرى السادس بتتويج أمير أرمينية ليون الثانى (١١٧٨ - ١٢١٩ م) Livon II (٧٩) ملكا عندما يأتى الى الشرق اذ انهما اتفقا على ضم سوريا ومحاصرة بيزنطة (٨٠) .

وثانيهما : اعتراف ملك قبرص « عمورى لوزجنان » بسيادة هنرى السادس (٨١) ، وتعهد بدفع الجزية السنوية التى كان يدفعها لريتشارد ، وأرسل هنرى السادس اثنين من رجاله لتتويج عمورى ملكا على قبرص ، فى نيقوسيا فى حضور مندوبى البابوية (٨٢) .

وبذا يكون هنرى السادس قد وضع برنامجا ضخما ليكمل سياسة والده تجاه الشرق الاسلامى ، ويمتد الى كل الأطراف ، بأساليبه الدبلوماسية ، ولم يعد له أعداء يخشاهم فى الغرب • وهناك جملة أسباب قوت فكرة الاتجاه الى الشرق عند هنرى السادس ، ويأتى فى مقدمة هذه الأسباب ، أن البابا كلستين الثالث Celestin III (١١٩١ – ١١٩٨ م) وجه نظره نحو هنرى السادس حتى يقوم بحرب صليبية جديدة ، نظرا لما كان بين انجلترا وفرنسا من صراع آنذاك وأرسل اليه رسلا ، واقتنع هنرى بأن مشاركته فى اتمام ما قام به والده أمر ضرورى ، واستجابته لنداء البابوية هو الطريق الوحيد لتنفيذ أغراضه ، ومن ثم أخذ كثير من أشراف المملكة الصليب ، واستعدوا للحرب ، وبدأت الناس تتقاطر على أساس أن ينضموا تحت الصليب (٨٣) ، ومما دفع هنرى للحماس أكثر أن الصليبيين بالشرق كتبوا اليه أن يأتى لتخليص رفات أبيه ، فردريك من الأسر – اذ كانت بصور ، وأنه لا يمكن دفنها فى القدس الا بعد الاستيلاء عليه من المسلمين (٨٤) •

والذى لا شك فيه أن هذه الأسباب جميعها قد دفعت هنرى ليستقبل الصليب من أسقف « استرى » Sutri (٨٥) ، حتى يتزعم الحملة الصليبية المتجهة الى الشرق •

ومما يجب ذكره أن سنوات حكم هنرى السادس قد أضافت اليه الكثير وصقلته سياسيا ، ومن ثم أخذ يستعد عسكريا لتنفيذ مخططه ضد الشرق الاسلامى ، فقد وجه رسائل الى كل رجال الدين والقانون ، والقديسيين الموجودين فى امبراطوريته ، وطلب منهم ، أن يعجلوا بانطلاق المحاربين ، واستطاع خلال عام واحد أن يشكل جيشا ، وقد وعد بمنح كل من يشترك فى الجيش، ثلاثين اوقية من الذهب ، فاستجاب عدد كبير تحت هذا الاغراء ، واستعدوا لعبور البحر لحرب المسلمين (٨٦) •

هذا وقد قسم الامبراطور هنرى الجيش المتوجه الى الشرق الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ويضم الألمان الشماليين تحت قيادة دوق سكسونيا ، و « دوق برابانت » Barabant (٨٧) ، وتحركوا بحرا من الموانى بأربع وأربعين سفينة ، ووصلوا « مسينيا » ومعها قوات الامبراطور ، وغادرت القوات الامبراطورية « مسينيا » فوصلت عكا فى بداية سبتمبر عام ١١٩٧ (٨٨) •

والقسم الثانى : كان تحت رئاسة « كونراد » Conrad رئيس أساقفة « ماينز » Mainz (٨٩) ، و « ادولف » Adolf كونت « هولستين » Helestein بالاضافة الى « ارنولد » Arnold من « لوبيك » Lubeck بجيش يقدر بستين ألفا (٦٠٫٠٠٠) ، منهم مواطنون وفرسان بمساعدتهم وهؤلاء سلكوا طريق الدانوب الى القسطنطينية ووصلوا عكا فى نهاية سبتمبر عام ١١٩٧ م / ٥٩٤ هـ (٩٠) •

أما القسم الثالث : فكان بقيادة الامبراطور هنرى السادس، وكان يأمل أن يقود الحملة جميعها بنفسه الا أن الظروف فى أوربا ، حالت بينه ، وبين قيادة الحملة ، فقاد هذا القسم الى نابلى ، ليواصل جهوده الحربية (٩١) • وعلى أى حال فقد وصلت الجموع الألمانية ، الى عكا فى شهر سبتمبر ١١٩٧ م ، وكان لوصولها نتيجتان :

أولا : أن القوات الصليبية وخاصة قوات هنرى كونت شامبانيا – لم تكن تنظر بارتياح للقوات الألمانية (٩٢) ، اذ أن هذه الجموع سوف تثير حربا لا داعى لها وخاصة بعد أن تم عقد صلح مع المسلمين (٩٣) •

ثانيا : بلاشك أن وصول هذه المساعدات القوية الى الصليبيين سوف تقوى الحماس بينهم (٩٤) •

وعندما علم الملك العادل بوصول الحملة الألمانية الى عكا أرسل الى الملك العزيز بمصر يطلب منه العساكر ، كما أرسل الى الجزيرة والموصل • وكان الألمان قد تحركوا من عكان الى قيسارية ، بغرض منع المسلمين من امتلاك يافا (٩٥) • كما أغاروا على المسلمين ولم يتجاوز الألمان الحدود الاسلامية ، حتى ذاع نبأ اقتراب العادل منهم ، وخشوا من قواتــه وعــدده ، فرجعوا الى عــكا ، وتركوا عتادهم ، وظنوا أن العادل يزحف على عكا ، غير أن العادل لم يكن على استعداد للدخول فى حرب حاسمة ضد الألمان ، واتجه نحو الجنوب وزحفه الى يافا الى أن سقطت فى يده (٩٦) ، وقد هــم دوق « برابانت » لنجدتها ، الا أنه عاد الى عكا ، حيث تولى زمام حكومتها ، وكان قد وصل الى عكا من قبرص ، كنراد رئيس أساقفة « ماينز » وأصبح قائدا للألمان بعكا لأنه أقدرهم ، ولأنه من أكبر رجال الكنيســة فى الامبراطورية الرومانية المقــدسة ، كما انه موطن ثقة الامبراطور ، ومتولى دار الوثائق الامبراطورية • لكن دوق « برابانت » انتهز فرصة وجود المسلمين فى يافا وأرسل حماله الى « صيدا » وبيروت فى أكتوبر عام ١١٩٧ م / ذى الحجة عام ٥٩٣ هـ ، الا أن المسلمين دمروا صيدا (٩٧) واستولى الألمان على « بيروت » فى ٢٤ أكتوبر ١١٩٧ م ، ذى الحجة عام ٥٩٣ هـ ، وكان ذلك ولا شك ضربة قوية للمسلمين (٩٨) ، وقد سعى الملك العادل بجيوشــه ليمنع الألمان من الاســتيلاء على بيروت ، الا أن الجيشين تصادفا عند نهر « لويثرا » النهر الكبير « يصل بين طرابلس وطرطوس » ، وانتصر الصليبيون الألمان على المسلمين ، واستولوا على بعض مدن الساحل من يد المسلمين (٩٩) ، وقد اقترح بعض قادة الجيش الصليبى الزحف نحو مدينة بيت المقدس

وظنوا ان هذه المدينة لن تستطع الصمود أمام انتصارات المحاربين الصليبيين وكانت تابعة لابن صلاح الدين (١٠٠) •

ولما كانت « تيرون » (١٠١) للمسلمين، فقد فضل الصليبيون محاصرتها قبــل توجههم الى القدس ، وقد اســتطاع الصليبيون تقوية هذا الحصار ، وهاجموا هذا الحصن عن طريق جبل عال تمركزوا عليه ، وحدثت خسائر فادحة فى الجيش الألمانى ، ورغم هذا استمرت هجمات المسلمين، مما زاد من اضطرابات الصليبيين الألمان فعملوا ممرات تحت الأرض داخل الجبل ، وتمكنوا من الدخول الى المعسكر الألمانى ، الأمر الذى دفع المسلمين الى التفكير فى الصلح مع الصليبيين الألمان ، غير أن وضع الألمان قد أصبح سيئا جدا بسبب مرض حل بكنراد ، فقد كان لا يخرج من خيمته ، وكان يتلقى المعلومات عن تقدم الجيوش ، وهو بداخلها ، ومن ثم لم يجد المقاتلون أميرا بينهم يتلقون منه التعليمات (١٠٢) ، وبالرغم من هذا فقد دخلوا الجليل ، والقوا الحصار على « تبنين » فى ٢٨ نوفمبر ١١٩٧ / صفر ٥٩٤ هـ (١٠٣) ، وهاجم الألمان الحصن بشــده وبعنف الأمر الذى ترتب عليــه أن أرســل المسلمين ممثليهم الى الاجتماع العام الذى عقده الألمان بغرض الاستماع الى مقترحات المسلمين الذين تحدثوا بعزة ، وعرضوا بأن يتركوا القلعــة ، ويطلقوا أسرى الصليبيين مقابل أن يتركهم الصليبيون للحياة ، وقالوا « نحن لسنا بدون دين ، اننا أحفاد إبراهيم ونسمى أبناء ســارة » (١٠٤) •

وقد عارض بعض القادة الألمان هذه المقترحات ، وعلى رأسهم كنراد رئيس الأساقفة ، قائمقام الامبراطور الألمانى ، فقد صمم على تسليم الحامية بدون قيد أو شرط (١٠٥) • ودعــم رفضــة بأنه يمكن تحقيق مكاسب بالحرب أكثر منها بالسلم (١٠٦) ، ويذكر البعض أن بارونات الفرنجة كانوا حريصين على توطيد الصداقة

مع الملك العادل ، لذلك أرسلوا اليه ونصحوه ، بأن الألمان لن يبقوا على حياة أحد من الحاميه (١٠٧) ، وقالوا له « ان سلمتم الحصن استأسركم هذا وقتلكم فاحفظوا نفوسكم » ، (١٠٨) مما جعل المسلمين يؤثرون الرجوع الى القلعة والاصرار على القتال ، وقد ظن القادة الصليبيون ، ان المسلمين قد رجعوا الى القلعة بهدف فك أسرى الصليبيين ، وأن أبواب القلعة قد فتحت أمامهم ، الا أن ظنهم قد خاب ، لأن المسلمين قد شعروا بمدى قوة الألمان ، مما دفعهم الى أن يقسموا على أنفسهم بأن يموتوا قبل ان يدخلوا في مفاوضات مع الصليبيين ، وعمل العادل على امدادهم بالعساكر فى ربيع الأول ٤٥٩ هـ (١٠٩) ، حتى يصمدوا فى الوقوف ضد الصليبيين ، وبرغم وصول أنباء الى الألمان عن وفاة ملكهم هنرى السادس ، فى ٢٨ سبتمبر عام ١١٩٧ (١١٠) « بمسينيا » Messina ، فقد ظلت القوات الألمانية تحاصر « تبنين » خلال شهور نوفمبر وديسمبر حتى يناير عام ١١٩٨ م ، بقيادة المستشار الامبراطورى أسقف « هولستين » Holdestein ، الى أن ضعفت معنوياتها وفكروا فى الرجوع الى عكا (١١١) ، خاصة عندما علموا بحضور الجيش المصرى لمساعدة الملك العادل ، فترك زعماؤهم حصار « تبنين » مما تسبب فى الذعر بين الصليبيين جميعا ، وفى النهاية تركوا الحصار متجهين الى صور (١١٢) فى الثانى من فبراير عام ١١٩٨ م وغادر المسلمون الحصن الى جانب الطور (١١٣) ·

وقد خشي البابا من عاقبة وفاة الامبراطور هنرى السادس ، وخاصة بين القادة الألمان بالشرق ، فقد سارع بارسال الخطابات الى روساء الصليبيين بالشرق حتى يكفوا عن ترك الشرق ، وعدم الدخول فى صراع ، اذ أن كونت مونتفرات وعدد من الفرسان الفرنسيين ، قد شجعوا رجوع الألمان الى الغرب الأوربى ، على الرغم من أن البابا قد طلب منهم « ألا يهجروا مدينة المسيح ،

ولا الصلوات ولا النداءات » (١١٤) ، وقد استجاب البعض فعلا لنداء البابوية مثل ملكه (المجر) التى تظاهرت بالنبل والوفاء وبقيت مع النبلاء فى فلسطين (١١٥) ·

وبطبيعة الحال كان لوفاة الامبراطور هنرى السادس ، آثار على الأمراء الألمان الموجودين بالشرق ، ذلك لأن انتخاب امبراطور جديد للامبراطورية الرومانية المقدسة ، من شأنه أن يحدث مشاحنات ومناقشات صاخبة بين الأمراء الألمان فى الشرق ، وأيضا فى ألمانيا ذاتها ، وكان من بين الأمراء والنبلاء الألمان بفلسطين من يريد الرجوع الى الغرب للمشاركة فى انتخاب امبراطور جديد لهم ، ولم تمض أيام من وصولهم الى « صور » حتى شرع الجيش الألمانى فى أن يستقل السفن راجعا الى أوربا (١١٦) ، وتركوا حامية لهم فى جوبى ·

وهكذا لم تنجح القوات الألمانية التى جاءت مزودة بالعتاد من أباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة فى مهمتها فالامبراطور فردريك الأول مات فى الطريق والامبراطور هنرى السادس ـ لم تستطع جيوشه أن تقيم شيئا له وزن سياسى فى الشرق ، اذ انها أضاعت جهودها ، ووقتها طيلة ثلاثة شهور فى حصار « تبنين » الذى لم يأت بطائل ، بل انها استولت على بيروت دون مقاومة تذكر من المسلمين ، ومن ثم فيمكن القول بأن جيوش الحملة لم تنجح فى القيام بعمل عسكرى يشرف الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ويعزى البعض هذا الى سوء تنظيم الجيش الآلمانى فضلا عن عدم تدريبهم وجهلهم بالقوانين الحربية وادارتها (١١٧) ·

ومهما يكن من أمر فان سياسة الامبراطور هنرى السادس كانت تقتضى ، ضم بيت المقدس الى ملكه حتى ولو كلفه ذلك القضاء

على القسطنطينية ذاتها (١١٨) ، الا ان الذى منعه من ذلك الاتفاقيه التى عقدها معها ، والذى كان من نتيجتها دمع الأخيره جزيه سنوية لألمانيا ، واذا كان قد فكر فى فتح بيزنطة فعلا فربما كان ذلك خطوة أولى لضم بيت المقدس الى ملكه بعد أن عانى الألمان من مواقف الامبراطورية البيزنطية المؤلمة من القضية الصليبية .

كان من نتائج حملة هنرى السادس الاعتراف رسميا بما سمى بطائفة الفرسان التيوتون ، ويذكر بعض المؤرخين أن الفكرة الكامنة وراء نظم الرهبنة العسكرية لم تنشأ بين القساوسة أو الرهبان ، فقد كان المبادرون بانشائها من العلمانيين ، فبعد أن استولى الصليبيون على بيت المقدس مباشرة ، جمع فارس بروفنسالى يدعى « جيرالد » Gerold مجموعة من الفرسان لرعاية المرضى والجرحى ، ولم يكن مفهوم العلاج والمستشفى مفهوما جديدا ، ففى سنة ١٠٧٠م تقريبا قامت مجموعة من تجار امالفى Amalfi الذين كانوا يترددون على شرق البحر المتوسط باستمرار ، بتأسيس مستشفى للحجاج الغربيين فى بيت المقدس ، وتوقفت أعمال العلاج والمستشفى أثناء فترة الحصار ، وتم اجلاء الرهبان والراهبات الذين كانوا يعنون بالمرضى ، الى خارج المدينة . والحقيقة أن اعادة احياء هذه المؤسسة الجديدة انما تم على يد العلمانيين ، وليس الرهبان والراهبات ، الذين أخذوا على عاتقهم مهمة رعاية المرضى والفقراء والمعوزين (١١٩) ، وقد ضمت المستشفى ، الذى كان يتبع تجار « امالفى » من قبل باسم « سانت مارى » الى مجموعة مبانى المستشفى وقد شملت حيا كاملا من أحياء المدينة (١٢٠) .

وطائفة الفرسان التيوتون من الطوائف التى نشأت بالشرق نتيجة للوجود الصليبى اذ كانت الامبراطورية الرومانية المقدسة ، تتبع سياسة قائمة على أساس ترك بقايا لها فى الشرق بغرض زيادة

أعداد هذه الفئة ، حتى يتسنى لها دعم مواقف الألمان بالشرق الاسلامى (١٢١) .

وكان المستشفى الألمانى على الرغم من كونه جزءا من تنظيم القديس « حنا » ، يتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى فقد كان له رئيسه الخاص ، هذا وقد توقفت أنشطته بسقوط القدس فى يد صلاح الدين عام ٥٨٣ هـ/١١٨٧ م ، فأخذت ألمانيا تنظم حملة عسكرية جديدة هى الحملة الصليبية الثالثة ، وفى أثناء الحصار الذى استمر حول عكا لمدة ثلاثة أعوام ، وبين آلاف الجرحى الذين أصيبوا فى المعارك أو المرضى الذين سقطوا بسبب المناخ أو الجوع ، ظهرت الحاجه الى مستشفى خاص للعنايه بالصليبيين المتحدثين بالالمانية ، فقام التجار والبحارة الوافدون من البحر البلطى ، و « بريمن » و « هامبورج » بتأسيس مستشفى ميدانى أولى ، وهو عبارة عن مبنى خشبى تم بناؤه من أخشاب السفن المحطمة وتحميه أقمشة الأشرعة من الشمس والمطر ، وعندئذ كما حدث منذ مائة سنة قبل ذلك فى تنظيم القديس (حنا) ، كرست مجموعة من الفرسان والقساوسة الألمان أنفسهم لعمل الخير (١٢٢) ، ومن ثم فيكون السبب فى نشأتها حملة الامبراطور فردريك الأول اذ ان النواة لهذه الطائفة من تلك الحملة (١٢٣) ، ويرجع بعض المؤرخين ان كنراد ممثل الامبراطور الألمانى أدرك أهمية تأسيس طائفة المانية خالصة فى تحقيق أغراض استعمارية ، وعليه يعد كنراد مسئولا عن بدايتها (١٢٤) .

وبعد ذلك بسنوات قليلة صارت المؤسسة الأولية نظاما عسكريا جديدا هو نظام الفرسان التيوتون ، فرسان سان مارى التيوتون » الذى مزج الأغراض العسكرية بالخدمات الخيرية (١٢٥)، وعلى أية حال لم تلبث هذه الطائفة أن ظفرت بكثير من الضياع

الخصبة فى ألمانيا ، وشرعت فى حيازة بعض القلاع فى سوريا مثل برج القديس « نقولا » فى عكا ، وقلعه « مونتفورت » فى صـــور (١٢٦) · ولا جدال فى أن هذه الفئة كانت تقدم العون العسكرى للصليبيين بالشرق (١٢٧) ·

بالاضـافة الى تنظيم التيوتون كان هنـاك تنظيم الداوية « المعبديين » Templars وقد سموا بهذا لأن مقرهم الأول كان فى هيـكل سليمان فى القدس بالمسجد الأقصى ، وقد أسسـه « هوج البايتزى » Hugh de Payns سنة ١١١٨ م ، وأسس مجموعته بهدف تقديم العون للحجاج فى طريقهم من القدس الى مدينة اريحا ، ومنهـا الى الأماكن التى شـــهدت تعميد المسيح فى الأردن ، وكذلك فى الطريق من يافا الى بيت المقدس عبر ســـهل الرملة (١٢٨) ·

وعلى أية حال لقيت هذه الطائفة المساندة المعنوية من « سان برنـــارد الكليرفـرى » St. Bernard de Clairvaux الذى كان يمثل أعلى سلطة روحية فى ذلك العصر (١٢٩) ·

وقد أحرز التنظيم الجديد نجاحا هائـلا ، فقد جنده الملك والنبلاء المحليون لأنه كان يسد احدى حاجات المملكة الملحة (١٣٠) ، وكان لهذا انعكاساته السريعة داخل تنظيم القديس (حنا) ومن ثم أضافوا الى أنفسهم أعباء عسكرية أخرى ، ومن هنا أصبحت بالاضـــــافة الى فرق التنظيمات الأخرى تشـــكل جيش المملكة الضارب (١٣١) ·

ويذكر بعض المؤرخين أن التنظيمات الثلاثة هذه أصـــبحت تتحكم فى العالم الصليبى فى القرن الثالث عشر ، وبينما كانت

الاسبتارية والداوية على هويتهم العالمية ، صار التنظيم التيوتونى الأداة الفولاذية للتوسع الألمانى . وشارك هؤلاء الفرسان ، كما هو الحال بالنسبة لفرســـان التنظيمين الآخرين ، فى جميع الحـروب والحملات العسكرية فى الأرض المقدسة ، وقد حاولوا دون جدوى أن يقيموا لأنفسهم جسرا فى هنغاريا ؛ ولكن عندما دعاهم كونت « ماسوفيا » Masovia البولندى (١٢٣١ م) ، تمركزوا بنجاح فى حزام بروسيا البلطيقى ، واضعين بذلك أساس مملكة بروسيا فى المستقبل وحجر الزاوية فى المانيا الامبراطورية (١٣٢) ·

كانت هذه لمحة سريعة عن فرقة التيوتون وتطورها التاريخى ، بعد مغادرة الحملة الألمانية التى كانت فى عهد فردريك الأول ، وحتى مغـــادرة حملة الامبراطـــور هنرى الســـادس الشرق ، أما الصليبيون بالشرق فلم يرغبـــوا فى عـــداء مستـــمر مع المسلمين (١٣٣) ، وكان العادل مشغولا بالوحدة ، ومن ثم توصل عمورى الثانى « ١١٩٧ ـ ١٢٠٥ م » ملك بيت المقدس (١٣٤) مع العادل الأيوبى الى اتفاقية فى أول يوليو عام ١١٩٧ م/٢٤ شعبان ٥٩٤ هـ ، حصل بمقتضاها الصليبيون على جبيل وبيروت والمسلمون على يافا ، وصيدا مناصـــفة بين الطرفين (١٣٥) ، ويضيف بعض المؤرخين ، أن الكونت دى مونتفرات · قد عقد مع الملك العادل هدنة مدتها ثلاث سنوات (١٣٦) ·

الامبراطورية الرومانية المقدسة ودورها فى الحملة الرابعة :

ومهما يكن من أمر الدور الذى لعبته الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الشرق الاسلامى ، فانه حتى وفاة الامبراطور هنرى السادس ١١٩٧ م ، لم يكتب النجاح لمحاولات الامبراطورية سواء كانت سلمية أو حربية ، هذا وقد بدأت الامبراطورية فى صراع رهيب بين أمرائها من أجل العرش الامبراطورى ، حيث أن فيليب دوق

سوابيا — وعم فردريك الثانى — أسرع الى ألمانيا عقب وفاة أخيه هنرى السادس للاحتفاظ بعرشهـا للهوهنشتاوفن ، حتى انتهى الأمر باختياره ملكا على ألمانيـا سنة ١١٩٨ م ، لكن عددا كبيرا من الأمراء أيدوا « أوتو » الابن الثانى لهنرى الأسد — الذى كان يعيش فى بلاط ريتشارد ملك انجلترا ، وعندئذ أمده ريتشارد بالمال وأرسله الى ألمانيا ليستخلص حقوقه بوصفه ممثل الولفيين ، مما جعل ألمانيا مسرحا لحرب اهلية استمرت عشر سنوات وانتهت بانتصار فيليب سنة ١٢٠٧ م (١٣٧) ·

أما الجبهة الاسلامية بالشرق فقد كانت تمر بمرحلة اعادة الوحدة بقيادة الملك العادل الأيوبى كما سبق تفصيله — وعلى أية حال فان الفترة من ١١٩٨ — ١٢١٨ م / ٥٩٤ — ٦١٥ هـ ، لم تكن هناك خلالها صلات دبلوماسية بين الطرفين · لكن الذى حدث أن الامبراطورية الرومانية المقدسة ، عقدت نيتها على المشـاركة فى الحملة الصليبية الرابعة ، والتى كانت متجهة أساسا الى القاهرة أو الاسكندرية (١٣٨) ، لكن البنادقة لم يكونوا مستعدين لمعاداة الملك العادل نظرا للصلات الاقتصادية بينهما عندئذ ، واذ بهم فى هذه الآونة يدخلون فى مباحثـات اقتصـادية مع السلطان العـادل ، وأرسلوا مبعوثيهم اليه ، وتعهدوا له بعدم مساعدة أى مشروع صليبى ضد مصر ، وقد أغدق العادل على البنادقة امتيازات تجارية واسعة فى مصر وعقد معهم معاهدة تجارية حققت لهم كثيرا من الفوائد ، كما خفض لهم الضرائب ، وسـمح باقامة فندق آخـر لهم بالاسكندرية (١٣٩) ، ومن هنا كان من السهولة بمكان أن يحول البنادقة (أصحاب سفن الحملة) الحملة عن مصر ·

وتذكر بعض المصادر ، انه ابان الاستعدادات فى أوربا للحملة الرابعة اقترح فلها ردون **Villehardouin** فى المؤتمر الذى عقد

بسواسون فى يونيو ١٢٠١ م ، ان يتولى قيادة الصليبيين بعد ان توفى ثيبوت فى سنة ١٢٠١ م ، الماركيز بونيفاس دى مونتفرات فى لمبارديا (١٤٠) ، اذ كانت له صلات وطيدة بالشرق فقد توفى والده ببيت المقدس ، كما أن أخاه وليم دى مونتفرات قد تزوج من «سبيلا» ، ملكة بيت المقدس ، وأنجبت بلدوين الخامس ، فضلا عن ان « بونيفاس » كان ذا علاقة طيبة ، بفليب « دوق سوابيا » (١٤١) ، وكان الأخير على علاقة سيئة بالبابوية ، لأنها ساعدت الأسرة المناوئة « لفيليب » والتى ترغب فى حكم المانيا ، لذلك لا يستبعد المؤرخين ، أن تغيير الحملة الى القسـطنطينية ، كان من جانب فيليب دوق سوابيا نكاية فى البابا (١٤٢) ، على أية حال فقد أرسل البابا الى رجال الدين فى المانيا يحثهم على المشاركة فى الحملة ، ويضيف البعض ، انه خرج من المانيا ، كونراد « أسقف « هلستين (١٤٣) والأسقف الديرى « مارتن البيرس » على رأس جماعتين ذهبتا الى البندقية ، حيث التجمعات الصليبية (١٤٤) ·

ويذكر فلهاردون أن الكسيوس — ابن الامبراطور اسـحق المطرود من العرش البيزنطى — فر على سـفينة ووصـل الى « انكونا » (١٤٥) ، قاصدا فيليب ملك المانيا وزوج أخته (١٤٦) ، فوصل « فيرونا » وقد أشار عليه بعض الذين كانوا معه أن يتجه الى التجمعات الصليبية ، ليساعدوه فى الرجوع الى العرش فوافق على ذلك ، وأرسل الى الماركيز بونيفاس دى مونتفرات ، الذى كان قائدا لجيش الحملة · كما أرسل كذلك الى بعض الباونات ليعرض عليهم قضيته ، فقال البارونات « لقد استوعبنا جيدا ما ذكرتموه ، وسنبعث مع الأمير رسـولا الى الملك فيليب ، فان رغب الأمير فى مساعدتنا فى استرداد الأرض المقدسة ، ساعدناه فى اسـترداد مملكته ، لأننا نعرف انها اغتصبت منه ومن أبيه ظلما وقهرا »(١٤٧) وبالتالى اعتبار هذا الرد موافقة مبدئية ·

ومن ثم أصبح موقف بارونات الحملة الصليبية واضحا من قضية الامبراطور البيزنطى المخلوع من عرشه ، وقد أظهروا تعاطفا ، الأمر الذى ترتب عليه أن وصلت جموع من المانيا ، وخاصة من الأساقفة والكونتات مثل أسقف « هلستين » و « برتولد » كونت « كاتزلينوجين » و « اسكندردى فيللير » و أولريك دى ثون » (١٤٨) ، وغيرهم ، ثم وصل الى « زارا » الماركيز بونيفاس دى مونتفرات ، ثم أرسل الملك فيليب ، من المانيا رسلا الى الصليبيين « بزارا » واجتمع بالجميع ، وخاطبهم السفراء الألمان قائلين أنهم جاءوا بناء على رغبة الملك فيليب ، وأخى زوجته « الكسيوس » وانه يطلب من الصليبيين أن يعتنوا بالكسيوس ، ويساعدوه فى استرداد حقه المغتصب فى مقابل أن يساعدهم على استرداد الأرض المقدسة ، كما انه سيعلن تبعية بيزنطة لروما ، وسيدفع الكسيوس ـ للصليبيين مائتى ألف قطعة فضية فى حالة نفاذ الأموال من الصليبيين ، وانه سوف « يتعهد بتموين كل محارب ، من الجندى البسيط الى القائد » (١٤٩) .

ولأن فيليب أراد أن يساعد الكسيوس مساعدة جادة ، عرض على الصليبيين استعداد الكسيوس للذهاب معهم الى مصر ، بعد ارجاع عرشه ببيزنطة ، بقوة عشرة آلاف محارب ، واذا لم يرض الصليبيون بحضوره معهم الى مصر ، فسوف يضع تحت قيادتهم نفس العدد ويكون متكفلا باعاشتهم على نفقته لمدة عام واحد ، كما انه عرض أيضا على الصليبيين استعداد الكسيوس ، لأن يرسل خمسمائة فارس لحراسة الأرض المقدسة ويعيشون على نفقة الكسيوس مدى حياته ومن ماله الخاص (١٥٠) .

وواضح من هذه العروض السخية أن فيليب السوابى ، كان يرغب فى تحويل مسار الحملة عن مصر الى القسطنطينية لرد أملاك

صهره « أخى زوجته » ، وعلى أية حال عرض السفراء الألمان هذه الاتفاقية على الصليبيين بزارا ، واجتمع البارونات فى يوم تالى لابداء الرأى فيها (١٥١) . واتفقوا فى يناير عام ١٢٠٣ م ، على قبول العرض (١٥٢) .

ومما يلفت النظر انه بالرغم من هذه التوصيات من الملك فيليب لبارونات الحملة ، فان « جارنييه فون بورلاند » الألمانى ، والذى كان قائدا للجيش الصليبى فى « زارا » ، ترك الجيش ورجع على ظهر سفينة تجارية مما جعل بعض الصليبيين يوجهون له اللوم (١٥٣) ، فى حين بقيت معظم جيوش الصليبيين تحت قيادة الماركيز دى مونتفرات ، وكان بينهم اللمبارديين ، والألمان (١٥٤) فى مؤخرة الجيش ، وتحركت الحملة الى الامبراطورية البيزنطية (١٥٥) استجابة لطلبات الكسيوس ابن الامبراطور البيزنطى المخلوع ، وفيليب ملك المانيا .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن هل يمكن القول بأن الكسيوس ابن الامبراطور البيزنطى المخلوع قد طلب من الحملة تغيير خط سيرها والابتعاد عن مصر ، بتدبير من مصر وبيزنطة ؟ وهل كانت التوصيات التى أرسلها الملك فيليب الى بارونات الحملة « بزارا » نتيجة لاتصالات دبلوماسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة ومصر ...

فى الواقع انه لم يرد فى المصادر العربية ولا اللاتينية المعاصرة وغير المعاصرة ، التى أمكن الاطلاع عليها ، أية اتصالات تؤيد ذلك ، لكن الظروف التى كان فيها الامبراطور البيزنطى المخلوع وابنه ، كانت كفيلة لأن يمارس الكسيوس ضغوطا ويعرض عروضا مغرية على الصليبيين « بزارا » لكى تتجه الحملة الى بيزنطة وتعيد العرش له ولوالده ، اذ ان هذه العروض كانت تكلف الكسيوس الكثير ،

ولا يمكن أن يفعل هذا حبا فى مصر ، لأنه لو اتضح ذلك للصليبيين ، لحكموا عليه بالتقصير فى حق الصليبيين كمـــا حكموا على الأباطرة البيزنطيين السابقين والذين لهم مواقف سيئة من القضية الصليبية ، فضلا عن أن الوضع فى الشرق عموما ، وفى مصر خصوصا ، لا يسمح لهم بمساعدة الكسيوس فى العودة الى العرش ، وذلك لسببين :

الأول : ان العادل الأيوبى كان مشغولا باعادة الوحدة فى الدولة الأيوبية ٠

والثانى : انه لم يحدث من قبـــل أن تدخلت الدولة الأيوبية فى شئون بيزنطة الداخلية فيما يخص النزاع على العرش ٠

كما ان المساعدة التى قام بها فيليب ملك ألمانيا لالكسيوس ، والخاصة بالجهود التى قام بها من أجل تغيير مسار الحملة من مصر الى بيزنطة ، لم تكن نابعـــة من اتفـــاق بين الدولة الأيوبيـــة والامبراطورية المقدسة وذلك أيضا لسببين :

الأول : ان فيليب يهمه رجوع الكسيوس الى العرش البيزنطى، ذلك لما بينهما من صلات الود والنسب (١٥٦) ، وما يترتب على ذلك من تقارب فى وجهـات النظر ، والذى يمـكن أن يخدم القضية الصليبية ، والأهم من ذلك الاستفادة من ثراء الدولة البيزنطية ، بالحصول على الامدادات التى وعد بها الكسيوس الصليبيين ، وهى ضرورية بالنسبة لهم لتدعيم موقف حملتهم الى الشرق ٠

الثانى : ان فيليب لم يعد يراعى صـــلات الصداقة مع الدولة الأيوبية التى كان فردريك الأول يحاول نهجهـــا ، وليس أدل على ذلك من أن جموعا من الحملة الرابعـــة اتجهت فعلا الى الشرق

الاسلامى بعد استيلائها على القسطنطينية ، وربما ان هذه الجموع كانت تمثل الفريق الذى أصر على أن هدف الحملة الرئيسى هو بلاد الشام وليس بيزنطة ، وهو أمر لم يكن فى اعتبـــار فيليب ٠ وعلى أية حال انتهت المعارك بينهم وبين المسلمين ، على أساس اتفاقية ٠ ترك لهم العادل بمقتضاها ، نصف اللد والرملة ، وأعطاهم الناصرة ويافا ، فى سنة ١٢٠٤ م/٦٠٠ هـ (١٥٧) ومن ثم فيستبعد أى صلات بين مصر من جهة والكسيوس وفيليب من جهة أخرى ٠

الوضـع السياسى فى ألمانيا بعد وفاة الامبراطور هنرى السادس حتى سنة ١٢٠٨ م :

لقد حرص الامبراطور هنرى الســـادس قبـــل موته ، على تعيين ابنـــه فردريك امبراطورا (١٥٨) ، الا ان البـــابا كلستين الثالث (١١٩١ ـ ١١٩٨ م) Celestine III رفض ، لأن سلطان ألمانيا امتد على جنوب ايطاليا وصقلية ، وهذا الانتشار الألمانى أوقع البابوية بين فكى الأسد (١٥٩) ٠

ولم تكن المعارضة ضد فكرة الامبراطور هنرى السادس فى تعيين فردريك من جانب البابوية فحسب ، ولكنها كانت أيضا من بعض الأمراء الألمان ، وخاصة دوق اللورين ، لكن هنرى استطاع أن يكسب ثقـة الأمراء ، عنـــدما أعلن اعتزامه الخـروج بالحملة الصليبية ـ والتى سبق تفصيلها ـ ووافق الأمراء فى ٢٥ ديسمبر عام ١١٩٦ م على تعيين فردريك ملكـــا ، على أن يخلفه فى عرش الامبراطورية (١٦٠) ٠

ومن ثم فعندما مات الامبراطور هنرى السادس فى سبتمبر عام ١١٩٧ م سارع الأمراء الألمان بالشرق ، باعلان ولائهم لفردريك الثانى (١٦١) ، وقد استطاع البابا « أنوسنت الثالث » (١١٩٨ ـ

١٢١٦ م) ، أن يقنع كونستانس أرملة هنرى السادس – وأم الملك الصغير – أن تكون هى الوصية على ابنها ، وان تتبع البابوية وتدفع مبلغا معينا سنويا مقابل ان تحكم الأرملة صقلية ونابلى ، علاوة على ذلك فقد طلبت الأم من البابوية الوصاية على ابنها بعد وفاتها (١٦٢) ، لكن خشى بعض الأمراء الألمان من نفوذ البابا ، ومن ثم فى ١٧ مايو ١١٩٨ م شكلوا لجنة رباعية للوصاية على فردريك فى صقلية بزعامة « ماركوارد » Markward وأمير « أنويلر » Anweiler الموالى لهنرى السادس (١٦٣) ، وزعيم الجالية الألمانية بصقلية ، والوزير فى « بالرمو » وكان فردريك حينئذ ابن أربع سنوات ، هذا وقد اعتبر البابا أنوسنت ، هذه لطمة له ، فحاول يستجدى أهالى صقلية ضد « ماركو » وهرب فردريك وأوصياؤه الى مسينيا ، وهكذا ظل الوضع فى صقلية حتى سنة ١٢١٢ م (١٦٤) .

أما فى المانيا ، فانه بعد وفاة الامبراطور هنرى السادس ، رأى اخوة « فيليب السوابى » (١٦٥) Phillip ، انه أحق بالعرش الامبراطورى بعد أخيه ومن ثم اتجه الى محالفة « فيليب الثانى » أغسطس Phillip II « ملك فرنسا » Kiag of France « فى سنة ١١٩٨ م ، حتى يساعده فى الوصول الى العرش الامبراطورى »(١٦٦) وبدأ يطلب مساعدته ، ومن ثم قدم فيليب من توسكانيا وأعلن وقوفه الى جانب فردريك ، وأيده فى ذلك حزب الجبلين الامبراطورى وأغرى زعماء سكسونيا و « بافاريا » وانتخبوه امبراطورا فى سنة ١١٩٨ م ، على أن لا يمس حقوق ابن أخيه بسوء (١٦٧) .

والذى لا شك فيه أن تطور الأحداث بهذه الصورة السريعة أدت الى تجدد الحرب الأهلية فى ألمانيا من جديد ، اذ كونت مدن شمال ايطاليا ادارة لنفسها ، وواجه فيليب مناقسا على الحكم هو

« أوتواف برونزويك » Otto of Brunswick (١٦٨) ، والذى اختاره الولفيين ، وهو الابن الثانى لهنرى الثانى Henery II ملك انجلترا (١١٥٤ – ١١٨٩ م) ، وبذا سادت الحرب الأهلية كل من لمباردية وتسكانيا والمانيا (١٦٩) ، وقد ساعدت البابوية « أوتو » لأنه وعدها بخضوعه لها ، وتمكن فيليب دوق سوابيا من هزيمة « أوتو » سنة ١٢٠٧ م ، الذى فر الى انجلترا الا ان فيليب قتل فى سنة ١٢٠٨ م ، ولعل هذه الاضطرابات جعلت فيليب بغض النظر عن سياسة والده فردريك الأول والخاصة بالشرق الاسلامى – عدا ما قام به من المساهمة فى الحرب الصليبية الرابعة ومحاولاته فى تحقيق برنامج أخيه هنرى السادس (١٧٠) .

الهوامش

(١) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ٢١٢ — ٢١٣ ٠

(٢) ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ورقة ٥٢ ٠

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٤١ ، وانظر : ابن أيبك الدوادارى : الدر المطلوب ، جـ ٧ ، ص ١٢٠ ٠ ومما يجدر ذكره أن مولد الأفضل كان سنة ٥٥٥ هـ والعزيز سنة ٥٦٧ هـ ، والظـاهر غـازى سنة ٥٦٨ هـ ، انظر : أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ ٠

(٤) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ ٠
وانظر : سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ٧٤ — ٧٥ ٠

(٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٤١ ٠

(٦) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٦ ، وانظر : ستيفن رنسيمان الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ١٥٠ ٠

(٧) محمد محمد أمين : السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، رسالة ماجستير ، جامعة القـاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٦ ٠

(٨) أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ٠

(٩) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ١٤٣ ٠

(١٠) ابو شامه : المصدر السابق والصفحة ٠

(١١) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٣ ، تحقيق جمال الشيال الاسكندرية ١٩٦٠ ، ص ١٥ ٠

(١٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٨٧ ٠

(١٣) ثغر جبيل من جملة الفتوح الصلاحية ، وكان القائم على حمايته رجلا كرديا ، فبذل له الفرنج مالا وسلم لهم الثغر ٠
انظر ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٦ ٠

(١٤) من الذين انضموا الى جيش العزيز « قايماز النجمى » الذى كان اقطاعه بالسودان وكان بينه وبين الأفضل نزاع ، وارسل اليه الأفضل لمصالحته ، لكنه رفض ٠انظر :
ابو شامه : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ٠

(١٥) أبو شامه : نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ٠

(١٦) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٧ — ٢٩ ٠

(١٧) أبو شامه : المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ ٠

(١٨) نفس المصدر ، والصفحة ٠

(١٩) هذا الرسول هو الأمير « فخر الدين ايازجركس » أو « جهاركس » وهو أستاذ دار من الصلاحية ٠
انظر المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ق ٢ ، ص ١٤٥ ٠

(٢٠) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٤٦ ؛ وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٨ — ٩ ٠

(٢١) المقريزى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ١٥٢ ٠

(٢٢) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ ٠

(٢٣) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٦ ٠

(٢٤) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٩ — ٢٣٠ ، وانظر المقريزى : المصدر السابق ، جـ ١ ق ١ ، ص ١٥٣ — ١٥٤ ٠

(٢٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٤٩ — ٥٠ ٠

(٢٦) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ ٠

(٢٧) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٦٦ ٠

(٢٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٥٠ ٠
يذكر المقريزى أن العزيز توسل الى العـادل فى الصلح على أن يترك مصر ويتجه الى المغـرب ٠
انظر : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ١٥٧ ٠

(٢٩) أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ ، وانظر ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٥٤ ٠

(٣٠) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ١٥٢ ، وانظر سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٨٧٩ ٠

(٣١) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٥٥ — ٦٠ ٠

(٣٢) هذا الرسول هو اخو العـادل لأمه : انظر أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ ٠

(٣٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٩٢ ٠

(٣٤) تذكر بعض المصادر ان سبب استيلاء العادل على دمشق ان الافضل سعى لقتل العادل . انظر : ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٥١ – ٥٢ .

(٣٥) أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢١ .

(٣٦) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٩٢ .

(٣٧) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق مجلد ٢ ، ص ١٧٣ ، وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٥٣ .

(٣٨) ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة ، وانظر مكسيموس مونروند المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٣ .

(٣٩) ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ٢ ، ص ٤٥٥ .

(٤٠) تبنين : بلدة فى جبال بنى عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور ، انظر : ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٤ .

وهى بلدة « ثمنه » الواردة فى التوراه ، وبها قبر شمعون الصديق انظر بنيامين التطيلى الاندلسى : رحلة بنيامين (٥٦١ – ٥٦٩ هـ / ١١٦٥ – ١١٧٣ م) ، ترجمها من العبرية عذرا حداد ١٩٤٥ ، ص ١١٢ .

(٤١) ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٦٩ ، وانظر ابن الاثير ، المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٥٤ .

(٤٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٩٥ ، وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٥٨ .

(٤٣) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٤٤) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٩٣ .

(٤٥) أبو شامه : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ .

ومن أقوال الظاهر للأفضل « وماك فى مصر لا يكفيك ودمشق لك بوصيـ أبيك » . انظر أبو شامة : نفس المصدر والصفحة .

(٤٥) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ .

(٤٦) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٤٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٦١ .

(٤٨) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢٢ .

(٤٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٦٥ .

(٥٠) أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٥١) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ١٧٢ . وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٦٥ ، وأيضا : الحنبلى . الانس الجليل ، جـ ١ ، ص ٤٠١ .

(٥٢) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٩٨ .

(٥٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٦٥ ، وأيضا المقريزى السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ق ١ ، ص ١٨٣ .

(٥٤) ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ورقه ٥٩ .

(٥٥) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٢ .

(٥٦) ابن كثير : المصدر السابق ، جـ ١٣ ، ص ٢٧ ، وانظر محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٩٢ .

(٥٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٦٨ .

(٥٨) نفس المصدر ، ص ٧٠ .

(٥٩) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٩٩ : وانظر ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٥٤ .

(٦٠) أبو الفدا) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٠١ ، وانظر ابراهيم الحنبلى . شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ورقة ٥٩ ، وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٧٤ .

(٦١) Poole (S.L.) : History of Egypt in the Middle Ages p. 215.

(٦٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٨٨٨ .

(٦٣) تذكر بعض المصادر : ان العادل قبض على المؤيد والمعز من أولاد اخيه واعتقلهما فى دار بهاء الدين قراقوش . انظر : ابن أيبك الدوادارى : الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٧ ، ص ١٤٨ .

(٦٤) محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٩٣ .

(٦٥) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ .

(٦٦) ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ ٢ ، ص ١٨٥ ، وانظر أبو الفدا المختصر ، جـ ٣ ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .

Cf : Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the East. p. 296.

(٦٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٨٨٨ .

(٦٨) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 116.

(٦٩) Tout : The Empire and the papacy, p. 305.

وانظر : سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

(٧٠) Wiegler (P.) : The Infidel Emperor. p. 10.

(٧١) Bryce (J.) : The Holy Roman Empire, p. 201.

(٧٢) Painter (S.) : A History of the Middle Ages, p. 280.

(٧٣) Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 365.
Cf : Bryce (J.) : Op. cit., p. 201.

(٧٤) أرنست باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٢٢ .

(٧٥) Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 366.

(٧٦) Ibid., p. 366.

وانظر عبد القادر اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٥١ .

(٧٧) Vasiliev (A.A.) : History of the Byzantine Empire, Vol. 2., p. 449.

وانظر : ج ـ م ـ هسى : العالم البيزنطى ، ص ٢٠٤ .

وايضا فلهاوزن : فتح القسطنطينية ، ترجمة حسن حبشى ، جده ١٩٨٣ م ١٤٠٣ هـ ، من مقدمة المترجم ، ص ٢٢ .

(٧٨) Chroniatae (N.) : De Alexio Isaacil Angeli, Corpus, Scriptorum. Historiae Byzantinae, Tome, 35, p. 627.

(٧٩) Michoud : Historiae de Croisades, Tome 2, p. 193.

(٨٠) Vasiliev : (A.A.) : Op. cit., vol. 2., p. 448.

(٨١) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 193.

(٨٢) سعيد عاشور : قبرص والحرب الصليبية ، ص ٣٥ .

(٨٣) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق ، م ٢ ، ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٨٤) ابو شامه : الروضتين فى اخبار الدولتين جـ ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٨٥) Cam. Med. Hist., Vol. 5., p. 473.

(٨٦) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 193.

(٨٧) King (E.J.) : Op. cit., p. 166.

(٨٨) Setton (û.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 120.

(٨٩) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق ، م ٢ ، ص ١٧٢ .
Cf : Archer (T.A.) : The Crusades, p. 369.

(٩٠) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 120.

(٩١) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق ، م ٢ ، ص ١٧٢ .

(٩٢) Poole (S.L.) : History of Egypt in the Middle Ages, p. 217.

(٩٣) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ١٧٠ .

(٩٤) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 193.

(٩٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٥٣ .

وانظر مكسيموس مونروند · الحروب المقدسة فى الشرق ، م ٢ ، ص ١٧٣ .

(٩٦) كان يحكم يافا ، « املريك لوزجنان » قبل أن يتوجه الى قبرص ، غير ان « هنرى دى شامبانى » فرض عليه أن ياخذها من جديد ، ليتولى الدفاع عنها ، خيرا من الالمان والمسلمين ، لكن أملريك لوزجنان » ارسل أحد ياوزناته ، رهو « رينالد بارليه » ليتولى حكومة « يافا » ويتجهز للحصار المقبل . انظر ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ص ١٧١ ـ ١٧٣ .

(٩٧) انظر نفس المرجع ، ص ١٧٤ ـ ١٧٧ .

(٩٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٥٣ .
Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 194.

(٩٩) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق ، ص ١٧٣ .

(١٠٠) Ibid., p. 194.

(١٠١) تيرون : بالقرب من يافا .
Cf : Ambroise : The crusades of Richord Lion-Heart, p. 400.

(١٠٢) Michoud : Op. cit. ,Tome 2, p. 194 F.

(١٠٣) King (E.J.) : Op. cit., p. 168.

وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، ج ١٢ ، ص ٥٤ .
وايضا : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .

(١٠٤) Michoud : Op. cit., tome 2, p. 196.

(١٠٥) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(١٠٦) Ibid., p. 196.

(١٠٧) رنسيمان : نفس المرجع ، ص ١٧٨ .

(١٠٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(١٠٩) Ibid., pp. 197 F.

(١١٠) Tout : Op. cit., p. 312.
Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 120.

(١١١) King (E.J.) : Op. Cit., p. 168.

(١١٢) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ص ١٧٨ – ١٧٩ .

(١١٣) ابو شامة : الروضتين فى اخبار الدولتين ، مجلد ٢ ، ص ٢٢٣ .

(١١٤) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 201.

(١١٥) Ibid., p. 201.
وانظر سيد الجريري : الأخبار السنية فى الحروب الصليبية ، ص ٢٢١ .

(١١٦) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .
وانظر مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق مجلد ٢ ، ص ١٧٨ .

(١١٧) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 203.

(١١٨) Thampson : Middle Ages, Vol. 1., p. 587.

(١١٩) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ترجمة : قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، القاهرة ١٩٨١ ، ص ١٨٨ .
وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٤٨٧ .

(١٢٠) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(١٢١) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 203.
وانظر : مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٨٤ .

(١٢٢) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩٦ – ١٩٧ .

(١٢٣) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .
وانظر عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٠ .

(١٢٤) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
وأيضا عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(١٢٥) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(١٢٦) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
وانظر عزيز سوريال عطية ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .
وايضا يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(١٢٧) King (E.J.) : Op. cit., p. 170.

(١٢٨) يوشع براور : نفس المرجع ، ص ١٩٠ .
وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .

(١٢٩) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(١٣٠) يوشع براور : نفس المرجع ، ص ١٩٢ ، وأيضا سعيد عاشور الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٤٨٨ .

(١٣١) يوشع براور : المرجع السابق ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .

(١٣٢) يوشع براور : نفس المرجع ، ص ١٩٧ .

(١٣٣) King (E.J.) : Op. cit., p. 169.

(١٣٤) جاء عمورى لوزجنان ملك قبرص (١١٩٧ – ١٢٠٥م) الى بلاد الشام ، وتزوج من ايزابيلا Isabella – أرملة هنرى دى شامبانيا ملك بيت المقدس ، الذى توفى فى سبتمبر عام ١١٩٧ م ، وبذا أصبح عمورى ملك بيت المقدس : انظر : Cf : Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 201.
وايضا : سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٣٠٧ .
وكذلك : محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٨٦ .

(١٣٥) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ .
Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 121.

(١٣٦) Michoud : Op. cit., Tome 2, p. 202.

(١٣٧) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .

(١٣٨) روبرت كلارى ، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ٣٩ ٠

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٩٢ ــ ٨٩٣ ٠

(١٣٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٩٤ ٠

(١٤٠) روبرت كلارى : المصدر السابق ، ص ٣٨ ٠

(١٤١) فلهاردون : فتح القسطنطينية من مقدمة المترجم ، ص ٢٥ ٠

(١٤٢) نفس المصدر ، ص ٢٦ ــ ٢٩ ٠

(١٤٣) روبرت كلارى : المصدر السابق ، ص ٣٤ ٠

(١٤٤) روبرت كلارى : نفس المصدر ، من مقدمة المترجم ، ص ٥٥ ٠

(١٤٥) انكونا : ميناء جنوب ايطاليا ٠

فلهاردون : المصدر السابق ، حاشية المترجم ، ص ٧١ ٠

(١٤٦) روبرت كلارى : المصدر السابق ، ص ٦٥ ٠

(١٤٧) فلهاردون : المصدر السابق ، ص ٧٠ ــ ٧١ ٠

ينكر روبرت كلارى أن الصليبيين بناءا على نصيحة الماركيز مونتفرات ارسلوا الى الكسيوس ليساعدهم فى الوصول الى الشرق ، انظر ، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ص ٦٦ ٠

(١٤٨) فلهاردون : المصدر السابق ، ص ٧٠ ــ ٧١ ٠

(١٤٩) نفس المصدر ، ص ٧٧ ، وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٩٤ ٠

(١٥٠) فلهاردون : المصدر السابق ، ص ٧٨ ٠

(١٥١) فلهاردون : نفس المصدر ، ص ٧٨ ٠

(١٥٢) روبرت كلارى : المصدر السابق ، مقدمة المترجم ، ص ١٦ ٠

(١٥٣) فلهاردون : المصدر السابق ، ص ٨٠ ٠

(١٥٤) نفس المصدر ، ص ٩٦ ٠

وانظر روبرت كلارى ، المصدر السابق ، ص ٨٤ ٠

(١٥٥) عن الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية ، انظر :

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٩١ وما بعدها ٠

وايضا : اسمت غنيم : الحملة الصليبية وسقوط القسطنطينية ٠

(١٥٦) أومان : الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٢١٧ ٠

(١٥٧) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ص ٨١ ٠

وأبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٣ ص ١٠٦ ٠

وابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٧ ٠

وأيضا محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٩٤ ــ ٩٥ ٠

(١٥٨) ولد فردريك ــ الثانى فيما بعد ــ فى بلد « جسى » Jessi سنة ١١٩٤ ، انظر وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ٥٧٩ ٠

(١٥٩) رأفت عبد الحميد : المشكلة الايطالية فى السياسة الألمانية فى العصور الوسطى ، مقال بالمجلة التاريخية ٣٠/٣١ ، ص ٢٨٤ ٠

(١٦٠) رأفت عبد الحميد : الملكية الالمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى مقال بندوة التاريخ الاسلامى والوسيط لسنة ١٩٨٣ ٠ مجلد/٢ ، ص ١٣٠ ٠

وانظر سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٧٩ ٠

(١٦١) رأفت عبد الحميد : الملكية الألمانية بين الوراثة والانتخاب ، ص ١٣٠ ٠

(١٦٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٧٩ ٠

Cf : Hayes (T.H.) : History of Europe, p. 282.

وأيضا : عبد الشافى غنيم عبد القادر : حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية فى العصر النورمندى ، ص ٦٥ ٠

وكذلك ، محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٢٠ ٠

مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق مجلد ٢ ، ص ٢٦٩ ٠

(١٦٣) رأفت عبد الحميد : الملكيـة الألمانيـة بين الوراثـة والانتخـاب ص ١٣٠ ٠

(١٦٤) عبد الشافى غنيم : المرجع السابق ، ص ٧٠ ــ ٧١ ٠

(١٦٥) Stephenson (C.) : Medieval History, p. 428.

(١٦٦) Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.H.) : Op. cit., p. 227, No. 131. Treaty Between Phillip King of Germany and Phillip II, King of France, 1198.

(١٦٧) رأفت عبد الحميد : الملكية الالمانية بين الوراثة والانتخاب ، ص ١٣١ ٠
وانظر محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٢١ ٠

(١٦٨) Ostrogorsky (G.) : Op. cit., p. 367.

(١٦٩) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ١٢١ ٠
وأيضا رسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ٠

(١٧٠) ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ ٠

الفصـــل الرابـــع

سياسة الامبراطور فردريك الثانى تجاه الدولة الأيوبية

(٦٠٦ – ٦٢٥ هـ / ١٢٠٩ – ١٢٢٧ م)

— الوضع السياسى فى المانيا بعد وفاة الملك فيليب السوابى ٠

— تعهد فردريك الثانى بالقيام بحملة على الشرق ٠

— الوضـــع السياسى فى الدولة الأيوبية وأثره على العـلاقات الخارجية ٠

أوضحنا فى الفصل السابق المشروع الصليبى الذى قام به الامبراطور هنرى السادس ، ولم يكتب له النجاح لوفاته فى الغرب وهو فى ريعان شبابه ، فترك امبراطوريته لأخيه فيليب السوابى الذى دخل فى صراع مع أعدائه ـ من أجل عرش الامبراطورية ـ ، استمر طيلة عشر سنوات ، لم يستطع خلالها تقديم أى عون صليبى يذكر عدا اسهامه فى الحملة الصليبية الرابعة ، ولم تكن موجهة ضد المسلمين فى الشرق ، ولكن وجهت ضد الامبراطورية البيزنطية . ويمكن القول بأن الأوضاع السياسية التى كانت تمر بها الامبراطورية الرومانية المقدسة حينئذ ، أبعدت الامبراطورية ، عن ميدان الصراع بين الشرق والغرب طيلة عشرين عاما، عندما ساهمت ببعض الامدادات فى الحملة الصليبية الخامسة والتى كانت على دمياط . ثم دخلت الامبراطورية بعدها فى علاقات دبلوماسية مع المسلمين بالشرق . وسوف نعرض فيما يلى الأوضاع السياسية فى الامبراطورية بعد وفاة فيليب السوابى .

الوضع السياسى فى المانيا بعد وفاة الملك فيليب السوابى :

أنعش موت فيليب السوابى الأمل فى نفس خصمه « أوتو الرابع » للمطالبة بالعرش من جديد ، وأيده فى ذلك الأمراء الهوهنشتاوفن الألمان بشرط أن يتزوج من ابنة غريمه فيليب ، فوافق على ذلك وأعلن فى روما خضوعه للبابا فى سنة ١٢٠٩ م ، وتوج فى أكتوبر من نفس العام (١) ، وهكذا استطاعت البابوية أن تحقق ما تحلم به من خضوع امبراطور المانيا لها . الا أن « أوتو » قام بمهاجمة صقلية ، مما دفع البابوية لاصدار قرار الحرمان ضده (٢). واستغل الأمراء الألمان هذا الوضع ، وأعلنوا فى « نورمبرج » Numberg ، فردريك الثانى امبراطور سنة ١٢١١ م (٣) .

ولما كانت البابوية تبحث عن مصالحها أينما كانت ، فلم ترفض النزول عن رغبة الأمراء الألمان ، ومن ثم فقد طلبت من فردريك الثانى بصقلية أن يتوج ابنه هنرى ، ويعينه ملكا على صقلية بوصايةأمه (٤) · بالاضافة الى أن فردريك خرج من صقلية فى مارس ١٢١٢ م ، مع بعض أتباعه متجها الى روما التى وصلها فى منتصف أبريل ١٢١٢ م · واستقبله البابا « أنوسنت » والكرادلة Cardinals ، ومجلس الشيوخ ، والشعب الرومانى ، ولأول مرة يلتقى فيها فردريك الثانى مع البابا أنوسنت (٥) · وفى الخامس من ديسمبر ١٢١٢ م ، فى حضور المبعوثين الفرنسيين ، وكذلك أمراء فرانكفورت ، تم انتخاب فردريك ملكا بصفة رسمية ، وبعد ذلك بأربعة أيام تم تتويجه بتقليد لشعار الدولة فى « ماينز » Mainz · لأن شعار الدولة الحقيقى كان فى حوزة الويلفيين Welf وكذلك الأشياء الخاصة بمراسم التقليد كالتاج الملكى والصولجان (٦) · ثم أعلن أنه على استعداد للقيام بحملة صليبية على الشرق ·

ومما يلفت النظر أن فردريك كان فى الحادية والعشرين من عمره فى الوقت الذى نذر فيه نفسه لقيادة الجيوش والتوجه الى الشرق لاستعادة الأرض المقدسة اذ يذكر كانتروفيتش أنه : « بقلب ظاهر ونقى لم يكرس جسده وقواه لله ، ولكنه عرضهما أيضا أمام النار المشتعلة كما لو كان ضحية » (٧) بالاضافة الى أنه تعهد للبابوية فى سنة ١٢١٣ م ، ومن خلال اطار وضعه لنفسه أمامها بان اختيار الأساقفة سيتم بالقانون الكنسى ، كما سيضع نظاما لهبات الكنائس والفائض منها ، وأعلن انه سيهتم بالكنيسة الرومانية وسيعمل على تثبيت مكانها فى كل الأرض ، وسيساعدها فى رد الأرض التى للكنيسة الرومانية والخارجة عن سلطانها ، ولها حدود وهى من « راديكوفونو » Radicofano الى « سيبرانو »

Ceperano الى « أنكونا » Ancona ودوقية « سبوليتو » Spoleto وكذلك الأرض التى فى كونتيسات « ماتيلدا » Matilda و « بيرتينورو » Bertinoro فى « رافنا » كما أعلن أنه سيساعد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية للحفاظ والدفاع عن صقلية وكل الحقوق التى قررتها (٨) ·

أما « أوتو الرابع » فقد عاد من ايطاليا الى ألمانيا ، وطلب مساندة حنا ملك انجلترا (١١٩٩ ـ ١٢١٦م) وأمير فلاندرز (٩)· وكان على فردريك أن يستعين بقوة تقف معه ضد « أوتو » فاستطاع أن يتقابل مع الوريث الفرنسى للعرش فى نوفمبر ١٢١٢ م بروما، وعقد معه حلفا يتعهد فيه أن لا يعقد سلاما مع أعداء فرنسا بدون موافقتها (١٠) · وبذا كسب فردريك الثانى ملك فرنسا الى جانبه بالاضافة الى رضاء البابوية عليه وكانت النتيجة هزيمة حلف « أوتو » أمام حلف فردريك فى موقعة « لوفانو » L'avinos بسهول بلاد الفلاندرز فى ٢٧ يوليو ١٢١٤ م (١١) ·

ويمكن القول بأن فردريك (بما حققه من نجاح سياسى) قد أصبح أعظم الأمراء الألمان قاطبة ، اذ كان لنشأته فى صقلية أثر فى صقله سياسيا وثقافيا ، لأن صقلية كانت ملتقى الحضارات الاسلامية والبيزنطية والرومانية واللاتينية (١٢) · وبذا أصبحت ثقافته ـ كما يذكر البعض ـ نصفها عربى ونصفها الآخر اغريقى (١٣) · فقد أجاد فردريك ست لغات على رأسها العربية ، كما أحب الشعر وأحسن نظمه ، وشجع الفنون والثقافة ، كذلك خاض ميادين علمية مثل الفلسفة والفلك والهندسة والجبر والطب والتاريخ الطبيعى والصيد ، واهتم بالهرطقة الدينية (١٤) · وقام على تعليمه فى علم المنطق قاض مسلم (١٥) ·

بل يذكر البعض ـ أنه « محير العالم أو أعجوبة الدنيا » Stupor Mundi (٦١) · نعم انه يختلف عن الأباطرة الذين

سبقوه ، فيحكم الامبراطورية ، فنتيجة لتربيته ، لم يكن لديه عداء ناحية الشرق ، لذلك لاغرابه اننا نجده بعد ذلك يراوغ البابوية فى تنفيذ طلباتها الخاصة بالقيام بحملة صليبية على الشرق، وذلك انه ذات شخصية مميزة قلبا وقالبا ، ذا عقل له أسلوبه فى حل ومعالجة المشاكل السياسية وخاصة مع الشرق الاسلامى ٠

سبق القول بأن الامبراطورية لم يكن لديها الوقت والدوافع اللازمين للتوجه الى الشرق ، لا للفترة التى كانت تمر بها سياسيا فحسب ولكن لما كان يقوم به الامبراطور فردريك الثانى من تثبيت حكمه أيضا ٠ وقد ترتب على ذلك ان قامت حملة فريدة من نوعها لها طابع خاص سنة ١٢١٢ م ، قاصدة الشرق الاسلامى ، تتكون من الأطفال ومعظمهم من أطفال المانيا ، وكان يتزعمهم طفل من مدينة « كلونى » Cologne بالمانيا يدعى « نيقولا » Nicholas ، وجمع حوله مجموعة من الأطفال لا يتعدى سن الطفل اثنى عشر عاما (١٧) ٠ وقد انضم الى هؤلاء مجموعة أطفال من فرنسا تحت قيادة طفل يدعى « ستيفين » Stephen . وقد قاد « نيقولا » الألمانى نفسه مجموعة لا تقل عن عشرين ألفا ، واتخذوا طريقهم الى ايطاليا عبر جبال الألب ، وقابلوا البابا فى روما ، الذى لم يستطع أن يمنعهم عن قصدهم (١٨) ٠ وتوجهوا الى موانىء البحر وهم يغنون قائلين « يسوع الرب، أرجع الينا صليبك المقدس » (١٩) وهكذا وصل بعضهم الى « برنديزى » قاصدين بيت المقدس قائلين « نحن ذاهبون الى أورشليم لتحرير القبر المقدس » (٢٠) وقد رجع بعضهم الى بلاده ، وآخرون تبناهم الايطاليون (٢١) ٠ أما الذين وصلوا الى الشرق فقد باعهم البنادقة فى أسواق الرقيق بتونس والشرق (٢٢) ٠ أما عن مصير الطفل « نيقولا » نفسه فيقال انه قد وفى بنذره وأبحر الى الأرض المقدسة (٢٣) ٠

تعهد فردريك الثانى بالقيام بحملة الى الشرق :

أصبح على البابوية ـ بعد ما أبداه الأطفال من شجاعة أمامها ـ ان تحرك القضية الصليبية ، اذ ان هذا التصرف ينم عن تكاسل البابوية فى مشروعاتها الصليبية ٠ ومن هنا ، عقد البابا « أنوسنت الثالث (١١٩٨ ـ ١٢١٦ م) مجمعا فى روما بكنيسة القديس « يوحنا » اللاترانية فى تشرين الأول (أكتوبر) ١٢١٥ م، دعا اليه ما يزيد عن خمسمائة شخص من شتى أنحاء أوربا ، كما حضره مندوبا عن الامبراطورية الرومانية المقدسة (٢٤) ٠ وأرسل البابا دعاة الى كل الأرجاء ، فأسند الدعوة فى ألمانيا الى بعض الأساقفة ، ورؤساء الأديرة ، وكان أعظم رجال الدين نجاحا « أوليفر بادنبورن » الذى كان يتولى أسقفية « بادرنبورن » فى ألمانيا ، فقام بالتبشير للحملة فى « فريزيا » و « فلاندرز » و « بارابانت » و « اترخت » وبعض المناطق الأخرى ، فضلا عن هذا ، فقد حث بعض الشعراء فى أشعارهم على ضرورة حل النزاع بين فردريك الثانى وخصومه (٢٥) ٠ حتى يتفرغوا للقضية الصليبية ، وفردريك بالذات لأنه وعد بالقيام بحملة صليبية الى الشرق عند تتويجه سنة ١٢١٢ م ٠ واصبح فردريك أيضا متعهدا أمام البابوية بالدفاع عنها والزود عن حياضها (٢٦) ٠

كما تعهد فردريك كذلك عندما توج فى ٢٥ يوليو ١٢١٥ م/ ٦١١ هـ ، فى آخن Aachen بأنه سيرافق الحملة الصليبية المزمع قيامها الى الشرق (٢٧) ٠ وفى سنة ١٢١٦ م ، جدد الطاعة للبابا (ملك روما وصقلية) ، وأشار الى رغبته فى تحقيق الرفاهية للكنيسة الرومانية ، ومملكة صقلية ، وقد ذكر أنه سيتخلى عن مملكة صقلية تدريجيا للبابوية ، وفى مقابل ذلك سوف يدفع ذهبا

رهبنية ، لأنه كما يذكر فردريك الثانى فى تعهده « ان استقلال صقلية عن البابوية ، معناه انقسام فى الكنيسة الرومانية وكذلك فى مملكتنا » (٢٨) ٠

وقد استغلت البابوية فرصة ارسالها الحملة الصليبية الخامسة الى مصر ، وطلبت من فردريك تنفيذ وعده ، ومن ثم أخذ الأخير يدعو لها ، واستطاع أن يضم كثيرا من الألمان الى الحملة الصليبية من « البافاريين » و « الفريزين » و « السكسون » وأهل « مورافيا » و « ستراسبورج » (٢٩) وفى النهاية لم يتمكن فردريك الثانى من الخروج مع الحملة الصليبية المتوجهة الى مصر فى أول يونيه ١٢١٧ م ، وقد علل عدم خروجه بالخوف على عرش ألمانيا من خصمه « أوتو » ، وأما البابا هونوريوس الثالث Honorius III (١٢١٦ - ١٢٢٧ م) فقد اكتفى بعتاب فردريك (٣٠) على عدم خروجه على رأس الحملة ، وقد بدأت هذه القوات الصليبية ، تتوافد على عكا فى ابريل ١٢١٨ م / المحرم ٦١٥ هـ (٣١) ٠ فى حين توجه الجزء الثانى الى دمياط بدون قائد من الامبراطورية ، وهكذا قضى فردريك المدة من ١٥ يوليو ١٢١٥م عندما توج (٣٢) ٠ وحتى نهاية سنة ١٢١٨ م فى وعود لم ير البابا هدفا واضحا ونتيجة منها (٣٣) ٠ فى ذات الوقت الذى تمكن فيه الصليبيون من الاقامة فى جيزة دمياط ، وشرعوا فى بناء أسوار حول معسكرهم الذى يتكون من النبلاء وخمسة آلاف من الفرسان، بالاضافة الى أربعين ألف مشاه ، وقد ألقوا القنابل على البرج الكبير الذى شيده المسلمون على النيل (٣٤) ، وحاولوا الصعود بالسلالم - المصنوعة من والأخشاب - على الأبراج ، وذلك بقيادة آدولف Adolf كونت « برج » Berg ومعه بعض الفريزيين

والألمان (٣٥) ٠ لكن هذه المحاولات جميعها باءت بالفشل لأن المسلمين ألقوا النار الاغريقية على الأعمدة والسلالم فتحطمت ووقعت بالصليبيين (٣٦) ٠

وأثناء هذه الجهود الصليبية لمحاولاتهم الاستيلاء على دمياط، كتبوا الى البابوية ، يشرحون لها الوضع ، بالاضافة الى أنهم كتبوا الى الامبراطور فردريك الثانى ، فى ١٥ يونيه ١٢١٨ م ، يذكرونه بوعوده من أجل القيام بالحملة ، وأوضحوا له ، أنهم لن يتمكنوا من الاستيلاء على دمياط ، الا بالاعتماد على الله وعليه ، كما شرحوا له أن الأخطار تحيط بهم بسبب حاجتهم الى المال والرجال ، ومن ثم فان تأخير النجدات من طرفه معناها فناؤهم جميعا بدمياط ، وبالتالى لا يمكن استرداد القدس (٣٧) ٠ كما أن هناك بعض الشعراء الصليبيين بدمياط قد كتبوا شعرهم يوضحون فيه ان المصالح الشخصية قد حالت بين الأباطرة وبين سفرهم الى الأرض المقدسة ، فالشاعر يلوم من يتمسك بزخرف الدنيا بالرغم من فنائه فيقول :

لكن أصبحنا ما وراء البحر
اذ ان كل هذه الأشياء ستهلك يوما ما
ولا يهلك ربنا ٠

ولا شك أن هذه الأبيات توضح أن الصليبيين كانوا يعلقون آمالا كبيرة على الامبراطور فردريك الثانى الذى يملك الكثير ولن يبخل بشىء فى سبيل هذه الحركة (٣٨) ٠

ومهما يكن من أمر فان هذه النداءات كانت تلقى فى قلب فردريك الثانى قبولا ، الأمر الذى ترتب عليه أن أرسل رئيس

أساقفة « ميلان » فى مارس ١٢٢٠ م ، بالاضافة الى كبار رجال الكنيسة (٣٩) • فضلا عن رسولين من قبل الامبراطور فردريك شخصيا هما « بافيير » Baviere « ومتى » Mathieu ومعه ثمان سفن ومساعديهم ، كما أن فردريك أمرهم بألا يعقدوا سلاما مع المسلمين الا بعد موافقة الكنيسة الرومانية (٤٠) •

وبالرغم من هذه الامدادات التى أرسلها فردريك الثانى الى الصليبيين بدمياط ، الا ان البابوية كانت تطمع فى خروج فردريك بنفسه الى الحملة بمصر • لينقذها من مصيرها التى وقعت فيه ، وليس أدل على ذلك من ان البابا هونريوس الثالث ، قام بتتويج فردريك فى ٢١ مارس ١٢٢٠ م ، كما توجه أيضا فى ٢٢ نوفمبر ١٢٢٠ م • ومعه زوجته كونستانس Constance ، فى كنيسة القديس بطرس St. Peters (٤١) كما نصح البابا هونريوس الثالث ، الأمراء بأن يقفوا بجانب الامبراطور فردريك ، فترة قيامه بالحملة اذ كان فردريك الثانى ، فى روما ، ومعه الماركيز مونتفرات وقس كنيسة « غال » Sqall ، وعميد الكاتدرائية والمحافظ على « سانت ميناتو » Saint Miniato ، وقد كتب اليهم البابا هونريوس بأنه يجب على فردريك الثانى أن يتعهد على نفسه بحب واحترام الكنيسة دائما (٤٢) •

وقد أكد الامبراطور فردريك الثانى الوعد للبابا أمام الأسقف « أوجولنيو دوستيا Agolino d'ostia بأنه سيتوجه الى الشرق فى الربيع التالى (٤٣) • أغسطس ١٢٢١ م • اذ أن مشاغله لم تمكنه من مغادرة أوربا واكتفى بأن اصدر أوامره للسفن للاستعداد فى موانىء صقلية • وطلب من شمال ايطاليا القوات والأموال• وفى ابريل ١٢٢١ م أعلن الدوق لويس أف بافاريا Due Lous de Bourvere ، انه لا خبر عن وصول

فردريك الثانى ، ومن ثم خرج دوق بافاريا بمجموعة من أربعمائة بارون ألمانى وفارس ، (٤٤) فضلا عن أكثر من أربعين سفينة بقيادة « والتراف بالير » Walter of Palear والادميرال هنرى أف مالطه Admiral Henry of Malta ، وباشتراك « جوتييه دوباليا » Gautier de Paleat ، والمارشال (٤٥) « انسلم أوجستين » Auslem of Justingen • وفى ٢٠ يوليو أرسل البابا هونريوس ، شكرا الى فردريك الثانى على ارساله السفن (٤٦) • كما يضيف البعض بأن فردريك جهز نفسه ليلحق بامداداته الى مصر (٤٧) • كما حث قس « فينا » Vinea فى اللاتيران Allatrin ، على الحملة وقال « ان الجيش الصليبى خارج دمياط ، وفى حالة سيئه ، ويريد الاستسلام • ومع ذلك لم نستعد لاغاثة الحملة ، ويذكركم الأب المقدس بقوله : أسرعوا ، لكى ننهى العمل الكبير الذى وصانا به جدكم (المسيح) » ولا شك ان هذه الكلمات قد أثرت فى نفس فردريك ، ومن ثم سارع بارسال المدد للصليبيين ، الذين تلقوا أمر البابا بالابحار من جنوا الى مصر (٤٨) •

أما عن موقف الدولة الأيوبية من الحملة وامدادات الامبراطور فردريك الثانى ، فان بعض الجموع الصليبية القادمة ، وصلت الى عكا ، وخرجت منها لقتال المسلمين ببلاد الشام ، وكان الملك العادل قد وصل الى الشام فى سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م • قادما من مصر ، وقد علم بمدى قوة العدد والعتاد عند الصليبيين ، لذلك آثر عدم الدخول معهم فى حرب فاصلة ، ومن ثم قام بارسال ابنه الملك المعظم عيسى ، صاحب دمشق بجيش ليعسكر عند « نابلس » حتى يمنع الفرنج من الوصول الى بيت المقدس (٤٩) • كما ان العادل نفسه قام ببعض المناوشات ضد الصليبيين •

هذا وقد وصلت الجموع الصليبية الباقية الى دمياط فى ربيع سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ، وعندما علم العادل بذلك ، أرسل العساكر التى كانت معه الى مصر لصد الصليبيين ، كما توجه المعظم عيسى الى ساحل الشام لمواجهة أى هجوم صليبى مرتقب ، علاوة على ذلك ، فقد استدعى الملك العادل ابنه المعظم ، واتفق معه على خراب الطور ، حتى يتسنى له الاستفادة من العساكر والعدد الموجودة بها ، فى تدعيم القوات المدافعة عن دمياط . كما أن الملك الأشرف جمع العساكر بالشرق ، وكذلك عسكر حلب ، ودخل بلاد الفرنج ، حتى يشغل الصليبيين عن دمياط ، فنزل على « صافيتا » ، وحصن « الاكراد » . وأرسل « مبارز الدين ابن خطلخ » ، و « سنقر الحلبى » ، وابن « كهدان » الى أخيه الكامل (٥٠) .

ولما كانت القوات الصليبية كثيرة ومتنوعة العدد والعتاد ، فقد كان الموقف يتطلب مواجهة قوية من ناحية دمياط ، ولم تكن الاستعداد كافية من ناحية مصر ، مما ترتب عليه أن استطاع الصليبيون الاستيلاء على برج السلسلة (٥١) فى آخر جمادى الأولى ٦١٤ هـ / ١٢١٨ م ، فأرسل الكامل محمد « شيخ الشيوخ صدر الدين » الى والده الملك العادل ، يخبره بما فعله الصليبيون (٥٢) . الا أن الملك العادل لم يكتب له أن يكمل تنفيذ سياسته فى كيفية طرد الصليبيين من أمام دمياط ، لأنه مات فى السابع من جمادى الآخرة سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م فى عالقين ودفن بدمشق (٥٣) .

وبوفاة العادل أصبحت مسئولية مواجهة الصليبيين بالشرق تقع على عاتق أولاده ، وخاصة الكامل محمد بمصر . ومن هذا المنطلق بدأ الأخير يعد سياسته وينفذ خططه لمحاربة الصليبيين ودرءهم عن دمياط ، لكن قابل الكامل بعض الصعوبات الداخلية،

فقد دبرت ضده مؤامرة تهدف الى خلعه من مصر وتولية أخيه « الفائز ابراهيم » بن العادل ، وكان القائم على أمر هذه المؤامرة ، ابن المشطوب (٥٤) . الا ان الكامل قضى عليها بمساعدة المعظم ، الذى حضر لديه ، ليتشاور معه فى أمر الصليبيين ، واتفقا على أن يخرب المعظم بيت المقدس خشية استيلاء الصليبيين عليه ، بعد احتلالهم دمياط (٥٥) . وهذا الأسلوب كان يتبعه صلاح الدين (٥٦) . وقد عاد المعظم فعلا الى دمشق ، بعد أن نفى ابن المشطوب الى خارج البلاد ٦١٥ هـ / فبراير ١٢١٩ (٥٧) . كما أرسل الحجارين والنقابين الى القدس لهدم أسواره ، فى ذى القعدة ٦١٥ هـ / مايو ١٢١٩ م (٥٨) . وعلى أية حال اشتدت وطأة الصليبيين على دمياط مما دفع بالكامل الى أن يرسل رسلة الى اخوته بالشام والى بقية الأمراء المسلمين ، كما طلب من أخيه المعظم حث الناس على الجهاد (٥٩) . فقد ورد فى احدى رسائله « واخوتاه واغوثاه واسلاماه ! ادركوا الاسلام ! اغيثوا أمة محمد عليه السلام » (٦٠) وفى شهر شعبان ٦١٦ هـ / نوفمبر ١٢١٩ م استطاع الصليبيون الاستيلاء على دمياط (٦١) . وكان قد جدد الملك الكامل رسائله الى ملوك الشرق مرة أخرى ، الذين استجابوا وأرسلوا قوادهم بقواتهم نجدة الى مصر ضد الصليبيين فى سنة ٦١٧ هـ (٦٢) . كما أرسل الصليبيون الى الامبراطور فردريك الثانى يستغيثون به ـ كما سبق ذكره ـ وبذا أصبح الموقف متأزما للغاية بين الطرفين ، ووصل فى سنة ٦١٨ هـ / ١٢٢١ ـ ١٢٢٢ م الى المسلمين بدمياط المعظم عيسى والأشرف موسى ، واشتد القتال بين الطرفين (٦٣) .

وقد أدرك الكامل خطورة الموقف ، فالصليبيون يمكنهم أن يتقدموا الى القاهرة بسهولة بعد أن أتت معظم قوات المسلمين الى دمياط ومن ناحية أخرى كانت بلاد الشام معرضة لغزو صليبى جديد ، مما دفع الملك الكامل الى أن يفكر جديا فى الصلح مع

الصليبيين ، هذا وقد طلب الصليبيون بداية السلام مع الملك الكامل محمد ، اذ أنه قد أتى الى الصليبيين بدمياط وهم فى الحصار ـ فرنسيس الاسيزى ، الذى طلب من بلاجيوس المندوب البابوى ـ أن يعبر الحصار ويصل الى معسكر الملك الكامل خارج فراسكور (٦٤) • لأنه قد شعر بان الصليبيين سيهزمون يكشف ذلك قوله : « أعلمنى الله ان المسيحيين سوف لا ينجحون فهل أن أنبههم ؟ » (٦٠) وقد قال لصديقه ، « اذا تكلمت سيعتبروننى معتوهـا واذا سكت فسوف يؤنبنى ضميرى ، فقال له صديقه « ما يهمك حكم البشر لتكن مجنونا من اليوم فقط ، وخلص ضميرك اذن وقل لهم الحقيقة حبا فى الله » (٦٦) لكن المدينة قد سقطت بعد تسعة عشر شهرا من حصار الصليبيين ، وتحرك المسلمون لقتالهم ، طبقـا لأوامر السلطان الكامل وتحت تكثيف الهجمات الاسلامية على الصليبيين تقدم « فرنسيس الاسيزى » الى المعسكر الاسلامى من أجل الدخول فى صلح مع المسلمين • الا ان محاولاته باءت بالفشل (٦٧) •

ومهما يكن من أمر القتال بين الطرفين ، فقد تواردت الرسل فى سنة ٦١٨ هـ / نهاية ١٢١٩ م على سبيل الصلح على أن يترك الكامل لهم جميع فتوحات صلاح الدين ، ما عدا الكرك والشوبك فى مقابل تسليم دمياط للمسلمين (٦٨) ، وعندئذ انقسم المعسكر الصليبى بين مؤيد ومعارض ، اذ أيد « حنادى برين » المعاهدة ، وسانده فى ذلك باروناته وبرونات انجلترا وفرنسا وألمانيا (٦٩) • ولا شك ان هذا الرأى له وجاهته ، لأنه اذا كانت الحملة قد أتت الى مصر للاستيلاء عليها كخطوة أولى لاسترداد بيت المقدس ، فقد تحقق لهم ذلك بعرض الكامل السخى ، أما رفضه فلا مبرر له ، وقد عارض الصلح المندوب البابوى بلاجيوس (٧٠) • Pelagius

وأسس بعض الصليبيين رفضهم ، على أمل وصول الامبراطور فردريك الثانى لمساعدتهم فى الاستيلاء على مصر (٧١) • الذى اكتفى بارسـال بعض الامدادات فقط التى دعمت موقف بلاجيوس (٧٢) • الذى تركه بعض بارونات سوريا فى صيف ١٢٢٠ م ، وانسحبوا الى عكا (٧٣) • حيث كان المعظم يهاجم قلعة « قيسارية » ، وحاصر « عثليث » معقل الداوية (٧٤) •

هذا وقد أعلن رسميا فى المعسكر الصليبى ان فردريك الثانى فى الطريق الى مصر وخاصة بعد أن توجه البابا فى سنة ١٢٢٠ م، وقد مضت أسابيع ولم يحضر الامبراطور ، مما ترتب عليه ان فكر « لويس » دوق بافاريا فى التقدم الى القـاهرة ، ووافقه فى ذلك بلاجيوس ، وكان عليهما أن ينفذا الخطة قبل الفيضان (٧٥) • لكن لم يعد لدى الصليبيين القدرة على التقدم الى القاهرة ، اذ تذكر المصادر الغربية المعاصرة ، ان السلطان الكامل قد حطم السفن ودمر الكبارى ، وهدم السدود على جانبى النهر • وكانت القوات الاسلامية متمركزة فى الشرق كالطيور ، ووقفوا فى المياه المخلوطة بالطمى ، واستماتوا فى القتال (٧٦) •

وازاء هذا تحرك الصليبيون من قاعدتهم دمياط متجهين الى القاهرة فى أواخر يونيه ١٢٢١م أوائل جمادى الأول ٦١٨هـ (٧٧) • بعد أن وصلتهم امدادات من بينهما الأسقف الألمانى « الريخ » Ultrich أسقف « باسو » Passau (٧٨) • ولما رأى الكامل تحرك الصليبيين ، طلب مددا من المسلمين ، وقد وصلت الجموع الاسلامية فعلا الى الكامل ، ولذا بدأوا فى قتال الصليبيين • الا ان الكامل جدد عرضه مرة أخرى على الصليبيين من أجل الصلح بنفس الشروط ، الآنفة الذكر ، لكن الصليبيين رفضوا مرة أخرى هذه الشروط • وطلبوا ثلاثمائة الف دينار عوضا من تخريب سور القدس ، وأصروا على تسليم الكرك والشوبك (٩٧) • ولكن لم

يستسلم الكامل للصليبيين ، اذ أخذ المسلمون يضيقون عليهم السبل ، ويردون عليهم هجماتهم (٨٠) . فضلا عن أن الفيضان قد أغرق معظم الصليبيين ، مما ترتب عليه أن طلب الصليبيون الصلح مع المسلمين ، فأرسل بلاجيوس فى السبت ٢٨ أغسطس ١٢٢١ م ، الى الكامل فى طلب الصلح (٨١) . وتم عقده بين الطرفين بدون أدنى شرط على المسلمين (٨٢) . حيث أن هزيمة الصليبيين أخيرا أمام المسلمين فى المنصورة – كما يذكر البعض – اضطرت الصليبيين الى التخلى عن مكاسبهم وانتصاراتهم (٨٣) وفى حضور الملوك : الكامل محمد والمعظم عيسى والأشرف موسى (٨٤) . وقع الصلح فى شهر رجب ٦١٨ هـ / أغسطس ١٢٢١م ، على أن يطلق أسرى الصليبيين مقابل جلائهم عن دمياط ، ويضيف بعض المعاصرين أن الطرفين قد وقعا معاهدة سلام لمدة ثمانى سنوات فقط (٨٥) . كما ان الملك الكامل شك فى نوايا الصليبيين ، من ثم أخذ كبارهم كرهائن عنده ، حتى يتأكد من عدم حدوث أى هجوم منهم الى أن يتم جلائهم عن دمياط تماما ، فأخذ عنده : « حنادى برين » و « بلاجيوس » و « دوق بافاريا » ، ومقدمى الطوائف الدينية والعسكرية (٦٨) . وتضيف بعض المصادر العربية ، أن الصليبيين أخذوا من المسلمين رهائن من خواص السلطان ، مثل ابنه الصالح نجم الدين أيوب ، الى أن يرد لهم ملوكهم ، وسلمت المدينة فى ١٩ رجب ٦١٨ هـ (٨٧) /سبتمبر ١٢٢١ م . ودخلها الملك الكامل واخواه .

وبعد أن تم توقيع المعاهدة وصلت بعض الامدادات الى الصليبيين بدمياط من قبل الامبراطور فردريك الثانى (حوالى خمسة وأربعون « شينيا ») ، الا انهم عندما علموا بالهدنة رجع بعضهم (٨٨) ، فى حين أصرت بعض القوات التى أرسلها فردريك الثانى على الدفاع عن المدينة وعدم تركها مثل « هيرمان أف

سالزا » ، وهنرى كونت مالطة ، وفرسان كنيسة القدس « يوحنا » فضلا عن كثير من الألمان والايطاليين الذين عارضوا الاتفاقية وأصروا على عدم تنفيذها ، ووقعوا فى صدام مسلح بينهم وبين الفرسيين مؤيدى الاتفاقية ، وسادت الفوضى بين الصليبيين عموما (٨٩) . الا ان « حنا دى برين » هدد الفريق المعارض للاتفاقية بأن لم يمتثل للصلح مع المسلمين – فسوف يسلم عكا للمسلمين ، مما جعل الصليبيين جميعا يوافقون على الاتفاقية (٩٠) .

وهكذا انتهت الحملة الصليبية الخامسة ، دون أى نتيجة ايجابية بالنسبة للصليبيين (٩١) .

ويعزى البعض عرض الملك الكامل ، الصلح مع الصليبيين الى توجسه خيفة من مجىء الامبراطور فردريك على رأس جيش ، هذا فضلا عن أسباب أخرى متعلقة بالوضع بين المسلمين والصليبيين (٩٢) . اذ خشى من استيلاء الصليبيين على مصر (٩٣) . خصوصا وأنه كان حريصا كل الحرص على وحدة الدولة الأيوبية تحت سلطته وسلطة اخوته ، وكانت له نظرة سياسية شاملة ، فهو يعلم جيدا ان الاستيلاء على مصر معناه الاستيلاء على بلاد الشام ، لأن وجود مصر فى يد الأيوبيين معناه أن يعيش الصليبيون فى بلاد الشام فى خطر دائم ومهددين من ناحية مصر ، ومن هذا المنطلق عرض عليهم تسليم فتوحات صلاح الدين مقابل جلائهم عن دمياط ، فضلا عن أن الملك الكامل رأى ان وجود الصليبيين ببلاد الشام سوف يعفى المسلمين عموما من تضحيات فى سبيل صد الخطر المغولى الذى بدت بوادره ، وهنا كرر الملك الكامل عرضه على الصليبيين مرة أخرى خشية أن يقع بين فكى الأسد ، أعنى المغول فى الشرق والصليبيين بمصر والشام ، كذلك عرض الكامل الصلح عند سماعه ما تردد من استعداد الامبراطور فردريك

لمساعدة الصليبيين ، ويمكن القول بأن الكامل أراد أن يتخلص من الصليبيين ، بأى ثمن حتى لا يضيع على المسلمين مصر والشام .

ولا شك أنه كان فى مخيلة الكامل ، اذا استجاب الصليبيون لشروطه ، فمن السهولة اعادة الجبهة الاسلامية من جديد بالشرق ، واعلانه مواجهة شاملة ضد الصليبيين ببلاد الشام ، كما فعل عمه صلاح الدين من قبل . ومن ثم فانه لا يمكن القول بأن الكامل كان يريد معايشة الصليبيين فى هدوء وسلام .

أما على من تقع مسئولية فشل الحملة الخامسة ؟ وهل كان عدم حضور فردريك الثانى على رأسها هو السبب فى فشلها ؟

فى الواقع هناك فريقان من المؤرخين : فريق ألقى تبعية فشل الحملة على الامبراطور فردريك وفريق آخر أعفى فردريك من المسئولية .

أما الفريق الأول فيرى ان عدم حضور الامبراطور فردريك على رأس الحملة فتت من عضدها معنويا ، وذلك كان سببا فى فشلها (٩٤) . ويؤيد بعض المؤرخين هذا الرأى بأن البابوية اتهمته اتهاما صريحا ، بأن تأخيراته هى السبب فيما حدث للجيش الصليبى من هزائم (٩٥) .

وأما الفريق الآخر فيرى ان الامبراطور فردريك الثانى وان لم يخرج على رأسه الحملة ، ولكنه أرسل امدادات كثيرة الى الصليبيين بدمياط . كما انه عاقب بعض قواده الذين أرسلهم للحملة ولم يستطيعوا تحقيق أى شىء (٩٦) .

وكما يذكر بعض المؤرخين ان فردريك الثانى كان قد أخذ طلبات البابوية له — فى الخروج بالحملة — وسيلة لتحقيق مآربه وتوطيد سلطانه فى أوربا (٩٧) . وهذا لا يعنى أنه تنصل من الحملة الصليبية وليس أدل على ذلك من أنه — كما سبق التفصيل — أرسل كثيرا من الامدادات الى الحملة منذ أن خرجت ، الى أن عقد الصليبيون الاتفاق مع المسلمين بدمياط وكان يتابع أخبارها أولا بأول ، ويذكر بعض الغربيين المعاصرين ، أن الأسقف « جيمس أف باتى » James of Patti أرسل خطابا الى هنريوس يقول فيه « ان النسور المصريين طاردوا الصقر الامبراطورى من برج دمياط الأبيض ، خجلا لكم وتحية الى السلطان » هذا وقد انتقم فردريك من قادة المجموعات التى شاركت فى الحملة ، مثل هنرى كونت مالطة ، « والتر باليريو » Walter of Pateario أما أسقف « كاتانيا » Cataaia فقد هرب الى البندقية حيث مات هناك (٩٨) .

ولا شك ان وعود فردريك الثانى المتكررة للبابوية بالخروج على رأس الحملة قد وضع الحملة أمام دمياط فى موضع حرج ، أقرب الى الانتظار منه الى الهجوم ، واستمروا على هذا الوضع طيلة تسعة عشر شهرا الى أن استولوا على دمياط ، وهذا الانتظار قد أدى الى انقسام الصليبيين فى الرأى والمشورة على أنفسهم ، كما حدث بين المندوب البابوى « بلاجيوس » و « حنا دى برين » حتى انهم بعد أن استولوا على المدينة وفكروا فى التقدم الى القاهرة ، كانوا فى تردد لأنهم عرفوا من البابا أن الامبراطور سوف يصل اليهم قريبا .

ومن ثم يمكن القول بأن الصليبيين كان لديهم العدد والعتاد والقدرة فى الدخول الى القاهرة ، اذ انهم استولوا على دمياط ، أما سبب هزيمتهم فيما بعد ، فهو انقسامهم على أنفسهم ، وأنهم

حينما قدموا ، كانت القيادة الاسلامية قد أعدت الجيوش وحصنت نفسها جيدا ، ولا شك ان طلبات الكامل للصلح فى حد ذاتها تسبب فى انقسام الصليبيين ، وتشتت وحدتهم ، فضلا عن هذا وذاك فانه ـ كما يذكر البعض ـ ان العوائق الطبيعية كانت سببا فى هزيمة الصليبيين (٩٩) .

الوضع السياسى فى الدولة الأيوبيــة واثره على العلاقات الخارجية

لقد وحدت الحملة الصليبية الخامسة ، الاخوة الثلاثة اولاد الملك العادل ، نظرا لأن الخطر على أى منهم يشكل خطرا عليهم جميعا ، ولكن عندما انتهى هذا الخطر بدأت الخلافات تظهر على السطح من جديد فقد استعد المعظم عيسى بالتعاون مع أخيه المظفر شهاب الدين ومظفر الدين صاحب أربل ، لمهاجمة الأشرف موسى (١٠٠) ، لكن هذا الحلف لم ينجح لسببين، الأول ان الكامل كتب للمعظم يهدده ويقول له « ان تحركت من بلدك سرت وأخذته منك » (١٠١) الثانى : ان الأشرف استعد عسكريا لمواجهة هذا الحلف ، وعلى أية حال اعتذر الملك المظفر لأخيه الأشرف عما حدث (١٠٢) . وهكذا تأكدت الوحشة بين الأشرف والمعظم ، ولم يكن هناك سبب لكى ينفر أى من الأخوين من الكامل ولكن مواقف المعظم أغضبت الكامل .

وفى سنة ٦٢٠ هـ ، فر الملك « الجواد يونس بن مودود » من الكامل الى المعظم ، فأرسل الكامل الى الملوك الذين فى خدمة الأشرف بالاتفاق معه (١٠٣) . ومن ثم جدد المعظم الحلف ضد أخويه وقد ضم : صاحب أربل وصاحب آمد وصاحب ماردين علاوة على حليف جديد هو جلال الدين الخوارزمى ، ولم ينجح هذه المرة

أيضا ، ذلك لأن الأشرف عرف ، اذ كان بالرقة ، فهاجم ماردين وضربها ، حيث شغل جلال الدين كما خرج عليه نائبه «بكرمان»(١٠٤) وأما المعظم فقصد حمص وحماه ، وطلب من الأشرف الرجوع عن ماردين مقابل أن يرجع عن حصن وحماه (١٠٥) ، وكتب الى الكامل يقول « وان قصدتنى لا أخذك الا بعسكرك » (١٠٦) .

ومما سبق يتضح ان الشرق الاسلامى خلال هذه الفترة كان منقسما الى قسمين :

القسم الأول : ويشمل الملك المعظم عيسى وصاحب أربل وصاحب ماردين وصاحب الروم ، وجلال الدين الخوارزمى .

والقسم الثانى : ويشمل الملك الكامل والملك الأشرف وصاحب الموصل « بدر الدين لؤلؤ » وكان الأشرف يرغب فى ضم المعظم اليه ، نظرا لما للأخير من صلات ود وصداقة مع جلال الدين، الذى بدأ يهاجم خلاط (١٠٧) ، فتوجه الأشرف الى المعظم بدمشق (١٠٨) ، ومكث عنده حتى منتصف ٦٢٤ هـ ، مما أقلق الملك الكامل ، لكنهما طمأناه (١٠٩) . وأصبح الأشرف كالأسير عند المعظم عيسى (١١٠) . كما طلب الأخير من الأول أن يحالف له على معاضدته ضد الكامل وصاحبى حماه وحمص (١١١) . وقد وافقه الأشرف على ما طلبه منه المعظم ، وعندما رجع الى الشرق فى جمادى الآخرة سنة ٦٢٤ هـ أعلن نقضه للقسم (١١٢) . وقال انها يمين مكره (١١٣) .

وفى اطار هذا الوضع شعر الملك المعظم بتخوف من جهة أخويه الكامل والأشرف ، وخاصة منذ سنة ٦٢٠ هـ (١١٤) . عندما حدثت بعض المواقف من أخويه ضده ، كما سبق القول ، ومن ثم فقد بدأ يعمل على تكوين جبهة مضادة لأخويه مع جلال الدين الخوارزمى (١١٥) .

وتشير المصـــادر أن أول سفارة أرسلهـا المعظم عيسى الى جلال الدين الخوارزمى ، كانت فى سنة ٦١٩ هـ ، بقيادة الصدر البكرى (١١٦) · واستطاع الأخير أن يحقق نجاحا كثيرا للمعظم وأصبح جـلال الدين دخرا للمعظم ، « وعاد بينهما معـــاقدة وأيمان » (١١٧) · وبالرغم من ذلك فقد كان بعض رجال المعظم يفضلون أن تكون هذه السفارة سرية حتى لا يعلم عنها أحد (١١٨) ·

وفى سـنة ٦٢١ هـ / ١٢٢٤ م استولى جلال الدين على أذربيجان ، فأرسل اليه المعظم « الملق » ليجدد معه الحلف (١١٩)، وأرسل له رسالة أخرى فى سنة ٦٢٢ هـ /١٢٢٥ م يغلب على الظن ، أنها لتأكيد التحالف ، والدليل على ذلك ان جلال الدين أرسل فى نفس العام ، ابن القاضى مجير الدين قاضى الممالك برسائل الى الأشرف والمعظم والكامل (١٢٠) ·

هذا وقد حاول السلطان جلال الدين استغلال المعظم لمحاربة الخليفة العباسى بدعوى أن الأخير ساعد على قتل علاء الدين والده ، لكن المعظم رفض ذلك لأن الخليفة « امام المسلمين » (١٢١) · ولم يستطع جلال الدين تحقيق ذلك لظروفه (١٢٢) ·

وفى ذى الحجة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م ، وصلت الصلات بين المعظم وجلال الدين الى عقد حلف ضد الأشرف (١٢٣) · ولما شعر الخليفة العباسى بذلك أرسل الى المعظم ، جمال الدين يوسف ابن الجوزى ، ليثنيه عن غرضه ، ويقوم الخليفة العباسى باصلاح ذات البين بينه وبين أخويه ، لكن المعظم رفض عرض الخليفة واعتبر أن الخليفة لا حول له ولا قوة ، وأيد وجهة نظره بالقول أنه لم يستطع أن ينجد المسلمين فى دمياط (١٢٤) ·

ومهما كان من أمر الصلات بين جلال الدين والمعظم عيسى ، فان الأشرف موسى عندما كان لدى أخيه المعظم سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م ، وجد الرسل لا تنقطع بين الطرفين ، بالاضافة الى أن جلال الدين خطب ابنة المعظم ، ولكن لم تزف اليه (١٢٥) · فضلا عن الخلع التى أرسلها جلال الدين الى المعظم (١٢٦) · مما جعل الكامل والأشرف فى وضع لا يحسدا عليه ·

وبطبيعة الحال لم يكن على الكامل محمد أن يقف مكتوف اليدين أمام أعمال المعظم ، وخاصة عندما أصبحت الصلات وطيدة بين المعظم وجلال الدين الخوارزمى ، مما يعرض الأشرف والكامل، لخطر داهم ، اذ اعتقد الكامل ان فى مخيلة أخيه المعظم ، فكرة الهجوم على مصر لا نتزاعها منه ، ومن هذا المنطلق بدأت الشكوك تراود الملك الكامل تجاه أخيه المعظم ، وعليــه أن يضـع حدا لما يقوم به أخيه ، فهو ان خرج الى الشام ، فمن الممكن أن ينتصر على قوات المعظـــم منفردة ، لكن اذا حضرت قوات جـلال الدين الخوارزمى فربما لا يتمكن من صدها ، ويترتب على هذا أن تسير بـلاد الشـام بيد جلال منكبرتى ، وبالتالى تضيع الدولة الأيوبية ، اذ أنه لا يرضى جلال الدين أن يكون تحت امرة المعظـم عيسى · ولا شك أن جلال الدين سيكون نقمة على الجميع ، وليس أدل على ذلك من أن القاضى عز الدين القزوينى ـ قاضى جلال الدين ـ قد نصـح رسول المعظم والقـاضى مجد الدين ـ اللذين كانا عنـد جلال الدين ، يتناقشـان فى بعض الأمـور الخاصـة بالتعاون بين جلال الدين والمعظم ـ بقوله : « ما رأى صاحبك ، (المعظم) فى ميله الى هؤلاء الخوارزميـة عن اخوته السلاطين ؟ وايم الله ان معاداة اخوته أنفع له وأعود عليه من مصافاة هذه الطائفة، وسيندم على ما يفعل حين لا تنفعه الندامة » (١٢٧) وفى هذه الرواية مبالغة، فربما كان هنـاك خلاف بين القـاضى عز الدين القزوينى ، وبين جلال الدين ، مما دفعه الى محاولة احباط محاولات الصداقة بين

الطرفين ، الا أنها تدل فعلا على أن صداقة جلال الدين للمعظم ، أنفع للأول من صفاء المعظم لأخوته .

وأمام الأخطار المتوقعة من تحالف المعظم مع جلال الدين الخوارزمى ، فكر الكامل فى كيفية مواجهتها ، وخاصة بعد أن أرسل الى أخيه المعظم فى السنوات السابقة ، يثنيه عن محاولاته ، ولكن دون جدوى ، فلم يكن أمامه من خيار الا الطريق العسكرى ، وعليه أن يستعين بقوة أجنبية ، ليست أكبر من قوة المعظم فحسب ولكن أكبر من الخوارزمية أيضا ، وكان هناك قوتان عظيمتان هما : المغول فى الشرق والامبراطور فردريك الثانى فى الغرب الأوربى ، الذى كان على رأس الامبراطورية المقدسة .

أما المغول وقتئذ فكانوا منصرفين الى القتال فى الصين (١٢٨). فليس من السهولة أن يستجيبوا لنداءات الكامل، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لم يكن المغول يتطلعون الى بلاد الشام حينئذ، ومن هنا كان على الكامل أن يستبعد فكرة الاستعانة بالمغول ، وعليه أن يبحث عن القوة الأخرى ليستعين بها ، الا وهى قوة الامبراطورية الرومانية المقدسة .

وترجع جذور العلاقة بين الامبراطور فردريك الثانى والكامل محمد الى الاتصالات الدبلوماسية التى دارت منذ فترة سابقة بين أباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة ورجال البيت الأيوبى ، وقد حاول فردريك الثانى، الذى اختير امبراطورا على الامبراطورية الرومانية المقدسة ، أن يستمر فى هذه العلاقة ، فيذكر البعض أن فردريك الثانى أرسل الى الملك العادل بالقاهرة سنة ١٢١٥ م، سفارة بقيادة « سيفالو » Cefalu لتجديد المعاهدات التجارية بين الدولتين ، كما تشير بذلك الكتابة المنقوشة على احدى

اللوحات الزيتية فى كنيسة « سيفالو » (١٢٩) أى بعد تولية الملك الكامل حكم مصر ، بأربع سنوات ـ نيابة عن والده .

هذا وقد كان موقف الامبراطور فردريك الثانى من الحملة الصليبية الخامسة مرضيا الى حد كبير بالنسبة للملك الكامل ، الذى شعر بأن تأخر فردريك عن الحضور الى الحملة ، ليس معناه ، التقاعس نهائيا عن الفكرة ، خصوصا وقد زادت الضغوط البابوية عليه ـ كما سيأتى ذكره ـ لأن فردريك قدُ تعهد بنفسه أمام البابوية بأنه سوف يخرج الى الشرق ، وعلى أية حال ، فقد رأى الكامل أن فردريك سيأتى الى الشرق رضى الكامل أم لم يرض ، وعليه فقد أراد الأخير أن يستغل العلاقة، التى بينه وبين فردريك الثانى، لصالحه وضد أخيه المعظم جلال الدين الخوارزمى معا ، ومن ثم أرسل الملك الكامل ـ كما تذكر المصادر ـ الأمير فخر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ ، الى الامبراطور فردريك الثانى (١٣٠) . فى خريف ١٢٢٦ م / ٦٢٤ هـ ، وقد استقبل الامبراطور البعثة الأيوبية فى صقلية ، ولاشك أن فخر الدين كان يحمل فى جعبته ، جوانب قضية الملك الكامل مع أخيه المعظم ، كما أنه طرحها أمام فردريك، طالبا منه أن يقف موقفا مؤيدا للملك الكامل ضد أعدائه .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الكامل أرسل ـ الى فردريك الثانى منحا مغرية نظير مساعدة الأخير له ، وكانت هذه المنح ـ كما أجمعت عليها المصادر المعاصرة فى الجانبين ـ أن يعطيه الكامل ، البيت المقدس ، وبعض الفتوح الناصرى (١٣١) ، وقد كان الملك الكامل يرمى من وراء ذلك الى هدفين :

الأول : أن يشغل الملك المعظم بقدوم فردريك الثانى الى الشرق (١٣٢) ، ويرجع عن مفاوضاته مع جلال الدين الخوارزمى .

والثانى : أنه وعد فردريك الثانى ببيت المقدس ، وبذا فان الملك الكامل لن يخسر شيئا من ملكه ، ذلك لأن بيت المقدس ، كان حينئذ تحت سيطرة المعظم عيسى ·

وعلى كل ، فقد رحب الامبراطور فردريك الثانى بالفكرة ، وأيد القضية التى جاء من أجلها ، الأمير فخر الدين ، اذ اعتقد فردريك أنه بذلك سيستعيد مملكة أورشليم ، كما كانت قبل فتوحات صلاح الدين (١٣٣) · وبالرغم من أن فخر الدين قد هيأ المجال لفردريك ، الا ان الأخير كان عليه ــ اذ جاز التعبير ــ جس نبض الملوك الأيوبيين بالشرق ، وبخاصة الأطراف المعنية فى هذا النزاع ·

ولما كان الموقف لا يحتمل التروى أو التمهل، فان الامبراطور فردريك سارع بارسال مبعوثين من طرفه مع الأمير فخر الدين الى الملك الكامل (١٣٤) · هما « برنارد » Bernard كبير أساقفة « بالرمو » و « توماس الاكوينى Thomas of Aquino (وتوما آكير Acerra) (١٣٥) · ومعهما هدايا نفيسة عبارة عن : عدة خيول ، منها فرس الملك ، بمركب ذهب مرصع بجوهر فاخر ، وجوارح (١٣٦) · وقد رحب الكامل بهذه السفارة ، أيما ترحيب ، وليس أدل على ذلك ، من أنه أقام للسفارة الامبراطورية السرادقات على طول الطريق ، منذ أن نزلت ميناء الاسكندرية حتى القاهرة ، كما خرج السلطان بنفسه لمقابلة السفارة خارج القاهرة ، وأكرمها اكراما زائدا ، وأنزلها فى دار الوزير « صفى الدين ابن شكر » (١٣٧) · ويضيف البعض أن هذه السفارة أجتمعت بالسلطان الكامل فى بلاطه ، وقد تأكدت من وجهات نظره حول المقترحات التى طرحها الأمير فخر الدين ، كما أعربت السفارة عن أملها فى كسب صداقة السلطان ، وخرجت من مصر ، ومعها اعتمادات الكامل على المقترحات (١٣٨) ·

وكان على السفارة أن تقابل المعظم عيسى بدمشق ، لعله يرجع عن قصده ، فعرضت عليه ما طرحه الملك الكامل بالاتفاق مع الامبراطور فردريك الثانى ، فما كان من سلطان دمشق الا أن رد على « برنارد » رئيس الأساقفة ، بقوله « قل لصاحبك (فردريك) ما أنا مثل الغير ، ما له عندى سوى السيف (١٣٩) » كان هذا كفيلا بحسم القضية ، وقطع الشك باليقين ، اذ أن سفيرى فردريك تأكدا من موقف المعظم الذى لا هوادة فيه ، وأنه عازم على محاربة الجميع، وأرسل المعظم الى حليفه جلال الدين الخوارزمى ، ليوثق معه الترتيبات الأخيرة ، كما وعده بأنه سيخطب باسمه فى دمشق ويضرب له السكة ، ويذكر البعض أنه قطع الخطبة للملك الكامل (١٤٠) · وكاتب الأشرف موسى يستعطفه (١٤١) ، ليقف بجانبه ضد أخيه الكامل وصديقه الامبراطور فردريك الثانى ، الا أن الأشرف لم يستجب له بل عنفه على ما صدر منه ·

وعندما علم الملك الكامل بما أستحدثه المعظم من علاقات بالخوارزمى خرج من القاهرة قاصدا دمشق فى رمضان ٦٢٤ هـ/ سبتمبر ١٢٢٧ م ، ووصل بلبيس ، الا أن المعظم أرسل له رسالتين ، رسالة سرية ، وأخرى علنية يقول فيها « أنى مملوكك وما خرجت عن محبتك ، وطاعتك ، وحاشاك أن تخرج لمقابلتى ، وأنا أول من أنجدك ، وحضر الى خدمتك من جميع ملوك الشرق » (١٤٢) وكانت هذه الرسالة بمثابة تخدير لأعصاب الكامل ، لذلك يرجع الى قلعة الجبل ، ثم يلقى القبض على بعض الأمراء مثل الأمير « فخر الدين الطنبا » و « فخر الدين الفيومى » (١٤٣) لشكه فى ميلهما الى أخيه المعظم ·

وأما المعظم فقد أخذ يحتاط لنفسه ضد أعدائه ، وبخاصة الامبراطور فردريك الثانى ، فاهتم بجهازه الخاص بالتجسس

– أو جهاز المخابرات اذ جاز التعبير – وأدخل فيه النساء ، اذ ان المرأة لعبت دورا كبيرا فى جمع المعلومات عن نوايا الامبراطور فردريك الثانى ، الذى أرسل فارسا من طرفه ليقوم بعمليه تمويه على حملته ، حتى يفاجأ المعظم بها ، الا أنه كانت هناك امرأة جميلة ببلاد الشام ، استطاعت أن تتصل بالملك المعظم ، الذى أعطاها ملابس ملونة ، وعنبرا ، وحريرا ، واجتمعت بالفارس – الذى أرسله فردريك – فأعجب بها ، وبدأ يسلمها رسائل الامبراطور ، التى كانت بدورها ترسلها الى الملك المعظم ليطلع عليها ، ثم يرسلها الى الامبراطور ثانية ، ويذكر له انه لو جاء بجيش جرار، فسوف يحاربه ، وذلك لن يكلفه كثيرا اذ يقول « وأحفظ الخطير بالحقير » (١٤٤) .

كذلك استعمل الملك المعظم ، الرهبان الموجودين فى « الشوبك » فى مهام التجسس على أخبار حملة الامبراطور فردريك الثانى ، فأصدر ذات مرة أوامر الى « والى » الشوبك بطرد أحد الرهبان الى البحر ، وهذا الطرد كان تمويها لاخفاء مهمة الراهب الحقيقية وهى جمع معلومات عن حملة فردريك وليس أدل على ذلك من أن هذا الراهب ، بعد ما قام بمهمته ، وهب له المعظم بعض الأرض ليعيش منها ، كما أعطاه مائة دينار (١٤٥) .

ولم يكتف المعظم بجمع أخبار حملة الامبراطور فحسب ، بل أهتم أيضا بالتجهيزات العسكرية فى طرابلس (١٤٦) . حتى تتصدى لأى هجوم بحرى من جانب الامبراطورية المقدسة أو مصر.

ومهما يكن من أمر المعظم ، فانه رفض الأخذ بما جاءت به السفارة الامبراطورية ، مما ترتب عليه أن غادرت السفارة بلاد الشام ، ورجعت الى الامبراطور فردريك الثانى ، تخبره بأن السلطان الكامل يشاطره الفكرة فى القيام بحملة الى ما وراء

البحار (١٤٧) . وتذكر بعض المصادر الغربية المعاصرة ، بأن « توما الأكوينى » العضو الثانى فى السفارة ، قد وصل عند الامبراطور ، وأخبره بموت المعظم عيسى ، فى نوفمبر ١٢٢٧ م / ذى القعدة ٦٢٤ هـ وان ابنه « الناصر داود » لم يبلغ سن الرشد (١٤٨) وأغلب الظن ان « برنارد » وصل الى الامبراطور فردريك قبل « توما الأكوينى » اذ أن الأخير بقى بعض الوقت فى الشرق ، والدليل على ذلك أنه عندما وصل الى الغرب ، نقل معه أخبار وفاة المعظم .

وعلى كل فان الملك الكامل كان حريصا على ارسال هدايا الى الامبراطور ، ردا على هديته سالفة الذكر ، ومن ثم جهز هدايا غالية ، فيها من تحف الهند والعراق والشام ، ومصر والعجم ، وكذلك سرج من الذهب ، وجوهره بعشرة آلاف دينار مصرية ، وهذه الهدايا أثمن من الهدايا التى أرسلها الامبراطور ، وقد بعث على رأس هذه السفارة ، جمال الدين بن منقذ الشيزرى (١٤٩) .

وفى خريف سنة ١٢٢٧ م / أوائل ٦٢٥ هـ ، أرسل الملك الكامل سفارة دبلوماسيه الى الامبراطور فردريك الثانى ، برئاسة الأمير « فخر الدين بن شيخ الشيوخ » ولم تذكر المصادر شيئا عن سبب هذه الزيارة ، هذا وقد أهدى الامبراطور ، الأمير فخر الدين شارة الفرسان – ذلك لأنهما أصبحا أصدقاء نتيجة للقاءات التى تمت بينهما فى الامبراطورية المقدسة (١٥٠) .

وصفوة القول، ان اتجاه الملك الكامل الى الامبراطور فردريك الثانى واستجابة الأخير بهذه السرعة ، له دلالات كثيرة ، لعل أهمها : ان الامبراطور قد كان ينوى القيام بحملة الى الشرق ،

وذلك وفاء بنذره ، وعهده الذى أخذه على نفســه أمام البـابا ، ارضــاء لهـا ، وليس اقتناعا • على أية حال فان استنجاد الكامل بفردريك ، هذا شيىء جديد ، وغير مألوف فى فترة غلــب فيهـا الطابع الحربى بين الشرق والغرب ، فى نفس الوقت ، الذى كان فيه الشرق دائما وأبدا يعمل على تسكين الوضع فى أوربا وعدم اثارتهم عسكريا ، والعمل على القضاء على البقية الباقية من الصليبيين بالشرق ، لذلـك فان الدارس لتـاريخ الكامل الأيوبى وفردريك الثانى ، يجد أن هناك نوعا من التقارب الفكرى والعقلى بين الرجلين ، اذ أن فردريك كما سبق القول نشأ فى كنف الحضارة الاسلامية ، بصقلية ، وتأثر بأفكار وآراء المسلمين • وكان يعرف اللغة العربية من بين ست لغـات كان يجيدها (اليونانية واللاتينية والايطاليــة والألمانيــة والفرنسية) • كما ان أحد المسلمين قد علمه الدين الاسلامى ، والجدل (١٥١) •

ومن هذا المنطلق ، فان فردريك الثـــانى كان يميــل الى المسلمين عامة والى الملك الكامل خاصة ، بصفته أقوى حاكم فى الشرق الاسلامى آنذاك وربما يكون الامبراطور فردريك قد أعتقد ، أن الكامل محمد قد تساهل تجاه الصليبيين ، وخاصة عندما عرض الكامل عروضــا سخية عليهم ، ابان الحملة الخامسة ، فيكون بذلك قد كسر الحاجز النفسى بين الطرفين ، ومن ثم فلا غرابة ان يحدث نوع من التقارب بين الاثنين ، اذ يذكر بعض المؤرخين ان الملك الكامل كانت له صداقة وطيدة بالنبلاء الأوربيين (١٥٢) •

(١) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٨٠ •
وأيضا محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ١٢١ ، ١٢٢ •
(٢) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨١ •
وانظر وليــام لانجر : موسوعة تاريخ العــالم ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ •
(٣) رأفت عبد الحميد : المشكلة الايطالية فى السياسة الالمانية ، ص ٢٨٥ •
(٤) Kantorowicz (E.) : Frederick The Second, London, 1931. p. 55.
(٥) Ibid., pp. 55 F.
(٦) Ibid., p. 63.
(٧) Ibid., p. 74.
Cf : Hayes (J.H.) : History of Europe. p. 282.
Cf : Maslin (E.H.) : The Middle Ages, p. 495.
(٨) Thatcher (O. J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., pp. 230 F. Promise of Frederick to Innocent III, 1213 no. 134.
(٩) محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٢٢ •
(١٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 63.
(١١) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ١٢٣ •
سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٨٢ •
(١٢) سعيد عاشور : فردريك الثانى والشرق العربى ، مقـال بالمجلة التاريخية المصرية • المجلد الحادى عشر لسنة ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ •
(١٣) Tout : The Empire and The Papacy, p. 259.
(١٤) عبد الشــافى غنيم عبد القـادر : المرجع السابق ، ص ٧١ •
(١٥) نفس المرجع ، ص ٢١٨ •
(١٦) رأفت عبد الحميد : المشكلة الايطاليــة فى السياســة الالمانيــة ، ص ٢٨٦ •
وأيضا سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٣٨٣ •

(١٧) King (E.J.) : Tne Knigats hospitallers in tne Holy Land p. 136.

(١٨) محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٤١ ·
وانظر : ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ ـ ٢٥٤ ·

(١٩) King (E.J.) : Op. cit., p. 186.

(٢٠) Ibid., p. 186.

(٢١) وعندما علم آباء هؤلاء الأطفال بالامر إتجهوا الى والد نيقولا وشنقوه ·
انظر : محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٤١ ·
وأيضا : عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٦٧ ·

(٢٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٤٦ ·

(٢٣) يذكر البعض أن نيقولا شارك فى الحملة الصليبية الخامسة ، كما اشترك أثناء حصار دمياط ، وأخيرا عاد الى وطنه ، وآخرون يقررون أنه مات فى ايطاليا · انظر عبد الغنى محمود عبد العاطى : صليبية الأطفال ، مقال بندوة التاريخ الاسلامى والوسيط ، مجلد ٢ ، ص ١٧٩ ·

(٢٤) مكسيموس مونروند ، الحروب المقدسة فى الشرق ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ ·
وانظر محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٦٢ ·

(٢٥) انظر محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٦٤ ـ ١٦٨ ·

(٢٦) Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.H.) : Op. cit., pp. 230 F. promise of Frederick II to Innocent III, 1213, No. 134.

(٢٧) Stephenson (C.) : Medieval History, p. 465.
وانظر عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٣ ·
وأيضا نظير حسان سعدوى : الحرب والسلام ، ص ٣٨ ·

(٢٨) Thetcher (O. J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., p. 135, p. 232. promise of Frederick II to risign sicily after his coronation as Emperor, 1216
وانظر نص الوثيقة ، ملحق رقم ٩

(٢٩) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ١٧٤ ·

(٣٠) نفس المرجع ، ص ١٧٥ ·

(٣١) لمزيد من التفاصيل ، انظر : محمود سعيد عمران . نفس المرجع ص ١٩٧ ·

(٣٢) Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the Eat, p. 307.

(٣٣) Setton (K.M.) : History of the Crusades, Vol. 2, p. 432.

(٣٤) Wiegler (P.) : The Infiedle Emperor, p. 107.

(٣٥) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ٢٢٠ ·

(٣٦) Ibid., p. 107.

(٣٧) حسنين محمد ربيع : رسالة الصليبيين الى الامبراطور فردريك الثانى ، أثناء حصار دمياط ، ١٥ يونيه ١٢١٨ م ، ندوة مصر وعالم البحر المتوسط ١٣ ـ ١٥ ابريل ١٩٨٥ م ، بأداب القاهرة ، تحت الطبع ·

(٣٨) قاسم عبده قاسم : الشعر والتاريخ ، دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٢٨/ ٢٩ لسنة ١٩٨١/١٩٨٢ م ، ص ١٠٧ ·

(٣٩) رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ ·

(٤٠) Wiegler (P.) : Op. cit., pp. 103, 107.
Cf : Michoud : Historie des croisades, Tome 3, p. 2.

(٤١) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., pp. 433-435 F.
Cf : Deer (J.) : Der Kaisereronat Friedrichs II, speculum, Vol 29, Berm, 1952, April, 1954, p. 272.

(٤٢) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 98.

(٤٣) Ibid., p. 105.
وانظر ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٢٩٥ ·

(٤٤) King (E.J.) : Op. cit., p. 195.
Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 435.

(٤٥) المارشال : من كبار القادة العسكريين بمملكة بيت المقدس ويلى فى الرتبة الكندسطبل Constable ويدين له بالطاعة ، بعد أن يحلف يمين الولاء للملك والسادة الذين يحصل منهم على اقطاعات ، وينظر فى أمور الجند المأجورة ويتلقى منهم يمين الولاء ويفصل فيما يقع بينهم من خصومات ومنازعات · وهو مسئول عن جميع ما يقع فى أيدى الجند من خيول الاعداء أثناء القتال · اذ يفيد منها فى تعويض مما هلك او أصيب مثل الجند فى المعركة ، انظر =

— السيد الباز العرينى : الاقطاع الحربى عند الصليبيين بمملكة بيت المقدس ، حاشية ٥ ، ص ٢١ ٠

(٤٦) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 107 & Cf : Setton (K. M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 436.

(٤٧) Stevenson (W.) : Op. cit., p. 307.

(٤٨) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 102 F.

(٤٩) ابن الاثير : الكامل في التـاريخ ، جـ ١٢ ، ص ١٣٢ ٠

(٥٠) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ، جـ ٢ ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ٠

(٥١) برج السلسلة هو حصن بناه المسلمون وسط مجرى النهر لحمـاية المدينة ودفع أى عدوان يقع عليها ٠

انظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٢٥ ٠

(٥٢) أبو شامة : المصدر السابق ، ص ١٠٩ ٠

شيخ الشيوخ كان لقبـا فخريا فى عصر الأيوبيين يطلق على شيخ الخانقاه الصلاحية التى بناها صلاح الدين « سعيد السعداء » انظر : حسن الباشـا : الألقـاب الاسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، القـاهرة ١٩٥٧ ، ص ٣٦٦ ٠

(٥٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ١٤٥ ٠

(٥٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٤ ، تحقيق حسنين ربيع القـاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ١٦ ، ١٧ ٠

(٥٥) Lamb (H.) . The crusades. p. 247.

(٥٦) King (E.J.) : Op. cit., p. 193.

(٥٧) ابن واصل : نفس المصدر ، جـ ٤ ، ص ١٨ ٠

(٥٨) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ ٠

(٥٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ١٣٥ ٠

(٦٠) الدواداري : الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٧ ، ص ٢٠٦ ٠

(٦١) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١١٦ ٠

(٦٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٤٩ ، ٦٤ ، ٦٥ ٠

(٦٣) ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ورقة ٨٣ ٠

(٦٤) عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ص ٧٥ ٠

(٦٥) Hiberno (L.W.) : Annales Minorum, Tomus I (1202-1220), prope Florention, 1931, p. 356.

(٦٦) Ibid., p. 359.

(٦٧) Ibid., p. 360.

وانظر : اوميرا انجلبيرت : حياة القديس فرنسيس الأسيزى ، ترجمـة احد الاباء اللبنانيين ، ص ١٧٤ ، وعن مساعي فرنسيس الاسيزى بالتفصـيل انظر نفس المرجع ، ص ١٧٠ — ١٧٧ ٠

(٦٨) Wiegler (P.) : The Infiedel Emperor, p. 107.

وانظر أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١٢٩ ٠

(٦٩) Wiegler (P.) : Op. cit. ,p. 108.

(٧٠) Ibid., p. 108.

(٧١) Archer (T.A.) : The crusades, p. 378.

(٧٢) Lamb (H.) : The crusades, p. 248.

(٧٣) Ibid., p. 247.

(٧٤) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٩٣ ٠

(٧٥) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٢٩٦ ٠

(٧٦) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 107.

(٧٧) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٣٧ ٠

(٧٨) محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٣٦٤ ٠

(٧٩) ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٢١١ ٠

(٨٠) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٣٧ ٠

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٣٨ — ٩٣٩ ٠

(٨١) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٠٠ ٠

(٨٢) الحنبلى : الانس الجليل ، جـ ١ ، ص ٤٠٤ ٠

(٨٣) Michoud : Historie de Croisades, Tome 3, p. 2.

(٨٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٩٥ ٠

(٨٥) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 107. Cf : King (E.J.) : Op. cit., p. 197.

(٨٦) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 108.

(٨٧) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٩٨ ، ٩٩ ٠

(٨٨) أمارى : المكتبة الصقلية ، ص ٣٢٢ .

(٨٩) Ibid., p. 108.

وانظر : سامى سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الايطالية ، ص ٧٨ .

(٩٠) محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ٤٠١ .

(٩١) لمزيد من التفاصيل على نتائج الحملة الخامسة . انظر محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة . وأيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، الفصل الخاص بالحملة الخامسة ، ص ٩٢٠ ـ ٩٤١ .

(٩٢) انظر عن الأسباب بالتفصيل : سوسن نصر : الاخوة الملوك أولاد الملك العادل ، دكتوراه ـ دار العلوم ، ص ٢١٤ .

(٩٣) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٤٠ .

(٩٤) Antheny (S.) : The crusades, p. 70.

وانظر عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٦٩ ، وكذلك رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٩٥) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 2.

وانظر محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٤١٨ ـ ٤٢٨ .

(٩٦) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 108 F.

(٩٧) محمود سعيد عمران : نفس المرجع ، ص ٤٢١ .

(٩٨) Wiegler (P.) : Op. cit., pp. 108 F.

(٩٩) عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٦٩ .

(١٠٠) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٦٢٥ .
وانظر ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ١٧٤ .
وأيضا ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٩٩ .

(١٠١) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ق ١ ، ص ٢٥١ .

(١٠٢) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٩٤٠ .

(١٠٣) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(١٠٤) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٧٦ ـ ١٧٨ .

(١٠٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ١٨٧ .

(١٠٦) المقريزى : السلوك جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٥٧ .

(١٠٧) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٩٠ ، ١٩١ .
وانظر ابن كثير : المصدر السابق ، جـ ١٣ ، ص ١١٢ .

(١٠٨) أبو شامة : الذيل على الروضتين ، ص ١٤٥ .

(١٠٩) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ١٩٢ .

(١١٠) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .

(١١١) أبو الفدا : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ وأيضا العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ ١٨ ، ق ١ ، ص ٤٠ .

(١١٢) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٥ .

(١١٣) ابن الوردى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٩ .

(١١٤) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، جـ ٦ ، ص ٢٥٥ .

(١١٥) استطاع جنكيز خان ملك المغول أن يهزم دولة الأتراك الخوارزمية سنة ١٢٢٠ ـ ١٢٢١ م / ٦١٧ ـ ٦١٨ هـ ، وفر جلال الدين الخوارزمى الى الهند ، وعندما علم بعودة جنكيز خان الى « قراقورم » فى جوف آسيا رجع الى فارس حتى أقام الدولة الخوارزمية من جديد ، واتخذ « أصفهان » عاصمة له ، وهاجم الخليفة العباسى ، وطارد جيوشه سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥ م . انظر محمد بن أحمد النسوى : سيرة جلال الدين منكبرتى ، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى ، القاهرة ١٩٥٣م . وأيضا : حافظ أحمد حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول . وأيضا سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١٠٣ ، وكذلك : ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٢٦ .

(١١٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٢٣ .

(١١٧) الدوادارى : الدر المطلوب ، جـ ٧ ، ص ٢٦٧ . وانظر : سوسن محمد نصر : بنو أيوب مع الخوارزمية والمغول والمماليك فى شمال الجزيرة ، المجلة التاريخية المصرية ، مجلد ٣٠ لسنة ١٩٨٤ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

هذا وعندما رجع البكرى من سفارته ، عينه المعظم فى مشيخة الشيوخ بالاضافة الى وظيفته الأساسية وهى الحسبة ، انظر : ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ورقه ٨٥ .

(١١٨ ، ١١٩) سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٦٢٣/٦٢٢ ، ٦٣٣ .

(١٢٠) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ق ١ ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ .

(١٢١) الدواداري : الدر المطلوب في اخبار بني ايوب ، جـ ٧ ، ص ٢٦٩ •
وانظر سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، ص ٦٢٤ .
(١٢٢) الحافظ شمس الدين الذهبي : دول الاسلام ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .
(١٢٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ١٧٥ .
وانظر ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٨٧ .
وايضا أبو الفدا : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ .
(١٢٤) الدواداري : الدر المطلوب في اخبار بني أيوب ، جـ ٧ ، ص ٢٨٠ •
(١٢٥) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤ .
وانظر أبو الفدا : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٣٧ .
(١٢٦) الدواداري : المصدر السابق ، جـ ٧ ، ص ٢٨١ •
(١٢٧) محمد بن أحمد النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي • ص ٢٠٩ ، ٢١٠ •
(١٢٨) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٢٦ .
وانظر السيد الباز العريني : مصر في عصر الأيوبيين ، ص ١١٨ •
(١٢٩) محمد عبد العزيز عزيز : حملة فردريك الثاني الصليبية على بلاد الشام رسالة ماجستير ، جامعة بيروت ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .
(١٣٠) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ •
وانظر أبو الفدا : المصدر السابق ، ص ١٣٨ •
وانظر : مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة في الشرق ، م ٢ ، ص ٢٧٤ •
Cf : Wiegler (P.) : Op. cit., p. 132 .
(١٣١) ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ، ورقة ٨٥ •
وأيضا الحنبلي : الانس الجليل ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ •
Cf : Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.
Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 449.
(١٣٢) ابن الوردي : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ •
(١٣٣) Stevenson (W.B.) : The crusaders in the east, p. 310.
(١٣٤) اماري : المكتبة العربية الصقلية ، من كتاب سير الاباء البطاركة ، ص ٣٢٢ •
(١٣٥) Wiegler : (P.) : Op. cit., p. 132.
يذكر البعض ان « توماس اكيرا » كان وقتئذ بفلسطين ، انظر : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ •

(١٣٦) المقريزي : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ •
Cf : Setton (K.M.) 9 : Op. cit., Vol. 2., p. 449.
(١٣٧) المقريزي : نفس المصدر والصفحة •
Cf : Poole (S.L.) : History of Egypt in the Middle Ages, p. 226.
(١٣٨) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.
(١٣٩) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.
وانظر : سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ ٨ ق ٢ ، ص ٦٤٣ •
وأيضا : رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٢٧ •
(١٤٠) المقريزي : السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٥٩ •
(١٤١) ابن الوردي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢١٩ •
ابراهيم الحنبلي : شفاء القلوب ، ورقة ٨٥ •
ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ •
وأيضا العيني : عقد الجمان ، جـ ١٨ ، ق ١ ، ورقة ٤٢ •
(١٤٢) المقريزي : السلوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٠ •
وانظر ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر ، جـ ٥ ، ص ٣٥١ •
(١٤٣) المقريزي : المصدر السابق ، ص ٢٦٠
(١٤٤) سبط بن الجوزي : نفس المصدر ، ص ٦٤٦ ، ٦٤٧ •
(١٤٥) نفس المصدر ، ص ٦٤٧ •
(١٤٦) نفس المصدر ، ص ٦٤٨ •
(١٤٧) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.
(١٤٨) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.
(١٤٩) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ٢ ، ص ٢٦٠ •
وانظر اماري : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٣٢٣ •
Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 449.
(١٥٠) Bryce (J.) : The Holy Roman Empire, p. 205 F.
(١٥١) L'Emperecr Frederic II : Questions Philosophi ques Adress•es Aux Savont Musimans, Journal Asiqtiaue au R'ecueil De Memories, Tomel 1, F.M., 1853, Paris, p. 242.
وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٥٣ •
(١٥٢) Poole (S. L.) : History of Egypt in the Middle Ages, p. 226.

(الفصـــل الخـــامس)

الحملة الصليبيه السادسة على الشرق وأثرها عـلى العـلاقات السياسـية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الآيوبية

(١٢٢٧ – ١٢٥٠ م / ٦٢٥ – ٦٤٨ هـ)

— محاولات البابوية للضغط على الامبراطور للقيام بحملة على الشرق .
— الامبراطور فردريك الثانى يخرج بالحملة الى الشرق .
— الامبراطور فردريك الثانى فى الشرق .
— المفاوضات بين الامبراطور فردريك الثـانى والملك الكامل محمد واتفاقية يافا .
— موقف المسلمين والصليبيين والبابوية من الاتفاقية .
— عودة الامبراطور فردريك الثانى الى الغرب الأوربى .
— صـلات الامبراطور فردريك الثانى الدبلوماسية بحواهـل الدولة الأيوبية ١٢٣٠ – ١٢٤٣ م / ٦٢٧ – ٦٤١ هـ .
— موقف الامبراطور فردريك الثـانى من الحملة الصـليبية السابعة .

لقد لعبت الأوضاع السياسيه في أوربا دورا كبيرا فى موقف الامبراطورية الرومانية المقدسة من القضيه الصليبيه ، وذلك خلال السنوات الأولى من القرن الثالث عشر الميلادى ، الى ان اعتلى الامبراطور فردريك الثانى عرش الامبراطورية ، فنظر الى هذه القضية نظرة أخرى تختلف عن نظرة سابقية ، ومما دعم وجهة نظره ما حل بالشرق الاسلامى من ظروف جعلت الامبراطور فردريك يتمادى فى نظرته هذه غير مهتم بما يدور من حوله بشأن هذه القضية ، وبلاشك كان لعلاقات ذلك الامبراطور بالبابوية دور فى تحريك هذا المشروع الصليبى ، ولم يكن ذلك عن اقتناع بجدواه بقدر ما هو خوف من سخط البابوية عليه ، حيث تردد كثيرا بشأن اتخاذ مثل هذا القرار الصليبى حتى وصل الامر الى قطيعة بينه وبين البابوية ، وفى النهاية خرج معاندا لها واستطاع أن يحقق ما عجز عنه الصليبيون والبابوية ، وكان هذا بداية صفحة جديدة من العلاقات بين الامبراطورية والدولة الأيوبية ، واستمرت قرابة ربع قرن من الزمان ، وفيما يلى تفصيل ذلك :

محاولات البابوية للضغط على الامبراطور ، للقيام بحملة على الشرق :

انتظرت البابوية الامبراطور خمس سنوات من أجل الابحار الى الشرق ، ولكن دون جدوى ، وكان فردريك ، رغم انه على وفاق مع البابوية ، يخشى أطماعها ، لذلك فقد حاول استرضاء البابا باعلانه فى مجمع اللاتيران Alatrin ، انه « مخطىء من لا يعتبر نفسه حامى حمى الكنيسة الرومانية التى تعهدت برعايته ، وفى النهاية وبمساعدة الرب ، قام بتربيتى على الشظف ، وأنا أقولها بضمير

صاف ، اذ طبقا لمجلس الأمراء ، فان ابنى دوق سوابيا ، اختير ملكا لألمانية ، وهذا سوف يتم خلال غيابى حتى يمكن ممارسة حكم أفضل لمجد المسيح ،ولم أتدخل فى الانتخابات الكنسية الدينية ، وقد وضعت يدى على « باترى موينوى بيترى » والماركين اسقف تورين » Turin هؤلاء شهود عيان بأننى لم أطلب تحالفا من « فيرارا » Ferrara « (١) .

ولقد كان هناك أسباب اتخذها فردريك الثانى ذريعة لعدم خروجه بالحملة ، منها ، خشيته من خصومه داخل ألمانيا ، ووفاة زوجته « كونستانس » Constance فى ١٢٢٢ م ، فى كونتانى Contania (٢) .

وعندما شعر البابا بتسويف فردريك ، اجتمع معه فى « فيرنتو » Ferentio فى عام ١٢٢٣ م (٣) ، حتى يدفعه الى التوجه بالحملة ، فأعاد فردريك تعهده بالقيام بحملة الى الشرق ، وقال فى خطابه الى البابا « السماء والأرض شاهدان على انى أرغب فى انتصار المسيحيين ، واننى لن آلو جهدا من أجل انتصارنا فى الحرب المقدسة » (٤) .

والحقيقة أن الامبراطور رغم هذا لم يكن راغبا حقا فى هذه الحملة ، ولقد أرسل « نيقولا الأول » Nicolas I بطريق طائفة الملكانيين فى الاسكندرية الى البابا هونوريوس الثالث سنة ١٢٢٢ م / ٦١٩ هـ ، يطلب منه حث فردريك الثانى على الاسراع فى حملته ليثأر للصليبيين ، بسبب هزيمتهم فى الحملة الخامسة ، كما أن هذا البطريق وضع لفردريك خطة ، ينصحه فيها بدخول النيل من فرع ، رشيد حتى مدينة « فوه » لأن هذا الفرع أوسع وأعمق من فرع دمياط ، كما أن الجزيرة مليئة بالخيرات (٥) .

وكذلك شعر « حنادى برين » بمدى تقصير الغرب الأوربى فاتجه الى ألمانيا فى سنة ١٢٢٢ م ، واخذ يخطب فى المسيحيين ويذكرهم بمآسي الأرض المقدسة (٦) .

وقد اضطر الامبراطور فردريك الثانى أمام هذه الضغوط أن يتظاهر أمام البابوية بأنه مهتم بالحملة ، فجهز لها فى سنة ١٢٢٤ م ، مائه « شانيه » Gall egs وخمسين ناقلة للجنود Capable ، وذلك لحمل جنود الحملة من المشاة والفرسان (٧) .

وبالرغم من هذا التظاهر الذى قام به فردريك الثانى الا أنه لم يقتنع حتى هذه اللحظة بفكرة القيام بحملة الى الشرق ، فى نفس الوقت الذى يخشى على نفسه من سخط البابوية ، ومن ثم أرسل اليها سفارة من « هيرمان أف سالزا » و « حنادى برين » والبطريرك وآخرين ، يطلب من البابوية تأجيل خروج الحملة ، وعقد مع البابوية اتفاقية « سان جرمانو » San Germano فى ٢٥ يوليو ١٢٢٥ م ، ونص هذا الاتفاق على الاحترام المتبادل بين الطرفين ، وأن ينفذ الامبراطور فردريك مشروعه الصليبى ، كما دفع الامبراطور كفالة قدرها مائة ألف أوقية من الذهب فى خزينة البابوية (٨) ، كرهينة حتى يهتم بالخروج الى الشرق ، على أن يرد اليه هذا المقدار من الذهب عند وصوله الى الأراضى المقدسة (٩) ، وقد تعهد أيضا بارسال ألف فارس الى الشرق فورا وقبل خروج الحملة (١٠) ، التى تعهد بالقيام بها فى ١٥ أغسطس سنة ١٢٢٧ م / ٦٢٥ هـ ، كميعاد نهائى ، على أن يبقى فى الأرض المقدسة لمدة سنتين (١١) .

ومهما يكن من أمر فانه كان لابد من وجود دوافع حيوية وهامة ، لقيام فردريك بالحملة وفاء بوعده ، الذى أجله أكثر من

مرة ، وقد فطن الى هذا « هيرمان أف سالزا » فتقدم بمشروع يقضى بزواج الملكة « يولاند » Holand من الامبراطور فردريك الثانى نفسه — بعد أن ماتت زوجته كونستانس كما سبق ذكره — وسوف تكون زيجة رائعة ومتكافئة ، وأرضت الفكرة كبرياء حنـادى برين غير أنه تردد حتى ظفر بوعد من « هرمان أف سالزا » بأنه — أى حنـادى برين — سـوف يحتفظ بالوصـاية على العرش حتى وفاتـه (١٢) ·

وقد شـجع كثير من كبار شخصيات بيت المقدس الذين استدعوا الى ايطاليا لمهام الحرب — هذه الزيجة وباركوها لما فيها من ضمان مساعدة فردريك الثانى لهم (١٣)، كما أبدى الامبراطور نفسه استعداده لقبول « يولاند » زوجة له حتى يتولى قيادة شئون الأرض المقدسـة (١٤) · ذلك لأن يولاند عند موت والدتها كانت هى الوريثة لعرش بيت المقدس ، بينما والدها هو الوصى عليها ، وكان مجـرد حامل اللقب الفخـرى للملك · ومما يجدر ذكره أن عمر فردريك الثـانى حينئذ كان خمسـة وثلاثين عما ، وبينما « يولاند » كانت ابنة الأربعة عشر ربيعا ·

وتمشيا مع سياسة البابوية لتحقيق هدفها من هذا الزواج فقد طلبت من الامبراطور أن يتم الزواج فى الشام نفسها (١٥) ، الا أن الأخير أرسل الى عكا هنرى كونت مالطة ومعه أسطول بحرى من اثنتى عشرة سفينة ، بهدف اصطحاب « يولاند » اليه ، وقد تم عقـد القران فى صور بطريقـة يحوطها الوقـار والاحترام للامبراطور الغائب، وكانت لحظات دهشة للجميع ، اذ قام الأسقف الصقلى بوضع « دبلة » الامبراطور، فى أصبع العروس « يولاند »، وقد استلم العروس بالتاج الخاص بمملكة بيت المقدس ، من أيدى بطريرك الأرض المقدسة كما قدم فرسان مملكة بيت المقدس ولاءهم

لملكتهم (١٦) · وأبحرت الملكة من صور على متن سفينة ملكية تحت حراسة أحد الفرسان ، وبصحبتها رئيس إساقفة صور « بيمون موجاستيل » وابن عمها « باليان » سـيد صـيدا الى الامبراطور فردريك الثانى (١٧) ، الذى كان ينتظرها فى « برنديزى » ، وقد قالت يولانه عند مغادرتها بلاد الشام « استودعك الله يا سوريا اللطيفة ، لانى لن أراك ثانيـة (١٨) » ، هذا وكان ينتظرهـا فى برنديزى مع الامبراطور ، والدها ، وقد استقبلاها فى التاسع من نوفمبر عام ١٢٢٥ م / ٦٢٢ هـ (١٩) ، حيث تم عقـد القران من جديد فى الكاتدرائيـة ببرنديزى (٢٠) · ويضيف البعض بأن فردريك جدد قسمه الصليبى بالتوجه بحملة الى الشرق (٢١) ·

ويذكر بعض المؤرخين أنه بمجرد أن أعلن الزواج ، اعتبر فردريك نفسه امبراطورا على مملكة بيت المقدس (٢٢) وكان عليه أن يتجه الى الشرق ليس لنداءات البابوية فحسب ولكن أيضـا لأنه أصبح زوجا لوريثة بيت المقدس ، ويضيف أحد الباحثين بأن الامبراطور استعمل لقبه الجديد من بداية شهر ديسمبر ١٢٢٥م ، وبعث ريتشارد أسقف امالفى Amalfi الى عكا حيث حصل على مبايعـة نبـلاء الصليبيين ، وعين « أودولف مونبليية Montbeliard » نائبـا على المملكة الأسمية ، كى لا يثير أى حسـاسية لدى أمراء المملكة اللاتين ، قد تنتج عن تعيين رجل غريب عنهم (٢٣) ·

فضلا عن ذلك فان الامبراطور فردريك الثانى أخذ يمارس سلطاته الرسمية على مملكة بيت المقدس ، ويتضح ذلك من خلال خطاباته فى ٢١ يناير عام ١٢٢٦ م ، اذ أقر فيها امتيازات للتيوتون Theutonicorum ، حيث أعفـاهم مـن ضرائب العقـارات ، وجميع الضرائب المعروفة فى مملكة بيت المقدس ، وعزز موقفهم فى الشرق ، اذ أمر بأنه لا يجوز أن يدعى أحد عليهم أى حق بدون

القضاء والعدالة ، ولا يطالبهـــم الغرب بأية امدادات (٢٤) ، وقد اقرت يولاند هذه الامتيازات التى اقرها الامبراطور (٢٥) ٠

بالاضافة الى هذا فقد طلب الامبراطور من أهل « جنوا » أن ينفذوا أوامره الخاصة باعادة ترددهم على عكا، اذ كانوا قد امتنعوا فترة بسبب خلاف نشب بينهم وبين أهل « بيزا » (٢٦) ٠

وقد وصلت أخبـار حملة الامبراطور فردريك الثانى المزمع قيامها الى شعوب « جورجيا » فاهتموا بامر هذه الحملة ، ويتضح ذلك من خطابات بين « روستيانا » Russtana ملكة « افوجويا » Avoguiae والبابا هونوريوس الثالث ، اذ أن الأولى أرسلت الى البابا اعتذارا لعدم مساعدتها الصليبيين فى دمياط، لأن التتار Tartararaum منعوهم من ذلك ، كمـا وعدت البـابا بأنهـا ستقدم المســاعدة الى جيش الامبراطـور الذى سـيقدم الى الأراضى المقدسة ، وقد رد عليها البابا وأخبرها بتاريخ الرحيل من الغرب (٢٧) ، علاوة على ذلك فان « جونيس » Johannes مساعد « ساتيس » « براتيـا » أرسل فى ١٢ مايو عام ١٢٢٤ م ، الى البابا يخبره أن جورجيى الرابع Georgii IV ، ملك جورجيا، وعد قبل أن يتوفى بأنه سـيتجد الامبراطور فردريك بأربعين الف رجل ، فرد عليه البابا بخبر الحملة وموعدها (٢٨) ٠

ولعل من الدوافع التى دفعت الجورجيين لاتخاذ موقف مؤيد لحملة الامبراطور فردريك ما يلى :

أولا : ما حدث من منع بعض الحجاج الجورجيين من دخول بيت المقدس الا بعد أداء الجزية ٠

ثانيا : ما حدث من المعظم عيسى ، اذ قام بهدم أسوار المدينة المقدسة ، لذلك أقســم الجورجيون بالثأر لأنفسهم والتعاون مع

صليبى القوقاز وضفاف بحر قزوين والقادمين من ضفاف الراين والدانواب ضد المسلمين (٢٩) ٠

الامبراطور فردريك الثانى يخرج بالحملة الى الشرق :

كان لمجموعة الضغوط السابقــة الذكر أثـر فى انتمـاء الامبراطور ناحية الشرق ، وأصبح بيت المقدس هدفه ، ولا يحتـاج الا الى التنظيمات التى تؤهله للتوجه اليه ، فصقلية تمده بالمال وألمانيا تقدم له الرجال ، لكنه بدأ يفرض قيودا مشددة على رجال الكنيسة ليحد من نفوذهم ، وينتقص من حقوقهم كما أعلن فى مؤتمر « بكريمونا » سنة ١٢٢٦ م ، تمسكه بالحقوق الامبراطورية لاسيما فيما يتعلق بالمدن اللمباردية ، مما أغضبها (٣٠) ٠

وبالرغـم من ذلك فانه كان مترددا فى الخروج حتى هذه اللحظة ، وأخذ يتذرع بذرائع جديدة ، اذ تذكر بعض المصادر انه كان يفـكر فى ملك الهوهنشـتاوفن والفرسـان فى كتدرائيـة « بامبرج » (٣١) ، وربمـا أخذ بما ورد اليـه من نصائح من بعض الصليبيين بالشرق لتأجيل رحيله حتى ينتهى أجل الهدنة المعقودة بينهم وبين الكامل منذ زمن الحملة الصليبية الخامســة (٣٢) ٠ لكن تحت الضغوط البـابوية بدأ فردريك الثـانى يستعد جديا للاهتمام بأمر الحملة فأرسل مقـدما الكونت « توماس الأكوينى » Thomas of Aquino ليقوم بمهمة الوصى على المملكة الصليبية فى الشرق (٣٣) ٠

فى نفس الوقت الذى كان مبعوث البابا يحمس شعوب ألمانيا على نجدة الصليبيين فى فلسطين ، كما قام البابا بتقليد قادة الحملة الصليبية لصرف عفو الكنيسة على المجرمين ، واذ بالمجرمين يأخذون

الصليب ويريدون أن يكفروا عن ذنوبهم عن طريق الحج المقدس(٣٤)، علاوة على ذلك فان الامبراطور فردريك الثانى بدأ يمنح الذهب بسخاء لكل من جند فى الحملة ووعد كلا من الفرسان والأمراء ومن فى دونهم ، بالنقل المجانى ، كما دفع لهم نقودا مقدما ، مما ترتب عليه زيادة عدد المشتركين من الألمان (٣٥) • وكان أعظم هؤلاء الأمراء أهمية هو « لاندجراف لويس أف ثورنجيا » Landgrave Lewis of Thuringia (٣٦) •

ومما يجدر الاشارة اليه أن الامبراطور أعطى للاندجراف لويس ، أربعة الآف شارة صليب ، كما تبعه كونتات « ورتبرج » Wartburg ، و « برندبرج » Bran Denburg و « مولبرج » Molberg و « ستولبرج » Stolberg فضلا عن آلاف الآلاف من الحجاج الانجليز ، الذين كانوا تحت قيادة الأساقفة فى « نشستر » و « اكستر » Winchester and Exeter (٣٧) • وعلى أية حال فقد وصل لاندجراف لويس فى أغسطس عام ١٢٢٧م، عند الامبراطور فردريك فى صقلية ، مع جيش صليبى كامل من من الحجاج والأجناس الألمانية وقد سافروا بعد ذلك الى ميناء الابحار « برنديزى » Brindisi ، كما أن الفريزيين اتخذوا الطريق البحرى الطويل حول أسبانيا ، وتدفقت كثير من القوات الى الميناء البحرى ، تحت اغراءات الكنيسة ، كما سبق القول ، من صكوك الغفران وغيره (٣٨) •

ومن الطبيعى أن هذه القوات ساعدت على تعزيز حملة فردريك الثانى ، ويذكر بعض المورخين أنه لا يمكن تقدير الأعداد الفعلية، اذ تكدست حشود ضخمة فى معسكر الحجاج «ببرنديزى»

بشكل يفوق ما كان فى حسبان الامبراطور ، ولم تكن السفن كافية لهذه الأعداد الغفيرة ، كما نفذ طعام الحجاج ، الا أنه أصبحت السفن خالية من الجنود ، بسبب انتشار مرض الطاعون بين الجنود فى منتصف شهر أغسطس ١٢٢٧م ، كما غادر كثير منهم المعسكر وانتشروا على أرض ايطاليا (٣٩) ولعل السبب فيما لحق بالمعسكر من مرض ، أن الجنود لم يتعودوا على الطعام والطقس وأحوال الجنوب ، وقد مات عدد كبير من نبلاء ايطاليا بسبب المرض ، كما أصيب الامبراطور بالمرض ، وبالرغم من ذلك ، فقد أشرف بنفسه على ابحار أول سربين ، وأخذ هو نفسه القسم الثالث من الأسطول الذى كان مقررا أن يأخذه هو و « لويس ثورنجيا » وذهب الى حديقة بجزيرة القديس « اندريه » Andrea ، اذ أنها بعيدة عن الميناء ، وذلك بغرض الاستشفاء من المرض ، وقد وصل الاثنان فى يوم الاثنين التاسع من سبتمبر ١٢٢٧ م الا أن « لويس ثورنجيا » مات ، وقد نصح الأطباء العرب و « جيرولد » بطريرك بيت المقدس ، الامبراطور بتأجيل خروجه على رأس الحملة مما ترتب عليه ، أن هبط الامبراطور فردريك على اليابس فى « أوترانت » Otranto ، مؤجلا بذلك رحلته لحين شفائه ، ثم توجه الى بلدة « بزول » Pozzuoli لقضاء فترة نقاهة ، وسلم أمر القيادة الرئيسية الى « لديوك » من Limburg ووعد بأن يتبعه فى الربيع مع عدد من الجنود الجدد ، وذهب الى « بوت » Boths للبحث عن علاج (٤٠) •

وهكذا رجع الامبراطور فردريك الثانى بعد خروجه بثلاث أيام (٤١) ، وأرسل من طرفه قاضيين من البلاط الامبراطورى الى البابا جريجورى التاسع Gregory IX (١٢٢٧ – ١٢٤١م) فى اناجنى Anagni ليقدما اليه الاعتذار عن رجوع الامبراطور عن

الرحيل الى الأراضى المقدسة بعد أن أقلع من برنديزى (٤٢) بسبب العوامل التى حلت بالحملة (٤٣) ، منهـا المرض ووفاة صاحـب ثورنجيا (٤٤) • ويمكن القول بأن الامبراطور حاول تدارك الموقف أمام البابوية بالرغم من أنه يعلم انها ستغضب عليه •

أما صدى هذا التصرف لدى البابا جريجورى التاسـع ، فانه رفض سماع المبعوثين اللذين أرسلهما الامبراطور لشرح أسباب رجوعه (٤٥) ، بالرغـم من أنه كان صـديقا للامبراطور قبل أن يتولى كرسى البـابوية (٤٦) ، ولكن بعـد أن تولى كان يريد أن يجعل من الامبراطور آله سهلة الانقياد ، وكان يحدوه الأمل فى أن يقوم الامبراطور بحملة الى الشرق (٤٧) ، وقد أرسل له بهذا (٤٨) ، وهدده باصدار قرار الحرمان من حالة عدم قيامه (٤٩) ، على رأس حملة صليبيـة •

لذلك بدأ البابا بعد رجوع الامبراطور ، فى نشر الشائعات عليه واعتبره غير مطيع ، وألقى عليه مسئولية المجاعة التى حاقت بالصليبيين فى ميناء برنديزى (٥٠) ، بل اتهمه أيضـا بوضـع السم للويس اف ثورنجيا (٥١) وأصدر ضده قرار الحرمان فى ٢٩ سبتمبر عام ١٢٢٧ م (٥٢) •

ولما كان الامبراطور فردريك ، قد تعهد على نفسه بضرورة الابحار ، طبقا لاتفاقية « سان جرمانو » San Germano سـنة ١٢٢٥ م ، فقد تأهبت البابوية لتنفيذ بنودها ، وتوقيع ما فيها من عقوبات على الامبراطور ، ومن أجل هذا ففى الثامن عشر من سبتمبر عام ١٢٢٧ م ، رشـح البـابا العديد من الكرادلة حتى يدعم بهم مركزه (٥٣) • ثم رجع الى روما وأعلن فى ١٨ نوفمبر ١٢٢٧ م ،

فى كنيسـة بطرس St. Peters ، وبدون تحفظ أن الامبراطور يقع تحت التحريم لانه فشل فى الالتزام بالميعاد المحدد لرحيل الى الشرق ، وهو اغسـطس عام ١٢٢٧ م (٥٤) ويـذكر بعض المؤرخين ، أن فردريك الثانى كان يعترف دائمـا ، بحق البابوية فى هذا ، الا أن الأخيرة لم تكن تقدر حقيقة سبب تأخير فردريك ، وهو المرض ، كما أنها رفضت سـماع شهود العيـان عن مرض الامبراطور ، ولم يتحيز الكثير الى جانب فردريك وأصبح الرأى العام ضـده (٥٥) •

واذا كان البابوية قد ألقت المسئولية على الامبراطور بهذه الصورة وأصدرت ضده قرار الحرمان ، وأدعت تمارضه ، وربما يكون قد ساورها الشك فى أن الذى منعه من السفر هم الأطباء وخاصة أنهم أطباء عرب •

ولم يكن من المتوقـع أن يقف الامبراطور فردريك الثـانى مكتوف اليدين أمام اتهامات البـابا هذه ، فقـد بعث الى جميع الأمراء المسيحيين ، وكذلك الملوك والأساقفة، ونبلاء ألمانيا يخبرهم بمخططات البابوية وفســاد البلاط البابوى ، اذ كتب « نرجو أن تتم قراءة خطابنـا هذا على الملأ وأن تسـتمعوا اليه بكل تكريـم وباحترام لأن من محتويات هذا الخطاب ، سيكون التأكيد على أن براءتنا واضحة للجميع ، ويتضح أيضا العار والدمار الذى يدبر لنا ولامبراطوريتنا » (٥٦) • كمـا أن فردريك أخذ يفند الأسـاليب والاتهامات ضد البابا ، والدليل على ذلك قول بعض المعاصرين : « ونحن مع ذلك لا نشبه الكلاب الخرساء » (٥٧) • هذا وقد لاقى خطاب الامبراطور ، استقبالا ملحوظا فى روما مدينة البـابوية ، وأصر كل من مجلس الشيوخ وشعب روما على أن يقوم « روفريدو البنفنتى » Roffredo of Benevento بقراءة خطاب الامبراطور على المجلس العام ، ولكى يسلب الامبراطور البابا أسلحته تمهد

أمام العالم أن يبحر مبكرا فى العام التالى « ما لم يكن مرضا واقعا ، وهو ما وقعه الله ، بأن عنف هذا الشيطان المتوقع يمنعنا وضع ارادتنا فى هذه المهمة المقدسة » (٥٨) .

وهكذا أندلعت الحرب بين البابا والامبراطور وقد أبدى كل طرف من الرد والاتهامات ، فقام الامبراطور، وذهب الى « ضيعته » بالقرب من روما ، ثم الى « كابوا » واهتم بمزيد من الردود على البـابا » (٥٩) .

وهنـا أصر الامبراطور على القيام بالحملة (٦٠) ، فأصـدر البابا قرار الحرمان فى الخميس ٢٣ مارس عام ١٢٢٨ م ، كما هدده بطـرده من صقليـة (٦١) . وعلى أية حـال اعتبر فردريك التحريم الكنسى بمثابة عقوبة الكنيسة الرسمية والعادية (٦٢) فلم يبـال به .

هذا وقد اقترح الامبراطور استدعاء الأمراء الألمان الى مجلس تشريعى لمناقشة انقطاع العلاقات الودية مع البـابوية ، وكذلك تجمعت العامة ضد البابا فى عيد الفصح ، وأصبح البابا فى وضع لا يحسد عليه مما ترتب عليه أن خلص نفسه وهرب الى «اللاتيران» The Lateran . الا أن الناس ثاروا ضده فى هذه المدينة ، ومن ثم ذهب الى « ريتى » Rieti (٦٣) ، بعد أن صادر الامبراطور كل ممتلكات كنيسة روما (٦٤) .

وهكذا أصـبح هنـاك طرفان متعارضـان بصدد الحملة الصليبية :

الأول : البابا الذى رفض رفع التحريم الكنسى الذى أصدره ضد الأمبراطور فردريك ، بل تمادى فيه بصدور قرار آخـر ضده كما سبق الذكر .

والثانى : الامبراطور فردريك الذى أصر على القيام بالحملة بالرغم من مواقف البابوية المتشددة ضده فأرسل فى ربيع ١٢٢٨م، المارشال فلا نجييرى بخمسمائة فارس الى الأراضى المقدسة (٦٥) .

كما استعد الامبراطور نفسـه للابحار الى الشرق ، فعقد مجلسا تشريعيـا بصقلية وعين على رأسـة رينودوق سبوليتو » Reynald of Spoleto وكذلك هنـرى أف مـورا Henery of Morra ، وقد أديـا اليمين بالوفـاء للامبراطور ؛ ولما كان الأخير يخشى أن يموت بالشرق مثل جده بربروسا (٦٦) ، فقد أوصى بأن يكون ابنه « هنرى » من « كونستانس « امبراطورا من بعده ، ويليه ابنه « كونراد » من يولاند (٦٧) .

ومما سـبق يمكن القول بأن الامبراطور عزم نهائيـا على الخروج بحملته الى الشرق ، فأراد أن يحصـل على رضـا البـابا ـ كمحاولة أخيرة يائسة ـ قبل أن يخرج بالحملة ، فأرسل رئيس أساقفة « مجدبرج » ومعه اثنان من رجال القضاء فى بلاط صقلية، لكى يتوسلوا الى البابا برفع قرار الحرمان عن الامبراطور الا ان البابا رفض وأصر على موقفه (٦٨) .

وفى النهاية خرج الامبراطور فى نهاية شهر يونيو ١٢٢٨ م ، من برنديزى ، قائلا « لقد تركنـا فى الحال برنديزى متجهين الى سـوريا ، ونسرع عابرين فى حضرة ريـح كريمـة مع قائدنا المسيح » (٦٩) وما كاد الامبراطور يغادر برنديزى ، حتى أصدر البابا ومن جديد قرار الحرمان (٧٠) للمرة الثالثة .

فى الواقع هناك أمور دفعت فردريك الى الابحار شرقا يمكن اجمالها فى الآتى :

أولا : المراسلات بينه وبين الملك الكامل الأيوبى ، التى سبق ذكرها ـ فقد طلب الأخير من الامبراطور أن يساعده فى حربه ضد أخيه المعظم ، الذى استعان بالخوارزمية ، وهذا ما يخشاه الجميع ، ومن ثم فضل الامبراطور الا تكون هناك قوى خارجية تستطيع أن تناوىء الصليبيين بالشرق ، هذا فضلا عن أنه اعتبرها نوعا من تحقيق الصداقة وربط أواصر الود بين الملك الكامل وبينه ، كما أنه قد شعر بعظم المنح التى عرضها عليه الملك الكامل (٧١) ، وهو ما لم يستطيع الامبراطور ولا غيره أن يحققها بالطرق الحربيـة ، وأهم من هذا كله أن الامبراطور فردريك كان يود أن ينهل أكثر من مصادر الثقافة الاسلامية ، وليس أدل على ذلك من مناقشاته لكثير من العلماء المسلمين بصقلية (٧٢) ، التى تربى فى كنف حضارتها الاسلاميـة .

ثانيـا : ومن الدوافع الرئيسيـة التى دفعت الامبراطور فردريك الثانى الى الشرق هو زواجه من يولانه ، والتى كانت وريثة لمملكة بيت المقدس (٧٣) ، اذ أن الامبراطور اعتبر نفسه مسئولا عن الشرق ، وعليه فانه من الاهمية بمكان تواجده فيه لادارة شئون مملكته الجديدة ، وخاصة بعد وفاة زوجته الوريثة الشرعية لبيت المقـدس .

ثالثـا : نداءات البابوية المتكررة له ، بالخروج بالحملة الى الشرق والتى وعد بها فى سنة ١٢١٥ م ، وقد اعتذر الامبراطور عن الخروج أربع مرات (٧٤) ، ليؤجلهـا الى ميعاد آخر فى كل مرة ، فكان عليـه أن يثبت حسن نواياه تجاه البـابوية « ليس بالأموال ولكن بالأعمال » وخاصة بعد أن صدرت ضـده قرارات الحرمان وبهذا فقط يسـتطيع أن يتفادى هجمات البابوية وربما تحول أسلحة البابا ضد البابا نفسه (٧٥) .

رابعا : ربما يكون الامبراطور فردريك ، قد اعتبر نفسـه مسئولا عن فشل الحملة الخامسـة ومن ثم أخذ على عاتقه مهمة استرداد القدس ، بأى وسيلة والتكفير عن خطاياه .

خامسا : ما يذكره بعض المؤرخين من أنه كان على كل حاكم أن يجدد شبابه فى الأرض ذات الشمس المشرقة ، ومن ثم يعود متوجا بالعظمة ، لبناء قوته الغربية (٧٦) ، ومن هذا المنطلق خـرج الامبراطور فردريك الى الشرق .

سادسا : لاشك أن هـدف الأباطرة الألمان عموما ، تحقيق امبراطورية واسعة مترامية الأطراف ، تضـم الشرق الاسلامى ، والدولة البيزنطيـة وغرب أوربا وهذا ما سـعى اليـه كل من الامبراطور فردريك الأول ، وهنرى السـادس وكذلك فردريك الثـانى .

وبعد استعراض هذه النقاط مجتمعة يمكن ادراك أسـباب تحرك الامبراطور فردريك الثانى الى الشرق .

وهكذا كان للأحوال السياسية فى الشرق الاسلامى والغرب الأوربى ، دور هام فى التقارب على نحو ما سبق الاشارة اليه ، فالامبراطور فردريك الثانى استطاع أن يحصل على موافقة مبدئية من الملك الكامل على منحه الفتوح الصلاحيـة ، وهذا ما سـعى اليه الغرب الأوربى ، ومن ورائه البابوية .

وقد لعبت الظروف أيضا دورا هاما وكبيرا فى تصاعد الخلاف بين البابا والامبراطور ، الى حد أن أصدر الأول عدة قرارات بحرمان الامبراطور من الكنيسة ، وبالرغم من هذا فقد صـمم الامبراطور على الابحار الى الشرق ، ضاربا بقرارات البابوية عرض الحائط (٧٧) ،

وسوف تبرز الأحداث النجاح الذى حققه الامبراطور بالشرق ، بعيدا عن عطف ومساندة البابا ، وقد استطاع البابا أن يضع حدا لنزاعه مع الامبراطور ، فحدث نوع من التقارب بينهما بعد عودة الامبراطور الى الغرب الأوربى ، ولكن هذا التقارب ، كان الى حين ، فى نفس الوقت الذى كان فيه الامبراطور حريصا على اتصالاته الديلوماسية مع المسلمين بالشرق من ناحية ، والحفاظ على مملكته الصليبية من ناحية أخرى ، على النحو الذى سيأتى تفصيله .

الامبراطور فردريك الثـانى فى الشرق :

رحل الامبراطور فردريك الثانى من برنديزى، فى ٢٨ يونيو عام ١٢٢٨ ، ومعه اسطول مكون من أربعين سفينة تحت قيادة أمير البحر « هنرى أف مالطة » Henry of Malta وكذلك رئيس الأساقفة « بيراد أف بالرمو » Berard of Palermo والياوران الملكى ، وهو أحد أبنـاء صقليـة ـ وأيضـا « يعقوب الكابوى » Jacob of Capua ، وقد صـحب الامبراطور بعض المسـلمين كأستاذه الذى كان يعلمه اللغة العربية (٧٨) وقد قدر بعض المؤرخين رجال الامبراطور فردريك بستمائة فارس (٧٩) .

أخـذ الامبـــراطور فردريك الطـريق البحرى فى طـريقه الى الشرق (٨٠) ، فوصل الى ميناء ليماسول بقبرص فى ٢٠ يوليو ١٢٢٨ م (٨١) ، وارسل الى « حنا دى برين » رسالة (٨٢) ، يشرح له فيها مهمته التى جاء من أجلها (٨٣) ، مما ترتب عليه أن استقبله « توما الاكوينى » و « ريتشارد فلانجييرى » وباليان سيد صيدا ورحبوا به فى قبرص أيمـــا ترحيب (٨٤) ، ومكث فيها أيـــاما ، لعمل بعض الترتيبات الخاصـة ، التى يمكن أن تساعده فى مهمته بالشرق ، فعين نائبا صقليا عنه فى قبرص ، وكذلك بعض الموظفين الماليين بهـا ، لجمع الضرائب والدخل (٨٥) ، ثم تحرك الامبراطور

فردريك الثانى من قبرص فى ٣ سبتمبر ١٢٢٨ م الى عكا فوصلها فى السابع من سبتمبر ١٢٢٨م (٨٦)، بدون قوات عسكرية (٨٧) .

وهكذا وصل الامبراطور الى عكا تنبيه لدعوه الملك الكامل محمد سلطان مصر ، وفى هذا الصـدد يحسن بنـا أن نتعرض لما كانت عليه أحوال المنطقة غداة وصوله اليها حتى تتضح الصورة ازاء ما تتعرض له الحملة من تطورات ، وفى مقدمه هذه الاحوال يأتى موقف البابا وما نجم عنه من آثار .

يذكر بعض المؤرخين أن البـابا حاول منـع الامبراطور من القيام بالحمله الى الشرق ، بعد أن صدر ضده قرار الحرمان ، اذ كان البابا يرى أنه لا يمكن لامبراطورا محروم من الكنيسة أن يقود حملة صليبية ، كمـــا وصف هذه الحملة بأنهـــا حمـــلة قراصنة (٨٨) ، ولم يكن أمام الامبراطور الا أن يستمر فى هدفه ولا يلقى بالا للبابوية ، فوصل الى عكا ، ومن هنـــاك أرسـل الى البابا ليعلنه عن وصوله ، وكلف « دوق سبوليتو » بالقيام بالصلح مع البابا ويتفاوض معه من أجل رفع الحرمان عنه (٨٩) ، وكان رد فعل البابا أن شـن حـربا لاهوادة فيها ضـــد الامبراطور (٩٠) فى أوربا والشرق ، وقد كلف البـــابا كاتبـــه (٩١) بأن يكتب الى السلطان الكامل محمد ، بألا يمنح المملكة فى بيت المقدس الى الامبراطور ، وأن يدمره ويحـــاربه (٩٢) ، اذ أن البـــابا اعتبره شريرا ويجب قتله (٩٣) ، ويعلل بعض المؤرخـين موقف البابـوية هذا ، بأنه اذا نجح الامبراطور فى قصده بالشرق معناه أن الله حكم ضد البابوية فى النزاع بينهما وبين الامبرطور ، وكان من السهولة بمكان أن يصدق الناس خيانة البابا (٩٤) .

ولم تكتف البابوية بذلك بل أرسلت رسائل الى الصليبيين بالشرق ، حتى لا يساعدوا هذا الامبراطور المحروم من الكنيسة ،

فقد أرسلت مبعوثين من الفرنسيسكان ، الى الصليبيين بالشرق والى قادتهم مثل بطريق بيت المقدس ، ولجميع المؤمنين (المخلصين) تخبرهم بأمر الامبراطور المحروم وأنه يجب عدم التعاون معه (٩٥) .

ولاشك أن هذا الأسلوب التى اتبعته البابوية ضد الامبراطور فردريك الثانى قد أثر بشكل مباشر على موقف الصليبيين بالشرق تجاه الامبراطور ، فقد انقسموا الى قسمين ، وقف أحدهما بجانب الامبراطور ، والآخر وقف ضده .

أما الفريق الذى وقف بجانب الامبراطور فبعضهم الذى أرسلهم من الامبراطورية الرومانية المقدسة الى عكا ، مثل كونت « أكيرا » Acerra حتى يستعد لاستقبال الحملة ، كما وصلت قوة حوالى ثمانمائة فارس وعشرة آلاف من المشاة ، فى فصل شتاء ١٢٢٧ م / ١٢٢٨ م (٩٦) كما أرسل الامبراطور ، ريتشارد الفلانجيرى بحوالى خمسمائة فارس فى ابريل ١٢٢٨ م (٩٧) . ولكن هذه القوات ، لم ترغب فى الدخول فى حرب ضد المسلمين لحين وصول الامبراطور (٩٨)، واقتصر نشاط بعضهم على تحصين بعض المناطق ، مثل دوق « ليمبرج » الذى توجه ليعيد تحصين قيسارية ويافا (٩٩) ، وكان قد حطم الملك المعظم عيسى أسوارهما سنة ١٢٢٠ م كما اتجه جزء من القوة الألمانية أيضا ، لمساعدة الفرسان التيوتون فى بناء قلاعهم الجديدة فى « مونتفرات كوران » Qalat Alqurain Montfort Kurain (القرين شمالى شرق عكا) اذ أصبحت منطقتهم الرئيسية (١٠٠) ، فى الوقت نفسه الذى رجع بعضهم الى ألمانيا ، وخاصة عندما علموا بتأجيل حملة الامبراطور فردريك (١٠١) لتوقيت تالى .

أما عن الصليبيين بالشرق الذين رحبوا بالامبراطور فردريك الثانى فى البداية فمنهم فرسان القديس « يوحنا » John ، فقد ركبوا أمام الامبراطور المحروم من الكنيسة (١٠٢) ، وكذلك الفرسان التيوتون وقائدهم « هيرمان اف سالزا » Herman Von Salza ، قد أبدوا ارتياحهم للامبراطور (١٠٣) ، فضلا عن تأييد « الجنوية والبيازنة » Genoese & Pisans (١٠٤) وكذلك جماهير الحجاج الذين لعنهم البابا .

أما عن الجماعات التى لم تمد له يد العون ، بل ووقفت ضده فهى تلك التى استجابت لرسائل البابوية، والتى أرسلت خصيصا لخلق جبهة معارضة ضد الامبراطور فردريك المحروم ، حتى لا يستطيع تحقيق ما خرج من أجله ، فنصف الحجاج الصليبيين وخاصة الفرنسيين والانجليز ، قد عارضوا الامبراطور كما أن هناك بعض القوات غيرت رأيها بعد أن وصلتها رسائل من البابوية ، فرجال الدين ركزوا على هدف واحد هو اعاقة الامبراطور المحروم من الكنيسة واحباط عمله (١٠٥) ، علاوة على أن الاسبتارية والداوية قد غيروا رأيهم ، فبعد أن كانوا بجانب الامبراطور تحولوا الى موقف حيادى امتثالا لأمر البابا (١٠٦) ، وخاصة بعد أن أرسل البابا الى « جيرولد » Gerold بطريرك أورشليم ، يحثه فيها على الوقوف ضد الامبراطور (١٠٧) ، أما بخصوص بوهيمند أمير أنطاكية وطرابلس ، فكان أقل الأمراء قلقا واضطرابا ، لانه لم يعترف بالسيادة للامبراطور فردريك ، وأعترف بها للامبراطور البيزنطى (١٠٨) .

ومن ثم فقد انقسم الصليبيون بالشرق ما بين مؤيد للامبراطور ومعارض له ، أما المؤيدين فقد كان معظمهم من أهالى صقلية والألمان الجنوية والبيازنة ، وبالنسبة للمعارضين الذين سبق ذكرهم فان الامبراطور لم تكن لديه القدرة على اخضاعهم له (١٠٩) ·

ومن أجل أن يتجنب الامبراطور الفوضى – التى يمكن أن تعم الصليبيين بالشرق عامة ، فقد أعطى القيادة الأسمية للسيد الكبير « هيرمان اف سالزا » والمارشال « ريتشارد الفلانجييرى » والكندسطبل (١١٠) بالمملكة « أودو اف مونت بيليارد » Odo of Montbeliard ، حتى لا يكون هناك أحد فى حاجة الى أن يطيع امبراطورا محروما من الكنيسة وليس هذا فحسب ، ولكن أذعن الامبراطور لطلب الفرسان الداوية ، بأنه يجب أن تصدر الأوامر « باسم الله تعالى والمسيحية » وليس بالاسم الامبراطورى (١١١) ·

هذا عن موقف البابوية بالغرب والصليبيين بالشرق عندما وصل الإمبراطور فردريك الثانى الى عكا ، أما بالنسبة للمسلمين ببلاد الشام فقد سبق أن فصلت العلاقات بين الملك المعظم عيسى سلطان دمشق والملك الكامل سلطان مصر ، وكيف أدى هذا الى استعانة كل منهما بحليف خارجى ، وقبل أن يستجيب الحليفان ، مات الملك المعظم عيسى فى نهاية سنة ٦٢٤ هـ / نوفمبر عام ١٢٢٧م ، فأنتهى بذلك أمر أكبر منافس للملك الكامل ·

وتولى بعده المعظم عيسى ابنه الناصر صلاح الدين داود ، فأرسل اليه عمه الملك الكامل سنة ٦٢٥ هـ يطلب منه قلعة الشوبك ، الا أن الناصر رفض مما أغضب الملك الكامل (١١٢) · فخرج من مصر فى شهر رمضان ٦٢٥ هـ ، الى الشام ونزل على تل العجول بظاهر غزه ، وولى « ابن يوسف » على نابلس والقدس·

وغيرها من بلاد الناصر داود ، ابن أخيه (١١٣) ، وقد أرسل الملك الناصر داود « الفخر بن بصاقه » الى عمه الملك الأشرف موسى ليستدعيه الى دمشق ، ليضع حدا لأطماع الملك الكامل ، هذا وفد حضر الأشرف الى الناصر داود ، ونصحه بمداراة عمه الملك الكامل (١١٤) ، وقد أخبر الملك الأشرف أخاه الملك الكامل ، بأنه جاء لحماية دمشق من الفرنج ، الا أن الكامل قرر الرجوع الى مصر ، وقال « لست بالذى يقال عنى انى قاتلت أخى أو حصرته حاشا الله تعالى » (١١٥) ، ولكن الملك الأشرف منعه من ذلك وأقنعه بأن الوضع فى حاجة الى وجوده ببلاد الشام (١١٦) ·

هذا هو الوضع بين الأخوين ولدى الملك العادل ، عندما وصل الامبراطور فردريك الثانى ، الى بلاد الشام ، فها هما الأشرف والكامل متفقان على كلمة واحدة ، وأما عدوهما – الملك المعظم عيسى بيت القصيد – فقد مات وتولى ابنه الناصر داود ، وعليه فقد أصبح الموقف فى بلاد الشام يتسم بالهدوء لأن ابن المعظم عيسى ، لا يمثل خطرا على عميه (١١٧) ، فى حين أن الامبراطور ، جاء بناءا على استغاثة الملك الكامل ضد جلال الدين الخوارزمى ، الذى استعان به المعظم ، واذا كان الوضع أضحى فى غير حاجة الى الحليفين ، فماذا هو موقف كل منهما ازاء الآخر ؟

المفاوضات بين الامبراطور فردريك الثانى والملك الكامل الأيوبى فى الشرق واتفاقية يافا :

يذكر بعض المؤرخين أن الامبراطور فردريك الثانى ، بمجرد وصوله الى عكا ، أخبر السلطان الكامل بوصوله ، وذلك عن طريق القائم بأعمال الوصايا السورى الكونت « توما الآكوينى » Thomas of Aquino (١١٨) ، وباليان سيد صيدا (١١٩) ·

هذا وقد شعر المسلمون بداية ، أن الامبراطور فردريك ، قد جاء بحشود لا حصر لها ، وكانوا خائفين ، لكنهم اكتشفوا أن خوفهم لا أساس له ، فقد حشد الامبراطور فى عكا حوالى عشرة آلاف حاج وألفا من الفرسان ، ولا يمكن أن يثق فى هذه القوة الضعيفة (١٢٠) ، وعلى أية حال فقد استقبل الملك الكامل سفيرى الامبراطور فردريك ، فى نابلس وعقد معهما مقابلة • وكان على الملك الكامل أن يرد على هذه السفارة ، فأرسل من قبله سفيرين هما : الأمير فخر الدين يوسف بن حمويه ، وصلاح الدين الأربلى (١٢١) ، ومعهما هدايا ثمينة تتمثل فى قماش عربى ، وفيل (١٢٢) ، وجمال سباق « هجانة » وبغال عربية ، وقد وصلت هذه السفارة عند الامبراطور الذى كان معسكرا فى قلعة « ريكوردان » Ricordance بالقرب من نهر « بيل » Bel بنابلس (١٢٣) •

ويذكر البعض نقلا عن تاريخ هرقل مادار بين البعثة السلطانية وبين الامبراطور فردريك الثانى ، من مناقشات ، وخاصة الحديث ، بين فخر الدين والامبراطور ، والذى بدأه مندوب الكامل بقوله « سيدى ، لقد طلبتم الى السلطان أن يتخذكم صديقا وأخا ، لذلك فهو يطلب اليكم الا تطالبوه بأشياء يعجز عن اجابتها ، أما اذا أردتم التقدم باقتراحات عملية فهو على أتم استعداد لمناقشتها ، وبالنسبة لما تقدم به مندوبكم ، فالسلطان يرى أنه طلب مستحيل ، ليس لقيمته المادية ، وانما لما قد يصاحبه من لوم وخاصة وأنكم تعلمون أن المسلمين يعتبرون المسجد الأقصى بيتا مقدسا من بيوت الله ، مثلما يعتبر المسيحيون كنيسة القيامة بيتا مقدسا ، لذلك لا يمكنه اجابتكم الى طلبكم مخافة أن ينصب عليه غضب المسلمين ، ويعتبره الخليفة خارجا عن القانون وكافرا (١٢٤) » •

ومن ثم يمكن القول بأن البعثة التى أرسلها الامبراطور حال وصوله الى الملك الكامل ، قد حملت فى جعبتها طلبات الامبراطور فردريك الثانى التى قد وعده بها الملك الكامل من قبل (١٢٥) ، ولما كان الأمير فخر الدين حريصا على استمرار العلاقة الطيبة بينه وبين الامبراطور من ناحية ، وكذلك على استمرار المفاوضات بين الامبراطور والملك الكامل من ناحية أخرى ، فقد طلب الأمير من الامبراطور ، أن يرسل معه « توما الأكوينى » ثانية وكذلك باليان ، حتى يساعدهما فى الوصول الى تقدم فى المفاوضات مع الملك الكامل (١٢٦) •

وقد رجعت السفارة الكاملية وبصحبتها سفارة الامبراطور فردريك ، تطلب من الملك الكامل الوفاء بالوعود التى وعدها للامبراطور فردريك ، والتى تتخلص فى اعادة بيت المقدس ومعظم الفتوح الصلاحية (١٢٧) •

وقد حملت معها هذه السفارة رسالة الى الملك الكامل ، هذا نصها « الملك يقول لك كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيىء ولا أجيء اليهم ، والآن فقد كنتم بذلتم لنائبى — فى زمن حصار دمياط — الساحل كله واطلاق الحقوق بالاسكندرية وما فعلنا ، وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم واعادتها اليكم ، ومن نائبى ؟ ان هو الا أقل غلمانى ، فلا أقل من اعطائى ما كنتم بذلتموه له » (١٢٨) •

وهكذا طلب الامبراطور من السلطان الكامل ، تسليم ما سبق أن وعده به ، ويعتبر الامبراطور نفسه ليس أقل من نائبه الذى كان بدمياط فى الحملة الخامسة ، والذى عرض عليه الملك الكامل أكثر من مرة تسليم الفتوحات الصلاحية (١٢٩) •

ومهما يكن من أمر فقد أمر الملك الكامل الأمير فخر الدين بالمماطلة في المفاوضات مع الامبراطور فردريك ، ثم تحرك الى تل العجول بغزه (١٣٠) حتى يكون بعيدا عن سفيرى الامبراطور ٠

لكن بعد أن عرف الامبراطور فردريك أن المفاوضات بهذه الصورة لا تجدى فكر في عمل شيىء يمكن أن يدفع الملك الكامل لكى ينهى هذه المفاوضات ويفى بما سبق قد وعده به ، وكان اللجوء الى القتال هو الوسيلة الوحيدة ٠ وقد استطاعت الجموع الصليبية بادىء ذى بدء ، أن تستولى على صيدا ، التى كانت مناصفة بين الصليبيين والمسلمين وطردوا منها الحاكم المسلم ، وعمروها سنة ٦٢٥ هـ / ١٢٢٨ (١٣١) ، ثم خرج الامبراطور من عكا وعسكر ما بين قيصرية ويافا (١٣٢) في نوفمبر عام ١٢٢٨ م ، وقد استعد لشن حرب ضد القدس وقيسارية ويافا ، بعد أن أعلن بان الأوامر ستصدر « باسم الله والمسيحيين » كما سبق القول ، في الوقت الذى أرسل فيه الامبراطور الى هنرى حاكم مالطة ، ليرسل له عشرين سفينة حربية (١٣٣) كما عسكر الحجاج قرب يافا (١٣٤) ، الذين وصل عددهم كما يذكر البعض – الى ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس ، وعشرة آلاف رجل (١٣٥) انتظارا للأوامر العسكرية للتحرك ٠

ومما يجدر ذكره انه بالرغم من أن الاسبتارية و « المونتاى » Montaigi وبرتراند « أف سيزى » Bertrand of thessy رفضوا مساعدة الامبراطور المحروم ، الا أنهم تبعوه فى الطريق من عكا الى يافا خشية هجوم اسلامى عليه (١٣٦) ٠

هذا وقد بدأت قوات الامبراطور فى عمل تحصينات الدفاع فى يافا من ٢٥ نوفمبر عام ١٢٢٨ م (١٣٧) ، وعلى أية حال فقد

قام الصليبيون الألمان بنهب كثير من القرى الاسلامية ، واشترط الملك الكامل أخذ تعويض من الامبراطور عن الخسائر التى لحقت بهذه القرى ، لدفع عملية المفاوضات (١٣٨) ، وخاصة بعد أن حدث لها نوع من الركود ، اذ أن الملك الكامل أخذ يماطل وصمم على توقفها ٠

وفي الواقع كانت فترة توقف المفاوضات صعبة جدا على الامبراطور فردريك ، فيذكر البعض انه كان يبكى بغيظ وحزن ، وفكر في العودة الى أوربا اذ قال « بدأت أسعى من أجل السلام واتفاقيات ثم أسرعت بالاعداد لعودتى وأنا أخفى ألمى خلف ملامح مبتهجة حتى لا ينتصر العدو أو يفرح » (١٣٩) ذلك لأن الامبراطور لم يأت بجيش يمكن أن يواجه به المسلمين ، كما أنه مطرود من رحمة الكنيسة التى أثرت على عدم استجابة كثير من الصليبيين بالشرق للانضواء تحت لوائه ، ولا يخفى على أحد أن الملك الكامل ، كان يعلم بكل جوانب هذه القضية ، ومن هذا المنطلق بدأ يماطل مع حليفه وصديقه ، وخاصة عندما عصفت الرياح بالسفن التى بها امدادات للامبراطور بالشرق (١٤٠) ، بالاضافة الى معرفته بأن البابا احتل بعض المدن التابعة له فى الغرب (١٤١) ٠

وأيا كان الأمر فان الرسائل بين الامبراطور فردريك، والملك الكامل لم تنقطع ، فأرسل الى الملك الكامل رسالة ، يقول فيها « أنا عتيقك وتعلم انى أكبر ملوك الفرنج وأنت كاتبتنى بالمجىء ، وقد علم البابا والملوك باهتمامى ، فان رجعت خائبا ، انكسرت حرمتى، وهذه القدس هى أصل دين النصرانية وأنتم قد خربتموها، وليس لها دخل طائل ، فان رأيت أن تنعم على بقبضة البلد لترتفع رأسى بين الملوك وأنا التزم بحمل دخلها لك (١٤٢) ٠

وفي هذا الصدد استطاع الأمير فخر الدين يوسف أن يخرج هذه المفاوضات من مرحلة الجمود التى وصلت اليها ، اذ رأى

أن مبعوث الامبراطور فردريك الى الملك الكامل لم يعد مقبولا عنده ، ومن ثم طلب الأمير فخر الدين أن يرسل « توما الأكويني » و « باليان » سيد صيدا الى الكامل ليتفاوضا معه ، في ذات الوقت الذي يقوم فيه الأمير فخر الدين بالتفاوض مع الامبراطور ، ذلك في أوائل فبراير عام ١٢٢٩ م / ربيع ٥٢٦ هـ ، وقد استطاع الطرفان أن يصلا الى صيغة نهائية للاتفاق بينهما ، وكان لذلك دوافعه .

فبالنسبة للامبراطور فردريك الثاني ، وقفت البابوية ضده بالمرصاد ونقلت ميدان الصراع بينهما وبين الامبراطور ، من أوربا الى الشرق ، ومن ثم أصبحت القضية عندها ، ليست قضية صليبية ، ولكنها قضية امبراطور عاق ، وعليه فكان من الضروري أن يثبت الامبراطور وينجح فيما أتى من أجله ، هذا فضلا عن أن البابوية استطاعت أن تجند كثيرا من الصليبيين بالشرق للوقوف ضد الامبراطور ، مما جعل الفرقة تسري سير النار في الهشيم بين الصليبيين ، ولم يكن هذا يخاف على الامبراطور ، ولاما قامت به البابوية من الاعتداء على ممتلكاته في أوربا ، مما جعله في موقف قلق ، زد على ذلك انه لم يكن بامكانه الدخول في حرب ضد المسلمين ، ذلك لأنه لم يجد من الصليبيين المساعدة الكافية ، وأهم من هذا كله ، ربما يكون الامبراطور قد عرف عن استنجاد الملك الناصر داود ـ ابن المعظم عيسى ـ بالخوارزمية (١٤٣) ، الأمر الذي سيدخله في صراع وصدام مع قوة لا قبل له بها ، لذلك نجد الامبراطور ينحاز الى جانب الناصر داود ، ويعضد سياسته العدائية ضد عميه الكامل والأشرف (١٤٤) .

أما بالنسبة للملك الكامل ، فقد اتفق مع أخيه الأشرف موسى ، على انتزاع دمشق من ابن أخيه الناصر داود ، وقام الأشرف بمحاصرة دمشق سنة ٦٢٦ هـ (١٤٥) ، الأمر الذي دفع الملك

الناصر داود ، أن يرسل الشيخ « شمس الدين الخسروشاهي » رسولا الى السلطان جلال الدين خوارزم شاه ، يخبره بما تم الاتفاق عليه بين أعمامه لانتزاع الملك منه (الناصر داود) ، بسبب اتفاق والده معه ، ومن ثم يحث الناصر داود ، السلطان جلال الدين لتدارك الموقف ، ويهاجم خلاط « ليشتغل سر الملك الأشرف وليندفع عنه شره » على حد تعبير ابن واصل (١٤٦) .

وهكذا أصبح الملك الكامل في عداء مع ابن أخيه الذي استنجد بجلال الدين ـ كما فعل والده من قبل ـ ومن المرجح أن الناصر بمفرده كان لا يشكل خطورة على الملك الكامل ، الذي كان يخشى جلال الدين فاذا أتى الأخير فلا مناص من الدخول معه في حرب ، اذ كان حينئذ في عكا ، ولا يستبعد أن يهاجم المسلمين فالكامل يدرك تماما أن الامبراطور ليس معه جيش كاف لشن حرب ضد المسلمين ، لكن لم يكن يخاف عن الملك الكامل ما يمكن أن تقدمه قبرص للامبراطور من مساعدات (١٤٧) ، وخاصة بعد أن أصبحت تحت قيادته ، ومن ثم فان الكامل اذا استمر على هذا الوضع وفي حالة السكون هذه ، يمكن أن يصبح في وضع لا يحسد عليه ، بين ابن أخيه الناصر داود من ناحية ، وجلال الدين الخوارزمي من ناحية ثانية والامبراطور فردريك الثاني من ناحية ثالثة ـ وعليه فقد كان لابد أن يفكر في مهادنة أخطر وأقوى هؤلاء جميعا ، وهو الامبراطور فردريك الثاني ، حتى لا يدخل في حرب معه (١٤٨) ، وخاصة بعدما أيقن الكامل أن هناك عدوا يمكن أن يستقطبه الامبراطور الى جانبه ، الا وهو السلطان جلال الدين .

ولم تكن هذه الظروف التي دفعت الكامل وفردريك لأن يلتقيا فحسب ، ولكن ما حدث من تقارب فكري وثقافي كان له أثره في تقارب وجهات النظر ، والذي يتضح من خلال العلاقة بين الامبراطور والملك الكامل طيلة سبع سنوات ، بالاضافة الى الأحاديث

التى أجراها الامبراطور مع الأمير فخر الدين ، والتى كانت تتسم بالصداقة المتبادلة ، اذ حادثه عن حكماء العرب والشاعر المتنبى وعن الدين الاسلامى ، وكذلك عن الجنة والنار والروح ، وعن « عين الحسود » التى يطلق عليها اللون الأزرق ، كما أنه انبسط معه وفتح له مسائل أخرى مثل « الخلافة والبابوية » (١٤٩) ، فقد سأل الامبراطور الأمير فخر الدين ، عن الخليفة ما أصله ، فقال له فخر الدين « هو ابن عم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أخذ الخلافة عن أبيه ، وأخذها أبوه عن أبيه ، فالخلافة مستمرة فى بيت النبوة لا تخرج منهم ، فقال الامبراطور « ما أحسن هذا ، لكن هؤلاء القليلو العقول يعنى الفرنج ـ يأخذون رجلا من المزبلة ، ليس بينه وبين المسيح نسبة ولا سبب جاهلا منما ، يجعلونه خليفة عليهم ، قائمقام المسيح فيهم ، وأنتم خليفتكم ابن عم نبيكم ، فهو أحق الناس بمرتبته » (١٥٠) ٠

وكذلك تناقش الامبراطور مع الأمير فخر الدين ، فى أسئلة فى الحساب والمنطق والادارة والطب (١٥١) ، وفروعا أخرى من المعرفة مكنته من أن يحول أى حديث الى المجالات الفلسفية العزيزة الى القلب الشرقى ، فنجح نجاحا كاملا فى ذلك ، وبدأ يتحرك بين الأمراء المسلمين بلباقة اجتماعية تامة لرجل العلم الكيس (١٥٢) ٠ ويذكر بعض المؤرخين ، أن الامبراطور بدأ بنفسه فى كسب صداقة شخصية مع المسلمين فهو لم يأت بحثا عن الغزوات ، ولكن ليستولى سلميا على بعض المناطق وقد سبق قول فردريك « كان يجب أن لا أبحث عن كسب مثل هذه الاتفاقيات من السلطان لو لم آكن خائفا من فقد نفوذى بين الفرنجة » (١٥٣) ٠

ومن ثم فقد بدأ الامبراطور فردريك أكثر قلقا ليتعلم كل شئ عن عاداتهم واكتشافاتهم وأفكارهم ، أكبر من أخذ القدس منهم (١٥٤) ، ويؤكد هذا قول بعض المؤرخين نقلا عن المستشرق

الايطالى « فرانشسكو جابريلى » لم يكن فردريك يقتصر على الاتصال بالعلماء المسلمين فى حاشيته ، بل كان يتصل بالعلماء الشرقيين عن طريق الرسائل لحل المشاكل العلمية والرياضية والطبيعية والفلسفية وغيرها ، ومن هؤلاء علم الدين الحنفى أستاذ الرياضة المصرى الذى كان فى خدمة الملك الكامل الأيوبى ، واختير لحل المشاكل الرياضية التى تحداها بهم فردريك (١٥٥) ٠

ومجمل القول أن الامبراطور فردريك كان داهية ، الى الحد الذى يستطيع به أن يحقق الكثير ، بالأسلوب الدبلوماسى من خلال صداقته ، ومراسلاته السرية التى يمكن أن يحرز به ما يصعب تحقيقه بالمراسلات العلنية ٠

وكان الملك الكامل يقدر هذا الأسلوب ، فهو يعشق النقاش مع المتعلمين عن فلسفة التشريع ، وقواعد اللغة ، وهى أشياء يحبها العرب ، وكان هو نفسه شاعرا ، ولا تزال بعض أشعاره باقية ، وكان معه فى قلعة الجبل خمسون عالما يجلسون وينامون فى ديوان حول عرشه ليزودهم بمحادثاته المسائية ، كما أنه كان ينفق ماله بطيب خاطر فى تعزيز التعليم ، اذ أسس مدرسة فى القاهرة لدراسة الأحاديث النبوية ، وأخرج مرتبات للفقهاء **Juristis** ، هذا وقد كان الكامل اداريا يستحق الاعجاب ، حيث كان يراجع الدخل الحكومى من الضرائب ، بالاضافة الى انه أخترع أنواعا جديدة من الضرائب (١٦٥)٠

على أية حال لم يرغب الملك الكامل فى الدخول فى صدام مع الامبراطور فردريك فى هذه الظروف ، وخاصة عندما وصلت درجة الاستعطاف بالامبراطور أن جرد نفسه من أسلحته الشخصية ، وأرسلها الى الملك الكامل ، وهى عبارة عن : الخوذة ، والسيف ودرع الرأس (١٥٧) رغم أن البعض اعتبر هذا الأسلوب، هو أسلوبا استفزازيا من جانب الامبراطور (١٥٨) ٠

وفى النهاية وخلال المراسلات السرية بين الامبراطور والملك الكامل أرسل الأخير خطابا الى الامبراطور مع الأمير « فخر الدين » و « توما الأكوينى » و « باليان » فى ١١ فبراير عام ١٢٢٩ م / ١٥ ربيع الأول ٦٢٦ هـ ، وبه بنود الاتفاقية (١٥٩) ، ولم يجد الكامل بدا من المهادنة (١٦٠) ، وقد وافق الامبراطور على هذه البنود فى الأحد ١٨ فبراير عام ١٢٢٩ / ٢٢ ربيع الأول ٦٢٦ هـ، ووقعت معاهدة الصلح بين الجانبين ، حضرها من الجانب الاسلامى ممثلوا الكامل ، الأمير فخر الدين بن شيخ شيوخ ، وصلاح الدين الأربلى ، ومن الجانب الامبراطورى مقدم الفرسان التيوتون « هيرمان أف سالزا » وأسقفا اكسترا وونشستر (١٦١) ، ثم حلف عليها الملك الكامل والامبراطور فردريك (١٦٢) وتتضمن بنود فحواهـا .

أولا : يسلم السلطان الكامل بيت المقدس الى الامبراطور فردريك وضباطه وحاشيته ، وينظمها وفقا لارادته (١٦٣) ، كما سلم بيت لحم ، وكل القرى على الطريق من عكا الى القدس ومن عكا الى يافا وأرض تورن وملحقاتهم (١٦٤) ، علاوة على صيدا وقيصرية ، كما يمكن للامبراطور تحصين هذه المناطق .

ثانيا : يكون الحرم الشريف بما حواه من منطقة معبد سليمان والمسجد الأقصى ومسجد عمرو ، للمسلمين ، ولا يدخله الفرنجى الا للزيارة (١٦٥) أيا كان جنسيته ، ويمارس فيه المسلمون شعائرهم ، دون اعتراض . أما مفاتيح الأبواب فى المنطقة المحيطة فتبقى فى أيدى المقيمين من المسلمين ، وذلك لصيانتها والاهتمام بالمنطقة (١٦٦) ، ويقيم الوالى على المسلمين فى هذه المنطقة « بالبيرة » (١٦٧) .

ثالثا : أن يكون هناك سلام بين الامبراطور فردريك الثانى والملك الكامل محمد لمدة عشر سنوات (١٦٨) . بالتقويم الأفرنجى ،

أى عشر سنوات وأربعين يوما بالتقويم الهجرى (١٦٩) ، اعتبارا من ٢٤ فبراير عام ١٢٢٩ م / ٢٨ ربيع الأول ٦٢٦ هـ (١٧٠) .

رابعا : ان أى أفرنجى مؤمن مخلص ، يطلب دخول معبد الرب ، بقصد الصلاة ، سوف يسمح له بذلك وان لم يكون مؤمنا مخلصا فلا يسمح له بالزيارة فى أى جزء من المنطقة (١٧١) .

خامسا : تعهد الامبراطور أنه لن يقدم المساعدة لأى فرنجى ، مهما كان أو أى شرقى ، فى مخالفة النائب ، أو ضد المسلمين ، طول مدة المعاهدة واذا قامت الحرب يتعهد الامبراطور بأنه لن يساعد أى جيش ولن يحالف أى طرف له دور فى الصراع ، لا بالرجال ولا بالمدد (١٧٢) ، وأن يمنع أية حملة أوربية من المجىء الى الشواطىء الأوربية بمصر والشام (١٧٣) .

سادسا : اذا حدث نزاع بين مسلم ومسلم آخر فى القدس ، فيحاكم أمام محكمة اسلامية أما المسيحيون فيحاكمون أمام محكمة مسيحية (١٧٤) .

سابعا : اطلاق سراح الأسرى بين الطرفين ، وبخاصة الأطفال الذين أسروا من حملة الأطفال سنة ١٢١٢ م (١٧٥) .

ثامنا : اشترط المسلمون لتسليم بيت المقدس لفردريك أن لا يحدث به أى تجديد فى سوره ، وأن يبقى كما هو على حاله خرابا (١٧٦) .

تاسعا : اذا نقض أى صليبى هذه الاتفاقية ، والموضوعات المذكورة فى هذه الهدنة سوف يحرمهم السلطان من الامتيازات الممنوحة لهم (١٧٧) .

عاشرا : طرابلس وأقاليمها ، وحصون طرطوس ، والمرقب وأنطاكية ، سوف تترك على وضعها ، والامبراطور يحذر اتباعه وقواته المقيمين فى تلك المناطق من التعامل مع أمراء تلك المدن (١٧٨) ذلك لأنها لم تدخل الاتفاقية ·

ويتضح من هذه البنود أن الامبراطور فردريك الثانى استطاع أن يحصل على الكثير مما لم يتيسر لسابقيه من أمراء وأباطرة أوربا ، أن يحصلوا عليها بالطريقة التى لم يفكر فيها أحد من ملوك أوربا ابان الحروب الصليبية الا وهى الأسلوب الدبلوماسى ·

موقف المسلمين والصليبيين والبابوية من الاتفاقية :

أما عن الموقف الاسلامى العام من الاتفاقية ، فقد أصدر الملك الكامل وأوامره للمسلمين بالانسحاب من القدس ، « ونودى فى البلد بخروج المسلمين فخرجوا ووقع الضجيج » (١٧٩) وكان لكل طرف من الأطراف موقفه ·

فالملك الأشرف موسى كان على صلات طيبة بأخيه الملك الكامل ، ويذكر البعض أن الملك الكامل بعث ، ابان المفاوضات بينه وبين الامبراطور ، الأمير « سيف الدين بن قلج » بصورة رسالة الامبراطور ، الى أخيه الملك الأشرف ليقول ما عنده فيها ، وكشفت اجابة الأشرف عن تأييده المطلق لسياسة أخيه السلطان الكامل ، اذ قال الأشرف لرسول الملك الكامل«ياسيف الدين ما يقول عبد مملوك هو وجماعته ، مهما رسمه السلطان الكامل ، كان ، لأنه هو سلطان البلاد ، ولا يخرج أحد عن أمره ، بل تسأله اتفاق الكلمة ليجمع العساكر من البلاد الى خدمته ويقرر ما فيه الصلاح للمسلمين والبيت » (١٨٠) ، كما أن الملك الأشرف اجتمع مع الملك الكامل ،

وترددت الرسل بينهما ، وبين الامبراطور الى أن استقر الوضع (١٨١) ·

وهكذا يمكن القول بأن الملك الأشرف موسى كان على علم بما استحدثه الكامل مع الامبراطور فردريك ، ومن ثم فيستبعد أن يتخذ موقفا مضادا لسياسة أخيه ، وخاصة بعد أن اتفق مع الملك الكامل على نزع دمشق من الناصر داود واعطائها للأشرف وما معها من الأعمال ، وسار الأخير فعلا لحصار الناصر بدمشق أثناء المفاوضات بين الامبراطور فردريك والكامل محمد (١٨٢) ، الى أن انتهى الكامل من أمر الامبراطور فردريك ، فاستولى على دمشق من الناصر داود بن المعظم عيسى ، فى شعبان ٦٢٦ هـ ، وسلمها الى أخيه الأشرف ، مقابل أن يترك الأخير « حران » و « الرها » و « سروج » و « رأس العين » من الجزيرة الى الملك الكامل ، وترك للناصر داود « الكرك » و « الشوبك » و « الغور » و « نابلس » (١٨٣) ·

أما عن موقف المسلمين بالقدس من الاتفاقية فقد أثار توقيعها السخط بينهم (١٨٤) ، وقد حضر الأئمة والمؤذنون من الصخرة والمسجد الأقصى ، الى باب دهليز الملك الكامل وأذنوا على بابه ، فى غير وقت الآذان (١٨٥) ، وكان هذا بمثابة تذكير للسلطان ، وقد أتهموه بصراحة بالتهاون فى ديانة المسلمين ، وفتوحات صلاح الدين (١٨٦) ·

أما موقف الملك الكامل من هؤلاء فقد أمر بأخذ ما معهم من الستور والقناديل الفضة والآلات وزجرهم ، وقيل لهم « أمضوا الى حيث شئتم » (١٨٧) ·

أما عن أهل القدس فقد وقع بينهم الضجيج والبكاء، وحزنوا على سلب القدس من أيديهم بهذه الصورة ، واستشنعوا (١٨٨)

ذلك لأنهم يعلمون كيف بذل صلاح الدين النفس والنفيس من أجل استرداده ، وقبعوا فى منازلهم يسبون الملك الكامل (١٨٩) ، ويذكر البعض أن الناس أنشدوا بالقدس هذه الأبيات :

ان يكن بالشام قل نصيرى ... وتهدمت ثم دام هلوكى

فلقد أصبح الغداة خرابى ... سمة العاد فى حياة الملوك (١٩٠)

وكان موقف المسلمين بدمشق من الاتفاقية لا يقل سخطا عليها من موقف أهل القدس ، فعندما وصلت الأخبار اليهم بتسليم القدس الى الامبراطور ، هاجوا حزنا ، واشتدت العظائم ، وأقيمت المآتم ، وأمر الملك الناصر داود بالتشنيع على عمه الملك الكامل (١٩١) ، وتقدم الى الشيخ « شمس الدين يوسف سبط الشيخ » جمال الدين بن الجوزى « الواعظ » وكان الناس يحبونه ويرغبون فى الاستماع لأحاديثه (١٩٢) ، فأمره الناصر بالجلوس فى جامع دمشق ، ويذكر ما حدث لبيت المقدس ويقول ابن الجوزى « فما أمكننى مخالفته ورأيت من جملة الديانة الحمية للاسلام ، موافقته فجلست بجامع دمشق » (١٩٣) . وكذلك طلب الناصر من ابن الجوزى أن يثير الناس ضد الكامل (١٩٤) . وعلى أية حال جلس ابن الجوزى بجامع دمشق وحضر الناصر على باب مشهد « على » ، وجاء الناس الى المسجد وكان يوما مشهودا ومن الكلمات التى قالها بن الجوزى « انقطعت عن البيت المقدس وفود الزائرين ياوحشة المجاورين ، كما كان لهم فى تلك الأماكن من ركعه ، وكم جرت لهم على تلك المساكن من دمعه ، تالله لو صارت عيونهم عيونا لما وفت ولو تقطعت قلوبهم أسفا لما شفت . أحسن الله عزاء المؤمنين ، ياخجلة ملوك المسلمين ، لمثل هذه الحادثة ،

تسكب العبرات لمثلها تنقطع القلوب من الزفرات لمثلها تعظم الحسرات » (١٩٥) وقد أنشد الحافظ شمس الدين سبط بن الجوزى ، قصيدة أبياتها ثلثمائة ، بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التى ... تفاخر ما فى الأرض من صخرات

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحى مقفر العرصات (١٩٦)

ويمكن القول بأن هذه الاتجاهات المضادة ضد الاتفاقية التى عقدها الملك الكامل ، قد دفعت الأخير لكى يدافع عن نفسه ، ويهون من أمر هذه المعاهدة فقال « انا لم نسمح لهم الا بكنائس وآدر خراب ، والحرم وما فيه من الصخرة المقدسة وسائر المزارات بأيدى المسلمين على حاله ، وشعار الاسلام قائم على ما كان عليه ، ووالى المسلمين متحكم على رساتيقه وأعماله » (١٩٧) ، وكان هذا أقصى ما عند الملك الكامل أن يقوله بشأن وقوف المسلمين ضده ، لأنه أصبح فى نظر المسلمين خائنا حيث تساهل فى ترك أملاكهم (١٩٨) ، وكانت هذه من الوصمات التى دخلت على المسلمين (١٩٩) .

أما عن موقف الخليفة فى بغداد ، فقد طلب من الملك الكامل أن يقدم له بيانا بشأن هذه الاتفاقية (٢٠٠) ، فأرسل الملك الكامل اليه ، جمال الدين الكاتب الأشرفى ، وكذلك الى البلاد الشرقية ، حتى يسكن قلب الناس ويطمئنهم ، من جراء انزعاجهم بسبب الاتفاقية (٢٠١) .

وهكذا عم السخط بلاد الشام حتى أولئك الذين ساهموا فى السفارات بين السلطان الكامل والامبراطور فردريك ، ودليل ذلك أن الصلاح الأربلى ، أرسل الى الملك الكامل بعد الاتفاقية يقول :

زعـــم اللعين الأنبرور بأنـــه ... ســـلم يدوم لنـــا على أقوالـــه

شرب اليمين فـان تعرض ناكـــثا ... فلياكلن لذاك لحـم شمائله (٢٠٢)

والشطر الأخير من البيت الثانى هى العبارة التى أقسم بها الامبراطور عند عقد الاتفاقية .

ويبدو أن الامبراطور فردريك قد شعر بمدى الموقف الذى أضحى فيه الملك الكامل بين المسلمين ، اذ يقول الامبراطور « لولا أنى أخاف انكسار جاهى عند الفـــرنج لما كلفت السلطان شـــيئا من ذلك » (٢٠٣) .

وصـــفوة القول أن الملك الكامل قد اســـتجاب لطلبـات الامبراطور ، وأن ما أثاره المسلمون من سـخط بســـبب تلك الاتفاقية ، كان تصرفا طبيعيا ، لأنهم لا يلمسون بواطن الأمور ، فقد وافـق الكامل على اعطاء القدس للامبراطور بشرط « خراب أســواره » وانه بامكانه رده فى أى وقت (٢٠٤) ، وان الظـروف التى سبق ذكرها ـ قد دفعته الى ذلك (٢٠٥) ، وانه قد ضحى بمنطقة قليلة الأهمية وكسب تحالفا دفاعيا مع الامبراطور (٢٠٦) ، كما أن السلطان الكامل ، أتاح لنفسه بهذه الاتفاقية فرصة مواصلة غزواته العسكرية ، دون أن تقلقه حـــركة صليبية جديدة قد تأتى تلو رفضــه لتسليم القدس (٢٠٧) ، حتى ينصرف الى شـــئون الدولة الأيوبية ، ويقف ضد الخوارزمية (٢٠٨) .

ومما ســـبق يمكن القول ، ان لم يتم عقد الاتفاقيـــه بهذه الصوره ، فربما حدث صدام بين الطرفين ، ولا يستتبعه قيام حملات أخرى ، وقت الشرق أحوج فيها الى السلام منه الى الحرب بسبب العـــداءات بين امرائه ، والاخطار المحدقـة به ، ومن ثم فلا يمكن الأخـذ بقول البعض « لو ان السلطان قد امتنـع عن تسـليمها للامبراطور ، لما امكنه الاستيلاء عليه عنوة ، خاصه وانه لم يكن مزودا بالعـدد الكافى والعدد اللازمة لفرض حصـار قوى حولها ينتهى بسقوطها فى أيدى اللاتين » (٢٠٩) ، اذ لو كان هذا صحيحا فبماذا نفسر ، أعمال الامبراطور العسكرية فى يافا بالاضافة الى وضع قبرص تحت ادارته حتى تمده بالمال والعتاد والرجـال اثناء وجوده بالشرق .

لاشك أن الامبراطور فردريك الثانى استطاع أن يفعل ما لم ينجح أحد غيره فى عمله ، وفشل فى تحقيقه كل الصليبيين ، منذ معركة حطين ودخول صلاح الدين القدس .

هذا وقد سبق توضيح كيف كان موقف الصليبيين بالشرق بعد وصول الامبراطور فردريك الى بلاد الشام ، والآن وقد وقعت هذه الاتفاقية ، فانها لم تلق الترحيب الا من فئات قليلة ، مثل الألمان والصقليين أتباع الامبراطور ، الذين اقتنعوا بالاتفاقية (٢١٠) ، من واقع ولائهم للامبراطور وانفجروا فى صياح الفرح بما استطاع أن يحققه لهم امبراطورهم (٢١١) .

أما بقية الصليبيين بالشرق فانهم عارضوا الاتفاقية (٢١٢) ، واندلعت من جديـد الآلام والمتـاعب بينهم (٢١٣) ، ذلك لأن الامبراطور قد قبل أن يبقى المسجد الأقصى وقبة الصخرة بيـد المسلمين أمام المقدسات المسيحية ، وهذا ما أتى من أجله الصليبيون لازالة ذلك التقارب (٢١٤) ، وفضلا عن ذلك فان بعض الصليبيين كان يرى ، طالما أن الاتفاقيـة لم تشمل سلب الأردن والكرك ،

فانه لا قيمة لها ، ويبرروا رأيهم بانه يمكن للمسلمين استرداد بيت المقدس بسهولة من خلال تلك المناطق ، علاوة على ذلك فان الصليبيين كانوا قد رفضوا ذلك العرض فى دمياط ١٢٢٠ / ١٢٢١ م ، ولو كان الصليبيون يرون فيه مصلحة لرضوا بهذا عندما عرضه الملك الكامل عليهم (٢١٥) ، بالاضافة الى هذا وذاك فان الاتفاقية قطعت بمقتضاها الامدادات عن الصليبيين بالشرق (٢١٦) ، وقضت على الحرب المقدسة ٠

وكان « جيرولد » Gerold بطريرك القدس ، قد عرض على البابا جريجورى التاسع تفاصيل ما صنعه الامبراطور فردريك الثانى فى الأراضى المقدسة ، ووصف المعاهدة بأنها خيانة ارتكبها الامبراطور مع سلطان مصر (٢١٧) ، وذكر له كذلك نقاط الضعف، ووصف الامبراطور بأنه أحمق ، سمح لنفسه أن يخدعه المسلمون ، كما ذكر له عدم احتواء المعاهدة كلمة واحدة بشأن استرداد الكنيسة وممتلكات الدير (٢١٨) ، وأرسل « جيرولد » أيضا الى جميع المسيحيين يخبرهم عن سلوك الامبراطور فردريك الثانى فى الأرض المقدسة ، ويتهمه بسوء معاملته مع فرسان الهيكل ، ورجال الدين واهانات كثيرة أهانها بها (٢١٩) ٠

وكان لهذه المراسلات نتائج على المستوى المحلى والعالمى ، أما على المستوى المحلى فقد اتبع كثير من المسيحيين البطريرك فى آرائه ، وأخلصوا له ضد الامبراطور (٢٢٠) ٠

أما على المستوى العالمى ، فقد استغل البابا هذا الوضع ، وبدأ يسيىء الى الامبراطور فردريك ، فى الأوساط الأوربية ، ونشر ذلك فى العالم المسيحى بصورة من الحقد والضغينة ، ووصف

الأعمال التى قام بها بأنها مخجلة ، فى تفاوضه مع الكفار (المسلمين) وسمح لهم بالعبادة فى القدس ، وأهمل البابا ، ما حققه الامبراطور من نجاح فى الشرق (٢٢١) ، وأطلق عليه « مريد المحمديين » « المسلمين » بعد أن كانت تطلق عليه « ابن الكنيسة المحبوب » (٢٢٢) ٠

وقد حاول « هيرمان سالزا » قائد التيوتون أن يحبط الاعمال التى قام بها « جيرولد » وخاصة لدى البابا ، فأرسل فى ١٥ مارس سنه ١٢٢٩ م الى البابا جريجورى التاسع يخبره باعمال الامبراطور فردريك الثانى ، ونجاح المعاهدة الخاصة بالسلام مع سلطان مصر ، والتى تم بها اعادة مدينة القدس الى الصليبيين وبعض الأماكن الأخرى (٢٢٣) ٠

ورغم ما نشب بين الفئات المختلفة بالشرق من خلاف بسبب الاتفاقية ، فان الامبراطور اعتبر نفسه ملكا على بيت المقدس ، ورغب فى زيارته الا انه لم يظهر أمام المسلمين بمظهر السالب لحقوقهم ، ومن ثم فقد استعمل الأسلوب الدبلوماسى ، حتى يتسنى له زيارة بيت المقدس من ناحية، ولكى يأمن جانب المسلمين أثناء هذه الزيارة المرتقبة من ناحية أخرى ، اذ أنه استأذن الملك الكامل فى زيارة القدس ، فلم يلب السلطان طلبه فحسب ، ولكنه كلف القاضى شمس الدين قاضى نابلس ، بملازمته خلال زيارته الى القدس (٢٢٤) ، وعندما علم أسقف قيسارية بنوايا الامبراطور فى الزيارة ، أصدر أوامره الى « جيرولد » بطريرك القدس ليصدر قرار التحريم على المدينة ويمنع الحجاج من زيارة قبر المسيح (٢٢٥) ، وعلى أية حال تقدم الامبراطور الى بيت المقدس وفى مقدمة الحجاج، ولم ينجح البطريرك فى منعهم من الدخول ، ذلك لأن معظمهم كان من الألمان ، كما يتضح ذلك من رسالة « جيرولد » الى البابا اذ

كتب « لدى الألمان شيىء واحد يفكرون فيه وهو أن يكونوا أحرارا فى زيارة الضريح المقدس The Holy Sepulcher ، وكانوا الأمة الوحيدة التى رفعت أناشيد النصر والحماس واضاءت المدينة بأسلوب مرح » (٢٢٦) ، وجرى الاحتفال فى ١٧ مارس سنة ١٢٢٩ م / رمضان ٦٢٦ هـ ، بدخول الامبراطور الى بيت المقدس ، ومعه بالاضافة الى الحجاج ـ الفرسان التيوتون ، وأساقفة صقلية ، ومن انجلترا بطرس أسقف ونستر ، ووليم أسقف اكستر ، الى أن وصل الامبراطور الى دار الاسبتارية القديمة حيث اتخذها مقرا له (٢٢٧) .

وفى اليوم التالى لوصوله بيت المقدس ، أى فى الأحد وسيط صيام الأربعين Mid Lent ١٨ مارس عام ١٢٢٩ م (٢٢٨) ، توجه الامبراطور ليشهد القداس فى كنيسة القيامة ، فلم يكن بها أحد من القسس ، فتقدم الامبراطور ، رابط الجأش ، وبالقرب من ضريح الكنيسة ظهر فى ثوب كهنوتى أزرق ورجف بمفرده فى عزله ، وتمتم باسم « مارية » وابنها وباسم الله ، وأخذ التاج الذهبى من على المذبح وتوج نفسه به (٢٢٩) ، وشجعه على ذلك البارونات الذين كان يتبعونه (٢٣٠) وقد قام الامبراطور بهذا دون الانتظار لبركة البابا ، هذا ونصحه رئيس الأساقفة بيرارد وهرمان أف سالزا ، بعدم القيام بأية طقوس دينية ، حتى ياخذ موافقة البابا (٢٣١) ، ومن الأرجح أن يكون القساوسة قد رفضوا تتويج امبراطور محروم من الكنيسة ، مما دفعه لكى يتوج نفسه (٢٣٢) .

وبعد التتويج خطب الامبراطور فى الحجاج موضحا ، أن ما أضافه من نصر فى الشرق هو من الرب ، ثم اثنى على الكنيسة والامبراطورية ، واعتبرها مثله الأعلى ، ثم فسر هيرمان سالزا هذه

الخطبة للحجاج باللغة الفرنسية والالمانيه واشاد فيها بالامبراطور ، وأعماله الباهرة ، وبرر سياسته التى اتبعها فى الشرق (٢٣٣) . ثم ذهب الامبراطور الى دار الاستبارية ، وعقد مجلسا عسكريا لمناقشة أمر الدفاع عن بيت المقدس ، وأصدر أمره باصلاح برج « داود » وباب « اصطفان » وسلم المقر الملكى الملاصق لبرج « داود » الى الفرسان التيوتون (٢٣٤) .

ولما كان الامبراطور يرغب فى زيارة الاماكن المقدسة الاسلامية بالقدس ، فقد عبر اليها ومعه القاضى شمس الدين ، ودخل الحرم الشريف (٢٢٥) ، وشاهد ما فيه من المزارات ، وعندما دخل المسجد الأقصى أعجب بعمارته ، وكذلك بقبة الصخرة المقدسة ، وتقدم الى محراب المسجد الأقصى ، فأنبهر بصناعته ، وجمال المنبر وصعد على درجات المنبر ليشاهد جميل الصناعة (٢٣٦) ، وتضيف بعض المصادر انه عندما أتى وقت الظهر أذن المؤذنون ، فتقدم الامبراطور هو ومن كان معه فصلوا (٢٣٧) ، ويمكن القول بأن الذى أدى الصلاة ، هم الجماعة الذين صحبوا الامبراطور من المسلمين ، واذا كان الامبراطور قد صلى معهم ، فيكون ذلك تمشيا مع ما يقوم المسلمين فقط ' اذ يستبعد ان يكون الامبراطور قد أدى هذه الصلاة عن ايمان راسخ بالديانة الاسلامية .

هذا وقد نظر الامبراطور بامعان الى قبة الصخرة ، ووجد كتابات ذهبية على البوابة الخاصة بالقبة ، منها عبارة نصها ، « وقد طهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من المشركين (٢٣٨) » وذلك تخليدا لانتصاره على الصليبيين ، فسأل الامبراطور من معه من المسلمين وقال : من هم المشركون ؟ وتظاهر بأنه لم يفهم معناها ، وأصر على تفسيرها ، فأخبره المسلمون بأن المسيحيين بثالوثهم هم المشركين (٢٣٩) .

وقد كان الامبراطور منبهرا بين الآثار الاسلامية التى أحبها وعشقها ، فما كاد يقابله شيىء غريب الا ويسأل عنه ، فعندما وجد الشبابيك الشعرية اى المزينه بالاسياخ باعلى النوافذ ـ المقابله للبوابات فى الصخرة ، فسأل لماذا صنعت بهذه الصورة ؟ فقال له المسلمون ، حتى لا تدخل العصافير الى القبة ، فابتسم الامبراطور وقال « والآن أحضر الله لكم الخنازير » (٢٤٠) • يقصــد بذلك الصليبيين ، وقد أطلق لفظ الخنازير على بنى جلدته ، وذلك لأن بعض المسلمين كان يطلقون هذا اللفظ على المسيحيين (٢٤١) • وقد بادر باستخدام هذه الكلمة ، لكى يشــارك المسلمين فى رأيهم فى المسيحيين •

ولم تقف دبلوماسية الامبراطور فردريك عند هذا الحد فى تعامله مع المسلمين بالشرق ، فعندما كان الامبراطور فى طريقــه الى خارج المسجد الأقصى ـ بعد أن شــاهد ما فيــه ـ وجد قسيسا وبيده الأنجيــل ، يرغب فى الدخــول الى المسـجد الأقصى ، فصــاح الامبراطور فى وجهه وزجــره قائلا له « ما الذى أتى بك الى هنــا ، والله لئن عاد أحد منكم يدخــل الى هنــا بغير اذنى لأخذن ما فــى عينيــه ، نحن مماليك هذا السلطــان ، الملك الكامل ، وعبيده وانمــا تصــدق علينــا وعليكم بهذه الكنائس على سبيل الانعام منه ، ولا يتعدى أحد منكم طوره » (٢٤٢) ، فجرى القسيس بعيدا وهو يرتعد خوفا من عنف الامبراطور الذى عرف عنه (٢٤٣) ، وبالرغم مما فى هذه العبارة السابقة من كلمات تدل على اعتراف صريح من الامبراطور بجميل السلطان الكامل ، الا انه لا يعدو أن يكون أسلوبا من أساليب الدبلوماسيــة التى اتبعها الامبراطور •

كما شاهد الامبراطور أيضا مجلس قضاء المسلمين ، وكذلك المضيق الوعر الذى عبر منه سيدنا سليمان ، وناقش بعض الأمور

الخاصة بالآخرة والاعتقاد بها مع الأمير فخر الدين (٢٤٤) ، حيث نزل فى داره بالقدس ضيفا عنــده ، وتناقش على مائدة العشاء ، مع المسلمين عن القمر والنجوم ومع الشيخ علم الدين أستاذ الكواكب ، الذى أرسله اليه الملك الكامل ، كما شارك فى مؤدبة العشاء نساء من أنطاكية (٢٤٥) •

مكث الامبراطور ليلته عند القاضى شمس الدين ، بالقدس ، وظهر من الامبراطور موقف آخر يدل على سلوكه الدبلوماسى مع المسلمين بالشرق ، ذلك أن الملك الكامل قد أمر القاضى شمس الدين قاضى نابلس ، بمنع المؤذنين من آذان الفجر ، لأن مقدمات الآذان بها آيات من القرآن مثل « قلْ هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكنْ له كفوا أحد » ، وأيضا « ما اتخذ الله من ولد » و « ذلك عيسى بن مريم » (٢٤٦) ، ونحو هذه مما يمكن أن تؤذى شعور الامبراطور فردريك وخاصة أن المئذنة فوق بيت القاضى ، الذى ينام فيه الامبراطور ، فتذكر المصادر ، أن القاضى نسى أن يأمر المؤذنين بعدم الآذان ، ومضت الليلة على حالها ، وأذن للفجر الشيخ عبد الكريم ، وسمع الامبراطور ذلك ، وفى فجر الليلة التالية لم يؤذن للصلاة طبقا لأوامر الملك الكامل (٢٤٧) ، أغلب الظن أن مقدمات الآذان هى التى لم يذكرها المؤذن فقط ، وقد استدعى الامبراطور القاضى شمس الدين وقال « يا قاضى لم يؤذن المؤذنون على المنابر على جارى عادتهم ؟ فقال له القاضى « ان المملوك منعهم من ذلك اعظاما للملك واحتراما له » فقال الامبراطور « أخطأت فيما فعلت ، والله انه أكثر غرضى من المبيت فى القدس ان أسمع آذان المؤذنين وتسبيحهم (٢٤٨) » وتضيف بعض المصــادر ان الامبراطور قال « أخطأتم يا قاضى تغيرون أنتم شعائركم ، وشرعكم ودينكم لأجل ، فلو كنتم عندى فى بلادى ، هل كنت أبطل ضرب الناقوس لأجلكم ، الله الله لا تفعلوا أول ما تنقصون عندنا » (٢٤٩) •

ثم قام الامبراطور بتوزيع المال على المؤذنين والمجاورين وأعطى للشيخ عبد الكريم المؤذن مائة دينار (٢٥٠) ٠

هذا جانب من الجوانب التى أثارت انتباه الامبراطور فردريك الثانى خلال الفترة التى قضاها بين المسلمين فى بيت المقدس ، والذى يلفت النظر فيها هو ذلك الأسلوب الذى سلكه تجاه المسلمين ، والذى ينم فى المقام الأول وقبل كل شىء عن دبلوماسية فائقة ، ويستبعد الشك فى هذه المواقف لأنها وردت فى المصادر الشرقية والغربية على السواء مع اختلاف غير واضح لا يدعو الى الشك فيها ٠

والذى لاشك فيه أن الامبراطور فردريك قد حقق نجاحا كبيرا فى المجال الدبلوماسى ، ليس لامبراطوريته فحسب ، ولكن للصليبيين جميعا ، فى الشرق والغرب ، ولكنه لقى منهم جزاء سنمار (٢٥١) ، اذ أبلغه « قسيس » سالزا ، أثناء اجتماع الامبراطور بمجلس الأساقفة بأن البطريرك والأسقف قد أصدرا قرار الحرمان ضد المدينة المقدسة فى يوم الاثنين ١٩ مارس عام ١٢٢٩ م ، طالما كان الامبراطور فيها (٢٥٢) ، ويصور بعض المؤرخين الحالة التى كانت فيها المدينة المقدسة ، اذ يقول توقفت كل حريات المعتقدات وأخذت أدوات الزينة منها من الصلبان والصور التى بها ، ولم يسمع دقات أجراس الكنائس ، ولا الأناشيد الدينية ، فقد كان هناك صمت رهيب يخيم على الكنيسة ، حيث كان القساوسة يؤدون الصلاة بصوت منخفض ، والأبواب موصدة ، وكان الموتى يدفنون فى الحقول بدون صلوات أو حفلات جنائزية ، واعتبر الجميع أن هذا انتقام من الله (٢٥٣) ٠

وقد أراد الامبراطور أن يدعم موقفه أمام هذه الأعمال التى قام بها رئيس الأساقفة والبطريرك ، فأرسل الى البابا والى أمراء الغرب ، يخبرهم بما حققه من نجاح فى أورشليم ، بالأسلوب

الدبلوماسى (٢٥٤) ، الا ان هذا النجاح أغضب البابوية ونضمت حملة ضد الامبراطور المحروم حتى لا تتصل به الجيوش والهيئات العسكرية الصليبية (٢٥٥) ، على نحو ما سبق ذكره ٠

ولم يرغب الامبراطور أن يمكث فى القدس ، بعد أن ساءت الأوضاع السياسية على نحو ما سبق ، ورأى من الأهمية بمكان مغادرتها الى يافا فجمع كل رجاله (٢٥٦) حيث وصلها فى ٢١ مارس ١٢٢٩ م ، ولم يمكث بها الا يوما واحدا ، انتشر فيه خبر تتويجه بين الناس (٢٥٧) ، ثم توجه الى عكا ، وهناك أعلن الامبراطور ملكيته للقدس أمام الناس كما بين لهم أنه سيترك نائبا عنه بها ، وسيقوم بتأديب من يخالفه ، الا أن الداوية ، وقفت ضده وحاولت قتله (٢٥٨) ، بأمر البابوية مما ترتب عليه أن سلبهم أموالهم (٢٥٩)، وقتل جماعة منهم على مرمى بصر الناس (٢٦٠) ٠

وبدأ الامبراطور يمارس سلطاته الفعلية فى عكا ، كملك لبيت المقدس اذ أنه منح قائد التيوتون « هيرمان سالزا » فى ٢٠ ابريل ١٢٢٩ م ، ستة آلاف واربعمائة درهم شرقى (اسلامى) وكذلك اقطاعيات لهم (٢٦١) ، كما أنه فصل فى نزاع كان قائما بين التيوتون و « اليس » Alysa ـ وهى من أحفاد هونفريوس Honfredi ـ حول منطقة ، اذ قدم كل طرف حجته فى ملكيتها ، وصارت عين النزاع الى التيوتون ، وأقر الامبراطور ذلك تحت اسم « جمعية مريم للتيوتون » (٢٦٢) ٠ ومنح الامبراطور آل التيوتون ، ستة آلاف واربعمائة درهم بيزنطى كضريبة سنوية من أموال مدينة عكا (٢٦٣) ، هذا وقد أعاد الامبراطور الى بعض الأفراد من أهالى بيزا المقيمين بعكا أموالا كانت قد صودرت منهم ، وذلك عرفانا بالجميل ، اذ عضدوه فى موافقة منذ أن نزل ببلاد الشام (٢٦٤) ، كما أقر حقوقهم فى صور ويافا فضلا عن

امتيازاتهم (٢٦٥) ، علاوة على منحهم مقرا دائما فى القدس وصرح لهم بحرية النشاط فيها (٢٦٦) ٠

وقد كان الامبراطور يستغل خراج عكا فى الاستعدادات العسكرية ، وليس أدل على ذلك من انه منح « كونراد هونيللو » Conrado Hehenloe ستة آلاف درهم بيزنطى بشرط أن يمده بتسعة آلاف رجل (٢٦٧) حتى يستغلهم فى الحرب ٠

زد على ذلك فان الامبراطور سمح لأهل جبل « بيسولانى » Pessulanis الذين كانوا متعودين فى الحضور الى عكا ـ بالتجارة والتصرف فى أموالهم واستخدام مراكب أخرى غير مراكبهم ، وذلك لبعدهم عن وطنهم (٢٦٨) تسهيلا لمهامهم التجارية ٠

ولم يكن الامبراطور يتصرف فى عكا وأموالها فحسب ، ولكنه أيضا يتصرف فى القدس كذلك ، وكان يمنح الاقطاعات كيفما شاء ، والدليل على ذلك انه فى أول مايو ١٢٢٩ م منح « حنا دبيجلونو » Johonnide Begnalo ، بصور منزلا فى مدينة القدس ، وكان هذا المنزل لرجل اسمه بطرس ، أما الآن فهو من أملاك البلاط ، ومنحه بكل توابعه والحمام الذى أمامه (٢٦٩) ٠

ومما سبق يمكن القول بأن الامبراطور فردريك الثانى كان يتصرف فى المملكة ، التى استطاع أن يكسبها بالود والصلات الطيبة ٠ فبالاضافة الى أعماله السابقة وهو فى عكا فقد استطاع أن يوطد علاقاته مع « الحشاشين » (٢٧٠) Assassins فى لبنان ، حيث بادلهم السفارات ، كما أطلع على نظامهم وعرف كيف يطيعون قائدهم « حسن الصباح » طاعة عمياء (٢٧١) ٠

عودة الامبراطور فردريك الثانى الى الغرب الأوربى :

وصفوة القول ان الامبراطور حاول ان يخضع بلاد الشام تحت سيطرة الألمان وخاصة التيوتون (٢٧٢) سيطرة دائمة ، الا أن الأخبار جاءته من أوربا ، تنذر بسوء وضع امبراطوريته هناك مما ترتب عليه أن قرر مغادرة عكا الى أوربا أول مايو عام ١٢٢٩ م ، وسط اعمال سيئة من اهالى عكا وخلافات لا تنذر بخير(٢٧٣)،اذ ان الامبراطور فردريك اتهم القساوسة بانهم يساهمون فى تسليمه لأعدائه ، كما رد القساوسة على الامبراطور بأنه يريد تسليم المدن المسيحية الى سلطان القاهرة (٢٧٤)،وفى النهاية حدثت مشاجرة بين الامبراطور والأهالى بعكا ، رماه الأهالى بالقاذورات ، وهو يأخذ طريقه الى البحر فى فجر الأول من مايو ١٢٢٩ (٢٧٥) الى قبرص (٢٧٦) ، ثم اتجه الى برنديزى ، التى وصلها فى العاشر من يونيه١٢٢٩(٢٧٧)،وقام حين وصوله بتوزيع الحراس على الساحل حتى يحموه من منافسيه ، وقد جاء الى الامبراطور من الشرق « رينالد سبوليتو » واللوردات الألمان والفرسان من عكا ، الذين ابحروا من قبل الى الشرق ، وهم كونراد « هونلا » Hohenlohe وكونتات هيلبنجبرج Heiligenberg وهيلفنشتين Helfenstein وليشتنبرج Leuchtenberg و« ديون Dewin هؤلاء جاءوا لمساعدة الامبراطور الذى كان مستعدا فى بارليتا Barletta والذى بدأ الهجوم بعد شهرين ضد البابا (٢٧٨) .

وبعد وصول الامبراطور الى الغرب كان عليه أن يتصدى للدفاع عن نفسه ضد أعدائه ، وفى مقدمة هؤلاء البابا الذى صرح بأن الامبراطور قد قتل أثناء غيابه بالشرق (٢٧٩) ، مما دفع أعداء الامبراطور الى الطمع فى ممتلكاته ، وبتحريض من البابا ، وخاصة المدن اللمباردية (٢٨٠) ، كما أن البابا قد دمر « ابوليا » Apulia (٢٨١) ، وقد شجع الصليبيين بالشرق

ليقنوا ضد فردريك ، واشاد بموقف البطريرك والاسبتارية اذ
يتضح ذلك من خطاب له بتاريخ ١٣ يونيو ١٢٢٩ م . وأصدر
مرسوما فى ٢٨ ديسمبر عام ١٢٢٩ م بمنح المقاتلين غفرانا (٢٨٢) .

هذا وعندما وصل الامبراطور الى برنديزى ، قام «جنا دبرين»
وكاردينال كلونيا باعلان البابا جريجورى فى « بورجيا » ، الذى أعلن
البابا بأنه لا بد أن ينفى عدو الصليب الملعون والذى يقف ضد
المسيح (٢٨٣) .

وبالرغم مما فعله البابا ضد الامبراطور أثناء غياب الأخير عن
مسرح الأحداث فى أوربا ، الا أن الامبراطور ما أن وصلت أقدامه
الى ايطاليا ، حتى بدأ يستعد لمواجهة البابوية ليسترد ممتلكاته
التى استولت عليها ، فقصد « افيلونى » Avellino ثم ظهر فى
« كابوا » Capua ، لأنه أخذ « كالفى » Calvi و « ميرانـو »
Mariano و « اليف » Alife و « فينافرو » Venafro (٢٨٤) .
وأمام تقدم فردريك الملحوظ هرب الجيش البابوى الى حدود روما ،
ويبدو أن البابوية قد شعرت بأنه لا جدوى من الوقوف فى وجه
الامبراطور ، وأرادت أن لا تصعد الخلافات بينها وبينه
اكثر من ذلك . ومن ثم فقد تررت العفو عن المجرمين
وخاصة فى السنتين الأخيرتين ، فحضر الناس ومعهم الأمراء الألمان
الى مجلس الشيوخ ومعهم الكرادلة ، ذو الرداء الأحمر ، كذلك
دوقات « النمسا » و « كارنثيا » و « ميران » وبطريرك « اكويليا »
Aquielia وأسقف « سالزبرج » وأسقف « راتسبون (٢٨٥) » ،
واتفقت البابوية مع الامبراطور على أن يحل السلام بينهما محل
الحرب ، وذلك فى ٢٣ يوليو ١٢٣٠ م « بسان جرمانو »
San Germano ، واعلنت فيه البابوية ، أن الامبراطور فردريك
الثانى (امبراطور الرومان ، اغسطس ملك أورشليم وصقلية)

سيدخل فى مفاوضات بشأن المدن التى وقفت ضده وبجانب
الكنيسة . وحددت سنة لمناقشة هذه الأمور ، وان لم يتم التوصل
الى شىء فالكنيسة والامبراطور يختاران نوابا عنهما لمحاولة
التوصل الى تسوية ، واذا لم يتوصل هؤلاء النواب الى اتفاق ،
يختار خمسة أشخاص ويكون الاتفاق بأغلبية الأعضاء ، وقد أختار
الامبراطور « توماس » كونت اكيرا Thomas Acerra
ليقسم له أن الامبراطور لا يتدخل فى المفاوضات بما يعيقها (٢٨٦) .
وأن الامبراطور قد تعهد بأنه سيحترم اى اتفاق تقوم به الكنيسة ،
وسامح الامبراطور الألمان واللمباردين والتسكان Tuscan
والصقليين والفرنسيين وآخرين انضموا الى جانب الكنيسة ضده ،
وتعهد الامبراطور بأنه سيحافظ على السلام الحقيقى بينه وبين
الكنيسة ، ووعد بأنه لن يعتدى على أراضى الكنيسة فى روما ، مثل
انكونا Ancona ، وقد أنهى هذا الشرط ، بأنه فى حالة فشل
الامبراطور فى ارسال مندوبين عنه للتباحث فسوف يقف المجلس
الى جانب الكنيسة ضد الامبراطور ، واذا رفضت الكنيسة النواب
أو خدمهم فسوف لا يعتد بهذا القسم (٢٨٧) .

من الواضح أن الامبراطور قد جعل يد الكنيسة هى العليا
لكى تعترف بما فعله فى الشرق ، وحتى لا تدخل معه فى صراع
اكثر حدة مما سبق ، ولعل اهم ما خرج به الامبراطور من هذا
الاتفاق ، أنه لم يرد فى هذا المجلس ذكر اسمه من بين المحرومين
هذه المرة (٢٨٨) ، وكتب البابا للامبراطور « افتح لى قلبك تهدأ
روحى ، أنا ساتذكر الماضى غير الطويل » ورد عليه الامبراطور
قائلا « تعال لنبحث معى بحماس عن ابنك المخلص ، ويظهر لى
انه سهل لانجاز كل رغباتى »(٢٨٩) . وعلى أية حال لم تكن تغرب
شمس الثامن والعشرين من اغسطس سنة ١٢٣٠ م حتى حل
السلام بين الامبراطور والبابا (٢٩٠) ، وبذا أصبح فردريك مرة

أخرى ابن الكنيسة المخلص بعد ان كان « مريد المسلمين » على حد
قول بعض المؤرخين (٢٩١) .

وهكذا اعترف البابا بما حققه الامبراطور من نصر دبلوماسى
فى علاقته بالملك الكامل ، من خلال اتفاق « سان جرمانو » (٢٩٢)
ويذكر بعض المؤرخين ، أن الامبراطور فردريك قد أخلص كثيرا
لهذه الاتفاقية وأحترمها (٢٩٣) . ذلك لأن الاتفاقية قد زادت من
قوته فى الشرق ، وليس أدل على ذلك من أنه تم اخطار البطريرك
« جيرولد » بطريق بيت المقدس ، برفع الحرمان عن بيت المقدس ،
كما أن الامبراطور قد حرص على تزويد مملكته فى الشرق بالجنود
وخاصة أنه قد أرسل اليه اتباعه من الشرق ، بما يمكن قوله بأن
الحكم اللاتينى فى أورشليم مهدد من قبل المسلمين ، الأمر الذى
ترتب عليه أن وعد الامبراطور بارسال قوات من طرفه الى الشرق
سنة ١٢٣١ م (٢٩٤) . وقد أعد الامبراطور لذلك حشدا كبيرا من
الجنود يصل الى ستمائة فارس ومائة من السرجندارية وسبعمائة
من الجند المسلمين ، وثلاثة آلاف ملاح ومعهم ثلاثون سفينة لكى
تحملهم . وأقلعت من نابلى (٢٩٥) تحت قيادة ريتشارد فلانجيرى
Richard Filanghieri (٢٩٦) الذى حمل لقب « مارشال »
Marshal الامبراطورية ، وقد وجهت اليه الأوامر باعادة السلطة
الامبراطورية فى قبرس حتى يحرم « حنادى ابلين » من اقطاعه فى
بيروت (٢٩٧) ، وعلى أية حال فقد وصل المارشال الى عكا ، ثم
استولى على بيروت ، ولم يستطع الاستيلاء على قلاعها (٢٩٨) ،
وفى فبراير عام ١٢٣٢ م ، عبر « حنادى ابلين » اليها من قبرس
لاغاثتها ، الا انه لم ينجح ثم لحق فى الحال بالبارونات فى الأرض
المقدسة (٢٩٩) .

هذا وقد تمكن المارشال ريتشارد فلانجيرى من الاستيلاء على
صور ، ثم عقد مجلسا من الكاردينالات والبارونات فى عكا (٣٠٠)

وأطلعهم على خطاب اعتماد من الامبراطور بوصفه مندوبا عنه ،
ثم طالب بمصادرة جميع « آل ابلين » بالشام ، وهنا عارض الأمراء
ذلك الطلب ، وانضم اليهم تجار عكا الذين الفوا مجلسا بلديا لحكم
عكا ، واختاروا حنا ابلين رئيساً لهم (٣٠١) . وعلى أية حال ،تعقد
الموقف ، وتألفت فى عكا ، طائفة اشتهرت باسم طائفة القديس
« ادريان » لم تلبث برغم انها ترجع الى أصل دينى — أن أضحت
تمثل المعارضة السياسية لفردريك ، كما يدل على ذلك ، قبولها
عضوية الثائر حنا ابلين أمير بيروت(٣٠٢). ويمكن القول بأن هناك
حزبين رئيسيين : حزب ريتشارد فلانجيرى نائب الامبراطور ،
الذى يتألف من اللمبارديين ، والفرسان التيوتون ، وجالية
البيازنة ، وحزب حنا ابلين الذى يضم البارونات والتجار ، أما
البطريرك والاسبتارية والداوية فقد التزموا الاعتدال (٣٠٣) .

وقد حاول ممثل البنادقة فى الشام وقناصل جنوه عقد الصلح
بين الطرفين ، الا انهم فشلوا فى ذلك وحاول « حنا ابلين » الاستيلاء
على بيروت ، وعكا وصور من ريتشارد الا انه فشل ، وكل الذى
استطاع عمله هو تكوين جبهة مناوئة للامبراطور فى عكا كما سبق
القول (٣٠٤) ، ومن ثم فقد ساد العداء بين الطرفين ودخلا فى
مواجهة عسكرية ، اذ عبر ريتشارد فلانجيرى الى قبرس بألفى
فارس لمحاربة رجال « حنا ابلين » الا انه لم ينجح فى ذلك . وقد
علم الامبراطور بهذه الأمور جميعها (٣٠٥) ، وأيقن أن ريتشارد
لم يستطع أن يقوم بالمهام السياسية التى ارسلة من أجلها الى
الشرق ، وعلى الامبراطور ان يعمل على الاحتفاظ بمملكته الصليبية
بالشرق التى لم يبق منها غير صور(٣٠٦)،فأرسل رسائل الى عكا
مع أسقف صيدا ، الذى كان فى روما ، بالغاء تعيين فلانجيرى
نائبه ، ويحل مكانه « فيليب موجا ستيل » وهو من نبلاء
سوريا (٣٠٧) . الا أن « يوحنا » سيد بيروت تدخل لمنع مراسيم
تنصيب « موجاستيل » نائبا عن الامبراطور وبرر مسلكه بأن هذا

الاجراء غير قانونى ، كما أكد أن الامبراطور ليست لديه سلطة التنصيب والعزل بهذه الصورة ، وحدث صدام مر على أثره « موجاستيل » الى صور ، واضحى يوحنا عميدا لقومون عكا ، والحاكم الفعلى فى المملكة ، عدا صور (٣٠٨) التى تولى ريتشارد فلانجيرى حكمها من قبل الامبراطور (٣٠٩) .

وسط هذه الأعمال ، تقرر انفاذ مبعوثين ، هما « فيليب تروى » و « هنرى الناصرى » الى البابوية لشرح ما قام به البارونات والقومون ، ولكن هيرمان سالزا قائد التيوتون ادرك أن البابا ، لم يستجيب لطلبات المبعوثين ، اذ أن العلاقة مازالت طيبة بين البابا والامبراطور ، والأول حريص على اعادة السلطة للامبراطور فى الشرق ، فأرسل سنة ١٢٣٥ م ، رئيس أساقفة « رافنا » الى عكا ، مندوبا بابويا ، وأوصى باطاعة فلانجيرى ، الا أن البارونات ارسلوا مرة أخرى الى روما « جيوفرى تور » ليعيد الأمور على البابا ، الا أن الأخير اكد ما سبق وقد ذكره بخصوص تأكيد سلطة الامبراطور بالشرق ، على أن يساعد فلانجيرى فى عمله « اودومونتبليارد » حتى شهر سبتمبر عام ١٢٣٦م ، الى أن يتم تعيين بوهمند أمير انطاكية نائبا ، وأدان البابا تصرف البارونات لأن مملكة بيت المقدس تعتبر ملكا شرعيا للامبراطور فردريك وابنه كنراد (٣١٠) وينبغى حل قومون عكا . ويرى البابا أن العلاج الوحيد لهذه القضية ، هو توحيد مملكتى قبرص وبيت المقدس (٣١١) .

وبالرغم من هذه المحاولات الامبراطورية من ناحية فردريك لفرض تبعية المملكة الصليبية بالشرق له ، والتى لاقت كثيرا من الصعوبات كما سبق الذكر الا انه قد حاول التحكم فى هذه المملكة ، عن طريق استمراره فى مساعداته بارسال الامدادات الى

الشرق(٣١٢)،هذا وقد أرسلت حملة صليبية بقيادة«ثيبالد ملك نافار» Theobeld King of navarre وكونت شمابنيا Count Chompagne فى سبتمبر عام ١٢٣٩ (٣١٣) ، وأغلب الظن أن الامبراطور لم يساهم فيها بقسط وافر لأنه لازال على صلات طيبة مع المسلمين بالشرق ولأن العلاقات قد ساءت بينه وبين البابوية وأصدرت ضده قرارا بالحرمان فى ٢٠ مارس عام ١٢٣٩ م (٣١٤) ، وعرضت البابوية فى ذلك عدة أسباب لحرمانها الامبراطور من رحمة الكنيسة ، وأهم ما فى بنود قرار الحرمان هو : « نحرمه ونلعنه لأنه أعاق استرداد الأرض المقدسة ، وردها الى الامبراطورية الرومانية » (٣١٥) ، ولا شك أن البابوية قد اتضحت اتجاهاتها ضد الامبراطور وكان حقدها عليه بسبب ضم المملكة بالشرق الى امبراطوريته ، وربما تكون هى وراء حملة « ثبالدو » لتعكير صفو السلام بين الامبراطور والمسلمين اذ قام « ثبالدو » بمهاجمة الصالح اسماعيل بين يافا وعسقلان (٣١٦) .

ومهما يكن من أمر ، فقد رجع « ثبالدو » الى الغرب ، وأرسل الامبراطور فردريك ، فى ١١ أكتوبر ١٢٤٠ م « رتشارد أيرل كورنوال » Richard Earl of Cornuail الذى كان شقيق هنرى الثالث ملك انجلترا ١٢١٦ — ١٢٧٢ م ، وكانت أخته زوجة الامبراطور فردريك (٣١٧) ، وجعل له السلطات فى أن يتخذ من التدابير ، ما يرى فيه مصلحة المملكة ، وعندما وصل الى الشرق نشب الصراع بين الداوية بمساندة البارونات ما عدا « والتر كونت يافا » وبين الاسبتارية الذين شرعوا فى التماس مساعدة ريتشارد فلانجيرى ، وكذلك انصار الامبراطور فردريك ، أما التيوتون فقد التزموا الحياد — أما ريتشارد « ايرل كورنوال » فقد عين « والتر بنينياية » ، الذى كان ممثلا لفلانجيرى فى القدس حاكما على عسقلان (٣١٨) ، ومكث ريتشارد فى فلسطين حتى مايو ١٢٤١ م ذى القعدة

٦٣٨ هـ ، وسلك أثناءها سلوكا طيبا ، مما أدى الى شعور الناس بالارتياح له (٣١٩) . اذ جدد الهدنة التى عقدها الكامل مع فردريك فى ٢٣ ابريل ١٢٤١ م (٣٢٠) .

وأرسل بعد عودته الى « بلدوين » Baldwine عن شروط السلام بالتفصيل وهى الشروط التى عقدها واتفق عليها مع الملك الصالح سلطان مصر فى ٢٣ أبريل ١٢٤١ م (٣٢١) .

وقد تعشم البارونات المحليون أن يمضوا فى اقرار الأمن والنظام فأرسلوا فى ٧ مايو عام ١٢٤١ م رسالة الى الامبراطور فردريك الثانى يلتمسون فيها أن يعين أحد رفاقه ، وهو « سيمون مونتفورت » (٣٢٢) نائبا عنه الا أن فردريك أغفل طلبهم ، فى نفس الوقت الذى حاول فيه ريتشارد فلانجييرى مارشال الامبراطور ، مغادرة المقر الأساسى فى صور ، ليتسلل سرا الى عكا فى ربيع سنة ١٢٤٣ م ، وقد استقبله الاسبتارية فيها (٣٢٣) ، ولكن مدينة عكا قاومته ، واشترك البنادقة والجنويون المقيمون فيها فى الدفاع عنها ، وصمدوا فى مواقفهم ، حتى جاءتهم النجدة من « باليان الثالث » Balian III حاكم ثغر جبيل (٣٢٤) ، مما اضطر ريتشارد الى الانسحاب ، وترك بلاد الشام ، اذ استدعاه الامبراطور فردريك الى ايطاليا (٣٢٥) . وترك أخاه « لوتاريو » Latario على رأس قواته فى صور (٣٢٦) فى ذات الوقت الذى بلغ فيه كنراد ابن الامبراطور فردريك ، الخامسة عشر من عمره ، وبامكانه ان يباشر سلطته الشرعية فى الأرض المقدسة ، فى حين أن والده الامبراطور فردريك كان يزاول سلطته الفعلية فى بيت المقدس ، وليس ادل على ذلك من انه حوالى سنة ١٢٤٣ م ، قرر رئيس كنيسة القيامة ورهبانها اقامة قلعة « القصر » بمشورة من مندوبين البابا ، فأمر الامبراطور بتحذيرهم الا يفعلوا ، والا سيصادر جميع أموالهم المنقولة وغير المنقولة فى الوطن والملكة (٣٢٧) ، وعلى أية حال طالب البارونات بالشام ، كونراد

بالحضور الى الشرق ، الا أنه لم يذهب واكتفى بأن أرسل « توما اكيرا » نائبا عنه (٣٢٨) ، لكن هل انتظر الصليبيون وصول « توما أكيرا » ؟ فى الحقيقة ان مغادرة ريتشارد فلانجيرى بلاد الشام (٣٢٩) ، قد أعطت أعداء الامبراطورية فرصة لاستمرار نشاطها وبقوة ، لطرد قوات فردريك من صور ، وطلبوا مساعدة ملكة قبرس واعترفوا بحقها فى الوصاية على بيت المقدس فأمدتهم بأسطول ، وقامت معركة فى يوليو ١٢٤٣ م ، انتهت بهزيمة جيوش الامبراطور فردريك الثانى (٣٣٠) ، وقدر لسفينة ريتشارد أن ترجع ثانية الى صور فوقع فى أيدى أعدائه هو وأخوه « لوكاريو » وشرط البارونات عليهما مقابل أن يطلق سراحهما — أن يرحلا برجالهما من الشام ، فلجأ « لوكاريو » الى طرابلس عند بوهيمند الخامس ، ولحق به « توما اكيرا » وعاد ريتشارد الى الامبراطور فردريك ليرمى به فى السجن (٣٣١) ، وبذا امست مملكة بيت المقدس فى قبضة البارونات (٣٣٢) ، ويعلق أحد المؤرخين على هذا الوضع قائلا أن المملكة قد تمزقت بسبب الحرب بين نواب الامبراطور فى الشرق ، وأبناء الارستقراطية الصليبية حيث تم الاستيلاء على التحصينات الامبراطورية فى قبرس ، وفى أرجاء المملكة الصليبية بعد عشر سنوات من الصراع الداخلى ، وقد أدى خلق حكومة ثورية حاكمة الى ظهور طبقة اقطاعية ، وبذلك دخلت المملكة الصليبية فى طور التحلل والانهيار (٣٣٣) .

صلات الامبراطور فردريك الثانى الدبلوماسية بعواهل الدولة الأيوبية (١٢٣٠ — ١٢٤٣ م / ٦٢٧ — ٦٤١ هـ) :

سبق أن أوضحنا علاقة الامبراطور فردريك الثانى بمملكته بالشرق بعد عودته الى أوربا حتى سنة ١٢٤٣ م (٣٣٤) . وفيما يتعلق بصلاته بعواهل الشرق الاسلامى بعد عودته الى الغرب الاوربى نجد انه ظل يكن الحب والتقدير للسلطان الكامل ولم يكن

ذلك راجعا الى استجابة الكامل لمطالبه فى الشرق فحسب ، بل ايضا الى أن الكامل انقذ فردريك من موت محقق فى الشرق ، لانه — على ما يبدو — قد أوعزت البابوية صدر الكامل ضد فردريك ، لكن الأول لم يستجب لها ، فضلا عن انه أبلغ الامبراطور عن مؤامرة دبرها ضده فرسان المعبد الذين تصدوا بها قتل الامبراطور (٣٣٥) . ومن ثم بعد عودته حرص على دوام الصداقة مع المسلمين فى الشرق .

ففى سنة ١٢٣٠ م / ٦٢٧ هـ ارسل رسالتين ، احداهما الى السلطان الكامل وقد وصلته ، وهو فى « حران » ، والأخرى الى الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ (٣٣٦) . كتب له فيها « قطع حبل الصبر بسبيل اليأس ، بعد المعارضة — انقطع حبل الأمل » وكتب عن المجرمين الذين ازدادت أعمالهم الشريرة ، وأوضح الامبراطور أنه سيقفه ضد هذه الأعمال (٣٣٧) ، ومن ثم فقد كانت الرسالتان ، تحمل بين سطورها بعض أحوال الغرب الأوربى ، وما عاناه الامبراطور من متاعب البابوية ، اثناء غيابه فى الشرق وبعد رجوعه (٣٣٨) ، ويمكن القول بأن الامبراطور كان يقصد من تلك المراسلات أن يخبر صديقه الكامل عن حقيقة العلاقات بينه وبين البابا ، حتى يقطع الامبراطور خط الرجعة على البابا ، فيما اذا فكر فى محاولاته للاتفاق مع الكامل على اى أمر بشأن الصليبيين بالشرق ، ويؤيد هذا القول ما حدث بعد ذلك ، من اعادة الوئام بين الامبراطور والبابا ، فترتب عليه أن أرسل البابا جريجورى التاسع من « راتيا » Reate فى ١١ أغسطس ١٢٣١ م ، الى الملك الكامل يطلب منه اطلاق سراح تجار مدينة « انكونا » Anconailames الذين قد أمر السلطان بالقبض عليهم ، كما طالب البابا ، برجوع أموالهم اليهم (٣٣٩) .

وفى سنة ١٢٣٢ م / ٦٣٠ هـ ، أرسل الامبراطور فردريك بمسائل علمية الى الملك الكامل ، ويطلب منه حلها (٣٤٠) . وقد اراد بهذه المسائل أن يختبر العلماء المسلمين ، ومنها ثلاثة :

لماذا تظهر الأجزاء الغاطسة فى الماء مقوسة ؟

لماذا يظهر كوكب سهيل اكبر عندما يقترب من الأفق ؟

ما هو السبب فى خداع البصر ؟

ثم أرسل بعض المسائل فى الرياضة والفلسفة ، يطلب لها حلا فاختار الملك الكامل أحد علماء الرياضة الذين يعملون فى حاشيته ، وهو الأستاذ علم الدين الحنفى ، لحل تلك المشكلات بدرجة اذهلت الامبراطور ، ثم أرسل يطلب من الكامل ان يرسل اليه الأستاذ الحنفى لمقابلته (٣٤١) . كما أرسل ايضا الى علماء الموصل يستفسر عن مسائل هندسية وفلكية لتجزئة تربيع الدائرة ، وقد لاقت اجابات علماء الموصل موافقة الامبراطور وتقديره (٣٤٢) .

ولم تكن صلة الامبراطور قاصرة على الكامل فحسب ، ولكنها امتدت ايضا الى بعض الملوك الأيوبيين المعاصرين للملك الكامل ، والمتفقين معه فيما يخص الامبراطور فردريك ، ولعل الأخير يقصد من ذلك مد صلاته الى اغلب الملوك المسلمين بالشرق ، حتى يأمن جانبهم ، واذا كانوا غير ذلك فهو يحتاط لهم ، ومن رسائل الامبراطور فى هذا المضمار رسالة ارسلها الى الملك الجواد فى شعبان ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، « فاستبشرت النفوس بوروده ، وسرت القلوب بوفوده » (٣٤٣) ويبدو أن الملك الجواد المقصود هو الملك « الجواد يونس بن مودود بن أخ الكامل » ، ذلك لأنه ليس هناك ، على ما يبدو ، احد من الأمراء الايوبيين يحمل هذا الاسم غيره .

هذا وقد أرسل الملك الأشرف موسى فى سنة ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م ، الى الامبراطور فردريك آلة توضح حركات الكواكب فى النظام الشمسى ، وبها أشكال ورسوم للشمس والقمر ، تبين الأوقات فى دورانها المنتظم، وكانت تقدر بمائتى الف مارك(٣٤٤). وقد أعجب الامبراطور بهذه الهدايا أيما اعجاب ، وكان يتفاخر بها بين أصدقائه ، ويعتبرها أغلى من أى شىء آخر فيما عدا ابنه الملك « كونراد » وريثه الوحيد (٣٤٥) .

وكان على الامبراطور أن يرد على السفارة الاسلامية ، فأرسل فى سنة ١٢٣٣ م / ٦٣١ هـ رسولا ، ومعه هدايا ، فيها طاووسا أبيض ودب أبيض ، شعره كشعر السبع ينزل البحر يصطاد السمك ويأكله (٣٤٦) .

وانطلاقا من سياسة الامبراطور فردريك تجاه الشرق الاسلامى — فى فترة وئامه مع البابوية — كانت صلات كل من البابا والامبراطور تقوم على قدم وساق تجاه الشرق الاسلامى ، فقد كانت البابوية تراسل قونية ، وكان سلطان الأخيرة يرد عليها ويرسل اليها السفراء ، وليس ادل على ذلك من أنه أرسل اليها رسالة فى شهر مايو ١٢٣٤ م ، يذكر أنه أرسل من طرفه مندوبين منذ ثلاث سنوات لابسين الثوب الرهبانى ، وحتى الآن لم يعد منهم الا اثنان ولذلك يخشى من عدم وصول الرسائل اليها ، وعليه فهو يخبرها بأنه أرسل الى الامبراطور فردريك الثانى ، رسولا ، وهو « يوحنا ديجبرا » John de Gabra ويؤكد سلطان قونية للبابوية ، بأن هذا الرسول من رجاله المسيحيين المخلصين له ، وسوف يقابل البابوية بعد مقابلة الامبراطور حتى يتعرف من البابوية عن سبب تأخير المندوبين والسفراء (٣٤٧) . ويرجع تأكيد السلطان على ثقته بالامبراطور لكى لا يساور البابوية الشكوك فى

المبعوثين من قبل السلطان ، وخاصة أنهم يحملون موضوعات غالبا ما تكون غاية فى السرية .

ولم تكن هذه المراسلات والخطابات الودية بين الامبراطور فردريك الثانى والبابوية من جهة والشرق الاسلامى من جهة أخرى مجرد كلمات معسولة ترضى خاطر الجانبين فقط ، ولكنها وصلت الى حد التعاون العسكرى ، ودليل ذلك أنه عقدت اتفاقية بين الجنويين والملك الكامل ، ولما كانت الأولى مناوئة لقوة الامبراطور فردريك ببلاد الشام ، فقد خشى الأخير من عاقبة ذلك على علاقته بالملك الكامل ، ومن ثم أرسل سفارة من لدنه الى الكامل ، أبدى شعورا طيبا نحوه وحقق كل مطالبه وعقد الامبراطور مع الكامل اتفاقية دفاع مشترك ، أرسل بمقتضاها الكامل ، قوة عسكرية مصرية لمساعدة الامبراطور فردريك فى حصاره لمدينة « برشيا » Prescia ، باقليم لمبارديا شمالى ايطاليا ، سنة ١٢٣٨ م / ٦٣٦ هـ (٣٤٨) .

وهكذا استمرت العلاقات السياسية بين الامبراطور فردريك، والكامل الايوبى الى أن توفى الأخير سنة ١٢٣٨ م / ٦٣٦ هـ ، فأقام له فردريك حدادا كاملا وحزن عليه حزنا شديدا ، وكتب الى هنرى الثالث ١٢١٦ — ١٢٧٢ م ملك انجلترا يقول « كان من الممكن لأشياء كثيرة أن تكون مختلفة جدا لو أن صديقى الكامل كان لا يزال على قيد الحياة » (٣٤٩) .

وعلى كل فقد استمرت العلاقة طيبة بين الامبراطور فردريك، وخلفاء الملك الكامل (٣٥٠) ، اذ تولى الملك الصالح نجم الدين ايوب ، وارسل له الامبراطور فردريك سفارة لتهنئته ، وجرى استقبال السفيرين بالقاهرة بكل مظاهر التشريف والأبهة ومكث السفيران الى أوائل فصل الربيع (٣٥١) ، ورد الملك الصالح على الامبراطور فردريك بسفارة ،

كان على رأسها « الشيخ العلامة سراج الدين الأرموى » « قاضى قونيه » وقد أقامت السفارة عند الامبراطور معززة مكرمة ، وقد الف الشيخ سراج الدين للامبراطور كتابا فى المنطق ، ثم عاد الى الملك الصالح (٣٥٢) .

وهكذا استمرت المودة بين الطرفين(٣٥٣)، الى أن استطاع الصالح نجم الدين وبمساعدة الخوارزمية ، من استرداد بيت المقدس نهائيا فى ١١ يونية ١٢٤٤ م / ٣ محرم ٦٤٢ هـ ، من الصليبيين وهزموهم قرب غزة — ١٨ أكتوبر ١٢٤٤ م / ١٤ جمادى الأولى ٦٤٢ هـ ، وقتلوا وأسروا الآلاف وكان هذا — بلا شك — ضربة قوية لبقايا اللاتين وعلى رأسهم الجنوية فى بلاد الشام (٣٥٤) ، فى حين أن الصالح نجم الدين . منح الأمان فى جميع مملكته الى البنادقة على يد « ليونارد جيردونكو » Leonardi Gradnico ، وكذلك « يوحنا بريميانى » Johonnis prmarini (٣٥٥) ، وقد حاول قائد المعبد عقد معاهدة صلح مع الصالح نجم الدين أيوب ، للحصول على امتيازات مثل البنادقة الا أن محاولاتهم قد فشلت (٣٥٦) ، وربما يرجع فشلها الى أن الايوبيين مازالوا يبقون على شروط الصداقة مع الامبراطور فردريك الثانى — الذى كان حينئذ ١٢٤٤ م — واقعا فى خلاف مع البابوية ، ورفضوا الاستجابة لأية محادثات الا مع الامبراطور شخصيا (٣٥٧) ، الأمر الذى ترتب عليه ، أن أرسل البابا انوسنت الرابع Innocent IV (١٢٤٣ — ١٢٥٤ م) الى الامبراطور فردريك للتوسط لدى صديقه الصالح نجم الدين لوقف هجماته ضد اللاتين (٣٥٨) ، كما بعثت البابوية أيضا برسالة الى الامبراطور لمهادنته (٣٥٩) ، الا أن المشاكل تفاقمت بين الامبراطور والبابا ، مما جعل الأخير يعقد مجمعا فى « ليون » فى ١٨ حزيران ، (يونيه) ١٢٤٥ م ، ويصدر

قرار الحرمان ضد الامبراطور ، وخلعه من كرسيه الامبراطورى (٣٦٠) .

وقد أرسل الامبراطور بهذه الاخبار الى الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ م ، عن طريق مركب وصل الى الاسكندرية قادما من صقلية (٣٦١) . ومن هذا المنطلق يمكن القول بان الامبراطور كان حريصا على ضرورة احاطة أصدقائه بالشرق الاسلامى بمجريات الأمور فى أوربا ، وربما أرسل الامبراطور هذه الاخبار بقصد تهدئة شعور الملك الصالح نجم الدين أيوب تجاه الامبراطور وخاصة عندما أخذ الأخير يضطهد مسلمى صقلية (٣٦٢) .

وصفوة القول ان العلاقات كانت بين الامبراطور فردريك والملك الكامل محمد ومن بعده الصالح نجم الدين أيوب ، طيبه ، واستقبل كل منهما سفارات الآخر بترحيب زائد ، على نحو ما سبق ذكره ، هذا وكما تروى المصادر والمراجع أن الامبراطور فردريك أعتز ايما اعتزاز بهذه الصداقة ، فقد شارك المسلمين بالغرب احتفالاتهم الدينية مثل عيد الهجرة (٣٦٣) . كما كان عنده فى صقلية أنواع من الحيوانات والطيور الشرقية من أفريقية ومصر التى ارسلها السلطان الكامل (٣٦٤) ، كما ساهم الامبراطور المسلمين فى مناقشة المسائل العلمية ، من خلال اتصالات بالملك الموحدى بالمغرب (٣٦٥) ، وكذلك العلماء الذين أرسلهم الكامل اليه مثل علم الدين الحنفى (٣٦٦) ، وأيضا المناظرات العلمية مع الامام ابن سبعين (٣٦٧) Ibn-Sabein .

وفى الوقت الذى كانت العلاقات بين فردريك والمسلمين على الصورة الآنفة الذكر، حدث الشقاق بين الامبراطورية والبابوية من جديد ، وحقيقة كان لا يمكن للبابوية أو الصليبيين عامة أن يستغنوا

عى الامبراطور فردريك اذ انهم بدون فردريك فانهم مثل « الرمل بدون حصى ، أو الحائط بدون دهان » (٣٦٨) . وعلى أية حال بعد أن وصل الأمر الى هذه الدرجة ، حاولت البابوية كسب أصدقاء لها بالشرق ، بعدما قطعت علاقاتها بالامبراطور فردريك ، وكذلك فشلت فى محاولاتها لاقامة صلات طيبة بملوك الشرق الاسلامى ، وليس ادل على ذلك من أن البابا انوسنت الرابع ١٢٤٣ ـ ١٢٥٤ م أرسل رسالة الى الملك الناصر داود ابن المعظم ، وبما بغرض مناقشة بعض الأمور والمسائل السياسية ، وكذلك بهدف ترغيبه فى اعتناق الدين المسيحى ، الا أن الناصر رد على البابا برسالة فى ١٥ أغسطس ١٢٤٦ م ، يشرح له فيها الدين الاسلامى وفضائله (٣٦٩) . هذا وقد حاول الملك الصالح خطب ود البابوية ، وخاصة عندما حدث أن دهم المسلمون « كنيسة القيامة » اذ أرسل اليها يعرب عن أسفه لهذا الحادث ، ويعدها بأنه سيعاقب المجرمين ، ويسلم مفاتيح الكنيسة الى أصحابها ، بحيث لا تفتح الا للحجاج ، بعد اصلاحها (٣٧٠) ، ويرجع السبب فى ارسال الصالح هذه الرسالة الى البابوية فى أغلب الظن الى ـ أنه خشى أن تثير ضده الغرب الأوربى فتأتى حملة صليبية جديدة ، وتستولى على بيت المقدس .

موقف الامبراطور فردريك الثانى من الحملة السابعة :

ومهما يكن من أمر فان الامبراطور فردريك الثانى ، قد استمر فى علاقاته الطيبة ، بالشرق ، والدليل على ذلك ، أن البابوية دعت فى أوربا لقيام حملة صليبية جديدة على الشرق ، بسبب ما حدث من استيلاء الصالح نجم الدين على بيت المقدس سنة ١٢٤٤ م ، فاستجاب لهذه الدعوة ملك فرنسا « لويس التاسع » Louisix ١٢٢٦ ـ ١٢٧٠ م وبدأ يستعد لهذه الحملة ، وقد كان الامبراطور فردريك امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة ، على

علم بما يجرى بشأنها ، وعرف انها سوف تتجه الى مصر ، ومن منطلق علاقاته بالمسلمين أرسل فى مايو ١٢٤٨ م ، الى ملك مصر (السلطان الصالح نجم الدين أيوب ليخبره عن هذه الحملة وتفصيلاتها (٣٧١) . وقد ذكر رسل الامبراطور ذلك بقوله « أرسلنى الامبراطور فى السر الى الملك الصالح نجم الدين لأعرفه عزم قصد رايدا فرنس على الديار المصرية ، وأحذره منه ، وأشير عليه بالاستعداد له » . وزيادة فى السرية لمبعوث الامبراطور فقد لبس هذا الرسول زى تاجر (٣٢٧) ، اذ أن التجار البنادقة كثيرا ما كانوا يترددون على مصر فى هذه الآونة . وهذا وقد وصل الرسول على ظهر « بسطة » تسمى « نصف الدينار » الى ميناء الاسكندرية ، وكان معه على السفينة ثلاثمائة تاجر ، وفيها من البضائع ما لا يحصى ، مثل الزيت والخمر والجبن وعسل النحل وبعض الأمتعة وغير ذلك (٣٧٣) . وقد تمت المقابلة فى سرية تامة بين رسول الامبراطور والملك الصالح نجم الدين ، اذ يقول الرسول لم يشعر أحد باجتماعى بالملك الصالح خوفا من الفرنج أن يعلموا ممالأة الامبراطور للمسلمين عليهم (٣٧٤) ، على أنه حمل هذا السفير رسالة من الامبراطور فردريك الثانى الى الملك الصالح ليشرح له فيها الوضع ، وخط سير هذه الحملة ، حيث تمر فى طريقها على صقلية ، وهى من أملاك الامبراطور ، كما أن الملك لويس التاسع استأذن الامبراطور فردريك فى الذهاب الى الشرق على أساس انه والد « كونراد » الملك الشرعى للمملكة بالشرق (٣٧٥) .

ومن العبارات التى وردت فى هذه الرسالة « انه قد وصل فى خلق كثير وقد اجتهدت غاية الاجتهاد على رده عن قصده وخوفته ، فلم يرجع لقولى فكن منه على حذر » (٣٧٦) .

ولم يكتف الملك الصالح بما حصل عليه من معلومات عن الحملة من خلال رسالة الامبراطور ، بل طلب منه المساعدة

العسكرية فى سبيل صد هذه الحملة ، حيث قد سبق عقد معاهدة تحالف ودفاع مشترك بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الأيوبية وأرسل بمقتضاها الملك الكامل قوة الى الامبراطور فردريك سنة ١٢٢٨ م ، كما سبق القول ، لمساعدته ضد أعدائه فى شمال ايطاليا ، وقد جددت هذه المعاهدة فى عهد الصالح نجم الدين أيوب ، ومن هذا المنطلق — كما يذكر البعض — أرسل الصالح نجم الدين يطالب الامبراطور فردريك بمقاتلة الجنوية ، ولم يكتف بذلك ، بل أرسل قوة عسكرية مصرية لمساعدته فى حروبه ضدهم لشغلهم عن اتمام تلك الاستعدادات ، وبالتالى منع قيام الحملة ، أو على الأقل تأخيرها كسبا للوقت ، حتى يستعد بقواته لمواجهتها عند قدومها الى مصر ، وبالفعل ساهمت تلك القوة المصرية فى قتال الجنوية وحلفائهم ، أهالى مدينة « بارما » شمالى ايطاليا ، الا أن قوات الامبراطور فردريك ، ومصر المتحالفة معه ، هزمت وطردت من مدينة النصر القريبة من « بارما » عام ١٢٤٨ م / ٦٤٦ هـ (٣٧٧) .

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن ، لماذا أفشى الامبراطور فردريك ، سر هذه الحملة الى الملك الصالح نجم الدين وهى حملة صليبية ؟ وهل كان لقضاء الاتفاقية التى عقدها الامبراطور فردريك مع الملك الكامل أثر على هذا الموقف ؟

يذكر بعض المؤرخين أن سياسة الامبراطور فردريك فى هذه المرحلة كانت ذات شقين :

الشق الأول : أن يظهر بصورة الصليبى والمدافع عن المسيحية ، ومن ثم فقد ساعد الحملة المزمع قيامها فمدها بالمال والجند ، حتى ينجح فى سياسته الخارجية (٣٧٨) .

اما الشق الثانى : وهو خفى ، فهو ان يعمل على عرقلة جهود الحملة الفرنسية الصليبية ، ومن هذا المنطلق راسل الملك الصالح

نجم الدين الأيوبى (٣٧٩) اذ تمنى الامبراطور فشل هذه الحملة ، لأن البابا رفض العفو عنه ، كما دبر مؤامرة لقتله لكنه نجا منها بعد أن عرف خيوطها (٣٨٠) .

ويمكن القول بأن الامبراطور أمد الحملة بالمؤن حتى لا يتصعد الخلافات بينه وبين البابوية فيظهر أمامها وأمام العالم المسيحى فى صورة المتقاعس . وأما ارساله الى الملك الصالح بالأخبار عن هذه الحملة فلأنه رغب فى حفظ العلاقات الطيبة مع المسلمين بالشرق ، وخاصة انه لا يريد أن يفتح باب العداء من جديد معهم نظرا لمصالحه ومصالح أصدقائه البنادقة فى الاسكندرية ، الذين عارضوا الحملة (٣٨١) ، وعلاوة على هذا فان الامبراطور فردريك كان لا يزال يؤمن بحل قضية بيت المقدس بالطرق الدبلوماسية (٣٨٢) . وخاصة ان له باعا طويلا فى هذا المضمار .

هذا وقد وصلت الحملة الى دمياط فى ابريل ١٢٥٠ م / المحرم ٦٤٨ هـ (٣٨٣) ، ووقعت فى مأزق ، واسر الملك لويس كما أسر جوانفيل oinvile صاحب المذكرات الشهير ، فخشى على نفسه وخاصة انه كان مريضا ، فذكر للمصريين أنه قريب من ناحية أمه « للامبراطور فردريك الثانى » ، ومن ثم أصبح جوانفيل موضع عناية خاصة ، كما استضافة أمير السفن المصرية الأيوبية حتى ٦ محرم ٦٤٨ هـ / ١٠ أبريل ١٢٥٠ م ، واصطحبه فى نزهة نيلية ، ثم ذهب به الى معسكر المنصورة . ليكون بصحبة الملك لويس التاسع والبارونات الأوربيين والمحليين فى الأسر (٣٨٤) .

وبعد موت الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ / نوفمبر ١٢٤٩ م تولى الأمر بعده ابنه الملك المعظم تورانشاه (٣٨٥) الذى حمل مسئولية الدفاع عن مصر على عاتقه ، الا أن الحملة

وصلت الى الوضع السابق الذكر ، وأصبح الصليبيون فى وضع لا يحسدوا عليه ، مما دفعهم الى التفاوض مع السلطان الجديد المعظم تورانشاة ، وأرسل الأخير مندوبيه للتفاوض مع كونت « بريتانى » باعتباره من اكبر المقربين الى الملك لويس ، وأبدى المندوبون استعدادهم لاطلاق سراح كبار البارونات فقط مقابل نزولهم له عن اماراتهم ومدنهم وقلاعهم فى فلسطين ، الا أن كونت « بريتانى » أجاب بأن هذه الامارات والمدن والقلاع منح اقطاعية من صاحبها الامبراطور فردريك الثانى ، صديق السلاطين الأيوبيين وهو لا يزال على قيد الحياة ومن المستحيل النزول عن أية واحدة منها ، الى أية سلطة أخرى الا باذنه ، وهو ما لا يريد السلطان تورانشاة أن يطلبه من الامبراطور فردريك نفسه ، احتراما للصداقة الفردريكية الكاملية القديمة (٣٨٦) .

ومن ثم يمكن القول بأن المعظم تورانشاة قد حافظ وحرص على استمرار العلاقات بينه وبين الامبراطور فردريك الثانى ، فى نفس الوقت الذى توسط فيه الأخير لدى المعظم تورانشاة لفك أسرى الملك الفرنسى وكبار البارونات (٣٨٧) ، حيث أن جوانفيل وكان من بين الأسرى يقول فى مذكراته « لم يمض وقت طويل على رحيل اخوة الملك عن عكا حتى جاءه رسل من قبل الامبراطور فردريك يحملون خطابات الاعتماد ، ويقولون : أن الامبراطور أوفدهم للعمل على اطلاق سراحنا » (٣٨٨) .

وتأكيدا لمساعى الامبراطور فردريك الثانى ، فقد أطلع الرسل ، الملك لويس على خطابات الامبراطور والموجهة الى سلطان مصر (المعظم تورانشاة) الذى كان قد قتل فى مايو ١٢٥٠ م ، عند وصول الرسل ، ولم يعلم ، على ما يبدو الامبراطور فردريك بخبر موته — وقد طلب الامبراطور فردريك من سلطان مصر كما هو

موضح فى الرسالة « أن يلقى الى سمعه ما يقوله الرسل بشأن تخليص الملك » (٣٨٩) ، ومن الواضح أن وساطة الامبراطور فردريك الثانى قد وصلت متأخرة ، اذ أنه قد تم فك الأسرى ، بالاضافة الى أن أخوى الملك الفرنسى ، قد غادرا بلاد الشام الى أوربا ، ولعل تأخير هذه الوساطة دفع بعض الصليبيين — الذين كانوا فى الأسر — الى الشك فى صدق هذه الوساطة ، أهى من أجل فك الأسرى ، أم من أجل ايجاد عقبات فى طريقهم حتى يبقوا فى الأسر ، اذ يذكر جوانفيل « فقال البعض لم يكن من الخير لنا أن يجدنا الرسل فى الأسر ، ظننا من هذا البعض أن الامبراطور قد أوفد رسله لمضايقتنا ، أكثر من ايفاده أياهم لاطلاق سراحنا(٣٩٠)» .

ويمكن استبعاد أن رسل الامبراطور فردريك قد جاءت لمضايقة الأسرى والعمل على اعاقة فك أسرهم ، حقيقة أن الامبراطور كان يتمنى لهذه الحملة الفشل اذا أرسل الى الصالح نجم الدين تفصيلاتها ، كما سبق القول ، واذا كان قد وقع الملك لويس وكبار البارونات فى الأسر فمعنى ذلك أن الحملة لاقت المصير الذى كان يتمناه ، بل ويتوقعه الامبراطور فردريك. ومن ثم أصبحت لا حول لها ولا قوة ، فسعى الى تخليصهم من الأسر ، لأن فك أسرهم لا يؤثر على موقفهم العسكرى فى الشرق الاسلامى ، وخاصة أنهم خاضوا تجربة مريرة ، واذا فكروا فى عمل عسكرى فان هذا سوف يحتاج الى وقت يمكن للمسلمين أن يكونوا قد استعدوا فيه . ومن هنا يظهر الامبراطور فردريك أمام العالم المسيحى فى صورة المدافع عنهم ، ويظهر أمام الملك لويس بأنه صديق حميم له ، اذ سبق أن توسط لويس التاسع لدى البابا لرفع قرار الحرمان عن الامبراطور فردريك ، ويكون ذلك بمثابة رد الجميل للملك الفرنسى. وبادراك هذه الجوانب مكتملة ، يمكن القول بأن سفارة الامبراطور كانت مهمتها فك الأسرى الفرنسيين من يد المسلمين . ويذكر بعض

المؤرخين أن « أمال الفرنسيين فى مساعدة ملكهم قد تبخرت بموت الامبراطور الألمانى » (٣٩١) ٠

وقد تركت بعثة الامبراطور فردريك عكا اذ مروا فى طريقهم على الملك الناصر يوسف الأيوبى صاحب حلب ، ليتعرفوا منه على تفاصيل الموقف السياسى فى بلاد الشام ومصر منذ مقتل السلطان تورانشاة (٣٩٢) ٠

اما عن الملك لويس التاسع (٣٩٣) ، فانه اقام فى عكا فترة من الزمن من اجل اصلاح الوضع الصليبى ، الذى على شفا جرف هار ، فقام ببعض الاتصالات بالسلاطين المسلمين مثل سلطان دمشق ، الذى شكا له من افعال أمراء مصر ضد تورانشاة ، ويذكر جوانفيل ، أن سلطان دمشق ابدى استعداده لتسليم مملكة بيت المقدس الى لويس التاسع إذ ساعده ضد الأمراء المنشقين عليه (٣٩٤) ، وبذلك تجددت عروض الصلح التى سبق أن عرضها الكامل ، الا أن الشخصيات قد تغيرت فقد مات الملك الكامل الذى عقد هذه الاتفاقية مع الامبراطور فردريك الثانى ، الذى مات هو الآخر فى سنة ١٢٥٠ م ٠

الهوامش

(١) Wiegler (P.) : The Infidel Emperor and his struggles against the pope., p. 102.

(٢) Kantorowicz (E.) : Fredrick The Second, p. 138.

وايضا سعيد عاشور : فردريك الثانى والشرق الغربى ، ص ١٩٨ ٠

(٣) Lamb (H.) : The Crusades, p. 256.

(٤) Michoud. Historia des croisades, Tome 3., p. 3.

(٥) محمد عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ٩٨ ٠

(٦) Ibid., p. 3.

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥١ ٠

(٧) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 439.

(٨) Ibid., p. 440.

(٩) عبد القادر اليوسف : نفس المرجع ، ص ١٧٠ ٠

(١٠) Ibid., p. 440.

(١١) عبد القادر اليوسف ، نفس المرجع ، ص ١٧٠ ٠

(١٢) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٠٩ ـ ٣١٠ ٠

Cf. Cam-Med. Hist., Vol. VI, Cam., 1929, p. 144.

(١٣) Michoud : Op. cit., Tome 3., p. 2.

(١٤) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 138.

(١٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥١ ٠

(١٦) Ibid., p. 139.

(١٧) Ibid., p. 139.

(١٨) Pernoud (R.) : The Crusades, p. 225.

(١٩) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 442.

(٢٠) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣١٢ ٠

(٢١) مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، م ٢ ، ص ٢٧٠ ٠

(٢٢) King (E.J.) : Op. cit., p. 202.

(٢٣) محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ١١٦ ٠

(٢٤) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 974, p. 256.

(٢٥) Ibid., No. 975, p. 256.

(٢٦) Robricht (R.) : Regesta Regni, No. 1025, p. 268.

(٢٧) Ibid., No. 967, p. 255.

(٢٨) Ibid., No. 968, p. 255.

(٢٩) Michoud : Op. cit., Tome 3, pp. 5 F.

(٣٠) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥٢ ٠

(٣١) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.

(٣٢) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣١٦ ٠

(٣٣) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 168.

(٣٤) Michoud : Op. cit., Tome 3., p. 8.

(٣٥) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 168.

(٣٦) لاندجراف : كلمة مشتقة من اللغة الألمانية ، وتعنى كونت الارض ، وقد استعملت للدلالة على بعض امراء الامبراطورية الرومانية المقدسة ، التى تقع مقاطعتهم فى الاماكن الحدودية ، ويتمتعون بصلاحيات أوسع من غيرهم ٠
Cf. : Michoud ; Op. cit., Tome 3., p. 4.

(٣٧) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 130.

(٣٨) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 168.

هذا وقد احتال أحد القساوسة على الحجاج ، ووقف عند بوابة القديس « بيتر » Peter على انه ممثل البابا ، وجرد الحجاج من نذورهم ، ولم يسمع البابا بهذه الحادثة الا بعد أسابيع حيث انه كان فى « اناجنى » Anagni وقد أمرع البابا بفصله من الخدمة ، انظر :
Cf. Kantoriwicz (E.) : Op. cit., p. 169.

(٣٩) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 169.

يذكر بعض المؤرخين أن عدد الجنود حوالى ٤٠٫٠٠٠ جندى ٠ انظر :
Cf. Com. Med. Hist., Vol. VI, p. 146.

(٤٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 169 F.
وانظر : مكسيموس مونروند : الحرب المقدسة فى الشرق ، م ٢ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ ٠

(٤١) Archer (T.A.) : The Crusades, p. 380.

(٤٢) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 170.
Cf. Hayuard (F.) : A History of the Popes, p. 199.

(٤٣) مكسيموس مونروند : نفس المرجع ، م ٢ ، ص ٢٧٢ ٠

(٤٤) Rene Grousset : Hist Des Croisade, Tome 3., p. 289. Paris, 1936.

(٤٥) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 171.

(٤٦) Ibid., p. 170.

(٤٧) Michoud : Op. cit., tome 3., p. 9.
وانظر مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ٠
Cf. Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 170.

(٤٨) Lamb (H.) : The Crusades, p. 258.
وانظر : ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ٣١٦ ٠

(٤٩) Duggan (A.) : The Story of the Crusades, p. 222.

(٥٠) Kantorowicz. (E.) : Op. cit., p. 171.
Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3., p. 10 F.
وانظر : مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، م ٢ ، ص ٢٧٣ ٠

(٥١) Kantorowicz. (E.) : Op. cit., p. 172.

(٥٢) Cam-Med.-Hist., Vol. VI, p. 146.
Cf. Rene Crosset : Op. cit., Tome 3, p. 289.

(٥٣) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 171.

(٥٤) Ibid., p. 171.

(٥٥) Ibid., p. 171.

(٥٦) Ibid., p. 175.
Cf : Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 10.

(٥٧) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 1. 31.

(٥٨) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 175.

(٥٩) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 131.

(٦٠) Ibid., p. 132.

(٦١) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 173.
Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 132, Also : Thampson (J.) : Middle Ages, Vol. I., p. 593.

(٦٢) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 173.

(٦٣) Ibid., p. 174.
وانظر : سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .
وايضا : عبد القـادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٧١ .

(٦٤) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 12.
لقد أورد « كنتروفتش » تحليلا جميلا من العلامة بين البابوية والامبراطورية انظر :
Cf. Kantirowicz (E.) : Op. cit., pp. 170-175.

(٦٥) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.
Cf. Richard (J.) : Le Rayume Latin De Jerusalem, p. 188.
Also : Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 176.

(٦٦) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.

(٦٧) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 451.
مما يجب ذكره أن « يولاند » السورية زوجة الامبراطور فردريك ، ووريثـة بيت المقدس ، قد ماتت فى ابريل عام ١٢٢٨ م ، باندريه Andrea
Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 133.

(٦٨) Lec. cit.
Cff. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 12.

(٦٩) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 176
Cf. Grousset (R.) : Hist-des croisades, Tome 3, p. 289.

(٧٠) فيشر : أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .
Cf. Bryce (J.) : The Holy Roman Empire, p. 205.
Also : Duggan (A.)) : The Story of the Crusades, p. 225.

(٧١) Richard (J.) : Le Reyaume Latin De Jerusalem, p. 187.
Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 13.
وايضا : مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

(٧٢) Frederic (II) : Question Philosophiques, Journal Asiatique, Paris, 1853, Tome 1, p. 240 F.

(٧٣) Tout (T.F.) : The Empire and Papcy, p. 366.
Cf. Hulme (E.M.) : The Middle Ages, p. 495.
وايضا : يوشع براور : عالم الصليبيين ، ص ٨٥ .

(٧٤) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 447.

(٧٥) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 176.

(٧٦) Ibid., p. 167.

(٧٧) Rine Grocssett : Hist. Des Croisades, Tome 3., p. 289.

(٧٨) Kantorowicz (E.) : Fredrick The Second, p. 179.
Cf. Slaughter (G.) : The Amazing Fredrick, London, 1937 pp. 109 F.

(٧٩) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 14.

(٨٠) لقد مر الامبراطور فى طريقه البحرى الى الشرق بعدة جزر وموانى مثل « أوترانت » Otranto احدى مدن « ابوليا » ثم « أوترونس » Othronus ثم قلعة « كورفو » Corfu ثم ميناء « جويسكارد » Guiscardo ثم جزيرة « ثيفالونيا » Cephalonia ، حيث مون منها ثم الى « مودون » Modon ثم الى ميناء « كالبيه » Caylie وبعد ذلك الى جزيرة « سيرجو » Cergio ثـم الى جـزيرة كـريت ورسـا على مكـان بهـا يسـمى « سودا » Sudo ، ثم الى مدينة « كاندى » Candie ، ومن كريت الى « رودس » ثم الى « باتارا » Patara ، ثم الى ميناء « فينيسيا » Phinicia . انظر : محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ١٨٠ ـ ١٨١ .

(٨١) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 170.

(٨٢) حنا ابلين John of Ibelin هو القائم بالوصاية على الملك الذى يبلغ من العمر اثنى عشر عاما ، وهو نبيل سورى ذو سمعة كبيرة فى كل الشرق المسيحى ، فهو دارس للقانون ومثقف ومشهورا بدهائه وبلاغته .
Cf : Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 181.

(٨٣) محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ١٨٥ – ١٨٦ ·

(٨٤) Wiegler (P.) : The Infedel Emperor, p. 134.

(٨٥) سعيد عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ٤١ – ٤٢ ·

(٨٦) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 451.

(٨٧) Richard (T.) : Le Rayume Latin De Jerusalem, p. 188.

(٨٨) Michiud : Op. cit., Tome 3, p. 14.

(٨٩) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 450.

(٩٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 177.

(٩١) كاتب البابا هو « باجيللوس جيد نوس » · Pagellius Guidonis
Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 137.

(٩٢) Lec. cit.
وانظر : سعيد عاشور : فردريك الثاني والشرق العربي ، ص ٢٠٤ ·

(٩٣) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 998, p. 262.
وانظر : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٦٤ ·
وايضا : محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٤٣١ ·

(٩٤) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 184.

(٩٥) Michoud : Op. cit., Tome 3., p. 15.
Cf. King (E.J.) : Op. cit., p. 206.
Also : Conder (C.R.) : The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 312.

(٩٦) King (E.J.) : Op. cit., p. 203.

(٩٧) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 451.

(٩٨) Ibid., p. 448.

(٩٩) King (E.J.) : Op. cit., p. 203.

(١٠٠) King (E.J.) : Op. cit., p. 203.
Cf. Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 448.
وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٦٠ ·

(١٠١) Stevenson (W.B.) : The Crusaders in the east, p. 308.

(١٠٢) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 182.
وانظر مصطفى الحناوى ، الاستبارية ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى رسالة ماجستير غير منشورة ، الاسكندرية ١٩٨٠ ، ص ٢٩٧ ·

(١٠٣) King, (E.J.) : Op. cit., p. 206.

(١٠٤) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 182.
وانظر : سامى سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى الجمهوريات الايطالية ، ص ٤٩ ·

(١٠٥) Ibid., p. 182.
Cf. Wilgler (P.) : Op. cit., p. 135.

(١٠٦) Tout (T.M.) : The Empire and the Papacy, p. 368.
وانظر مصطفى الحناوى : المرجع السابق ، ص ٢٩٧ – ٢٩٨ ·

(١٠٧) Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 309.
Cf. Painter (S.) : 8 History of the Middle Ages, p. 217.

(١٠٨) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ١٨ ·٣

(١٠٩) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 15.

(١١٠) الكندسطبل : Constable أكبر موظفى المملكة ، فهو قائد الجيش من دولة انغمست فى حروب مستمرة ، ويحمل لواء الملك فى حفلة تتويجه ، ويقود الجند فى المعركة فى حالة غيبة الملك ، وفى الحملات يعتبر الكند سطبل قاض عسكر ويفصل فى قضايا الفرسان والطبقة الوسطى ، وينظر فى أمور الجند المأجورة ، وفى القضايا الخاصة بالأرزاق · انظر السيد الباز العرينى : الاقطاع الحربى عند الصليبيين بمملكة بيت المقدس فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، حاشية ٢٠ ، ص ٢٢ ·

(١١١) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 135.
Cf. Kantorowiez (E.) : Op. cit.. p. 182.

(١١٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٢٢٤ – ٢٢٥ ·

(١١٣) الحنبلى : الانس الجليل ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ ·
Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 16.
وانظر أيضا : آمارى : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٩٠ ·

(١١٤) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، القسم الثانى ، جـ ٨ ، ص ٦٥٤ ·

(١١٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ١٩٨ ·

(١١٦) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٣٠ ٠
وانظر ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٢٣ ٠

(١١٧) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 184.

(١١٨) Ibid., p. 183.

(١١٩) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ ٠

(١٢٠) Ibid., p. 182.

(١٢١) الصلاح الاربلى : هو أبو العباس أحمد بن عبد السيد بن قصطان الاربلى ، ولد فى أبريل عام ٥٧٢ هـ ، وتوفى عام ٦٣١ هـ ، بالرها ، وقد عمل لدى صاحب اربل حتى عام ٦٠٣ هـ ، ثم انتقل لخدمة الملك الكامل محمد ووصل منه الى مالم يصل اليه غيره ، واختصه بخلواته وجعله أميرا ، انظر :
ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ١٨٧ ٠

(١٢٢) هذا الفيل أحضره السلطان الكامل من مصر ، وقد كان الملك المسعود صاحب اليمن والحجاز قد أتى به ضمن مجموعة فيله من اليمن ، ولم يكن قد بقى منها سوى هذا الفيل ، اذ ماتت كلها ٠ انظر :
امارى : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٣٢٤ ٠

(١٢٣) Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, p. 135.

(١٢٤) محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ ٠

(١٢٥) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2, p. 453.

(١٢٦) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 135.

(١٢٧) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 454.
Cf. Rohricht (R.) : Regesta Regni No. 992, p. 267.

(١٢٨) القريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٦ ٠
Cf. Lamb (H.) : The Crusades, p. 261.

(١٢٩) عبد الشافى غنيم : حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية ص ١١٤ ـ ١١٥ ٠

(١٣٠) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 135.

ـ تل المعجول : قرية فى غزة : انظر :
هيئة القدس العلمية : كشاف البلدان الفلسطينية ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٤٩ ٠

(١٣١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ١٩٧ ٠
ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ٠ ، وانظر ابن الوردى : تتمة المختصر فى اخبار البشر ، جـ ٨ ، ص ٢٢٢ ٠ وايضا الحنبلى : شفاء القلوب ، ورقة ٨٥ ٠

(١٣٢) Michoud : Historie des croisades, Tome 3, p. 16.
Cf. Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, p. 135.

(١٣٣) Setton (K.M.) : A History of the Crusades, Vol. 2., p. 454.

(١٣٤) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136.

(١٣٥) محمد عبد العزيز عزيز : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ ٠

(١٣٦) Setton (K.M.) : Op. cit., p. 454.
وانظر مصطفى الحناوى : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ ٠

(١٣٧) Stevenson (W.B.) ; Op. cit., p. 309.

(١٣٨) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٣٠ ٠
وانظر : نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٣ ٠

(١٣٩) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 185.

(١٤٠) Wiegler (P.)) : Op. cit., p. 135.
Cf. Kantorowicz, (E.) : Op. cit .,p. 184.

(١٤١) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136.
Cf. Slaughter (G.) : The Amazing Fredrice, p. 112.
Also : Archer (T.) : The crusaders, p. 381.

(١٤٢) الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، جـ ٥ ، ص ١١٨ ٠
Cf. Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136.
Also. Michoud Op. cit., Tome 3, p. 18.
وانظر : سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٢٨٥ ٠

(١٤٣) ابن واصل : مفروج الكروب فى اخبار بنى أيوب ، جـ ٤ ، ص ٢٤٠ ٠

(١٤٤) نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٠ ٠

(١٤٥) الحنبلى : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ ١ ، ص ٤٠٦ ٠
وانظر : ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ ٠

(١٤٦) مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤٠ .

(١٤٧) يذكر بعض المؤرخين أن الامبراطور فردريك الثانى ، عندما احتاج فى شهر فبراير ١٢٢٩ م ، الى جند ورجال بذل فى خدمة عشر فرسان نحو ستة آلاف (٦٠٠٠) بيزنطة ، أى بمعدل ستمائة (٦٠٠) بيزنطة للفارس الواحد

انظر :

السيد الباز العرينى : الاقطاع الحربى عند الصليبيين لمملكة بيت المقدس فى القرنين ١٢ ، ١٣ ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٠ .

(١٤٨) Lamb (F.) : The crusades, p. 261.

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٦٣ .

وأيضا اسامة زكى زيد : الخوارزمية ودورهم فى الصراع الصليبى الإسلامى فى عصر بنى أيوب ، ١٢٢٥ – ١٢٤٦ م / ٦٢٢ – ٦٤٤ هـ ، مقال بمجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، العدد ١٩٨٢/٣٠ – ص ٢٥٥ .

(١٤٩) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136.

وانظر : امارى : المكتبة الصقلية ، ص ٩٤ .

(١٥٠) ابن واصل : نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٢٥١ .

Cf. Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 192.

(١٥١) Slaughter (G.) : Op. cit., p. 112.

(١٥٢) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 185.

(١٥٣) Ibid., p. 186.

(١٥٤) Slaughter (G.) : Op. cit., p. 112.

(١٥٥) عبد الشافى غنيم : حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية ، ص ١٨٦ .

(١٥٦) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 186.

(١٥٧) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136.

Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 18.

(١٥٨) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 192.

(١٥٩) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 136.

وانظر : رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ .

(١٦٠) الحنبلى : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

(١٦١) رنسيمان : الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

(١٦٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

وانظر : عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٧٨ .

(١٦٣) Breholles (H.) : Historia diplomatica Friderici Secondi, Tome 3, Paris, 1852-1861, p. 86.

وانظر الحنبلى : الانس الجليل ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .

وأيضا ابن دقماق . الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين مخطوط ، ورقة رقم ٥٧ ب .

(١٦٤) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 19.

Cf. Slaughter (G.) : Op. cit., p. 114.

Also : Poole (S.I.) : History of the Egypt in The Middle Ages, p. 227.

وكذلك انظر : بدر الدين العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، ج ١٢ ، مخطوط ورقة ٧٤ .

(١٦٥) ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوط ، ورقة ٨٥ . Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.

وانظر : ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٩٩ .

(١٦٦) Breholles (H.) : Op. cit., Tome 3, p. 86.

(١٦٧) ابن واصل : مفرج الكروب ، ج ٤ ، ص ٢٤١ .

وانظر ابن الوردى : تتمة المختصر ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(١٦٨) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 997, p. 262.

(١٦٩) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٨ .

(١٧٠) Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 312.

(١٧١) Breholles (H.) : Op. cit., Tome 3, p. 86.

(١٧٢) Ibid., p. 70.

Cf. Hulme (E.M.) : The Middle Ages, p. 496.

وانظر محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٤٣٢ .

(١٧٣) نظير حسان سعداوى : الحرب والسلام ، ص ٩٤ .

(١٧٤) Breholles (H.) : Op. cit., Tome 3, p. 70.

(١٧٥) عبد الغنى محمود عبد العاطى : صليبية الأطفال ، مقال بندوة التاريخ الاسلامى ، والوسيط ، مجلد ٢ ، ص ١٦٨ ٠

وانظر : رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٣١ ٠

وأيضا محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ٤٣٢ ٠

وكذلك عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٧٨ ٠

(١٧٦) ابن واصل : مفروج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٢٤١ ٠

وانظر : ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٢ ، ص ٢٢٢ ٠

وأيضا أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١٤١ ٠

وكذلك المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٨ ٠

(١٧٧) Ibid., p. 70.

(١٧٨) Ibid., p. 70 F.

Cf. Miihoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.

Also : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 456.

لمزيد من التفاصيل عن الاتفاقية ، انظر :

سعيد عاشور : فردريك الثانى والشرق العربى ، ص ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ٠

وأيضا محمد عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ٢١٤ ـ ٢١٧ ٠

وكذلك ٠ Cf. Poole (S.L.) : History of the Egypt in the Middle Ages, p. 227.

(١٧٩) الحنبلى ، شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوط ، ورقة ٨٥ ٠

(١٨٠) نظير حسان : الحروب والسلام ، ص ٩١ ـ ٩٢ ٠

(١٨١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ١٢ ، ص ١٩٩ ٠ حوادث ٦٢٦ هـ ٠

(١٨٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٤ ، ص ٢٣١ ٠

وانظر أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١٤١ ٠

وأيضا سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، القسم ٢ ، ص ٦٥٤ ٠

(١٨٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٠٠ ٠

وأيضا أبو الفدا ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ ٠

وكذلك ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٣١ ٠

(١٨٤) King (E.J.) : The Kinghts Hospitallers, p. 208.

(١٨٥) أمارى : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٥١٤ ٠

(١٨٦) Michoud : Histoire des croisades, Tome 3, p. 19.

(١٨٧) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ ٠

Cf. Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 188.

(١٨٨) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٣ ٠

(١٨٦) Micnoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.

وانظر مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، م ٣ ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ٠

(١٩٠) بدر الدين العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ ١٨ ، ورقة ٨٢ وسبط بن الجوزى المصدر السابق ، ص ٦٥٥ ٠

(١٩١) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ، جـ ٢ ، ق ٢ ، ص ٦٥٤ ٠

(١٩٢) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ٠

(١٩٣) سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٦٤٥ ٠

(١٩٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ٠

وانظر : ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ورقة ٨٥ ٠

(١٩٥) سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٦٥٤ ٠

وانظر ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٤٦ ٠

(١٩٦) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٧٢ ٠

والحنبلى : الأنس الجليل ، جـ ١ ، ص ٤٠٧ ٠

وانظر أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ١٤٢ ٠

وأيضا نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٧ ٠

(١٩٧) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٣ ٠

وانظر رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٣٢ ٠

Cf. Lamb (H.) : The Crusades, p. 262.

(١٩٨) عبد القادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٧٨ ٠

وانظر محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ٤٣٢ ٠

(١٩٩) أبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ١٥٤ ٠

(٢٠٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 188.

(٢٠١) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٧١ ٠

وانظر : نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٨ ٠

(٢٠٢) أمارى : المكتبة العربية الصقلية ، ص ٦٢٤ . Cf. Ibid., p. 192.

(٢٠٣) الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، ورقة ٨٥ .

(٢٠٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٤ ، ص ٢٤٢ .

(٢٠٥) انظر : فى ذلك : حسنين لبيب : مختصر تاريخ العصور الوسطى ، الطبعة الثانية ، ١٩١٩ ، ص ٤٢ .

وايضا : اسامة زكى زيد : الخوارزمية ودورهم فى الصراع الصليبى الاسلامى (١٢٢٥ ـ ١٢٤٦) ، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٢٠٦) Poole (S.L.) : History of the Egypt in the Middle Ages, p. 227.

(٢٠٧) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 188.

(٢٠٨) محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٦٩ .

(٢٠٩) جوزيف نسيم يوسف : لويس التاسع فى الشرق الأوسط ، ص ٣٥٢ .

(٢١٠) Setton (K.M.): A history of the crusades, Vol. 2., p. 456.

(٢١١) Kantorowicz, (E.) : Frederic The Second, p. 187.

(٢١٢) Thampson (J.W.t : Middle Ages, Vol. 1., p. 593.

(٢١٣) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.

(٢١٤) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق مجلد ٢ ، ص ٢٧٦ .

(٢١٥) باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٤٦ .

وانظر رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٣٢ .

وايضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٦٦ .

(٢١٦) Poole (S.L.) : History of the Egypt In the Middle Ages, p. 227.

وانظر حسن ابراهيم حسن وأحمد صادق طنطاوى : تاريخ العصور الوسطى فى الشرق والغرب ، ص ١٨٣ .

(٢١٧) Rohricht R. : Regesta Regni, No. 1001, p. 263.

Cf. Painter (S.) : A history of the Middle Ages, p. 214.

(٢١٨) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p .188.

(٢١٩) Rohricht (R.) : Op. cit., No. 1015, p. 266.

(٢٢٠) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 457.

(٢٢١) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 188.

(٢٢٢) Ibid., p. 209 & Slaughter (G.) : Op. cit., p. 116.

(٢٢٣) Rohricht (R.) : Regesta Regni , No. 999, p. 262.

Cf : Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 456.

(٢٢٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى اخبار بنى أيوب ، جـ ٤ ، ص ٢٤٤ .

وانظر المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٣٦٩ .

(٢٢٥) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.

(٢٢٦) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 188.

(٢٢٧) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 20.

(٢٢٨) Archer (T.) : The crusades, p. 381.

وانظر مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق ، م٢ ، ص ٢٧٦ .

(٢٢٩) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 138.

Cf. Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 21.

Also : Stephenson (C. : Medieval History, p. 276.

(٢٣٠) Lamonte (J.L.) : John D. Ibalin, The Lord of Beirut, 1177-1236, Byzantion, vol. 12., 1937, p. 433.

وانظر يوشع براور : عالم الصليبيين ، ص ٨٦ .

(٢٣١) Slaughter (G.) : Op. cit., p. 114.

(٢٣٢) سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ .

(٢٣٣) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 138, & Slaughter (G.) : op. cit., p. 115.

وايضا رنسيمان : نفس المرجع السابق ، ص ٣٣٤ .

(٢٣٤) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 458.

وانظر رنسيمان : نفس المرجع ، ص ٣٣٤ .

(٢٣٥) Wiegler (P.) : Op. cit., pp. 138 F.

وانظر ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ·

(٢٣٦) ابن واصل : نفس المصدر ، ص ٢٤٤ ·

وانظر المقريزى ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ ·

ولمزيد من التفاصيل ، انظر :

Cf. Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 192.

(٢٣٧) الدواداری : الدر المطلوب فی أخبار بنی أيوب ، ج ٧ ، ص ٢٩٤ ·

وانظر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٥٦ ·

(٢٣٨) wiegler (P.) : Op. cit., p. 139.

وانظر سبط بن الجوزى : نفس المصدر ، ص ٦٥٦ ·

(٢٣٩) Kantorowicz, (E.) : Op. cit.; p. 191.

(٢٤٠) wiegler (P.) : Op. cit., p. 139.

وانظر سبط بن الجوزى : نفس المصدر ، ص ٦٥٩ ·

(٢٤١) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٣٥ ·

(٢٤٢) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 139.

وانظر ابن واصل : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٢٤٤ ·

وأيضا المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ ·

تذكر بعض المصادر أن هذا القسيس كان بقبة الصخرة ، فقدم اليه الامبراطور ، واعتقد القسيس أن الامبراطور جاء يطلب منه الدعاء الا أن الأخير ضربه ورماه على الأرض ، انظر :

سبط بن الجوزى : نفس المصدر ، ص ٦٥٥ ، وأيضا المقريزى : السلوك ج ١ ، ق ١ ، ص ٢٦٩ وأغلب الظن أن هذا القسيس كان خارج المسجد كما تذكر بعض المصادر الغربية والشرقية المعاصرة ، وعلى أية حال فان الذى يهمنا هو موقف الامبراطور فردريك الثانى من هذا القسيس سواء كان داخل الصخرة أو خارج المسجد ·

(٢٤٣) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 190.

(٢٤٤) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 139.

(٢٤٥) Ibid., p. 139.

(٢٤٦) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 190.

وانظر سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٦٥٦ ·

(٢٤٧) سبط بن الجوزى : نفس المصدر ، ص ٦٥٦ ·

(٢٤٨) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٥ · وانظر : ابراهيم الحنبلى : شفاء القلوب ، ق ٨٦ ·

Cf : Wiegler (P.) : Op. cit., p. 140.

(٢٤٩) سبط بن الجوزى : المصدر السابق ، ص ٦٥٧ ·

Cf : Wiegler (P.) : Op. cit., p. 140.

(٢٥٠) الدواداری : الدر المطلوب ، ج ٧ ، ص ٤٩٢ ·

Cf : Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 190. & Also : Lamb (H.) : The Crusades, p. 264.

(٢٥١) مثل يضرب لمن يقابل الاحسان بالاساءة · انظر :

الشيرازى : القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ، مصر ١٣٤٤هـ/ج٢ ، ص ٥٣ ·

(٢٥٢) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 140.

Cf. Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1000, pp. 262 F.

وايضا رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٣٦ ·

(٢٥٣) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 22.

(٢٥٤) مكسيموس مونروند : الحروب المقدسة فى الشرق ، مجلد ٢ ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ ·

Cf. Slaughter (G.) : Op. cit., p. 115.

(٢٥٥) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ص ٨٦ ·

(٢٥٦) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 140.

وانظر رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ ·

(٢٥٧) Rohricht (R.) : regesta Regni, No. 1000, p. 262.

(٢٥٨) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 141.

Cf. : King (E.J.) : Op. cit., p. 209.

وانظر العينى : عقد الجمان ، ج ١٨ ، ورقة ٨٤ ·

(٢٥٩) Rohricht (R.) : Op. cit., No. 998, p. 262.
Cf. King : (E.J.) : Op. cit., p. 210.

(٢٦٠) Michoud : Op. cit., Tome 3, pp. 22 F.

وانظر رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٣٧ ٠

(٢٦١) Rohricht (R.) : Op. cit., No. 1002-1003, p. 273.

(٢٦٢) Ibid., No. 1003, pp. 263 F.

(٢٦٣) Ibid., No. 1004, p. 264.

(٢٦٤) Rohricht, (R.) : Regesta Regni, No. 1005, p. 264.

(٢٦٥) Ibid., No. 1006, p. 264.

(٢٦٦) Ibid., No. 1007, p. 264.

(٢٦٧) Ibid., No. 1008, p. 264.

(٢٦٨) Ibid., No. 1014, p. 266.

(٢٦٩) Ibid., No. 1016, p. 266.

(٢٧٠) تنسب الاسماعيلية الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهى احدى فرق الامامية وتعتبر المؤسسة للباطنية والتأويل ، وقد لعب الاسماعيلية دورا خطيرا فى عصر الحروب الصليبية فى بلاد الشـام ، تمثـل هـذا الدور فى مقاومتهم للمذهب السنى والعمل على الفتك بأهله وزعمائه وقادته ومقاومة الصليبيين والفتك بهم ٠ انظر :

عثمان عبد الحميد محمد عشرى : الاسماعيليون فى بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية ، دكتوراه القـاهرة ١٩٧٥ المقدمة ، وأيضا : زكى النقاش : الحشاشون وأثرهم فى السياسة والاجتماع دكتوراه ، القـاهرة ١٩٥٣ ٠

(٢٧١) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., pp. 193 F.

(٢٧٢) Parnoud (R.) : The Crusades, p. 231.
Cf. : Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 314.

(٢٧٣) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 141 & Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 314.

(٢٧٤) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 23.

(٢٧٥) Pornoud (R.) : The Crusades, p. 232.

وايضا رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ ٠

وكذلك سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧١ ــ ٩٧٢ ٠

(٢٧٦) سامى سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية ، ص ٥٠ ٠

(٢٧٧) رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٩ ٠

(٢٧٨) Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, pp. 143 F.

(٢٧٩) Ibir., p. 143.

(٢٨٠) Michoud : Op. cit., Tome 3, p. 24.

(٢٨١) Tout (T.F.) : The Empire and The Papacy, p. 369.
CF. : Setton (K.M.)l : Op. cit., Vol. 2., p. 461.
CF. : Hulme (E.M.) : The Middle Ages, Vol. I., p. 469.
Also : Thampson (J.W.) : Middle Ages, Vol. I., p. 593.

(٢٨٢) مصطفى الحناوى : المرجع السابق ، ص ٣٠٠ ــ ٣٠١ ٠

(٢٨٣) Wiegler (P.) : Op. cit., p. 143.

(٢٨٤) Ibid., p. 145.

(٢٨٥) Weigler (P.) : Op. cit., p. 146.

(٢٨٦) Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.H.) : A Source Book for Medieval History, Treaty of San Germano, 1230, p. 241.

(٢٨٧) Ibid, p. 242, San Germano.

وانظر نص الاتفاق ملحق رقم ١٠ ، ١١ ٠

(٢٨٨) Weigler (P.) : Op. cit., p. 146.

(٢٨٩) Tout (T.F.) : Op. cit., p. 369.

(٢٩٠) Setton (K.M.) : Op. cit., Vol. 2., p. 461.

(٢٩١) Ibid., p. 461.

(٢٩٢) سعيد عاشور : اوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ٠

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧٢ ٠

وايضا محمد مصطفى زيادة : حمله لويس التاسع على مصر ، ص ٦٥ ٠

وكذلك وليام لانجر : موسوعة تاريخ العـالم ، ج ٢ ، ص ٥٨١ ٠

(٢٩٣) Tout (T.F.) : Op. cit., p. 369.

(٢٩٤) Amonte (J.L.) : John d'Abelin, Byzantion, Tome 12, 1937, p. 436.

(٢٩٥) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

(٢٩٦) Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 315.

(٢٩٧) King (E.J.) : Op. cit., p. 212.

(٢٩٨) Amonte (J.L.) : John d'Abelin, p. 436.

لقد مر المارشال فى طريقه الى الشرق ، على قبرص . لمزيد من التفاصيل انظر : رنسيمان : نفس المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٤٥ .

(٢٩٩) King (E.J.) : Op. cit., p. 212.

(٣٠٠) Amonte (J. L.) : Op. cit., p. 436.

(٣٠١) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧٤ .

(٣٠٢) باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٤٩ .

وانظر رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٤٦ .

(٣٠٣) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ .

(٣٠٤) سامى سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الايطالية ، ص ٥٠ ـ ٥١ .

(٣٠٥) انظر رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ ـ ٣٥٥ .

وأيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧٥ .

(٣٠٦) باركر : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٣٠٧) انظر رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٦ .

(٣٠٨) نفس المرجع ، ج ٣ ، ص ٣٥٦ .

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٧٧ .

(٣٠٩) Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 314.

(٣١٠) انظر : رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ .

وأيضا سعيد عاشور : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٩٧٧ وكان حنا ابلين قد مات سنة ١٢٣٦ م .

(٣١١) Duggan (A.) : The Story of the Crusades, p. 227.
Cf. Amonte (J.L.) : John d'Ibelin, Byzantion, Tome 12, p. 444.

(٣١٢) Smail (R.C.) : The Crusarer in Syria and The Holy Land p. 32.

(٣١٣) King (E.J.) : Op. cit., p. 225.
Cf : Stevenson, (W.B.) : Op. cit., p. 317.

(٣١٤) Cam. Mer. Hist., Vol. 6., p. 102.

(٣١٥) Thatcher (O.J.) : & McNeal (E.J.) : Op. cit., No. 144, pp. 254-256. The Excomunication of Frederick II, 1239,

والترجمة الكاملة لهذا القرار ، انظر سعيد عاشور ، أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٧١٧ ، ملحق رقم / ١٤ .

(٣١٦) ستيفين رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٩ .

(٣١٧) محمد محمد أمين : السلطان الصالح نجم الدين ، ماجستير جامعة القاهرة ، ص ١٠١ .

وانظر محمد مصطفى زياده : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٧١ .

(٣١٨) رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

(٣١٩) رنسيمان : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

(٣٢٠) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 557.

(٣٢١) Rohricht (R.) Regesta Regni, No. 1101, p. 286.

(٣٢٢) كان سيمون زوجا لأخت ريتشارد وابن عم لسيد تبنين ، انظر : ستيفين رنسيمان : نفس المرجع ، ص ٢٨٣ .

(٣٢٣) King (E.J.) : Op. cit., p. 225.

(٣٢٤) سامى سلطان سعد : المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٣٢٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٤ .

(٣٢٦) سامى سلطان سعد : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٣٢٧) Rohricht (R.) : Op. cit., No. 1105, p. 297.

(٣٢٨) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٩٤ .

(٣٢٩) فى الحقيقة أن ريتشارد فلانجييرى كان ممثلا بالفعل للامبراطور فردريك الثانى بالشرق ، والدليل على تلك أنه منح « بنيابنديس » Pennapedis اربعمائة درهم (٤٠٠) بيزنطى ، يستخرجها من خزانة أورشليم سنويا ، وذلك فى ١٧ مايو عام ١٢٤٢ م ، صور .
Cf. Rohricht (R.) : Op. cit., No. 1107, p. 266.

(٣٣٠) سامي سلطان سعد : المرجع السابق ، ص ٥٣ – ٥٤ .
(٣٣١) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٣٨٨ .
(٣٣٢) باركر : الحروب الصليبية ، ص ١٥٠ .
(٣٣٣) يوشع براور : عالم الصليبيين ، ص ٨٦ – ٨٧ .
(٣٣٤) Painter (S.) : A history of the Middle Ages, p. 213.
(٣٣٥) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 189.
(٣٣٦) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ ١ ، ق ١ ، ص ٢٧٦ .
وانظر : عبد الشافى غنيم عبد القـادر : المرجع السابق ، ص ٧٣ .
(٣٣٧) Wiegler (P.) : The Infidel Emperor, p. 144.
(٣٣٨) نظير حسان : الحرب والسلام ، ص ٩٩ – ١٠٠ .
Cf. Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 206.
وانظر : سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ .
وأيضا : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٦٥ – ٩٦٦ .
(٣٣٩) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1025, p. 268.
(٣٤٠) Rtchard (J.) : La Ryaume Latin De Jerusadem, p. 191.
(٣٤١) عبد الشافي غنيم : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .
(٣٤٢) عبد الشافى غنيم : نفس المرجع ، ص ١٩٦ .
(٣٤٣) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، جـ ٨ ، ص ١١٧ .
(٣٤٤) عبد الشافى غنيم ، المرجع السابق ، ص ١٩٦ .
(٣٤٥) Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 195.
(٣٤٦) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، ق ٢ ، جـ ٨ ، ص ٦٨٥ .
وانظر عبد الشافى غنيم : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .
Cf. Kantorowicz, (E.) : Op. cit., p. 196.
وأيضا : نظير حسان : الحروب والسلام ، ص ١٠٠ .
(٣٤٧) Rohricht (R.) : Regesta Regi, No. 1053, p. 275.
(٣٤٨) انظر مصطفى حسن محمد الكنانى : العلاقات بين جنوه والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١ – ١٢٩١ م) – (٥٦٧ – ٦٩٠ هـ) .
الهيئة العـامة للكتاب ١٩٨١ ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ .
Cf : Kantorowicz. (E.) : Op. cit., 195.

(٣٤٩) Ibid., p. 195, p. 557.
(٣٥٠) تولى بعد الكامل محمد ابنه العـادل الصغير ، الا أنه قبض عليه وتولى بعده الملك الصالح نجم الدين أيوب .
(٣٥١) ستيفين رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٨٢ .
وانظر محمد مصطفى زياده : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٧٢ .
(٣٥٢) ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧ .
(٣٥٣) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، جـ ١٨ ، ورقة ٨٢ .
(٣٥٤) لمزيد من التفاصيل عن التعـاون بين الخوارزميين والصـالح نجم الدين انظر :
سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٥٥ – ١٠٠٢ .
(٣٥٥) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1118, p. 298.
(٣٥٦) Ibid, No. 1119, p. 298.
يتضح ذلك من خطاب « هيرمان بيتراجورسينس Hermanus Petrgoricenis
قائد المعبد الى « روبرت دى سنفورديا » Roberto de Sanfordie
فى انجلترا ، انظر : Cf. Ibid., No. 1119, p. 298.
(٣٥٧) Stevenson (W.B.) : Op. cit., p. 223.
(٣٥٨) يضيف البعض أن السلطان نجم الدين ، رفض توسط رجاله بشأن فك أسرى الصليبيين من الاستبارية وأصر على اتباع سياسـة أكثر تشـددا مع الصليبيين ، لكن الاستبارية نصحهم البعض باللجوء الى الامبراطور فردريك ليتوسط لدى السلطان الصالح ، الا أن الاستبارية رفضوا ذلك : انظر : مصطفى الحناوى : الاستبارية ودورهم فى الصراع الصليبى الاسلامي ، ماجستير غير منشور ، الاسكندرية ، ص ٣٢٩ – ٣٣٠ .
(٣٥٩) مصطفى الكنانى : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .
(٣٦٠) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق مجلد ٢ ، ص ٢٩٣ .
وانظر) حسن حبشى : الشرق العربى بين شقى الرحى ، ص ٢٦ .
وأيضا : رأفت عبد الحميد : المشكلة الايطاليـة فى السياسـة الألمانيـة ، ص ٢٨٦ .
(٣٦١) أمارى : المكتبة العربية الصقلية ، من جامع التواريخ لليافعى ، ص ٥١٦ – ٥١٧ .

(٣٦٢) لقد أرسل الامبراطور فردريك رسالة الى مسلمى صقلية يقول فيها « كيف تقبل عليكم رجولتكم أن تعيشوا وسط هذا الذل وهذه العبودية فى بلاد لستم منها » انظر عبد الشافى غنيم – الرجع السابق ، ص ٢٨٢ ٠

(٣٦٣) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 195.

(٣٦٤) Wiegler (P) : Op. cit., p. 153.

(٣٦٥) عبد الشافى غنيم عبد القادر : نفس المرجع ، ص ٢٢٠ ٠

(٣٦٦) Ibid., p. 154.

(٣٦٧) عبد الشافى غنيم : نفس المرجع والصفحة ٠

ابن سبعين : هو أبو محمد عبد الحق بن ابراهيم العكى المرسى الأندلسى تلقب بقطب الدين ، كان فقيها جليلا حانقا فصيحا بارعا فى العلوم والآداب ، درس فى الأندلس وانتقل الى « سبته » وانتحل التصوف على قواعد الفلسفة ، وله كلام فى العرفان وتصانيف ، وله اتباع ومريدون يعرفون بالسبعية ، ثم رحل الى المشرق ، وكان يعرف الكيمياء ، والسيمياء ، وخرج من وطنه ابن ثلاثين سنة ومع اتبـــاع وشيوخ وله أشياء فى الرياضة وله كتاب اسمه « لابد للعارف منه » وكتـاب الاحاطة وكتاب صغير فى الجوهر ، وله عـدة رسائل بليغـــة فصيحة ، وكان يكتب عن نفسه ابن ٥ يعنى الداره التى هى كالصفر وهى فى بعض طرق المغاربة فى حسابهم سبعون ، وشهر لذلك بابن داره ، وجرى بينـه وبين أعلام المشرق والمغرب خطوب كثيرة لانتقـاد الفقهاء عليه فى بعض أموره وشعره رائق وكانت ولادته سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م ، ووفاته فى ٩ شوال ٦٦٩ هـ / ١٢٧٠م انظر : البستانى : دائرة المعـارف ، مجلد ١ ، طبعـة بيروت ، ١٨٨٠ م ، ص ٥٠٦ – ٥٠٧ ٠

(٣٦٨) Kantorowicz (E.) : Op. cit., p. 556.

(٣٦٩) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1143, p. 302.

(٣٧٠) Ibid., No. 1144, p. 302.

(٣٧١) Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 1163, p. 306.

وانظر بن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧ ٠

وأيضا سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٠٠٧ ٠

وكذلك سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص ١٣٤ ٠

زبيدة عطا : الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية ، ص ١٩٢ ٠

(٣٧٢) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧ ٠

وأيضا سعيد عاشور : فردريك الثانى والشرق العربى ، ص ٢١٣ ٠

(٣٧٣) أمارى : المكتبة العربية الصقلية ، من كتاب سير الآباء البطاركة ، ص ٣٢٦ ، ص ٥١٧ ٠

(٣٧٤) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ٠

(٣٧٥) انظر محمد مصطفى زيادة : حمـلة لويس التاسـع على مصر ، ص ٩٠ ٠

(٣٧٦) الدوادارى : الدر المطلوب فى أخبار بنى أيوب ، جـ ٧ ، ص ٣٦٦ ٠

(٣٧٧) مصطفى الكنانى : العلاقات بين جنوه والشرق الأدنى الاسلامى ، ص ٢٤٩ ٠

(٣٧٨) حسن حبشى : الشرق العربى بين شقى الرحى ، ص ٣٠ ٠

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٠٠٦ ٠

(٣٧٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٠٠٦ ٠

(٣٨٠) حسن حبشى : الشرق العربى بين شقى الرحى ، ص ٣١ ٠

(٣٨١) انظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٠٠٧ ٠

(٣٨٢) انظر محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ، ص ٩١ ٠

(٣٨٣) لمزيد من التفاصيل انظر : محمد مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع على مصر ٠

وكذلك جوزيف نسيم يوسف : لويس التاسع فى الشرق الأوسط ٠

وعن موقف المسلمين من الحملة : انظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية جـ ٢ ، ص ١٠٠٧ – ١٢٠٩ الفصل الخاص بالحملة السابعـة ٠

وانظر أيضا : الدوادارى : المصدر السابق ، ص ٣٦٦ ٠

(٣٨٤) محمد مصطفى زياده : المرجع السابق ، ص ١٩١ – ١٩٢ ٠

(٣٨٥) ابن واصل : المصدر السابق ، ص ٢٤٨ ٠

وانظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، ص ١٠١٥ ٠

(٣٨٦) محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ ٠

وانظر حسن حبشى : الشرق العربى بين شقى الرحى ، ص ٩٩ ٠

وأيضا عبد القـادر اليوسف : علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٨٦ ٠

(٣٨٧) مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة فى الشرق ، م ٢ ، ص ٣٢٤ .

(٣٨٨) حسن حبشى : مذكرات جوانفيل ، القديس لويس ، رقم ٤٤٣ ، ص ٢٠٠ .

(٣٨٩) المصدر السابق والصفحة .

وانظر : محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

(٣٩٠) حسن حبشى : مذكرات جوانفيل ، ص ٢٠٠ .

(٣٩١) انظر جوزيف نسيم يوسف : لويس التاسع فى الشرق الأوسط ، ص ٩٧ .

(٣٩٢) محمد مصطفى زيادة : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

(٣٩٣) انظر سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ٢ ، البـاب السادس عشر الفصل الأول ، ص ١٢٣ ـ ١٠٥٩ .

(٣٩٤) حسن حبشى : مذكرات جوانفيل ، رقم ٤٤٤ ، ص ٢٠٠ .

الخاتمـــة

لقد استطاعت الدولة الأيوبية بسياستها التى اتبعتها ، ان تدفع الامبراطورية الرومانية المقدسة ، والبابوية لكى يسعيا الى مد يد العون للصليبيين بالشرق لا بالحملات فحسـب ، ولـكن بالوسائل الدبلوماسية .

اذ أن صلاح الدين قد تلقى من البابويـة والامبراطوريـة الرومانية المقدسة رسائل بشأن العمل على تسهيل المهام الخاصة بالصليبيين فى الشرق ، هذا وقد استطاع صلاح الدين أن يكسب ود كل من البابا والامبراطور فردريك الأول ، وحاول استغلال هـذه الصداقة لاجلاء الصليبيين عن بيت المقدس ، الا أن هذه المحاولات باءت بالفشل مما دفع السلطان صلاح الذين الى شن هجوم شامل على الصليبيين فاسترد بيت المقدس .

ومرة أخرى حاولت الامبراطوريـة الرومانيـة المقدسـة ، بالدبلوماسية رد بيت المقدس الى حوزة الصليبيين ، الا أنه لم يكن من السهولة بمكان على الشرق الاسلامى أن يتنازل عن المكاسـب التى حققها بالكفاح المسلح ، مما دفع الامبراطوريـة الرومانيـة

المقدسة ، أن تضرب بسهمها الى الشرق ، من خلال جيش أعده الامبراطور فردريك الأول ، وأحكم تنظيمه ، من أجل تحقيق ما حاول أن يحققه بالطرق الدبلوماسية ، الا انه قدر لفردريك الأول أن لا يقابل صلاح الدين وجها لوجه شاهرا سيفه ضده ، اذ أن الأول قد مات ، وتولى قيادة الحملة ابنه فردريك السوابى ، الذى لم يكن على قدر كاف من السياسة فلم يستطع أن يحقق شيئا لا عسكريا ولا سياسيا بالشرق ، وكل ما خلفته الحملة الألمانية هو « فرقة التيوتون » التى لعبت دورا فى الحروب الصليبية فيما بعد .

ومهما كان الأمر فلقد كان لهذا التقارب السياسى بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة ، أثر — على ما يبدو — فى تغيير سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة ، تجاه الشرق ، والدليل على ذلك أن الامبراطور هنرى السادس حاول أن يتحرك عسكريا — كبديل عن الطرق الدبلوماسية من خلال مشروع أعده لضم الشرق لامبراطوريته ، الا أن فكرته لم يكتب لها النجاح ، لأنه هو الآخر قد مات .

وبعد أن فشلت هذه المحاولات الدبلوماسية والعسكرية لضم الشرق ، أضحت الامبراطورية الرومانية المقدسة ، تنأى بفكرتها عن غزو الشرق الاسلامى اذ أنها حاولت — ربما عن غير قصد — الى تغيير خط سير الحملة الصليبية (الرابعة) الى القسطنطينية ، أفضل للجميع من الاتجاه الى مصر .

وقد استفادت الامبراطورية الرومانية المقدسة من هذه الأخطاء جميعها ، اذ فكر أباطرتها فى عدم الخروج عسكريا ضد الشرق الاسلامى ، فأكتفى الامبراطور فردريك الثانى بارسال الامدادات الى الصليبيين بدمياط سنة ١٢٢٠ م ، تحت الحاح البابوية ونداءات الصليبيين بدمياط .

ولا شك أن لهذه المواقف السابقة للامبراطورية الرومانية المقدسة أثرا فى أن العلاقات بين الدولة الأيوبية والامبراطورية قد أخذت شكلا جديدا ، فتم تبادل السفارات بين الطرفين على مستوى عال ، وبصور ملفتة للنظر ، ووصلت الى أن استعان الملك الكامل محمد سلطان مصر بالامبراطور فردريك الثانى ، ضد أخيه المعظم عيسى وجلال الدين الخوارزمى ، وان دل هذا على شىء فانما يدل على مدى الصداقة التى ربطت بين الطرفين .

ولما لم يصبح الكامل فى غير حاجة الى محالفة صديقه عسكريا، لم يشأ أن يكسر جاهه أمام الغرب الأوربى ، فحقق له المطالب ، التى طلبها منه الامبراطور بشأن بيت المقدس ، بعد مفاوضات استمرت قرابة سبعة شهور ، ولم ينتطح فيها عنزان .

ولما كان الامبراطور فردريك الثانى حريصا على صداقته بالمسلمين ، فلقد داوم على المراسلات مع الملك الكامل وكذلك الملك الجواد الأيوبى ، وأيضا الأمير فخر الدين ، كما كان الامبراطور يزاول مهامه الرئيسية فى المملكة الصليبية بالشرق كملك عليها من خلال نواب له .

ووصلت الصلات بين الطرفين الى حد أن تم عقد تحالف دفاعى استعان بمقتضاه كل من الطرفين بجنود من الطرف الآخر ، وكان الامبراطور فردريك عند وعده مع المسلمين ، وطبقا لتنفيذ بنود اتفاقية يافا أخبر صديقه السلطان الصالح نجم الدين ايوب عن حملة لويس التاسع على مصر ، حتى يحتاط لها ، واعتمد الامبراطور على هذه الصداقة ، فى الوساطة لفك أسرى الصليبيين لدى المسلمين بعد هزيمتهم فى الحملة الصليبية « السابعة » .

وهكذا لم يحدث أن التقى امبراطور من أباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة بملك من ملوك بيت أيوب شاهرا سيفه فى وجههم ، وهذا ما دعم العلاقات بينهما ، وحلت السفارات الدبلوماسية محل الحملات الحربية ، واقيم للسفراء الاستقبال الحار ، بدلا من السهام القاتلة .

واذا كان موضوع « العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الأيوبية » (١١٥٢ – ١٢٥٠ م / ٥٤٧ – ٦٤٨ هـ) قد درس على هذا الوجه فهو بمثابة قطرة من محيط الموضوعات التى يمكن أن تدرس حول هذه الفترة ، والتى لا شك سوف تضيف الى المكتبة العربية الكثير عن تاريخ أوربا العصور الوسطى ، وتوضح غموض نقاط كثيرة ، ومن امثلة هذه الموضوعات :

١ – العلاقات بين البابوية والامبراطورية الرومانية المقدسة .

٢ – دور فرنسا فى الصراع الصليبى الاسلامى .

٣ – العلاقات بين الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة البيزنطية .

٤ – دور انجلترا فى الصراع الصليبى الاسلامى .

٥ – الحياة الاجتماعية فى الامبراطورية الرومانية المقدسة .

٦ – الحياة الاقتصادية فى الامبراطورية الرومانية المقدسة .

٧ – العلاقات بين الامبراطورية الرومانية المقدسة وكل من انجلترا وفرنسا .

٨ – الوضع السياسى داخل الامبراطورية الرومانية المقدسة .

٩ – العلاقات بين الدولة البيزنطية والمجر ابان الحروب الصليبية .

ولا شك أن دراسة الموضوعات الآنفة الذكر قد تلقى مزيدا من الضوء على الامبراطورية الرومانية المقدسة فى الفترة المعنية بالدراسة ، ولكن يلزم أن تسعى المكتبات العربية فى الحصول على مزيد من الوثائق الخاصة بهذه الفترة ، والتى يمكن الحصول عليها من مكتبات وارشيفات أوربا ، التى تحوى العديد مما كتب عن هذه الفترة .

كما انه يجب أن يسعى علماؤنا فى ترجمة الوثائق والمصادر الخاصة بتاريخ أوربا العصور الوسطى من اللغة اليونانية واللاتينية ، والفرنسية القديمة ، الى لغات أخرى كالفرنسية وغيرها مثل الانجليزية والعربية .

واذا تحقق هذا فسوف يكشف النقاب عما خفى من تاريخ أوربا العصور الوسطى ، وما ينتج عن ذلك من معرفة التأثيرات العربية والاسلامية على أوربا سياسيا واقتصاديا وحضاريا . والوقوف على جوانب العلاقات السياسية بين الشرق والغرب فى الحاضر .



الملاحق

أولا : الوثائق :

١ ـــ المفاوضات التمهيدية بين البابا اسكندر الثالث والامبراطور فردريك الأول .

٢ ـــ رسالة من العادل سيف الدين الى البابا لوكيوس الثالث .

٣ ـــ رسالة من صلاح الدين الى البابا لوكيوس الثالث .

٤ ـــ رسالة من صلاح الدين الى الملك بلدوين الرابع .

٥ ـــ رسالة من بيت المقدس الى الغرب الأوربى بعد حطين .

٦ ـــ رسالة من البابا جريجورى الثامن الى المسيحيين بأوربا بعد حطين .

٧ ـــ رسالة من الامبراطور فردريك الأول الى السلطان صلاح الدين .

٨ ـــ رسالة من السلطان صلاح الدين الى الامبراطور فردريك الأول .

٩ ــ تعهد الامبراطور فردريك الثانى أمام البابا بالتنازل عن صقلية سنة ١٢١٦ م ٠

١٠ــ الوثيقة التحضيرية لاتفاقية سان جرمانو ٠

١١ــ اتفاقية سان جرمانو ٠

١٢ــ خطاب البابا بشأن زيارة الامبراطور فردريك الثانى له بعد سان جرمانو ١٢٣٠ م ٠

ثانيا : الخرائط :

١ ــ الامبراطورية الرومانية المقدسة ايام اسرة هوهنشتاوفن ٠

٢ ــ الدولة الأيوبية زمن صلاح الدين ٠

٣ ــ خط سير حملة فردريك الأول من الامبراطورية المقدسة حتى أدرنه ٠

٤ ــ خط سير حملة فردريك الأول من ادرنه الى عكا ٠

★★★

ملحــــق رقم / ١

المفاوضات التمهيدية للمعاهدة التى بين البابا اسكندر الثالث والامبراطور فردريك الأول اناجنى ١١٧٦ م (١)

ان المعركة بين البابا والامبراطور زادت فى العـــداء ، وفى نفس الوقت فان المدن الايطالية تمردت ضد فردريك وانضمت الى البابا وتشكلت اتفاقية اللمبارد وفى لجنانو ١١٧٦ م هـــزم الامبراطور تماما ، وبعد ذلك بعث سفراءه الى البابا فى اناجنى لكى يناقش شروط اتفاقية سلام فى البندقية والمعاهدة الأخـــيرة ابرمت سنة ١١٨٣ م ، وتسمى معاهدة كونستانس ٠

١ ــ اذ ان الامبراطور والامبراطورة وأولادهم ، الملـــك هنرى ، وكل الامراء يوعدون بقبول البابا اسكندر الثالث كبابـــا كاثوليكى عام ، ويظهروا له الاحترام على نقيض اسلافهم ٠

٢ ــ الامبراطور يعد بالمحافظة على السلام باخلاص مع البابا اسكندر الثالث وخلفائه وأتباعه مع الكنيسة الرومانية ٠

---

(١) Thatcher (O.J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., No. 108, pp. 196 FF.

٣ ــ كل الحقوق وامتيازات وممتلكات القديس بطرس ، التى أقرتها الكنيسة الرومانية فى عهد البابا أنوسنت الثانى التى استولى عليها الامبراطور أو خلفائه، هذه الممتلكات سوف ترد للبابا اسكندر الثالث وللكنيسة الرومانية ، والامبراطور يتعهد للكنيسة بالاحتفاظ بوضـــعها .

٤ ــ الامبراطور يعيد الى البابا وللكنيسة الرومانية التحكم فى مدينة روما ، والبابا يتعهد بأن العدالة سوف تأخذ مجراها فى البحث عن حقوق الامبراطور فى المدينة فى الوقت المناسب .

٥ ــ كل الأنفصال فى الكنيسة الذين جذبهم الامبراطور الى جانبه أثناء النزاع الأخير ، سوف ينسلخوا من ولاءهم له ويرجعوا للبابا والكنيسة الرومانية .

٦ ــ الامبراطور سوف يعيد الى البابا والى الكنيســـة الأرض من زوجة الكونت «ماتيليدا» كما أقرت بذلك الكنيسة فى عهد الامبراطور « لوثير » والملك كونراد والامبراطور الحـــالى فردريك .

٧ ــ البابا والامبراطور سيتبادلان المساعدة فى حفظ الشرف والحقوق للامبراطورية والكنيسة .

٨ ــ كل شىء أخذ بغير حق من الكنيسة أثناء الانفصـــال سوف يرد اليها .

٩ ــ الامبراطور سيدخل فى سلام مع اللمبارديين على شروط متفق عليها بواسطة ممثلين وسيتفق على تحديد ممثل لهذا الهدف بواسطة الامبراطور والبابا واللمبارديين ، وفى أى حالة تظهـــر

صعوبات فى المفاوضات ، التى لا يستطيع المثل تلاشيها فانهـــا سوف تقرر بواسطة الاغلبية من المفوضين الخاصين والذين يعينوا من قبل الامبراطور والبابا بالتساوى .

١٠ ــ الامبراطور سيدخل فى سلام مـــع ملك صقليـــة ، والامبراطور فى القسطنطينية ، ومع كل أحلاف البابا ، ولن ينتقم لأى أخطاء التى يمكن أن ترتكب من مساعدة الكنيسة الرومانية .

١١ ــ ٢٢ ــ البنود التى تشير للافراد والتفاصيل الدقيقة .

٢٣ ــ البابا اسكندر والكرادلة بدورهم سيعملون سلام مع الامبراطور والأباطرة وأولادهم، الملك هنرى وكل أطرافهم ، وسوف لا يكون هناك انتقاص للحقوق فى السيطرة والتحكم الكنسى للبابا ، الذى استسلم للبابا وللكنيسة الرومانية ، ولاحقوق الكنيســـة الرومانية فى أراضى القديس بطرس ، والتى يدعمها الآن أشخاص آخرين ولا الاستثناءات الخاصة التى تمت فى هذه الوثيقة فى صالح الباب والكنيسة الرومانية فى جانب واحد من جهة والامبراطـــور والامبراطورية من جانب آخر .

٢٤ ــ البابا والكرادلة سوف يقسموا بالمحافظة على هـــذا السلام ، وهذا القسم يبرم كتابة ويوقع عليه الكرادلة .

٢٥ ــ البابا سوف يستدعى فى الحال المجلس كله بقـــدر الاستطاعة ، ومع الكرادلة والاساقفة ورجال الدين الآخرين الذين يمكن أن يكونوا موجودين وسوف يقرر الحرمان ضد من يحطم أو يخل هذا السلام وسيكون قرار الحرمان فى مجلس عظيـــم مـــن الاساقفة والكاردينالات وآخرون .

٢٦ ــ كثير من النبلاء فى روما والأفصال الكبار فى « كمبانيا » سوف يقسمون بالحفاظ على هذا السلام .

٢٧ ــ الامبراطور والأمراء فى الامبراطورية سوف يقسمون للمحافظة على هذا السلام والقسم سوف يدون كتابة ويوقع عليه الامبراطور والأمراء .

٢٨ ــ اذا مات البابا أولا ، فالامبراطور وابنه الملك هنرى والامراء سيراعوا بنود السلام مع خلفائه ، وكذلك كل الكرادلة والكنيسة الرومانية واللمبارد وملك صقلية واذا مات الامبراطور اولا ، فان البابا والكرادلة والكنيسة المسيحية سوف ترعى تلك الاتفاقية مع الامبراطورة (بيتريس) زوجة الامبراطور ، وابنها الملك هنرى مع كل الناس الألمان ومعاونيهم كما كتب سابقا .

٢٩ ــ فى الوقت نفسه فالامبراطور لا يهاجم أرض القديس بطرس سواء أقر البابا ذلك شخصيا ، أو ملك صقلية وافصال البابا الآخرين .

٣٠ ــ حددت فترة ثلاثة أشهر قبل اعلان الانسحاب فى حالة فشل المفاوضات بين الطرفين قبل استكمالها .

واذا نقضت مفاوضات السلام من أى الطرفين قبل اكتمالها (لا قدر الله) فان الهدنة سوف تستمر لمدة ثلاث شهور بعد اعلان الانسحاب .

ملحق رقم / ٢

رسالة من العادل سيف الدين الأيوبى الى البابا « لوكيوس الثالث » بتاريخ ٣١ مارس ١١٨٣ م / ٥٧٨ هـ (١)

« الى اعز صديق فى المسيحية جمعاء ، الى لوكيوس بابا المسيحية بأسرها . بنعمة الله الذى له تخضع المسيحية كلها » .

« بسم الله الرحمن الرحيم »

لقد تسلمنا رسائلكم كأنها من أحسن صديق لنا فى المسيحية والذى يطاع له فوق الجميع ، تسلمنا الرسائل بواسطة مندوبكم « جان داندلو » Jeani danduli الذى أمرنا بان يمثل أمامنا ، وقد اكرمناه واطلعنا بعناية على رسائلكم ، وقد فهمنا كل الأقوال التى قالها مندوبكم على لسانكم .

ومما قاله علمنا رغبتكم فى الابقاء على الخطوات التى قررها سلفكم بخصوص الاتفاق بين المسيحيين والمسلمين لفدية الأسرى الذين وقعوا فى أيدينا .

---

(١) Jean (M.) & Brial (J.) : Recueil Des Historins des Gaules et de la France, Vol. 17, p. 623 F.
CF. : Rohricht (R.) : Regesta Regnt hierosolynitani. No. 626. p. 166.

وقد فهمنا فى رسالتكم أن المسيحية جمعـــاء تطيعــكم ، ولن يستطيع ايا منها ان يخالف لكم أمرا وان ماتقررونه ينفذ على جميعهم، واذ علمت برغبتكم فعلى أن أعرض الأمر على اخينا الملك المنتصر الحافظ لوعوده ومصدر العدالة صلاح الدين سيد المسلمين ، وذلك لكى أدرس رغبتكم وأعمل على تنفيذها .

وعند وصول رسالتكم كان اخونا الملك المظفر فى نواحى صور حيث أخضع أعداءه ولقد حقق الله رغبته فاخضع البلاد فى دمشق الى «نينوى» بحيث تطيع سلطانه كل الشعوب المجاورة وكل الناس المسلمين « الشرقيين » وأراد الله له أن تخضع له الأمم بسحق أعدائه وفاق كل سلف فى هذا المضمار .

وقد عرضنا عليه مطالبكم فوافق على انه يجب على المسيحيين فى أورشليم وصور أن يخضعوا لأوامركم فيما تيعلق باقامة السلام، وأن ينفذوا مطالبنا فى شأن اخلاء الأسرى الذين هم تحت أيدينا واحلال السلام بيننا ، أما اذا خالفكم المسيحيون ، ولم يطيعـــوا أوامركم فنحن أبرياء من كل اجراء نقوم به معهم لاحـــلال العـــدل وليعطى الله كل منا حسب أعماله .

ليعطنا الله جميعا أن نتصرف فيما هو لصـــالح المســـلمين والمسيحيين .

٥٧٨ هـ .

والحمد لله وحده ومحمد رسول الله العظيم ..

★★★

ملحـــق رقـــم / ٣

رسالة من صلاح الدين الى البابا لوكيوس الثالث
بتاريخ ١١٨٣ م / ٥٨٧ هـ (١)

« لقد عرضت علينا رسالة قداستكم ، نحن نعلم ونؤمن أنكم فى مسئولية عظمى فى هذا العالم ، وأن الله انعم عليكم بنعمة كبرى جعلتكم تصلون الى هذه الرفعة ، ونعلم أيضاً أن جميع المسيحيين يخضعون لكم مطيعين وأنهم يتبعونكم .

لقد تسلمنا رسالتكم بيد مندوبكم « اوليفريوس فيتـــاليس » Oliveii Vitalis وقد أكرمناه نظراً لما لكم من شرف ووقار ، ولقد قمنا بعمل كل ما فى وسعنا أن نعمله ، واستمعنا بعناية الى كـــل ما قاله من طرفكم، وسررنا بكل ما جاء فى رسالتكم وتلقيناها بروح طيبة وشغف بالغ وعلمنا مقدار الحب الذى تتمتعون به لدينا ، وتأكدنا من عظم الصداقة التى تربط بيننا ، ولقد سررنا أيضا بما قاله مندوبكم عن تحقيق السلام من جميع المسيحيين وعن اطلاقنا سراح جميع الأسرى الذين عندنا.وعندكم رأى أن يطلق المسيحيون الاسرى الذين عندهم ونحن نطلق الاسرى الذين عندنا .

(١) Jean (M.) & Brialè (J.) : Op. cit., p. 623.
Cf : Rohricht (R.) Op. cit., No. 635, p. 168.

وليكن معلوما لدى فخامتكم أن الأسرى المسيحيين الذين هم تحت أيدينا هم رجال نبلاء وفى مستوى رفيع ، أما جنودنا الأسرى عند المسيحيين فهم من طبقة العامة .

فان طاب لكم ليقدر كل طرف أسرى الطرف الآخر وان الطرف الذى لديه أسرى أقل قيمة ، يعوض الفرق للطرف الآخر ، والله يعلم مقدار فرحنا وسرورنا برسالتكم ومندوبكم وكم شكرناه تعالى على ذلك .

ولقد أودعنا « أوليفريوس » مندوبكم الأمور الباقيــة الأكثر سرية اذ وثقنا فيه وتأكدنا من حسن نواياه واستعداده بشأنها ولذا يمكنكم اعتبار أن ما يقوله لسيادتكم هو على لساننا وملء ارادتنا .

ملحــق رقــم / ٤

رسالة السلطان صلاح الدين الى الملك بلدوين الرابع (١١٧٤ — ١١٨٥ م (١))

كتب القاضى الفاضل عن السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب » الى بردويل أحد ملوك الفرنج ، وهو يومئذ مستول على بيت المقدس وما معه ، معزيا له فى ابيه ومهنئا له بجلوسه فى الملك بعده ، ما صورته :

أما بعد — خص الله الملك المعظم حافظ بيت المقدس بالجــد الصاعد ، والسعد الساعد ، والحظ الزائد ، والتوفيق الوارد ، وهناه من ملك قومه ما ورثه وأحسن من هداه فيما أتى به الدهر وأحدثه ، فان كتابنا صادر اليه عند ورود الخبر بما ساء قلــوب الاصادق (٢) ، والنعى الذى وددنا أن قائله غير صادق بالملــك

---

(١) القلقشندى : صبح الاعشى ، ج ٧ ، طبعة ١٩١٥ ، ص ١١٥ ـ ١١٦ ·
اذ أن عمورى الأول الذى حكم المملكة (١١٦٢ ـ ١١٧٤ م) قد توفى فى ١١ يولية ١١٧٤ م ، انظر :
سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ٧٠٧ ·
(٢) جمع جمع لصديق مفرده أصدقاء ·

العادل الأعز الذى لقاه الله خير ما لقى مثله ، وبلغ الأرض سعادته كما بلغه محله ، معزيا بما يجب فيه العزاء ، ومتأسف لفقده الذى عظمت به الأرزاء ، الا أن الله سبحانه قد هون الحادث ، بأن جعل ولده الوارث ، وأنسى المصاب بأن حفظ به النصـــاب ، ووهبـــه النعمتين : الملك والشباب ، فهنيئا له ما حاز وسقيا لقبر والــده الذى حق له الفداء لو جاز ، ورسولنا الرئيس العميد مختار الدين آدام الله سلامته قائم عنا ، باقامة العزاء ، من لسانه ، ووصـــف ما نالنا من الوحشية لفراق ذلك الصديق وخلو مكانـــه ، وكيـــف لا يستوحش رب الدار لفرقة جيرانه ، وقد استفتحنا الملك بكتابنا وارتيادنا ، وودنا الذى هو ميراثه عن والده من ودادنا ، فليلـــق التحية بمثلها وليأت الحسنة ليكون من أهلها ، وليعلم أن له كما كنا لأبيه : مودة صافية ، وعقيدة وافية ومحبة ثبت عقدها فى الحياة والوفاه ، وسريرة حكمت فى الدنيا بالموافاة ، مع ما فى الدين مـــن المخالفات ، فليسترسل الينا استرسال الواثق الذى لا يخجـــل وليعتمد علينا اعتماد الولد الذى لا يحمل عن والده ما تحمل ، والله يديم تعميره ويحرس تأميره ، ويقضى له بموافقة التوفيق ، ويلهمه تصديق ظن الصديق .

ملحـــق رقـــم / ٥

رسالة القدس الى الغرب الأوربى للاستغاثة ضد المسلمين بالشرق · سنة ١١٨٧ م (١)

الى الأب والمحترمين فى المسيحية :

من بطريرك كنيسة القيامة المقدسة بنعمة الله ومن « أرنالدو » مدير الهيكل ومن روجر Roger مدير بيت الضيافة بالقدس ، ومن بلدوين Balduinus ملك أورشليم العامل لخلاصها وللفوز الدائم .

ان صلاح الدين فى اليوم التاسع ، أو العاشر من يوليو دخـــل أراضى المسيح ، واقتحم لمدة ثلاثة أسابيع حدودها معتديا واستولى على ما فيها من مؤن وعتاد .

وعشية عيد القديس بطرس المقيد بالسلاسل دخل مدينـــة المسيح واستولى على حصنها وحاصرها أربع أسابيع وأقام أربعة عشر حصنا حجريا ، وعند علمه بقدومنا قام بحـــرق الحصـــون الحجرية ، والطرق التى أتلفها ، ثم ذهب الى نابلس Naplouse

(١) Jean (M.) & Brial (J.) : Recueil, Tome, 17, p. 624.

واحرق ما تستطيع النيران حرقه معتديا على المدينة فهرع الرجال والنساء واحتموا فى الحصن ونجوا ثم ســـار الى مدينـــة سبسطية وفر الأهالى هاربين الى « فيلام » Villam لا للمقاومة ولكن لعدم وجود سبيل آخر للنجاة ، وازاء هذا استسلم أسقف المدينة بشروط صلاح الدين وأنقذ « الفيلام » والكنيسة ، مقبضا ثمانين أسير وأفسح له الطريق ، ثم ذهب الى مدن أخرى ودمرها ، وأسر النســـاء والرجال ، ثم ذهب الى « جـــيرنيوم » Gerinum الكبير وقتل من قتل ، وأسر من أسر وأحرق الفيلام بينما هـــرب الأهالى محتمين فى الحصن ، ثم ذهب الى « جيرونيوم » الصـــغير فقدم الهيكل واعتدى مدمرا وذهب الى حصن الضـــيافة المســـمى « بيلفيوريوم » Belverium وأسر من أسر وعاد الى مقره .

ملحـــق رقـــم / ٦

رسالة البابا جريجورى الثامن Gregorius VIII الى المسيحيين باوربا بعد حطين (١)

من البابا جريجورى الثامن ، الأسقف خادم خدام الله ، سلام وبركة رسولية الى جميع الموجهة اليهم رسالتى هذه من المؤمنـــين بالمسيح .

سمعنا فساد الحكم الذى أرادته يد الله للقدس وامتلأنا رعبا انا وزملائى والحزن جعلنا لا ندرى ماذا نفعل أو ماذا نقول .

وبسبب الشر والانقسام الذى حل فى العالم بخبث النـــاس بايعاز الشيطان ، أتى صلاح الدين بجيش كبير ، واعتدى عـــلى الأماكن المقدسة ، والملك والاساقفة والجنـــود وأهـــل الهيكـــل والضيافة وصليب المسيح ، منقذ البشر .

واذا كان متفوقا جندا وعتادا أسر من أسر وقتل من قتل ، ولم ينج الا القليل ولا نستطيع شرح المآسى التى حدثت اذ هاجم وسلب ونهب كل شىء فى كل مكان .

ولن ننجو من كل هذا الا اذا رجع الناس الى الله بالتوبـــة والبكاء والنـــدم ..

(١) Jean (M.) & Brial (J.) : Op. cit., Tome 17, p. 474.

ملحــق رقـــم / ٧
رسالة الامبراطور فردريك الأول الى السلطان صلاح الدين
فبراير ١١٨٨ م / ٥٨٤ هـ (١)

من الامبراطور المظفر فردريك امبراطور الرومان ، قاهـــر اعداء الامبراطورية والحاكم لها الى حاكم الشرق الشهير صلاح الدين عله يأخذ التحذير من الفرعون ولا يمس أورشاليم .

وبعد فان الخطابات التى أخلصت فيها لنا منذ وقت طويـــل بشأن تلك المسائل المهمة والعظيمة الشأن بيننا، والتى افادت بأن الثقة التى كانت تحملها كلماتك الينا قد أعتبرت وسيلة للأتصـــال بعظمتكم، ولكنك الآن قد دنست الأرض المقدسة التى توليت حكمها كأوصياء (حراس) لكل من « جودا » Joda والسامريين وفلسطين، فكان علينا مواجهة مثل هذه الجرائم بشجاعة فعليـــك ارجـــاع الأرض التى أستوليت عليها ، كذلك اعطاء البلاد تعويضا كامـــلا والتى تقضى بها القوانين المقدسة . ونحن نعطيك مهلة اثنا عشر شهرا من بداية نوفمبر ، والا هاجمناك فى مصر ، لاحياء الصليب

(١) Vinsofs (G.) : Op. cit., p. 87 F.
Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regni, No. 671, p. 179.

وباسم « يسوع » حيث لا تعتقد انك تجهل ذلك والتى تبررها كل الكتب القديمة ولا تذكر أن كل من سكسيا وبارثيا وآرلاما وماريكنا وساماريا وجودا وكاليا حيث لقى جنرالنا ماركوس كراسوس الموت المفاجىء .

وكذلك مصر ، حيث كان أنطونيو وكيلوباترا ، وهل تدعى عدم معرفتك أن أرمينيا وبلاد أخرى لا تحصى ولا تعد كانـــت تحـــت سيطرتنا .

كل هذا معروف لدى الملوك .

وقد التحقت بقواتنا أمم كثيرة التى تبعت المانيا وهى :

شاطىء الدانوب ، والبافاريين ، وسوابيـــا الناهضـــة ، وفرانكونيا وسكسونيا ، وسرنجيا . Thuringia ووستفاليـــا والبرابرة واللورنيين Larrainer ، وبرجنديا ، والبين Alps والفيريين Frian وبوهميين ، وبولينا واستريا وبيريا ورينـــا Rowennis وركـــونفيا Rocunphis ، واليريا ، ولمبــــارديا ، وتسكانيا ، وانكونا Ancona والفينين ، والبيزيين .

كل ذلك من أجل المسيحية .

ملحــق رقــم / ٨

رد السلطان صلاح الدين على رسالة الامبراطور فردريك الأول بتاريخ ٥٨٤ هـ / ٢ مارس ١١٨٨ (١)

الى الملك العظيم ، ملك المانيا الشهير فردريك باربروسا ، صاحب الملك العريض .

بسم الله الرحمن ، الواحد ، القاهر ، الـذى نقـدم لـه الصلوات شكرا على نعمه التى تغطى العالم أجمع والذى نؤمن بدياناته جميعا ، وخاصة الديانة الاسلامية فقد أرسـل محمـدا « ﷺ » ليعلمنا الديانة الاسلامية والتى ستبقى فوق كل التشريعات .

ولكى يكون معلوما لديكم أن رجلا يسمى « هنرى » أتى الينا وسلمنا الخطاب وقال : ان ذلك الخطاب مرسل من قبلكم ، وقراه علينا ، وكان ردنا عليه مناسبا لما رأيناه ، وهذا هو الرد عـلى خطابكم .

---

(١) Vinsofs (G.) : Op. cit., Ch. XVIII, pp. 88 F.
Cf : Rohricht (R.) : Regesta Regni, No., 672, p. 179.

فقد أحصيت كل أولئك الذين أتحدوا معك ليكونوا جميعـا ضدنا فقد سميتهم قائلا بملك هذه المنطقة ، وملك تلك الأخرى ، وهذا كونت ، وذلك آخر ، ورؤساء الأساقفة ، والماركيز والفرسان، واذا أردنا حصر أولئك الذين فى خدمتنا والذين يجيبون «يلبون » أوامرنا الذين سوف يحاربون فى صفوفنا فسوف يكون قائمة ، لا يمكن تسجيلها وحصرها ، أو لو كان ذلك سجلا للمسيحيين فان المسلمين الشرقيين أكثر عددا ، كما كانوا فى كثير من الأحيـان بالنسـبة للمسيحيين (الذين تـدعى بأنهـم مسيحيين) وهنـاك بحـر فيما بينهم ، الذين تدعوهم بالمسيحيين ٠ فانه لا بحر يفصـل بين الشرقيين المسلمين ، الذين لا حصر لهم سوف يكون عند الحاجة، فمعنا البدو الذين هم على استعداد لرد العدو بمفردهم وكذلـك الاتراك الذين يقدرون على تدمير العدو ، وكذلك الفلاحين الذين سوف يحاربون بشجاعة ضد هذه الأمم التى تسول لها نفسها غزو بلادنا ، وليس من جانبنا ـ لدينا ـ من هو غير مولع بالحرب ، فجنودنا فتحنا بهم الممالك واستردينا بهم الأراضى وطردنـا بهـم أعداءنا ، وكذلك فملوك الأمم سوف لا تتوان (لا تتأخر) عن دعوتنا اذا ما دعوناهم فسوف يكون تحت تصرفنا « خدمتنا » وعندما تجتمع جيوشنا طبقا لما ورد فى خطابكم فانك سوف تقود تلك الحملة ، وكما أخبرنا رسولكم فسوف نلقاك بقوة الله ـ ونحـن لن نقنـع بالأراضى التى تقع على ساحل البحر ، ولكن سوف نعبر بقدرة الله ونستولى على كل ما تملكه من أراضى ، وذلك بقدرة الله ، واذا قدمت فانك تأتى بكل رجالك وقواتك ونحن نعلم انه لم يبق هناك أحـد للدفاع عن أنفسهم وبلادهم ، وسوف ننتصر عليكم بعون الله ، ولم يبق لنا شىء الا الاستيلاء على أراضيك بتوفيق الله .

ولقد نزل الينا المسيحيون مرتين فى بابليون ، فكانت الأولى فى دمياط والثانية فى الاسكندرية ، وكذلك كان شاطىء أراضى أورشليم اذ كان فى أيدى المسـيحيين ، وفى أراضى دمشـق ، وفى أراضى

المسلمين ، وكان فى كل مقاطعة ، وكل اقليم أمير يعرف ويضطلع بمهامه — فأنت تعلم كم رجع المسلمين ولماذا اتوا ، وقد تجمعت شعوبنا يحوطها الله بعنايته ، ووحدهم على اتساع أراضيهم تحت رايتنا ، فمصر بكل ملحقاتها ودمشق وأورشليم والجزيرة بكل قلاعها وأراضى « روسيا » Roasia ، وأراضى الهند ، وملحقاتها ، بنعمة الله فكل ذلك فى متناول أيدينا وبقية ملوك الشرق فى دولتنا ، فاذا دعونا الملوك أصحاب الشهرة من المسلمين الشرقيين ، فسوف يكون عندنا فى خدمتنا ، واذا دعونا الخليفة العباسى يحفظه الله ، لمساعدتنا ، فسوف يتنازل عن عرشه ويأتى لمساعدتنا .

وكما استولينا بقدرة الله على أورشليم وتوابعها ، فسوف نستولى على صور طرابلس وانطاكية ، وهى الثلاث الباقية ، ولكن اذا أردت الحق فان الله سوف يحوطنا برعايته ، وسوف نستولى على كل الأراضى المسيحية ، وسنلقاك بقدرة الله .

كذلك أسجل لك من خطابى ، واذا طلبت السلم فسوف تأمر حراس المدن الثلاث السابقه بتسليمهم لنا ، دون مقاومة ، وسوف نعيد اليك الصليب المقدس ونطلق سراح جميع المسيحيين المأسورين الذين بداخل امبراطوريتنا ، وعندها سندخل معك فى السلام ، ستسمح لك بقسيس واحد ، ونعيد اليك الأديرة التى كانت تستخدم للديانة المسيحية ، ونحسن اليهم ، ونكون فى حالة سلم معك ، واذا كان ذلك الخطاب الذى سلم باليد « عن طريق هنرى » هو خطاب الملك فقد كتبنا هذه الرسالة ردا عليه وندعو الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه .

وندعو الله أن يحفظ المسلمين ، ويحتاط برعايته الملك المظفر ، موحد المسلمين ، وناصر الحق ومصلح العالم ، سلطان المسلمين والوثنيين وخادم الحرمين الشريفين والبيت المقدس فى أورشليم . وأبو المنتصرين جميعا يوسف بن يعقوب .

ملحق رقم / ٩

الامبراطور فردريك الثانى فى سنة ١٢١٦ م يتعهد باعادة صقلية الى البابوية بعد تتويجه امبراطوراً (١)

نجح البابا فى تثبيت ملكه فى صقلية بصعوبة ، والآن هدده خطر جديد اذ خشى أن يسيطر عليها الامبراطور ، فان ذلك سوف يؤدى الى اعادة الأمن (الحياة) الى الامبراطورية ولكى يمنع هذا اقتنع فردريك الثانى أن يوعد بمجرد تتويجه كأمبراطور ، سوف يعيد صقلية الى ابنه الصغير هنرى .

الى الأب المقدس أنوسنت — قسيس الكنيسة الرومانية المقدسة ، عرض فردريك الطاعة فى كل شىء تحت رحمة الرب ، وانوسنت ملك روما — وأغسطس ملك صقلية ، وأشار الى الأمور الهامة .

ورغبة فى الرفاهية لكل الكنيسة الرومانية ومملكة صقلية ، وعدنا بكل حزم بأنه بمجرد تتويجنا امبراطورا سوف (نخفف) من سلطتنا الجزئية ونتخلى عن مملكة صقلية من كل الاتجاهات ، من

(١) Thatcher (O.J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., No. 135. pp. 232 F.

مسينيا ، ليكون تحت رحمته وسيطرة الكنيسة الرومانية تماما ، كما كنا نديرها ، ومن هذا الوقت سوف لا نعتبر أنفسنا ملوكا لصقلية ، وكذلك اننا فى الفترة التى سيدير المملكة شخص مناسب سوف يكون منتميا بكل جوارحه الى الكنيسة الرومانية وذلك لأن حكومة المملكة معروفة وتنتمى الى الكنيسة .

وهذا الوعد سوف يتحقق ، لاننا لو أصبحنا امبراطورا ، وفى نفس الوقت ملكا لصقلية ، سوف يكون هناك محظور ، وهو أن مملكة صقلية تخص الامبراطورية ومثل هذا دلالة على حدوث انقسام فى الكنيسة الرومانية ، وكذلك فى مملكتنا ، ولكى ينفذ هذا الوعد ويكون له تأثيره ، ولكى يؤكد هذا الوعد سوف يعطى ذهبا رهنا .

ملحق / ١٠

الوثيقة التحضيرية لاتفاقية سان جرمانو (١)

« بسم الرب » و « يرتلولد » بطريرك « اكويليا » و « ابيرهارد » رئيس أساقفة « سالزبرج » و « سيجفيلد » أسقف « رجنسبرج » و « ليبولد » دوق أستريا ، و « النمسا » و « برنارد » دوق « كارنثيا » و « أوتو » دوق « ميران » وبفضل الله فان أمراء الامبراطورية يعرفون كل الناس بهذه الكتابة بأن أمنا الكنيسة الرومانية المقدسة ، واميرنا فردريك امبراطور الرومان ، أغسطس ملك أورشليم وصقلية ، اتفقوا على الدخول فى مفاوضات بغرض اتخاذ بعض الوسائل التى يمكن بها — لمدن « جتيا » و « سانت أجاثا » ومدن أخرى فى صقلية التى اتجهت للكنيسة — استعادتها للامبراطورية بدون التخلى عن شرف الكنيسة ، والوقت الذى سوف تتم فيه هذه المفاوضات وقت محدد بسنة واحدة والكنيسة تعد بأن تبذل ما فى وسعها لاتخاذ التدابير لترتيب الانتقال فى حدود هذا الوقت واذا مع ذلك — لم تبرم اتفاقية فى خلال العام فان الكنيسة والامبراطور يتحتم عليهما أن يعينا ممثلين

(١) Thatcher (O.J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., no. 140. p. 241, San Germano, 1230.

الذين سوف يحاولان الوصول الى تسوية ، ولو كانوا غير قادرين على الاتفاق نسيختاروا خمسة أشخاص ، والأغلبية سوف تتخذ القرار ، وقد أوعز الامبراطور الى « توماس كـونت اكـيرا » ، « بأن يقسم بأن الامبراطور لن يمس الأراضى المذكورة والاشخاص، والا يسمح لهم بأن يمسوا بسوء ، خلال سير المفاوضات وبأنـه سوف يقبل الشروط الموافق عليها بواسطة الكنيسة الرومانيـة المقدسة ، والامبراطور وممثليهم ، ويعرف ايضا بان الامبراطور أعفى الألمان واللمبارديين والتسكان والصقليين والفرنسيين وكـل الآخرين الذين انضموا الى جانب الكنيسة ضده ، وأوعز الـى كونت أكيرا بأن يقسم بألا يمسهم أو يسمح لهم أن يمسوا عـلى حساب المساعدة التى تعطيها الكنيسة ضده ، ولكنه سوف يحفظ السلام الحقيقى معهم ومع الكنيسة ، والامبراطور أيضا سـوف يتغاضى عن كل الأحكام والمراسيم والنواهى التى أصدرها ضد أي شخص آخر بسبب هذه الخصومة ، وهو يعد أيضا انه لن يغزو أو يفرط فى أراضى الكنيسة فى روما أو « انكونا » كما ذكر من قبل فى الوثائق الأخرى التى وقعتها الامبراطورية ، وقد عاهدنا انفسنا على الكتاب المقدس ونتيقن بأن الامبراطور لا ينتهك هذه الشروط ، ولو فعل ذلك بعد أن يسمح لنفسه بوقت معين ليحصل على اكتفاء (جدير بالذكر ثلاث شهور فى صقلية وأربعة شهور فى ايطاليـا وخمسة خارج ايطاليا) وسوف تساعد الكنيسة فى محاولاتها ضده حتى يعمل على ارضائها .

وإذا الامبراطور فشل فى تعيين ممثلين أو منعهم من الذهاب الى المؤتمر سوف نرتبط بمساعدة الكنيسة ، كما ذكر آنفا ، ولكن اذا الكنيسة رفضت تعيين ممثلين أو منعهم من حضور المؤتمـر سوف لا ترتبط بهذا القسم .

★★★

ملحق رقـم / ١١

اتفاقيـة سـان جرمـانو

شروط البابوية من اجل السلام فى سان جرمانو (١)

بعون الرب ، نرى نحن كبير الاساقفة ، أسقف (سابين) وتوماس « قسيس كنيسة (سابين) » نرى بتفويض من البابا ، عرض المطالب على الامبراطور .

١ ــ الا يعوق الانتخابات الحرة وسلطات الكنائس والأديرة فى المملكة .

٢ ــ يعمل على ارضاء الكونتات فى « سيلانو » وكذلك أبناء « رينالد » فى « افيرسا » كذلك طبقا لبنود الاتفاق ، وهذه البنود تؤدى الى أمان الكنيسة واستقلالها .

٣ ــ كذلك عليه ارضاء الداوية والاسبتارية ورجال الكنيسة، وذلك برد الاملاك التى كان قد استولى عليها منهم ورد الخسائر التى سببها لهم وأن تؤكد هذه البنود بعد ذلك على طريق الكنيسة.

(١) Thatcher (O.J.) & MmNeal (E.H.) : Op. cit., no. 141. pp. 242 F.

٤ ـ كذلك بالمثل عليه ومن يوم الاتفاق أن يوفر الأشخاص الذين يقسموا بالولاء للكنيسة ، وعلى الكنيسة تسمية هؤلاء الأشخاص ما بين الأمراء والكونتات والبارونات من ألمانيا والكومانات اللمبارديين وتسكانيا و « روماجنولا » والماركيزات والكونتات والبارونات فى هذه المقاطعات وهؤلاء عليهم أن يوفروا الأمن للكنيسة ومن أجل الامبراطور ، واذا لم يحقق هذه المطالب بالنسبة للكنيسة ، أو يخرق السلام أو يستولى على أراضى الكنيسة أو التابعين لها فانهم سوف يساعدون الكنيسة للوقوف ضده وكذلك سوف تقف الكنيسة ضده فى حالة ارتكابه أى خطأ فى خلال ثمان شهور وفى حالة مملكة صقلية يكون أمامه ثلاث شهور فقط ، بالنسبة لايطاليا أمامه ، أربعة شهور ، بالنسبة لخارج ايطاليا ، أمامه خمس شهور فى خلالها يصحح أى خطأ ، ربما قد يرتكب ، وأولئك الذين فى خدمة الامبراطور عليهم أن يعطوا الكنيسة وثائق موقعة تشتمل على وعدهم لمساعدتها .

وعلى الامبراطور فى خلال خمسة عشر يوما أن يرسل رسولا الى المحكمة البابوية لتسلم أسماء أولئك الذين تطلبهم الكنيسة لحمايتها ، وكل ما سبق قد تم الاتفاق عليه ، ولكننا نترك له تحقيق كل ما وعد به من أجل الصليب وكذلك عليه طاعة الكنيسة ، واذا نسينا أى شرط كان علينا الالتزام به أو تضمينه من الشروط السابقة فسوف يكون للبابا الحق فى اضافته .

وكذلك اعلنوا أن البابا قد أراد ان تعود اليه أملاكه ، التى خارج سلطة الكنيسة من الملكة ، وحفظ حريتها ووقف كنيسة القديس بطرس ، وكذلك قد أعلن صدور قرار الحرمان ضد الامبراطور فى حالة عجزه عن تحقيق اى من الشروط السابقة .

ملحق رقم / ١٢

خطاب البابا بشأن زيارة الامبراطور فردريك الثانى له بعد سلام سان جرمانو ١٢٣٠ م (١)

البابا جريجورى : حيث أننا ندرك أنك ابن عزيز علينا بصفة خاصة فقد سررنا عند سماعنا بتلك الاخبار السارة بالنسبة لنا ، فقد قررنا أن نخبركم فى خطاب عن النجاح الطيب الذى حققتموه فى الأيام القليلة الماضية . ومن ناحية أخرى فى اليوم الأخير من سبتمبر حيث قام الابن الاعز الخادم للمسيح الامبراطور الرومان فردريك الثانى بزيارتنا ، فقد أدان لنا بالولاء واخلاصه الصادق وكذلك تواضعه أمامنا كقس لكنيسة القديس بطرس، كان كل ذلك بمثابة ولاءكما فعل السابقون ، وخير دليل على ولائه واتجاهه نحونا ، ففى اليوم الثانى من زيارته قام برؤيتنا فى بيتنا ، بدون المظاهر الرسمية ولكن بكل بساطة كشخص عادى ، وقد تناول العشاء معنا وكنا فى غاية الدهشة والسرور من طيبته واخلاصه ، ولقد مر اليوم غاية فى البهجة ، كما أنه سيظل فى الذاكرة للسرور الذى استقبل به كلانا الآخر وتناولنا للعشاء معا .

(١) Thatcher (O.J.) & McNeal (E.H.) : Op. cit., No. 142, p. 244.

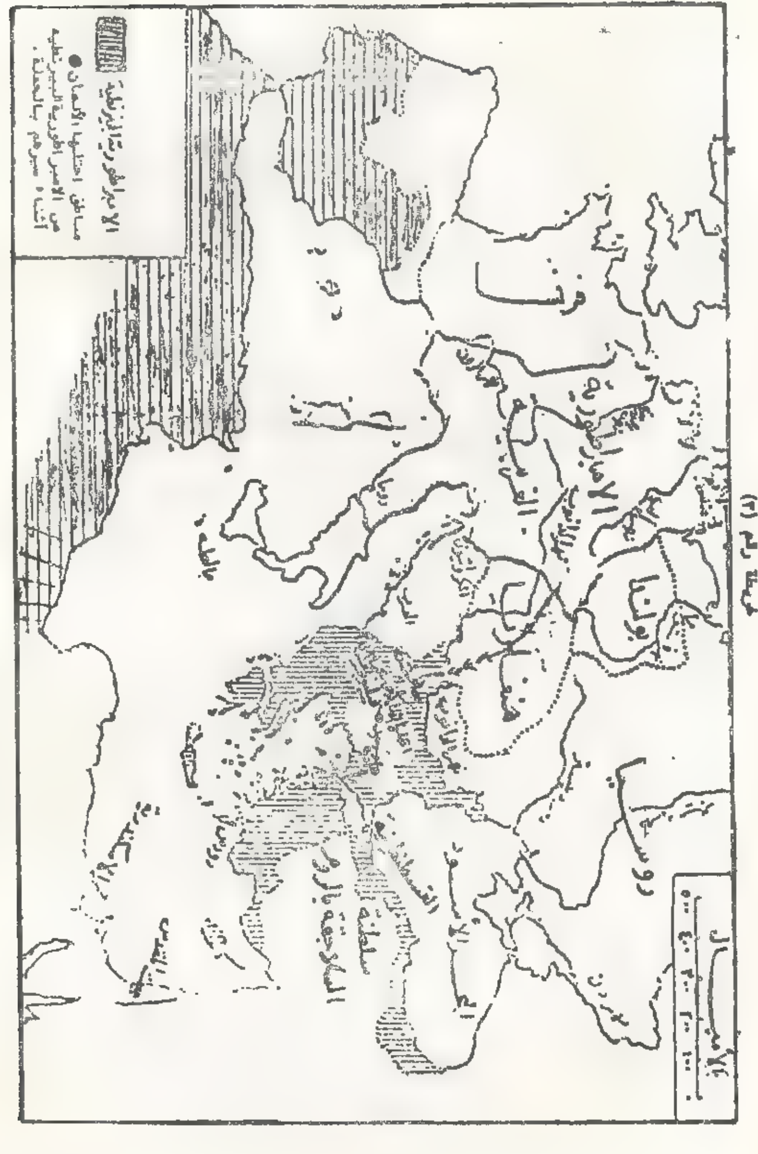
خريطة رقم (١)



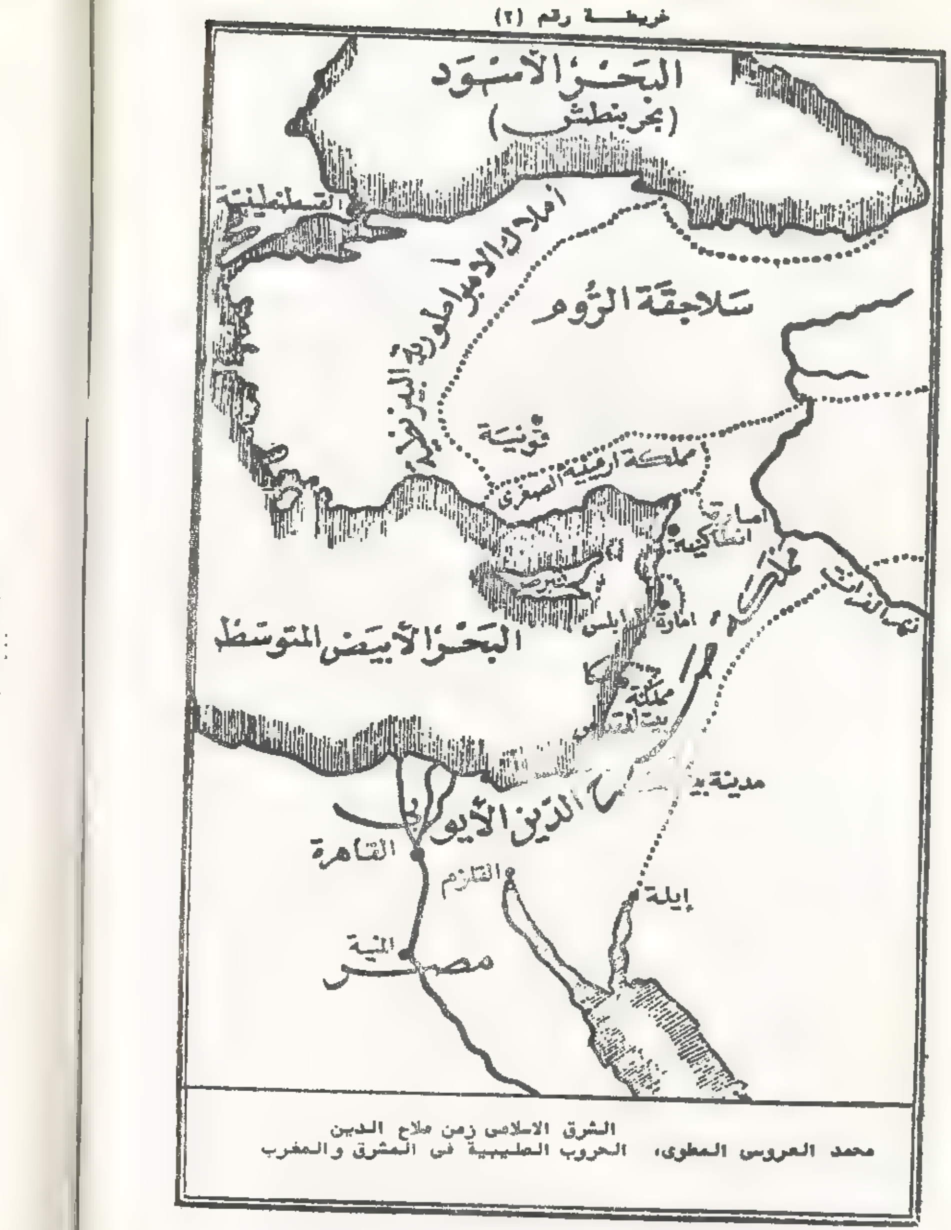
الامبراطورية الرومانية المقدسة أيام اسرة هوهنشتاوفن

من كتاب ل.م. هارتمان ، ج. باراكلاف : الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ، ادار المعارف ، الاسكندرية/١٩٦٦

وبعد العشاء تحدثنا ، وعبرنا عن سرورنا تجاه كل المسائل واكتشفنا انه كان مستعدا تماما أن يطيع أوامرنا بكل احترام ، فيما يخص المسائل الدينية ، وما يخص أوقاف كنيسة القديس بطرس، وبذلك أتحدنا من أجل الرب كما اعتقدنا انه علينا أن نتـــرك أولا وقبل كل شيء أن تشارك سعادتنا وسرورنا ونحن نأمل أن يكـــون ذلك معلوما لدى كل من حولك ، وندعوك بأن تذيع ذلك للرأى العام فى « كبانيا » وأن تشجعهم على أن يبقوا مخلصين للقديس بطرس ولنا ، وعليك بتقويتهم على قدر الامكان وتحثهم على أن يكونوا شجعان ، وكما أخبرناك بوعود الامبراطور فردريك فسوف نحيطك علما بالطريقة التى سيتم بها تحقيق ذلك .

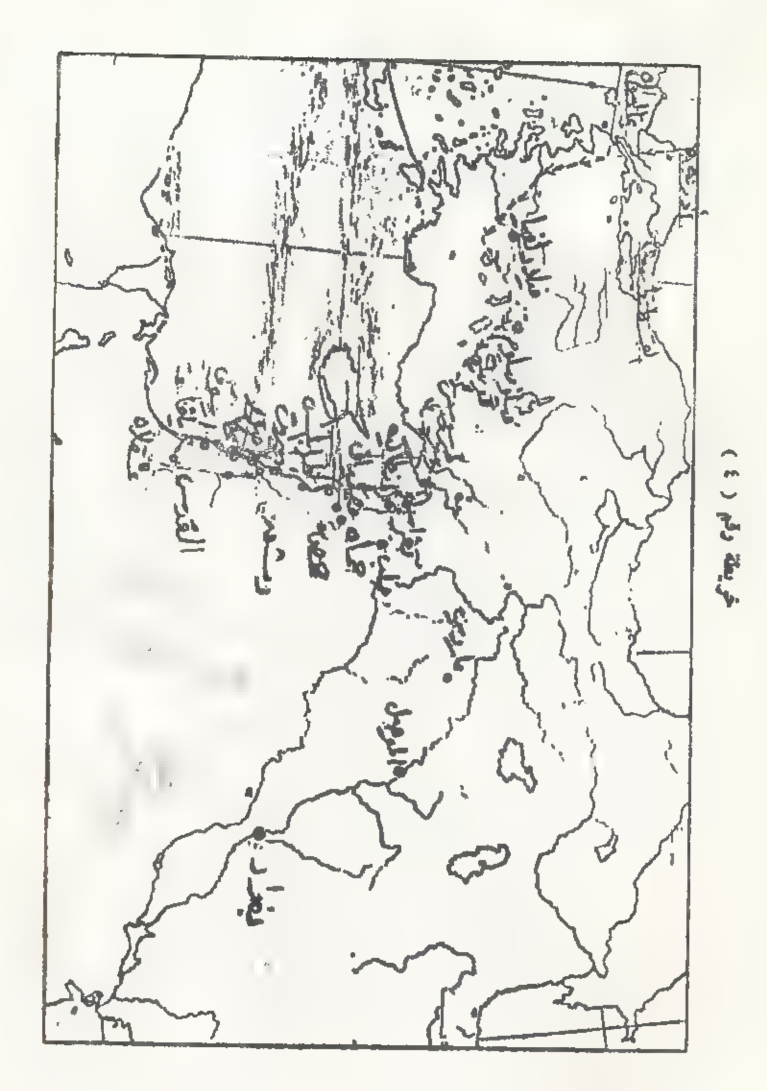


خريطة رقم (٢)



الشرق الاسلامى زمن صلاح الدين

محمد العروسى المطوى، الحروب الصليبية فى المشرق والمغرب



خريطة رقم (٤)

المصـــادر والمراجـــع

اولا : المصادر والوثائق الاجنبيـــة :

— Ambroise :

The crusade of Richard Lion-Heart, Translated from. The old French by Merton Jerome Hubert, with Notes and Documentation By John, L. Lamonte, New York, 1941.

— Ashour (Said) & Rabie (Hassanen) :

Fifty Documents Medieval history, Cairo, 1971.

— Choniata (Nicetas) :

Corpus Scriptorum historiae Byzantinae Scrib. Berolini, XXXV. 1834.

— Frederic II (L'Empereur) :

Questions Philosophiques Adresses Aux savants Musulmans. Journal Asiatique, Recueil au monoires, tome I, Paris, 1853.

— Henderson (Ernest-F.) :

Select Historical Documents of The Middle Ages, London, 1892.

— Letter of Adrian IV to Barbarossa, Sept. 20th, 1157.

— Manifesto of the Emperor. Oct. 1157.

— Jean (Michel) & Brial (Joseph) :

Recueil Des Historiens Des Gaules et De la France, Tome. Paris, Mdcc LXXVIII.

— A letter from Saladin to the Pope.

— A letter from El Adel Saphadin to the Pope.

— A letter from Crusaders in the East to The European West.

— A letter from The Pope to the Western Christians.

— Thatcher (Oliver. J.) & McNeal (Edgar Holmes).

A source Book for Medieval History, America, 1905, Selected Documents illustrating, The History of Europe in the Middle Ages.

— The Preliminary Treaty of Anagni Between Alexander III and Frederick I.

— Treaty Between Phillip King of Germany and Phillip II, King of France, 1198.

— Promise of Frederick to Innocent III, 1213.

— Promise of Frederick II to risign sicily after his coronation of emperor.

— Treaty of san Germano 1230.

— Rohricht (Reinhold) :

Regesta Regni Hierosoly mitani (MXCV II. MCCXVI). Berelini. 1892.

— Aletter from Saladin to Frederick I, 1182, No. 598.

— A letter from Saphadin to the Pope. 1183. No. 626.

— A letter from Saladin to the Pope. 1183. No. 635.

— A letter from Jurusalem to Frederick I. 1185. No. 646.

— A letter from the crusaders in the East to Frederick I. 1187. No. 658.

— A letter from Fratres Hospitalis to 1187. No. 661.

— A letter from terricus to king of Engliae, 1188, No. 669.

— A letter from Frederick I to Saladin, 1188. No. 671.

— A letter from Saladin to Frederick I. 1188. No. 672.

— A letter from Sibylla to Frederick I. 1189. No. 681.

— A letter from Azzed-din Kilidsch Arsalan to Frederick I. 1189. 686.

— A letter from the Crusaders about the treaty between Saladin and the Byzantine State. 1189. No. 688.

— A letter from Catholicus Armeniorum to Saladin, 1190. No. 694.

— A letter from Russutana to the Pope. 1224. No. 967.

— A letter from Johennes, Constabularius Bratiae to the Pope. 1224. No. 978.

— A letter from Frederick II to theutonicorum, 1226. No. 974.

— A letter from Isabella to theutonicorum. 1226. No. 975.

— A letter from the Pope to Hospitalis and templi. 1229. No. 998. and A letter from the Pope to Sultan Egypt.

— A letter from Hermanus to the Pope 1229. No. 999.

— A letter from Hermanus. 1224. No. 1000.

— A letter from Geroldus to the Pope. 1229. No. 1001-1229. No. 1002-1003-1004-1005-1006-1007-1008-1009 1010-1012-1014-1015- 1016-1917.

— A letter from the pope to Sultan Malik el-Kamel-1231. No. 1025. 1234. No. 1052.

— A letter from Sultan Iconii to the Pope. 1243. No. 1053-1241. No. 1101-1242. No. 1107-1243. No. 1115-1244. No. 1118-1119.

— A letter from Malik el-Nasir-Sonal Muazzam to the Pope. 1246. No. 1143.

- A letter from Malik El Salih to the Pope 1246 No. 1144.

— A letter from Frederick II to Malik El Salih, 1248. No. 1169.

— Select Documents the crusades (800-1492).

— The treatn of Jaffa-February. 1229.

— Vinsovfis (Geoffery) :
Itinerary of Richard I and others to the holyland London. 1848, New York. 1969.
Ch. II-Ch. III-Ch. IV-Ch. V-Ch. VI-Ch. VII-Ch, VIII-Ch. IX-Ch. X-Ch. XI-Ch. XII-Ch. XIII-Ch, XIV-Ch. XV-Ch. XVI-Ch. XVII-Ch. XVIII. Barbarossa, sepistle to Saladin's reply to the Emperor. Ch. XIX-Ch. XXI-Ch. XXII-Ch.
XXV-Ch. XXVI-Ch, XXVII-Ch.
XXIII-Ch. XXIV-Ch.
XXVIII-Ch. XXX.

— Wiegler (Paul) :
The Infidel Emperor and his struggles Against the Pope.

A chronicle of the Thirteenth Century, London, 1930

— William of tyre :
A history of Deeds Dome Beyond the Sea. Vol. 2. Translated and Annotated by Babcock (E.A.) New York, 1943.

ثانيا : المصادر الأجنبية المترجمة :

— Joinville :

Hist de Saint Louis, Paris, 1874.

ترجمة حسن حبشى : القاهرة ١٩٦٨ .

— Robert of clary :

La Conquete de constantinopll, Paris. 1924.

ترجمة حسن حبشى ، القاهرة ١٩٦٤ .

— Vilehardouin (G.) :

Conqueste de constantinople, Paris, 1882.

ترجمة حسن حبشى ، جدة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

ثالثا : المراجع الأجنبية :

— Anthemy (J-C) :

The Crusades, Exeter, 1966.

— Archer (T-A) :

The crusades : The story of the latin kingdom of Jerusalef, London, 1919.

— Atiya (Aziz3) :

The crusade in the later Middle Ages, London, 1938.

— Brand (Charles. M.) :

The Byzantines and Saladin (1185-1192).
Specu|um, A Journal of Mediaval Studies, Vol. 37, America, 1962.

— Bryce (James) :

The Holy Roman Empire, London, 1907.

— Cambridge Medieval history :

Vol. 4, Cambridge, 1948

Vol. 5, Cambridge, 1929.

Vol. 6, Cambridge, 1929.

— Conder (C-R) :

The Latin Kingdom of Jerusalem, London, 1897.

— Deer (Josef) :

Der Kaiseronat Friedricks II, Speculum, Vol. 29, April, 1954.

— Diehl (Charles) :

History of the Byzantine Empire, Princeton, 1925

— Duggan (Alfred) :

The story of the crusades (1097-1291) London, 1963.

— Ehren Kreutz (Andrew-s) :

Saladin, Speculum, Vol. 49, New York, 1972.

Glubb (John) :

The last conturis (1145-1453), Speculum, Vol. 44. July. 1969.

— Grosset (R.) :

Histoire des croisades et du Royaume France de Jerusalem, Tome. 3 Paris, 1936.

— Hayward (Fernand) :

A History of the Popes, translated from the French by Monks, London, 1939.

— Hayes (T-H) :

History of Europe, Vol. I, New York, 1959.

— Hiberno (Luca Waddingo) :

Annales Minorum Seu Trium ordinum as. Francisco institutorum, Tonus T (1208-1220) Quaracchi, 1931.

— Hulme (Edward Maslin) :
The Middle Ages, New York, 1929, 1938.

— Kantorowicz (Ernst) :

Frederick the Second (1194-1250) translated. by : Lorimer (E-O), London, 1931.

— King (E-J.) :
The Kinghts Hospitallers in the Holy Land, London, 1931.

— Lamb (Harold) :
- — The Crusades
  Iran men &Saints, London, 1930.
- — The Crusades
  The Flame of Islam, London, 1931.

— Lamonte (J.L.) : Joh d'Iblin. The Lord of Beirut. (1177-1236), Byzantion Tome 12. 1937.

— Michoud (J-F) :
Historia des Croisades
tome 2-3, Paris, 1816-1822.

— Nau (F.) :
My marty rologes et menologes orientoux, IXIII. Un mortyrolologe et Douze menologes, Syriaques, Paris, 1912.

— Nicholson (Robert Lawrence) :
— Joscelyn III and the fall of the crusader states (1134-1199). Leiden, 1973.

— Joscelyn, III and the fall of the Crusader State, Speculum, Vol. 51, 1976.

— Ostrogorsky (G.) :
The Byzantine State. Translated from The Germany by Hussy (J.) Oxford, 1956.

— Painter (Sidney) :
A History of the Middle Ages (284-500), New York, 1954.

— Poole (Stanley Lane) :
— History of Egypt in the Middle Ages, London, 1925.

— Sadadin and the fall of the Kingdom of Jurusalem, London, New York, 1898-1926.

— Pornoud (Regine) :
The History of Making the Crusades, London, 1960.

— Ramasay (W-H) :

The Historical and Geography of the Asia Minor, Amsterdam, 1962.

— Reinoud (M.) :
Notice sur la vie de Saladin Sultan d'Eghypte et Syrie, Journal Asiatique, tome. 5, 1824.

— Richard (J.) :
— An account of the Battle of Hattin Referring To The frankish Mercenaries in oriental. Moslem States, Speculum, Vol. 27, America, 1952.
— Le Royaume Latin de Jerusalem, Paris, 1953.

— Setton (K.M.) :
— A History of the crusades.
Vol-I, New York, 1955.
Vol. 2, London, 1962.

— Slaughter (Gertrude) :
The Amazing Frederic, New York, 1937.

— Smail (R.C.) :
— Crusading Warfare (1097-1193). Cambridge, 1956.

— The Crusaders in Syria and the Holy land, London, 1973.

— Stephenson (Carl) :
Medieval History, Ne York, London, 1935, 1943.

— Stevenson (W-B) :
The Crusaders in The East, Bierut, 1968.

— Thampson (James Westfall) :
Middle Ages, Vol. I, London, 1931.

— Tout (T-F) :
The Empire and the Papacy (1198-1273). London, 1924.

— Vasiliev (A-A) :
History of the Byzantine Empire (324-1453) Madison, 1958.

رابعا : المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة :

ـ ابن الاثير : ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٠ م
ـ الكامل فى التاريخ ٠ الجزء الحادى عشر والثانى عشر المطبعة الكبرى القاهرة ١٢٩٠ هـ ٠

ـ أحمد بن على الحريرى : ت فى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى

ـ الاعلام والتبيين فى خروج الفرنج الملاعين على بلاد المسلمين ، مخطوط بجامعة الدول العربية ، نسخة مصورة بالفوتوغراف عن نسخة باريس ، ١٩٤٨ م / ١٣٦٨ هـ ٠

ـ الاسحاقى : (ابن على) ٠ ت فى القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى ٠

ـ أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول القاهرة ١٣١٠ هـ ٠

ـ الأصطخرى : ت ١٣٠٩ هـ / ٩٥١ م
مسالك الممالك ، بالجامعة الامريكية ١٨٧٠ م ٠

ـ ابن ايبك الدوادارى ت ٧٣٣ هـ / ١٣٢١ م
كنز الدرر وجامع الغرر، الجزء السابع ، الدر المطلوب فى اخبار بنى أيوب ٠
تحقيق سعيد عاشور القاهرة ١٩٧٢ م ٠

— ابن أيوب (الملك المنصور محمد بن الملك المظفر عمر بن شاهنشاه) ت ٦١٧ هـ / ٢٠ — ١٢٢١ م .

مضمار الحقائق وسر الخلائق ، مخطوط بجامعة الدول العربية وحققه حسن حبشى سنة ١٩٦٨ م .

— البندارى : (الفتح بن على)

— سنا البرق الشامى ، تحقيق / فتحية النبراوى ، القاهرة ١٩٧٩ م .

— بنيامين التطيلى الاندلسى (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م)

— رحلة بنيامين (٥٦١ – ٥٦٩ هـ / ١١٦٥ – ١١٧٣ م) ترجمها من العبرية عزرا حداد ، بغداد ١٩٤٥ .

— ابن تغرى بردى : (جمال الدين أبو المحاسن يوسف) ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م

— النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة ، الجزء الخامس والسادس القاهرة ١٩٢٣ م .

— الحنبلى : (قاضى القضاة أبو اليمن مجير الدين) ت ٩٢٧ هـ / ١٥١٩ م .

— الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الجزء الأول تقديم / محمد بحر العلوم العراق ١٩٨٦ م .

— شفاء القلوب فى مناقب بنى ايوب ، مخطوط .

— الحنبلى : (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد) ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م .

— شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، الجزء الخامس القاهرة ١٣٥١ هـ .

— ابن خرداذبه : (أبو القاسم عبد الله بن عبد الله) ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م .

— المسالك والممالك .

— ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى) ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ هـ .

— العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الجزء الخامس بيروت ١٩٧٩ م .

— ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م .

— وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، المجلد الثانى ، تحقيق / احسان عباس بيروت ١٩٦٩ م .

والجزء السادس تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨ م .

— ابن دقماق : (برهان الدين ابراهيم) ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ — ١٤٠٧ م

— الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين ، مخطوط بجامعة الدول العربية .

— الذهبى : (الحافظ شمس الدين) ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ — ١٣٤٨ م)

— دول الاسلام ، تحقيق / فهيم محمد شلتوت القاهرة ١٩٧٤ م

— سبط ابن الجوزى : (شمس الدين بن المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى) ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م .

— مرآة الزمان فى تاريخ الاعيان ، القسم الثانى الجزء الثامن ، الهند ١٩٥١ م .

— ابن سعيد : (ابو الحسن على بن موسى المغربى)

— الروض المهضوب فى حلى دولة بنى أويب ، مخطوط بدار الكتب .

— ابو شامه : (شهاب الدين ابو محمد عبد الرحمن بن اسماعيل) ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م .

— الروضتين فى اخبار الدولتين لبنان ١٨٧١ م .

— الذيل على الروضتين ، الطبعة الثانية ، لبنان ١٩٧٤ م .

— ابن شداد : (بهاء الدين) ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م

— النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية أو سيرة صلاح الدين ، تحقيق / جمال الدين الشيال ، الطبعة الاولى — القاهرة ١٩٦٤ م .

— الشيرازى : (مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابازى) ت فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى .

— القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ الجزء الثانى .

— عماد الدين الاصفهانى : (أبو عبد الله محمد بن محمد) ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م

— الفتح القسى فى الفتح القدسى ، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٢٢ هـ .

— ابن العبرى : (غريغورس الملطى) : ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م

— تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٨ م .

— العينى : (بدر الدين محمود) ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م

— عقد الجمان فى تاريخ اهل الزمان ، القسم الأول الجزء الثامن عشر ، مخطوط بدار الكتب .

— المهند فى سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودى / تحقيق فهيم محمد شلتوت مراجعة / محمد مصطفى زياده ، القاهرة ٦٦ — ١٩٦٧ م .

— ابو الفدا : (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه) ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م .

— المختصر فى أخبار البشر ، الجزء الثالث ، القاهرة ١٣٢٥ هـ

— ابن القلانسى : (ابو يعلى حمزة بن أسد الدين على التميمى) ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م .

— ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ م .

— القلقشندى : (الشيخ أبو العباس احمد) ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م :
— صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، القاهرة ١٩٥١ م ٠

— ابن كثير : (الحافظ الدمشقى) ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٣ م
— البداية والنهاية ، الجزء الثانى عشر ، والثالث عشر بيروت ١٩٦٦ م ٠

— مجهول المؤلف :
— تاريخ الأمم والملوك ، مخطوط بدار الكتب رقم ٢٥٨١/ ت تيمور ٠

— المقريزى : (تقى الدين احمد بن على) ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م
— السلوك لمعرفة دول الملوك ، القسم الأول، الجزء الأول، نشر محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٠م٠
— المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، الجزء الثانى والثالث ، بيروت ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٣ م ٠

— ابن الميسر : (محمد بن على بن يوسف بن جلب) ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م
— أخبار مصر ، الجزء الثانى ، المعهد الفرنسى ١٩١٩ م ٠

— النسوى : (محمد بن أحمد) ٠
— سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى ، نشر وتحقيق ، حافظ احمد حمدى القاهرة ١٩٥٣ م ٠

— ابن واصل : (جمال الدين محمد بن سالم) ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٨ م

— مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، الجزء الثالث تحقيق ، جمال الشيال الاسكندرية ١٩٦٠ م ، الجزء الرابع تحقيق / حسنين ربيع ومراجعة/سعيد عاشور دار الكتب القاهرة ١٩٧٢ م ٠

— ابن الوردى : (زين الدين عمر) ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م
— تنمية المختصر فى أخبار البشر ، تحقيق / أحمد رفعت البدراوى بيروت ١٩٧٠ م ٠

— ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبد الله) ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م
— معجم البلدان ، بيروت ١٩٨٤ م ٠

خامسا : المراجع العربية والمترجمة :

— احمد بيلى : حياة صلاح الدين الايوبى القاهرة ١٩٢٢ م

— ارنست باركر : الحروب الصليبية ترجمة السيد الباز العرينى القاهرة ١٩٦٠ م ٠

— اسامه زكى زيد : الخوارزمية ودورهم فى الصراع الصليبى الاسلامى فى عصر بنى أيوب (١٢٢٥ — ١٢٤٦ م / ٦٢٢ — ٦٤٤ هـ) مقال بمجلة كلية الآداب — جامعة الاسكندرية — العدد ٣٠ سنة ١٩٨٢ م ٠

— اسحق عبيد : روما وبيزنطة القاهرة ١٩٧٠ م

— أسد رستم : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، بيروت ١٩٥٦ م ٠

— اومان : الامبراطورية البيزنطية ترجمة / مصطفى طه بدر القاهرة ١٩٦٠ م .

— اومبرا انجلبيرت : حياة القديس فرنسيس الاسيزى . عربه بتصرف : أحد الآباء الكبوشيين اللبنانيين . بيروت ١٩٦٧ م .

— بطرس البستانى : دائرة المعارف ، بيروت ١٨٨٠ م .

— جوزيف نسيم يوسف :
الدولة البيزنطية الاسكندرية ١٩٨٤ م
— لويس التاسع فى الشرق الأوسط ، قضية فلسطين فى عصر الحروب الصليبية .
الطبعة الثانية — الاسكندرية ، ١٩٥٩ م .

— حامد زيان غانم : الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة — القاهرة ١٩٧٧ م .

— حسن ابراهيم حسن ، وأحمد صادق طنطاوى : تاريخ العصور الوسطى فى الشرق والغرب — الطبعة الثانية — القاهرة ١٩٣٣ م .

— حسن الباشا :
— الالقاب الاسلامية فى التاريخ ، القاهرة ١٩٥٧ م — الفنون الاسلامية ، والوظائف على الآثار العربية الجزء الثانى القاهرة ١٩٦٦ م .

— حسن حبشى :
— الشرق العربى بين شقى الرحى ، حملة القديس لويس على مصر والشام القاهرة ١٩٤٩ م .
— نور الدين والصليبيون القاهرة ١٩٤٨ م .

— حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية القاهرة ١٩٨٣ م .

— حسين لبيب : مختصر تاريخ العصور الوسطى فى أوربا الطبعة الثانية ١٩١٩ م .

— درويش النخيلى : السفن الاسلامية على حروف المعجم الاسكندرية ١٩٧٤ م .

— ديفز (هـ — و) : أوربا فى العصور الوسطى ترجمة : عبد الحميد حمدى محمود ، الاسكندرية ١٩٥٨ م .

— رأفت عبد الحميد :
— المشكلة الايطالية فى السياسة الالمانية فى العصور الوسطى ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد / ٣٠ — ٣١ سنة ١٩٨٣ / ١٩٨٤ م .
— الملكية الالمانية بين الوراثة والانتخاب فى العصور الوسطى ، مقال بندوة التاريخ الاسلامى والوسيط المجلد الثانى . القاهرة ١٩٨٣ م .

— زبيدة محمد عطا : الترك فى العصور الوسطى — القاهرة ١٩٧٦ م .

— ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ثلاثة أجزاء ترجمة : السيد الباز العرينى بيروت ١٩٦٩/٦٨ م .

— سعيد أحمد برجاوى : الحروب الصليبية فى المشرق — الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٤ م .

— سعيد عبد الفتاح عاشور :
— أضواء جديدة على الحروب الصليبية القاهرة ١٩٦٤ م .
— الامبراطور فردريك الثانى والشرق العربى ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد الحادى عشر سنة ١٩٦٣ م .

— أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، الطبعة السادسة القاهرة ١٩٧٨ م .

— الأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٧٦ م .

— الحركة الصليبية ، جزءان ، الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٧٦ م .

— قبرس والحروب الصليبية القاهرة ١٩٥٧ م

— الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب القاهرة ١٩٦٥ م .

— سوسن محمد نصر : بنو ايوب مع الخوارزمية والمغول والمماليك فى شمال الشام ، والجزيرة ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٣٠ / ٣١ القاهرة ١٩٨٤ م .

— السيد الباز العرينى :

— الاقطاع الحربى عند الصليبيين لملكة بيت المقدس فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين القاهرة ١٩٦٢ م .

— الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، الجزء الأول القاهرة ١٩٦٣ م .

— مصر فى عصر الأيوبيين ، القاهرة ١٩٦٠ م .

— مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ م .

— سيد على الحريرى : الاخبار السنية فى الحروب الصليبية الطبعة الأولى ١٨٩٩ م .

— عبد الرحمن الرافعى وسعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى العصور الوسطى . القاهرة ١٩٧٠ م .

— عبد الغنى محمود عبد العاطى : صليبية الأطفال، مقال بندوة التاريخ الاسلامى والوسيط — المجلد الثانى — القاهرة ١٩٨٣ م .

— عبد الفتاح عباده : سفن الاسطول الاسلامى وأنواعها ومعداتها فى الاسلام ، القاهرة ١٩١٣ م .

— عبد القادر أحمد اليوسف :

— الامبراطورية البيزنطية بيروت ١٩٦٦ م .

— علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر بيروت ١٩٦٩ م .

— عبد المنعم ماجد :

— المصريون وحدهم ، استردوا بيت المقدس من الصليبيين ، مقال بالموسم الثقافى للجمعية التاريخية المصرية ١٩٧٨ م — ١٩٨٣ م .

— الناصر صلاح الدين يوسف الأيوبى القاهرة ١٩٥٨ م .

— عبد الله ناصح علوان : صلاح الدين الأيوبى بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين — بيروت ١٩٨٣ م .

— عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة فيليب صابر يوسف ، مراجعة : أحمد خاكى ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٧٢ م .

— عطية القوصى :

— صلاح الدين واليهود ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٤ القاهرة ١٩٧٧ م .

— معركة حطين ووحدة الصف العربى ، القاهرة ١٩٦٢ م .

— عمر كمال توفيق :
— تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، الاسكندرية ١٩٦٧م
— الدبلوماسية الاسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ، دراسات تحليلية وثائقية فى التاريخ الدبلوماسى ، الاسكندرية ١٩٨٦ م .

— العمرى : الرسالة ، روما ١٨٨٣ م .

— فشر : (هـ ـ أ ـ د) : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى القاهرة ١٩٦٦ م .

— قاسم عبده قاسم : الشعر والتاريخ ، دراسة تطبيقية على شعر الحركة الصليبية ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية المجلد ٢٨ ـ ٢٩ القاهرة ٨١ / ١٩٨٢ م .

— محمد شفيق غربال : ضبط وتحقيق الالفاظ الاصطلاحية التاريخية الواردة فى كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمى ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثالث ، العدد الثانى القاهرة ١٩٥٠ م .

— محمد العروسى المطوى : الحركة الصليبية فى المشرق والمغرب، تونس ١٩٥٤ م

— محمد كرد على : خطط الشام ، الجزء الثانى ، دمشق ١٩٢٥م.

— محمد مصطفى زيادة :
— حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته فى المنصورة الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦١ م .

— مصر والحروب الصليبية ترجمة ، محمد سعيد السيد منصور . نادى الاتحاد الانجليزى المصرى ١٩٤٢ م .

— محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ،الاسكندرية ١٩٧٨ م .

— محمود ياسين الحموى : دمشق فى العصر الأيوبى ـ دمشق ١٩٤٦ م .

— مصطفى حسن محمد الكنانى : العلاقات بين جنوه والشرق الأدنى الاسلامى (١١٧١ ـ ١٢٩١ م) ج ٢ ، القاهرة ١٩٨١ م .

— مكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة بين الشرق ترجمة ، مكسيموس مظلوم أورشليم ١٨٦٥ م .

— ميخائيل آمارى : المكتبة العربية الصقلية ، بغداد ١٨٥٧ م

— نظير حسان سعداوى :
— التاريخ الحربى المصرى فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، القاهرة ١٩٥٧ م .
— ثلاثة من مؤرخى الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٥٧م
— الحرب والسلام زمن العدوان الصليبى ، القاهرة ١٩٦١ م .

— نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ترجمة ، حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٠ م .

— هارتمان (ل . م) وباراكلاف (ج) :
الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ، ترجمة ، جوزيف نسيم يوسف الاسكندرية ١٩٦٦ م .

— هسى (ج — م) : العالم البيزنطى ، ترجمة وتعليق ، رأفت عبد الحميد ، القاهرة ١٩٧٧ م .

— هيئة القدس العلمية : كشاف البلدان الفلسطينية القاهرة ١٩٧٣ م .

— ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة ، محمد بدران القاهرة ١٩٦٥ م .

— وليام لانجر : موسوعة تاريخ العالم ، ترجمة محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٥٦ م .

— يوشع براور : عالم الصليبيين ترجمة وتعليق : قاسم عبده قاسم ومحمد خليفة حسن ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨١ م .

سادسا : الرسائل :

— حسنين عبد الرحيم حسين عليوه :
السلاح المعدنى للمحارب المصرى فى عصر المماليك دكتوراه آداب القاهرة ١٩٧٤ م .

— زبيدة محمد عطا : الشرق الاسلامى والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين ماجستير آداب القاهرة ١٩٦٨ م .

— زكى النقاش : الحشاشون وأثرهم فى السياسة والاجتماع . دكتوراه أداب القاهرة ٥٢ / ١٩٥٣ م .

— سامى سلطان سعد : أسس العلاقات الاقتصادية بين الشرق الأدنى والجمهوريات الايطالية ، ماجستير أداب القاهرة ١٩٥٨ م .

— سوسن محمد نصر ابراهيم : الاخوة الملوك أولاد العادل الأيوبى (الكامل ، المعظم ، الاشرف) دكتوراه دار العلوم ١٩٧٧ م .

— عبد الشافى غنيم عبد القادر :
حالة المسلمين الثقافية والاجتماعية بجزيرة صقلية فى العصر النورمندى (٤٨٤ — ٦٦٧ هـ / ١٠٩١ — ١٢٦٨ م) دكتوراه أداب القاهرة . د . ت .

— عثمان عبد الحميد محمد عشرى :
الاسماعيليون فى بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية (٤٩١ — ٦٩١ هـ / ١٠٩٧ — ١٢٩١ م) دكتوراه أداب القاهرة ١٩٧٥ م .

— محمد محمد أمين على : السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب (١٢٤٠ — ١٢٤٩) ماجستير أداب القاهرة ١٩٦٨ م .

— محمد عبد العزيز عزيز : حملة فردريك الثانى الصليبية على بلاد الشام (١٢٢٨ — ١٢٢٩ م / ٦٢٥ — ٦٢٦ هـ) . رسالة ماجستير جامعة بيروت العربية ١٩٨٤ م .

— مصطفى محمد عبد المقصود الحناوى :
جماعة الاسبتارية ودورها فى الصراع الصليبى الاسلامى فى عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩ — ١٢٩١ م / ٤٩٣ — ٦٩٠ هـ ماجستير أداب الاسكندرية ١٩٨٠ م .

الفهـــــــرس

الفصــل الثــانى

سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الدولة الأيوبية

٥٨٤ ـ ٥٨٦ هـ /١١٨٨ ـ ١١٩٠ م

الفصــل الثــالث

الأوضاع السياسية فى الامبراطورية الرومانية المقدسة والدولة الأيوبية وأثرها على العلاقات بينهما

(١١٩٠ ـ ١٢٠٨ م / ٥٨٦ ـ ٦٠٥ هـ)

الفصــل الرابــع

سياسة الامبراطورية فردريك تجاه الدولة الأيوبية

(١٢٠٩ ـ ١٢٢٧ م / ٦٠٦ ـ ٦٢٥ هـ)

الموضـوع الصـفحة

صدر فى هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ،
د . عبد العظيم رمضان، ط ١، ١٩٨٧، ط ٢، ١٩٩٤.

٢ ـ على ماهر،
رشوان محمود جاب الله، ١٩٨٧.

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة،
عبد السلام عبد الحليم عامر، ١٩٨٧.

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٨٧.

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية فى العصور الوسطى،
د. علية عبد السميع الجنزورى، ١٩٨٧.

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ١،
لمعى المطيعى، ١٩٨٧.

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى،
د . عبد المنعم ماجد، ١٩٨٧.

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية،
د . على بركات، ١٩٨٧.

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل،
د . محمد أنيس، ١٩٨٧.

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،
محمود فوزى، ١٩٨٧.

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٧.

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير،
د . نبيل راغب، ١٩٨٨.

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية،
د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨، ط ٢، ١٩٩٤

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨.

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،
د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨.

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢-١٩٥٢)،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨.

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨.

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،
د . على السيد محمود، ١٩٨٨

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،
د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨.

٢٠ ـ دراســات فى وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،
د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨.

٢١ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ١،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨.

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر،
جمال بدوى، ١٩٨٨

٢٣ ـ التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ٢ ، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى،
د. توفيق الطويل، ١٩٨٨ .

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦) ،
د . نجوى كامل، ١٩٨٩ .

٢٥ ـ المجتمع الإسلامى والغرب،
تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين،
ترجمة ـ د . أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩ .

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة ،
د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩ .

٢٧ ـ فتح العرب لمصر جـ١ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٨ ـ فتح العرب لمصر جـ٢ ،
تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٩ ـ مصر فى عهد الإخشيديين ،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩ .

٣٠ ـ الموظفون فى مصر فى عهد محمد على،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠ .

٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩ .

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٢ ،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩ .

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩ .

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ؛
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠ .

٣٥ ـ أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠ .

٣٦ ـ المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢ ،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠ .

٣٧ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠ .

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠ .

٣٩ ـ قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠ .

٤٠ ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د . عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠ .

٤١ ـ محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية ،
د . رفعت السعيد، ١٩٩١ .

٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور،
محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠ .

٤٣ ـ رحلة فى عقول مصرية ،
إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠ .

٤٤ ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى ،
د . محمد عفيفى، ١٩٩١ .

٤٥ ـ الحروب الصليبية جـ ١ ،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشى، ١٩٩١ .

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧) ،
ترجمة: د . عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١ .

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث ،
د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١ .

٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى ،
د . زبيدة عطا، ١٩٩١ .

٤٩ ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٧٩) ،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦-١٩٥٤) ،
د . سهير اسكندر، ١٩٩٣ .

٥١ ـ تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)، أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،
د . إلهام محمد على ذهنى، ١٩٩٢ .

٥٣ ـ أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .

٥٤ ـ الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،
د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .

٥٥ ـ الحروب الصليبية جـ٢ ،
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .

٥٦ ـ المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .

٥٧ ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة ،
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .

٥٨ ـ أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،
د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .

٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١) ،
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .

٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .

٦١ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،
د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣ ،
لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .

٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية ،
تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٤ ـ مصر وحقوق الإنسان، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية ،
د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .

٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧-١٩١٧) ،
د . سهام نصار، ١٩٩٣ .

٦٦ ـ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ،
د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .

٦٧ ـ مساعى السلام العربية الإسرائيلية : الأصول التاريخية ،
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ٣ ،
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .

٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦-١٩٥١) ،
د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧٠ـ أهل الذمة فى الإسلام،
تأليف : أ. س. ترتون
ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢، ١٩٩٤.

٧١ـ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ـ١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.

٧٢ـ رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨ـ٥٦٧هـ)،
د. أمينة أحمد إمام، ١٩٩٤.

٧٣ـ تاريخ جامعة القاهرة،
د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤.

٧٤ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١، فى العصر الفرعونى،
د. سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤.

٧٥ـ أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،
د. سلام شافعى محمود، ١٩٩٥.

٧٦ـ دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،
د. سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥.

٧٧ـ الحروب الصليبية جـ٤،
تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ١٩٩٤.

٧٨ـ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ـ١٨٩٩)،
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥.

٧٩ـ تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،
تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥.

٨٠ـ قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢ـ١٩٠٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.

٨١ـ تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د. رمزى ميخائيل، ١٩٩٥.

٨٢ـ مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٣ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٤ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ ـ القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.

٨٥ ـ تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥.

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤)،
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥.

٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦)،
إعداد : تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥.

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥.

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،
د. نريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،
تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦.

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦)،
جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨)،
د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤)،
د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ ـ مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،
إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،
تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ ـ العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية،
د. محمد سيد محمد.

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) جـ ٢،
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة،
أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جمال مختار، أ. د. محمد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى، أ. د. فاروق القاضى، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة،
اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير، اللواء/ عبدالمجيد كفافى، اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢
د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ ـ رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره
د. على بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧ .
د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ ـ الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن).
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الإسلامية.
تأليف: دليب هيرو؛ ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ ـ مصر للمصريين جـ ٤.
سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين جـ ٥.
سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.
د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ ـ مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢.
د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ ـ إسماعيل باشا صدقى
د. محمد محمد الجوادى.

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)
د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى
تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ ـ مذكراتي في نصف قرن جـ ٣.
أحمد شفيق باشا.
١١٦ ـ أديب اسحق (عاشق الحرية)
علاء الدين وحيد
١١٧ ـ تاريخ القضاء في مصر العثمانية
(١٥١٧ ـ ١٧٩٨)
عبد الرزاق إبراهيم عيسى
١١٨ ـ النظم المالية في مصر والشام
د. البيومي اسماعيل الشربيني
١١٩ ـ النقابات في مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف
١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصري الحديث
لويس جرجس
١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤)
د. محمد عبد الحميد الحناوي
١٢٢ ـ مصر للمصريين جـ٦
سليم خليل النقاش
١٢٣ ـ السيد أحمد البدوي
د. سعيد عبد الفتاح عاشور
١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن
د. محمد نعمان جلال
١٢٥ ـ مصر للمصريين جـ٧
سليم خليل النقاش
١٢٦ ـ مصر للمصريين جـ ٨
سليم خليل النقاش
١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨).
إبراهيم محمد محمد ابراهيم .
١٢٨ ـ معارك صحفية.
بقلم/ جمال بدوي.
١٢٩ ـ الدين العام (وأثره في تطور الدين المصري) (١٨٧٦-١٩٤٣).
د. يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧-١٩٩٧).
سمير فريد.
١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليه ١٩٥٢م.
ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر.
١٣٢ ـ دار المندوب السامي في مصر جـ١ .
د. ماجدة محمد حمود .
١٣٣ ـ دار المندوب السامي في مصر جـ٢ .
د. ماجدة محمد حمود.
١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني للدارندلي.
بقلم/ عزت حسن أفندي الدارندلي
ترجمة/ جمال سعيد عبد الغني.
١٣٥ ـ اليهود في مصر المملوكية
(في ضوء وثائق الجنيزة)
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد
١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق
تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان
١٣٧ ـ تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي
د. محمد عبد الغني الأشقر
١٣٨ ـ الإخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر
السيد يوسف
١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصري في القرن العشرين
بقلم محمد قابيل
١٤٠ ـ سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ / ١٨١١ ـ ١٨٤٨م.
طارق عبد العاطي غنيم بيومي
١٤١ ـ وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك.
لطفي أحمد نصار
١٤٢ ـ مذكراتي في نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق . م
د. منيرة محمد الهمشري
١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية في عهد الخديوي اسماعيل
د. عبدالعليم خلاف
١٤٥ ـ النظام الاداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥م).
د. منيرة محمد الهمشري
١٤٦ ـ المرأة في مصر المملوكية
د. أحمد عبدالرازق
١٤٧ ـ حسن البنا متى.. كيف .. ولماذا؟
د. رفعت السعيد
١٤٨ ـ القديس مرقس وتأسيس كنيسة الاسكندرية
تأليف / د. سمير فوزي
ترجمة / نسيم مجلي
١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر
حسام محمد عبد المعطي
١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال
١٥١ ـ جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة
السيد يوسف
١٥٢ـ الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محاسن محمد الوقاد
١٥٣ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية)
د. علية عبد السميع الجنزوري
١٥٤ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزوري
١٥٥ـ عصر محمد على ونهضة مصر في القرن التاسع عشر
(١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م)
د. عبد الحميد البطريق

١٥٦ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الثالث
في العصر الإسلامي
د. سمير يحيى الجمال
١٥٧ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية
الجزء الرابع
في العصر الإسلامي والحديث
د. سمير يحيى الجمال
١٥٨ـ نائب السلطنة المملوكية في مصر
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
د. محمد عبد الغني الأشقر
١٥٩ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الأول
د. محمد فريد حشيش
١٦٠ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢)
الجزء الثاني
د. محمد فريد حشيش
١٦١ـ السيف والنار في السودان
تأليف / سلاطين باشا
١٦٢ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣م)
د. تمام همام تمام
١٦٣ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار/ محمد سعيد العشماوي
١٦٤ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧.
إعداد / د. عبدالعظيم رمضان
١٦٥ـ التعليم والتغير الاجتماعي في مصر
(في القرن التاسع عشر)
سامي سليمان محمد السهم

١٦٦ـ مذكرات معتقل سياسى (صفحة من تاريخ مصر)
السيد يوسف

١٦٧ـ الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الأخشيدية
د. صفى على محمد عبدالله

١٦٨ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات
يسرى عبد الغنى

١٦٩ـ مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامى إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
د. صفى على محمد عبد الله

١٧٠ـ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)
مجدى عبد الرشيد بحر

١٧١ـ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر القرن التاسع عشر
تأليف / محمد رفعت

١٧٢ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الأول
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٣ـ تاريخ أهل الذمة فى مصر الإسلامية (من الفتح العربى إلى نهاية العصر الفاطمى)
الجزء الثانى
تأليف / فاطمة مصطفى عامر

١٧٤ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م
د. أحمد عبد الحليم دراز

١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره فى الحياة السياسية
عادل إبراهيم الطويل

١٧٦ ـ الملاحة النيلية فى مصر العثمانية ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م
د. عبدالحميد حامد سليمان

١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية ازاء حروب الشرق الأوسط
لواء دكتور/ صلاح سالم

١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر
د. سحر على حنفى

١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف محمد السيد العبد

١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس
بقلم / د. عبدالعظيم رمضان

١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد جـ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق / أ. د. حسن حبشى

١٨٣ ـ شاهد على العصر
مذكرات محمد لطفى جمعة

١٨٤ ـ المنوفية فى القرن الثامن عشر
ياسر عبد المنعم محاريق

١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى
د٠ أحمد أحمد سيد أحمد

١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر الاسلامية (بين الاسلام والتصوف)
د٠ أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ ١
د٠ عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م/ ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ) جـ ٢
د٠ عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠ م
عرفه عبده على

١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق ١٩٥١ ـ ١٩٦٣ م ٠
د٠ عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبى ٠

١٩١ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ ١
د٠ محسن على شومان

١٩٢ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر جـ ٢ ٠
د٠ محسن على شومان

١٩٣ ـ الامام محمد عبده (بين المنهج الدينى والمنهج الأجتماعى)
د٠ عبد الله شحاته

١٩٤ ـ تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية
د٠ فتحى الصنفاوى

١٩٥ ـ مجتمع الفرنجة فى عصر الولاة
د٠ نريمان عبد الكريم احمد

١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م)
عبد العظيم محمد سعودى

١٩٧ ـ القدس الخالدة
د٠ عبد الحميد زايد

١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الايوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية ٠
د٠ عادل عبد الحافظ حمزه

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٠١/٢٩٤٣

ISBN — 977 — 01 — 7131 — X

هذا الكتاب عن (العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة)، هو فى الأصل رسالة علمية وينقسم إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: فيتناول الوحدة الإسلامية فى الشرق وأثرها على الامبراطورية الرومانية المقدسة.

الفصل الثانى: فيتناول سياسة الامبراطورية الرومانية المقدسة تجاه الشرق الإسلامى.

ويتناول الفصل الثالث: تأثير الأوضاع السياسية فى الامبراطورية الرومانية وفى الشرق الإسلامى على العلاقات بينهما.

أما الفصل الرابع: فيتحدث عن سياسة الامبراطور فردريك تجاه الشرق الإسلامى (٦٠٦ ـ ٦٢٥م).

وأخيراً يتناول الفصل الخامس الحملة الصليبية السادسة، وأثرها على العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية والدولة الأيوبية (٦٢٥ ـ ٦٤٨م).

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
٤٩٠ قرشاً